مطبوعات المجمع العلمي العراقي

تاريخ العرب

قبل الإسلام

تأليف

الدكتور جواد علي

الجزء الرابع

(القسم السياسي)

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٧٤ — ١٩٥٤


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الجزء ، هو الجزء الرابع من كتاب « تأريخ العرب قبل الإسلام » ، وهو مثل الأجزاء السابقة فى القسم السياسي منه ، وستتبعه أجزاء أخرى فى القسم السياسي أيضا ثم فى القسم الثقافى والديني إن طال بى العمر .

ألفته من الموارد التي ذكرتها فى الأجزاء السالفة ، ومن موارد جديدة سأشير اليها فى المواضع التي يرد فيها ذكرها لأول مرة ، ثم أشير اليها برموزها فى الأماكن التي يتكرر ورودها . أما المظان التي أفدت منها من قبل ، وأفدت منها فى تأليف هذا الجزء ، فسأرمز عنها بالرموز التي اصطنعتها فى الأجزاء المتقدمة .

وقد صنعت فى هذا الجزء ما صنعته فى الجزء الثالث من تأجيل سرد أسماء الكتب التي استعنت بها فى تأليف الكتاب ، وأسماء مؤلفيها ، ومواضع طبعها ، وأماكن وجودها إن كانت مخطوطة ، وكذلك الفهارس على اختلافها ، الى خاتمة أجزاء الكتاب ، لِما أوردت من الأسباب من قبل ، وسوف يجدها القارئ هناك مرتبة منظومة ، ورجائي من القارئ ملاحظة ذلك قبل مراجعة هذه الفصول .

وبعد ، فلا بد لي فى هذه المقدمة أيضاً من تقديم شكرى وتقديرى الى المجمع العلمي العراقي الذى تبنى هـذا الكتاب ، وأنفق عليه ، فما كان ليخرج الى الوجود لولاه ، فله ولأعضائه الأجلاء الفضل والمنة .

أما الأستاذ الفاضل ، أستاذى السيد محمد بهجة الأثرى نائب رئيس المجمع ، فله ـ كما قلت سابقاً ـ عليّ وعلى الكتاب منن لن تنسى أبداً : ساعدنى تلميذاً بتوجيهه ، وساعدنى مؤلفاً ،

كما ساعد في ظهور كتابي في جملة مطبوعات المجمع على نحو ما ذكرت ذلك في الجزء الثالث ، فله شكري ، وتقديري جزاه الله على ما صنع خير ما يثيب من جزاء . ـ

ثم لا بد لي أيضاً من تقديم شكري الى السيد كوركيس عوّاد ، ملاحظ خزانة كتب مديرية الآثار القديمة ، الذي أجهدته وأتعبته بكثرة ما طلبت منه من كتب ومجلات ، وما زال متفضلا عليّ باخباري بكل أثر جديد يرد على الخزانة . وعليّ أيضاً واجب الثناء على السيد قدري عبد الرحمن ، ملاحظ الشعبة الفنية في المجمع ، لمؤازرته ايّاي في قراءة تجارب المطبعة ومعاونته في طبع الصور .

ولا بد أن أكرر في هذا الجزء ما قلته سابقاً من أن هذا الكتاب كتابي ، وهو جمعي وترتيبي ، فأنا المسؤول وحدي عنه ، وليس لأحد محاسبة غيري عليه . ولقد أجتهدت ألا أضمنه إلا الحق والصواب والعلم ، على قدر طاقتي واجتهادي ، فإن وفقت فيما قصدته ، فذلك حسبي وكفى ، لا أريد عليه حمداً ولا شكوراً . وان أكن أخطأت أو أخفقت ، فذلك منتهى علمي وغاية اجتهادي ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

جواد علي



الفصل الأول

مملكة الحيرة

لقد كان لسقوط مملكة « تدمر » وللاضطرابات التي تلت سقوط « الفرث » وتأسيس المملكة الساسانية ، أثر كبير فى تألق نجم مملكة عربية على شاطئ الفرات الأيمن على مقربة من الكوفة ، هي مملكة الحيرة .

وللأخباريين واللغويين وعلماء تقويم البلدان آراء فى أصل اسم « الحيرة » ، وبينهم فى ذلك جدل على التسمية طويل عريض كما هو شأنهم فى أكثر أسماء المدن القديمة التي بعد عهدها عنهم فحاروا فيها . وايرادها هنا يخرجنا عن صلب الموضوع ، وهي أقوال لا تستند الى نصوص جاهلية ، ولا الى سند جاهلي محفوظ . ومن أحب الوقوف عليها والتعرف على مذاهب القوم فيها ، فعليه بمراجعة تلك المظان [1] . كما أن لبعض المحدثين آراء فى هذا الباب [2] . ومعظم المستشرقين ، يرون أنها كلمة من كلمات بني إرم ، وأنها « حرتا Harta » « حيرتو » ، السريانية الأصل ، ومعناها المخيم والمعسكر ، وأنها تقابل فى العبرانية كلمة « حاصير Haser » [3] ، وأن « حيرتا »

(١) ابن الفقيه (١٨١) ، البلدان (٢/٣٧٥) ، أبو تمام . الحماسة (٨١١) البيت (٢) ، « والحيرة ... قرب الكوفة ، والنسبة حيرى وحاري » ، القاموس (٢/١٦) ، البكرى : معجم (٢/٤٧٨ وما بعدها) « طبعة السقا » ، المشرق ، السنة ١٩٠٨ (ص/٧٧) .

(٢) يوسف رزق الله غنيمة ، الحيرة : المدينة والمملكة العربية (ص ١١) ، بغداد سنة ١٩٣٦ ، وسيكون رمزه : الحيرة .

(٣) Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, S. 12, Ency. II. P. 314.
وسيكون رمزه : Rothstein
Frankel. Aram. Fremdworter in Arabish, XV, XVII, XVIII. Noldeke, Sasa., S. 25.

« Herta » و « حيرة Hira » في التواريخ السريانية التي تحدثت عن الفساسنة تقابل مصطلح « عسكر » عند الإسلاميين [١] .

وقد عرفت « الحيرة » في مؤلفات المؤرخين السريان ، فدعيت بـ « الحيرة مدينة العرب [٢] » ، كما عرفت بأسماء بعض ملوكها مثل « النعمان » ، فورد « حيرتو دنعمان ديث بورسويين » أي « حيرة النعمان التي في بلاد الفرس [٣] » . ويلاحظ أن تعبير « حيرة النعمان » تعبير شائع معروف في العربية كذلك . ولا بد أن يكون لاشتهار « الحيرة » باسم « النعمان » سبب حمل الناس على نسبة هذه المدينة اليه .

وورد في بعض مؤلفات السريان مع « الحيرة » اسم موضع آخر قريب منها هو « عاقولا [٤] » ، وقد ذهب « ابن العبرى » الى أنه « الكوفة [٥] » ، وأشار « ياقوت » الى « عاقولاء » غير أنه لم يحدد موقع هذا المكان [٦] .

وقد أشرت في الجزء الثالث [٧] الى ورود اسم مدينتين هما « الحيرة » و « عانة » في كتابة يرجع تأريخها الى شهر أيلول من سنة « ٤٤٣ » من التأريخ السلوقى ، أى شهر « سبتمبر » من عام « ١٣٢ » للميلاد [٨] ، وقلت باحتمال أن تكون « حيرتا » هذه ، هي الحيرة التي نبحث فيها الآن . فاذا كان ذلك صحيحاً ، كانت هذه الكتابة أقدم كتابة وصلت الينا حتى الآن ورد فيها هذا الاسم .

ومدينة « Ertha » التي أشار اليها « كلوكس Glaucus [٩] » و « اصطيفان البيزنطي » « Stephen of Byzantium [١٠] » ، وذكر أنها مدينة « فرثية Parthian » تقع على

---

(١) Musil , Palmyrena P. 289.

(٢) الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٣٢ ، ٤٧) .

(٣) Rothstein , S. 13.

(٤) الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٥٩) .

(٥) Bar Hebraeus , P. 94. (101).

(٦) البلدان (٩٨/٦) .

(٧) ٨١/٣ .

(٨) Littmann , 6, Cis , II, III. P. 156, 3973.

(٩) Glaucus, Fragmenta, P. 409 (Muller) .

(١٠) Stephen of Byzantium , Ethnica P. 276. (Meineke) . Paulys - wissowa, Elfter Halbband , (1907) . P. 552.

الفرات ، هي هذه « الحيرة » على ما يظن [١] .

وقد ذكر اسم الحيرة في تأريخ « يوحنا الأفسوسي John of Ephesus » من مؤرخي القرن السادس للميلاد (توفي حوالي سنة ٥٨٥ م) فقال : « حيرتو نعمان دييت بورسويي » أي « حيرة النعمان التي في بلاد الفرس [٢] » كما ذكرها « يشوع العمودي Josua Stylites [٣] » .

وورد اسمها في المجمع الكنيسي الذي انعقد في عام « ٤١٠ م » ، وكان عليها اذ ذاك أسقف اسمه « هوشع ، Hosha » اشترك فيه [٤] ووقع على القرارات باسم « هوشع » أسقف « حيرته ، حيرتا [٥] » .

ونعرف اليوم أسماء عدد من أساقفة الحيرة تنبئنا بوجود النصرانية في الحيرة ، وبمساهمة هذه المدينة في الحياة الروحية قبل الإسلام . فمن هؤلاء : « هوشع » الذى ذكرته ، و « شمعون » وكان حوالي عام « ٤٢٤ م » أسقفاً لعرب الحيرة الذين سُمّوا بـ « طيايا ، طيـاية » أى « الأعراب » ، وأسقف آخر اسمه « شمعون » كذلك وذلك حوالي سنة « ٤٨٦ م » ، و « الياس » وكان أسقفاً حوالي عام « ٤٩٧ م » ، و « يوسف » حوالي « سنة ٥٨٥ م » ، و « شمعون » . وقد أشير الى اسم أحد رجال الدين الكاثوليك واسمه « يشوع جبه » « ٥٩٤ - ٥٩٥ م » سكن « بيت قوش » . فلما توفي هناك ، نقلت جثمانه « هند » ابنة « النعمان » ، مع جماعة من رجال الدين والمؤمنين الى « الحيرة » حيث دفن هناك [٦] .

وقد اشتهرت الحيرة في الأدب العربي بحسن هوائها وطيبه ، حتى قيل « يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة [٧] » . وقيل عنها أنها « منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسقام [٨] » ،

---

(١) Musil, Euphrates, P. 102

(٢) John of Ephesus, 352, 10, 13. وسيكون رمزه : Ephesus

(٣) Rothstein, S. 13. (٤) المصدر نفسه ، Zdmg., 43, 388

(٥) Musil, Palmyrena, P. 02.

(٦) Musil, Euphrates, P. 102 , Assemanns, Bibliotheca, vol. 3, Part I, P. 110,

(٧) الإصطخري : (ص ٨٢) . (٨) الطبري (١/٨٥٠) .

وهي « على سيف البادية [1] » ليست بعيدة عن الماء ، وقد ورد ذكرها كثيراً فى شعر الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، وهي لا تبعد كثيراً عن « النجف » و « الكوفة [2] » . وقد أدى ميلاد « الكوفة » فى الاسلام الى أفول نجم « الحيرة » ، إذ أنتقل الناس من المدينة القديمة الى المدينة الإسلامية الجديدة ، واستعملوا حجارة « الحيرة » وقصورها فى بناء « الكوفة » ، وهذا مما ساعد على إندثار تأريخ تلك المدينه الجاهلية ولا شك . غير أنها ظلت أمداً طويلا تقاوم فى الاسلام الهرم الى أن جاء أجلها فدخلت في عداد المدن المندثرة .

وقد نعتت هذه المدينة فى المؤلفات الإسلامية بنعوت ، منها : « الحيرة الروحاء [3] » ، و « الحيرة البيضاء [4] » . أخذوا ذلك من شعر الشعراء .

وقد زارها نفر من السياح وكتبوا عنها ، كما نبشت آثارها ، غير أنه لم يكن بمقياس واسع على نحو ما جرى فى بابل وفى مواضع أثرية أخرى فى العراق . وقد توصل الحفارون الى العثور على نقوش من الجبس مما تكسى به الجدر للزينة ، وعلى جرار متعددة وآثار من هذا القبيل صغيرة بعضها من العهد الجاهلي وبعضها من العهد الاسلامي [5] ، غير أنهم لم يعثروا حتى الآن على كتابات جاهلية تتحدث عن تأريخ تلك المدينة القديمة السيئة الحظ .

(١) الإصطخري (٨٢) ، ابن حوقل (١٦٣) ، البلدان (٢/٣٧٥) .

(٢) اليعقوبي : البلدان (ص ٣٠٩) « دى غويه » . رحلة ابن جبير « دى غويه » (ص ٢١٠) ، الإصطخري : المسالك (ص ٨٢) . « دي غويه » ، ابن حوقل : المسالك (ص ١٦٣) « دى غويه » .

(٣) قال عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ... ورجلا فوق أثباج الركاب

البلدان (٣/٣٧٦) .

(٤) البلدان (٣/٣٧٧) . قال الشريف الرضي :

بالحيرة البيضاء حيث تقابلت ... شمم العباد عريضة الأعطان

ديوان الرضي (٢/٨٨٥ و مابعدها) .

(٥) D. Talbot Rice, The Oxford Excavation at Hira, in, Ars Islamica, vol. I, Part I. MCM XXXIV. P. 51. Ann Arbor University of Michigan Press, Journal of the Royal Central Asian Society, Vol. XIX. April, 1932, P. 254, Vol.. VI. Sept. 1932. P. 276.



جرّة مكسوة بطبقة زجاجية ذات لون أزرق .

من مجلة : « Ars Islamica » .

وتأريخ هذه المدينة قبل الميلاد غامض لا نكاد نعرف من أمره شيئاً ، فلم يرد خبرها فى نص تأريخي مدون أو كتابة مدونة قبل الميلاد . وأقدم ذكر لها هو ما أشرت اليه ، غير أن ذلك لا يتخذ دليلاً على أنها لم تكن مولودة قبل هذا العهد ؛ اذ يجوز أنها كانت قبل هذا العهد قرية صغيرة ، أو مدينة تسمى باسم غير هذا الاسم .

أما الأخباريون ، فيرجعون عهدها الى أيام « بختنصر » . هم يقولون : إن « برخيا » لما قدم من « نجران » وأخبر « بختنصر » بما أوحى الله اليه ، وقص عليه ما أمره به من غزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ، وأن يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، وأعلمه كفرهم به ، واتخاذهم آلهة دون الله ، وتكذيبهم الرسل والأنبياء ، وثب « بختنصر » على من كان فى بلاده من تجار العرب ، وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات ، ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها ، فجمع من ظفر به منهم ، فبنى لهم حيراً على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفظة ، ثم نادى فى الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك ، وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين . فاستشار « بختنصر » فيهم « برخيا » ، فقال : إن خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عمّا كانوا عليه ، فاقبل منهم . فأحسن اليهم ، فأنزلهم « بختنصر » السواد على شاطيء الفرات ، فابتنوا موضع عسكرهم بعد ، فسمّوه « الأنبار » . ثم سار « بختنصر » لمقاتلة العرب ، فنظم بختنصر ما بين « أيلة » و « الأُبُلّة » خيلاً ورجلاً ، ثم دخلوا على العرب . وسار « بختنصر » بجيشه حتى التقى بموضع « ذات عرق » بعدنان فهزمه ، وسار فى بلاد العرب حتى قدم الى « حضور » ، وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار « عربة » ، فخندق الفريقان ، ثم تصالح « بختنصر » و « عدنان » ، بعد أن أكلت السيوف العرب . وعاد « بختنصر » بمن أخذ معه من سبايا العرب فأسكنهم « الأنبار » . وذهب قوم ممن أفلت قبل المزيمة الى « ريسوب » وعليهم « عكّ » . وذهب الباقون الى « وبار » . ولما رجع « بختنصر » ، مات « عدنان » ، وبقيت بلاد العرب خراباً حياة « بختنصر » . فلما مات

« بختنصر » ، خرج « معد بن عدنان » ومعه الأنبياء أنبياء بني اسرائيل حتى أتى « مكة » ، فحج وحج الأنبياء معه ، ثم خرج حتى أتى « ريسوب » فاستخرج أهلها ، وقتل أكثر « جرهم » ، ثم تزوج ابنة ممانة ، فولدت له نزار بن معد [1] .

فمؤسس الحيرة على رواية هؤلاء الأخباريين ، هو « بختنصر » . وهو مؤسس « الأنبار » في نظرهم أيضاً . وقدكان ذلك في أيام عدنان . أما القائلون بذلك ، فابن هشام عن « الشرقي » ، وجماعة غيره لم يذكر « الطبري » أسماءهم .

وقد سبق لي أن تعرضت لهذه الرواية ولجذورها وأصولها في الجزء الأول من هذا الكتاب [2] .

وفي بعض روايات الأخباريين أيضاً أن « الأردوان » ملك النبط ، وكان معاصراً لـ « أردشير » ، هو الذي بنى الحيرة . كما أن « بابا » خصم « الأردوان » هو الذي أنزل من أعانه من الأعراب « الأنبار » . فالحيرة والأنبار إذن هما من عمل ملكين متخاصمين من ملوك النبط تخاصما في أيام أردشير . ولأهل اليمن ، ويمثلهم « الهمداني » ، رواية أخرى في بناء « الحيرة » ، فهم يرجعون بناءها الى « تبع » [3] .

وقد أشرت في مواضع الى عصبية اليمانين والى قصص « تبع » وما نسبوه الى التبابعة من حروب وفتوحات .

أما نحن ، فلا نستطيع أن نتحدث عن هذه المدينة بحديث يرتقي الى ما قبل الميلاد ، لما قلته من عدم وجود مواد تأريخية لدينا ولا نصوص مدونة يستند اليها في تدوين هذا الحديث . فكل ما لدينا إنما هو عن عهود ما بعد الميلاد .

وتأريخ « الحيرة » مع سعته وكثرة ما يرويه الأخباريون منه ، لا يخلو ـ بالنسبة الى باقي تواريخ العرب قبل الإسلام ـ من اضطراب ومن تناقض . يدفعنا احياناً الى العجب من قول « ابن الكلبي » مثلا « إني كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ

(١) الطبري (١/٢٩١ وما بعدها) . (٢) ص ٢٥٩ . (٣) البلدان (٣/٣٧٧) .

أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها »[1].

وهو كما نعرف سند الأخباريين ومرجعهم الأول فى تأريخ الحيرة . فرجل يدعى هـذه الدعوى ويستقي أخباره من مواردها الأصلية ، لا يجوز صدور روايات منه يناقض بعضها بعضاً ، وأخبار لا تؤيد هذا الزعم . فللرجل روايات عن حادث واحد تثبت ، إن صح أنها له ، أن الرجل لم يكن صاحب رأى ولا اجتهاد فيما يرويه ، وأنه يروي كل ما يقال له دون نقد أو تمحيص . فهو يروي خبراً عن حادث فى شكل ، ثم يرويه فى شكل آخر يختلف عما رواه كل الاختلاف أو بعض الاختلاف . ثم هو يزيد وينقص فى أسماء الملوك وفى مدد حكمهم ، ويذكر إجمالا ، ثم يناقض ما قاله تفصيلا . غير أن علينا ـ ونحن أحياء نكتب عن شخص مضى على وفاته أكثر من ألف عام ـ أن نكون حذرين في القول . فنحن لا نستند فى حكمنا هذا الى مؤلف كامل الرواية لذلك الرجل ، إنما نستند الى كتب اقتطعت من مؤلفات ابن الكلبي وروت عنها . فما يدرينا لعل الخطأ فى هذه الكتب ، والاضطراب فيها ، أو أن أصل الاضطراب فى الموارد التي نقل ابن الكلبي منها . فما رواه ابن الكلبي اذن هو حكاية لما وجده هو أو أخذه من أفواه الرواة ، فلا لوم عليه فى هذا الشأن ولا تثريب . ولسنا فى هذا المكان قضاة نحاول توجيه اللوم لأحد ، أو سحب اللوم من أحد . فهذا ليس من شأننا فى هذا الموضع ولا من اختصاصنا ، إنما نريد أن نشير الى هذا التناقض العجيب الغريب الذي نراه فيما وصل الينا من روايات تتعلق بحادث واحد ، والذي نراه بين تواريخ الأخباريين عن ملوك الحيرة مثلاً ، فما ذكره « الطبري » من أسماء ملوك آل لخم ومدد حكمهم ، يختلف بعض الاختلاف عما ورد في تأريخ حمزة مثلاً أو فى « مروج الذهب » للمسعودي ، أو فى المؤلفات الأخرى التي سترد أسماؤها فى ثنايا البحث ، مع أنها تشير أحياناً الى المورد الذي استقت منه ، كابن الكلبي مثلاً . وهذا هو الذي يحملنا على العجب من وقوع مثل هذا الاختلاف .

فهل نقل هؤلاء من كتاب واحد من كتب « ابن الكلبي » مثلاً ، أو أنهم نقلوا من

---

(1) الطبري (٢/٣٧) .

مؤلفات متعددة لابن الكلبي ، فحدث من أجل ذلك هذا الاختلاف . على أنه ، مع افتراض هذه الحالة ، لا يجوز وقوع مثل هذا الاختلاف ، اذ لا يعقل أن يكتب مؤلف واحد قائم لمادة هاضم لها ، له نقد وتفكير تأريخي ، خبراً في كتاب يختلف اختلافاً بيناً عمّا كتبه في كتاب له آخر ، إلا أن يكون قد عثر على موارد جديدة وروايات حصل عليها بعد تأليف الكتب السابقة . ومهما يكن من شيء فإن أمر مناقضة الأخباريين أنفسهم في رواية الأخبار ، وفي عدم تنسيقها ، من الأمور التي لا ينفرد بها أخباري واحد ، وتجد في تأريخ الطبري أمثلة من هذا القبيل حيث يناقض خبره في موضع خبره المروي في موضع آخر دون أن يشير اليه أو يشير الى وقوعه من الأخباريين . وقد فطن « ابن الأثير » الى ذلك فأشار الى أنه ناقل ، وذاكر ما وجده وما قاله مختلف الأخباريين ليقف عليه القارىء . ثم لم يغفل ، فذكر ما هو مرجح لديه ، أو ما هو مرجح لدى أكثرية الأخباريين .

ومن مواضع الاختلاف بين الأخباريين ، اختلافهم في تسلسل أسماء من حكم « الحيرة » من ملوك ، وفي مدد حكمهم . ومن عادتهم ذكر مدة حكم الملك إجمالاً ، كأن يقولوا « حكم مدة كذا من السنين » ، ثم يذكرون ذلك تفصيلاً محسوباً بالنسبة الى مدة حكم من عاصر ذلك الملك من ملوك الفرس ، كأن يقولوا « منها كذا في حكم الملك الفلاني ، وكذا في حكم الملك الفلاني » وهكذا ان كان الملك قد أدرك جملة ملوك من ملوك الفرس . وأنت إذا فحصت ما ذكروه إجمالاً ، ثم أخذت ما ذكروه تفصيلاً وجمعته بعضه مع بعض ، تجد اختلافاً بين حاصل الجمع والعدد المذكور إجمالاً في بعض الأحايين . وقد أوجد اختلاف الأخباريين في تسلسل الملوك وفي مدد الحكم صعوبات جمة للباحثين في هذا التأريخ في تثبيت تواريخ الملوك ، وفي تعيين أيامهم على وجه مضبوط ما برحت قائمة في هذا الذي دونه المستشرقون عن تأريخ آل لخم وتأريخ آل غسان .

وقد درج بعض المؤرخين مثل الطبري وأبي حنيفة الدينوري وابن الأثير على ادماج تأريخ الحيرة في تأريخ الفرس في الجملة ، فهم وأمثالهم يذكرون في كلامهم على ملك من ملوك

الساسانيين صلات ذلك الملك بعرب الحيرة ، ويشيرون الى ملكها الذي كان يحكم فى أيامه ، والى عدد من عاصر من ملوك الفرس ، ولذلك تجزأ تأريخ الحيرة وتناثر فى صفحات فصول هؤلاء المؤرخين عن تأريخ الساسانيين .

ودرج فريق آخر كاليعقوبي وحمزة والمسعودي على تدوين تأريخ الحيرة فى باب مستقل بني على حسب تسلسل حكم الملوك كما استقر ذلك فى ذهن الكاتب ، مع ذكر بعض الأمور المتعلقة بالملك من سني حكم ، أو من معاصرة لملوك الساسانيين ، أو من بناء أو ماشابه ذلك . وتجد فى مؤلفات هؤلاء الأخباريين أموراً لم يتطرق اليها أصحاب الطريقة الأخرى فى بعض الأحيان . وتفيدنا مؤلفات هؤلاء من هذه الناحية فى زيادة علمنا بتأريخ الحيرة المستقى من المورد الأول .

ويؤسفنا جداً أن لا نملك حتى الآن دراسة علمية دقيقة للتأريخ والمؤرخين الاسلاميين وللموارد التأريخية وكيفية أخذ بعضها من بعض ، وهي دراسة لابد منها ، إذ بغيرها لا نتمكن من كتابة تأريخ بالمعنى العلمى للعرب قبل الإسلام وللمسلمين . وهي تيسر لنا فهم اتجاهات المؤرخين ، وتصنيف الموارد على أساس الأسبقية ، وبذلك تتيسر مهمة المؤرخ بعض التيسر ، وتمهد له الجادة بعض التمهيد .

ومن المؤسف حقاً أن الأخباريين كانوا يتصرفون بالنصوص وبالمقتبسات التي يعتمدون عليها ، ويجرون فيها بعض التغيير ، وربما أغفلوا أسماء أصولها ، فتظهر كأنها منهم على حين أنها نقل وأخذ . ولو أشاروا الى المقتطفات والمقتبسات فى الموضع المناسب ، لكانت فى اشارتهم هذه خدمة كبرى لمن جاء بعدهم ، وهداية الى الموارد الأصلية التي يجب ان يرجع اليها ويعتمد عليها .

ومن حسن الحظ إن بين أيدينا جملة مؤلفات يونانية ولاطينية ، وردت فى ثناياها اشارات الى « عرب الروم » و « عرب الفرس » ، أي عرب الشام من آل جفنة وعرب الحيرة من آل لخم . وقد عاصر بعض أصحاب هذه المؤلفات أولئك القوم ، واشتركوا هم أنفسهم فى الحملات لكونهم مؤرخين رسميين يسيرون مع القيصر أو القواد لتدوين الحوادث والمشاهدات . وقد

أفادتنا اشاراتهم هذه فوائد كبيرة ، وعليها كان جلّ اعتماد الباحثين فى ايجاد مواضع ارتكاز يُطْمَأَنّ اليها فى تعيين تواريخ « آل جفنة » أو « آل لخم » ، وبها تمكنّا من تصحيح أكثر أغلاط الأخباريين . ولقدمها ـ بالنسبة الى مؤلفات الاسلاميين ـ ولكون معظمها من عهد ما قبل الاسلام ، كان لها حق التقديم بالطبع فى نظر المؤرخ الحديث ، ولكن هذا لايدفع عنها مع ذلك مواطن النقد والشبهات .

وللمؤلفات السريانية فضل يجب ألا ينسى أيضاً فى تدوين هذا التأريخ ، ولكنها ليست على الإجمال كالمؤلفات اليونانية واللاطينية في الدقة وفي النقد . ولما كان الكثير منها تواريخ كنيسية ، تعرضت لتأريخ الحيرة أو عرب الشام أو العرب الآخرين بقدر ما لهؤلاء من صلة بالكنيسة وبالنصرانية . وهي على الجملة تمزج الأخبار بالمعجزات وبخوارق العادات وبرواية الكرامات التي قام بها الآباء في هداية الملوك الوثنيين وشيوخ القبائل ، وهي لا تخلو أيضاً من العصبية التي اتسم بها ذلك الزمن فى النزاع المذهبي الذي منيت به النصرانية وفي محاولة الغض من الطرف النصراني الثاني ، كالذي نجده بين المؤلفات النسطورية واليعقوبية والملكية وأمثالها ، فلكل منها رواية بأسلوبها الخاص . أما الذي يهمنا نحن منها ، فهو العنصر التأريخي في ثنايا هذه الروايات .

وأهل الحيرة عرب ، يقسمهم الأخباريون الى طبقات ثلاث : تنوخ ، والعباد ، والأحلاف[1] . وهؤلاء في نظرهم من قبائل متعددة ، فيها من قحطان وفيها من عدنان . وقد ذكروا في لهجة أهل الحيرة هجنة ، رَجَّعوا سببها الى اختلاط هؤلاء العرب بمن كان يفد عليهم من النبط ممن كانوا يثيرون الأحداث فيلتجؤن الى هذا المكان[2] . ولذلك شابت لهجتهم رطانة نبطية . وقد كتبوا بقلم « بنى إرم » ، شأنهم فى ذلك شأن تدمر وأهل « بطرا » إذ استعملوا قلما نبطياً متأخراً في الكتابات .

أما تنوخ ، فهم قبائل سكنوا بيوت الشعر والمظال والوبر غربيّ الفرات بين الحيرة والأنبار فما فوقها في اصطلاح هؤلاء الأخباريين[3] . ويظهر من وصفهم لتنوخ أنهم قصدوا بهم من

---

(١) حمزة (ص ٦٦) . (٢) البلدان (٣/٣٨٠) . (٣) حمزة (٦٦) .

كان يشتغل بالزراعة ومن كان يعيش عيشة أهل البادية من سكان هذه المنطقة : منطقة ما بين الحيرة والأنبار[١] . ولم يقصدوا قبيلة معينة .

وأما العباد ، فهم الذين سكنوا رقعة الحيرة فأبتنوا بها[٢] ، فهم حضر إذن مستقرون . ويقول معظم الأخباريين إنهم كانوا على دين المسيح . ويقول بعضهم : إنهم قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية ، والنسبة اليهم عبادي[٣] . وذهب بعض الى أنهم بطن في جزيلة من لخم[٤] . كما ذهب فريق الى أنهم كانوا من قبائل شتى أنفردوا من الناس في قصور ابتنوها لنفوسهم ظاهر الحيرة[٥] .

وللأخباريين أقوال في أصل كلمة « العباد » ، فمنهم من يقول إنهم إنما سمّوا بذلك لأن وفداً وفد على كسرى كانت أسماؤهم تبتدىء بكلمة عبد ، فقال كسرى : أنتم عباد كلكم فسمّوا العباد[٦] . ومنهم من يقول : لا ، إنما قيل لهم العباد لأنهم كانوا يعبدون الله ، فسموا بهذا الاسم[٧] . ومنهم من يرى أنهم سموا بذلك لأنهم لما قاتلهم سابور الأكبر ، اتخذوا شعاراً لهم ، هو : يا آل عباد الله ، فسموا العباد[٨] . الى غير ذلك من أمثال هذه التعليلات .

وأظن أن خير ما نفعله فى هذا الباب لمعرفة من كانت تنطبق عليهم هذه التسمية ، هو أن ندرس أسماء مشاهير من نسبوا الى العباديين من أسر ورجال ، مثل : أسرة عديّ بن زيد العبادي ، وبني مرينا ، وبقيلة ، وأمثالهم ممن حشروا في « العباديين » . فقد شملت التسمية هؤلاء وهم من قبائل مختلفة . كان آل عدي بن زيد مثلاً من تميم ، وكان بنو مرينا من لخم وكانت بقيلة من الأزد[٩] ، فهم إذن من قبائل ثلاثة مختلفة ، ومع ذلك عرفوا بالعباديين ، وذلك يدل على أن هذا الاسم لم يكن يعني قبيلة ، أو بطناً ، وانما يعني جماعة من قبائل شتى جمعت بينها

---

(١) Rothstein, S. 28, Noldeke, Sassa.; S. 24, anm. 3.

(٢) حمزة (ص ٦٦) . (٣) Rothstein, S. 19.

(٤) العقد الفريد (٢/٢٥٣) . (٥) ابن القفطي : الحكماء (١٩٩) ، الحيرة (ص ١٦) .

(٦) الحيرة (ص ١٦) . (٧) التاج (٢/٤١٠) . (٨) الأغاني (١١/١٥٦) .

(٩) Rothstein, S. 20.

وحدة الدين ، ووحدة الوطن . لذلك لم يطلق إلا على النصارى من أهل الحيرة . أما غيرهم من نصارى العرب ، فلم يَشملهم اسم « العباديين[1] » .

ويمكن أن نقول استناداً الى روايات الأخباريين في تحديد مداول الكلمة ، واقتصارها على نصارى الحيرة دون غيرهم من نصارى العرب : إن هذه الكلمة أطلقت في الاصل على من تنصر من أهل الحيرة ، ليميزوهم عن غيرهم من سكان المدينة من الوثنيين . ولم يكن أولئك النصارى في بادىء أمرهم بالطبع إلا فئة قليلة ، ثم توسعت من بعد . فلما انتشرت النصرانية في الحيرة لازمت هذه التسمية جميع نصاراها ، كائناً من كانوا ، وصارت علماً لهم ، لم تميزهم عن الوثنيين حسب ، وإنما ميزتهم أيضاً عن بقية النصارى العرب من غير أهل الحيرة . فلما مضى زمان طويل على هذا الاستعمال ، ظن المتاخرون أنه علم ، ثم حاروا في تعليله ، فأوجدوا على طريقتهم تلك التعليلات :

ولعل العباد والعباديين من كلمة « عبد » في الأصل ، أطلقتها متنصرة الحيرة الأولى على نفسها ؛ لأنها تعبدت لإلـه ، لتميز نفسها عن الوثنيين . أو أن الوثنيين أنفسهم أطلقوها على أولئك المتنصرة ، تمييزاً لهم عن سائر الوثنيين . وقد يكون لـ « عبد المسيح » علاقة بهذه التسمية كذلك . وهي تسمية شائعة بين النصارى شيوع « عبد الله » بين المسلمين[2] .

وأما « الأحلاف » ، فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها ، ولم يكونوا في الأصل لا من تنوخ ، ولا من العباد الذين دانوا لـ « أردشير[3] » .

وقد كان بين أهل الحيرة جماعة من « النبط »[4] ، كما كانت بينهم جماعات من الفرس ومن اليهود . والنبط هم من بقايا قدماء العراقيين ، وقد كان بعضهم يتكلم العربية برطانة ظاهرة ، فتأثر بعض عرب الحيرة بهذه الرطانة ، فبدت على ألسنتهم ، وذلك باختلاطهم بتلك البقية التي تكلمت بلهجة بنى إرم ، وهي التي عرفت بـ « النبط » عند المسلمين[5] .

---

(١) Rothstein , S. 20.
(٢) Moldeke , Sasa. , S. 24 , Rothstein S. 21.
(٣) حمزة (ص ٦٦) .
(٤) الأغاني (٨/٦١) .
(٥) « عرب استنبطنا ونبط استعربنا » ، أمالي المرتضى (١/١٧٧) .



من بقايا بيعة من بيع الحيرة ، يعود تأريخها الى القرن السابع للميلاد .

من مجلة : « Ars Islamica » .

وكانت للوثنيين من أهل الحيرة أصنام ، منها : اللات ، والعزّى ، وسبد[1] .

وقد تحدثت بايجاز عن رأي الأخباريين في زمان تأسيس الحيرة وفي أصل عربها ، فهم يرون أن عربها من الجزيرة قصدوا العراق للتجارة والتكسب ، ثم سكن منهم من سكن هناك . ولهم في هجرة العرب الى العراق جملة روايات لا تستند بالطابع الى كتابات جاهلية أو نصوص ، انما هي روايات مضطربة متناقضة اختلط الواقع فيها بالخيال . وقد تحدثت اليك عن رأي ابن الكلبي المرويّ في تأريخ الطبري عن كيفية تأسيس الحيرة وعن كيفية مجيء العرب الى العراق . ولابن الكلبي هذا حديث آخر مرويّ في موضع آخر من هذا التأريخ . وهو يحدثنا في هذا الموضع بأن تبعاً المعروف بالرائد ـ وهو تبّان أسعد أبو كرب بن ملكي كرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفى بن سبأ ـ لما سار في أيام بشتاسب وأرد شير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب متوجهاً من اليمن في الطريق الذي سلكه الرائش قبله ، خرج عن جبلي « طيء » ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى الى موضع الحيرة ليلاً ، تحيّر ، فأقام مكانه ، وسمى ذلك الموضع الحيرة . ثم سار وخلف به قوماً من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة ، فبنوا وأقاموا به . ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء وكاب والسكون وبلحارث بن كعب وإياد . ثم توجه الى الأنبار[2] . وروى الطبري رواية أخرى تشبه هذه الرواية ، ولكنها رواية مختصرة لم تذكر اسم تُبّع ، وقد أخذ الطبري روايته هذه عن شيخه عبد الله بن أحمد المروزي[3] .

وفي موضع آخر من تأريخ الطبري رواية أخرى لابن الكلبي عن كيفية هجرة العرب الى الحيرة ، خلاصتها : أنه لما مات بختنصر ، انضم الذين كان أسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الأنبار ، وبقيت الحيرة خراباً ، فغبروا بذلك زماناً طويلاً لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ولا يقدم عليهم قادم . وبالأنبار أهلها ومن انضم اليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب من بني

---

(١) الأغاني (٢/١٠٤) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٢) الطبري (٢/٣) . (٣) المصدر نفسه .

اسماعيل وبني معد بن عدنان . فلما كثر أولاد معدّ بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملؤوا بلادهم من تهامة وما يليهم ، فرقتهم حروب وقعت بينهم وأحداث حدثت فيهم ، فتشتتوا . وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الأزد كانوا نزلوها في دهر عمران بن عمرو من بقايا بني عامر ، وهو ماء السماء بن حارثة ، وهو الغطريف بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد . وكان الذين أقبلوا من تهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة في جماعة من قومهم ، والحيقار بن الحيق بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان في قنص كلها . ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن أفصى بن دُعمى بن إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وزهر بن الحارث بن الشلل بن زهر بن إياد ، وصبح بن الحارث بن أفصى بن دُعمى بن إياد . فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التنوخ ، وهو المقام ، وتعاقدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمهم اسم تنوخ .

وتنخ على تنوخ بطون من نمارة بن لخم ، ودعا مالك بن زهير جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي الى التنوخ معه ، وزوّجه أخته لميس ابنة زهير . فتنخ جذيمة بن مالك وجماعة ممن كان بها من قومهم من الأزد ، فصار مالك وعمرو ابنا فهم والأزد حلفاء دون سائر تنوخ . وكلمة تنوخ كلها واحدة . أما اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم ، فكان على حد قول ابن الكلبي في أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر وفرق البلدان بينهم عند قتله دارا بن دارا ملك فارس الى أن ظهر أردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف ، وقهرهم ، ودان له الناس .

في هذا العهد عهد ملوك الطوائف على حد قوله أيضاً تطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب الى ريف العراق وطمعوا فيه ، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، فأجمعوا على المسير الى العراق . وكان أول من طلع منهم الحيقار بن الحيق في جماعة قومه وأخلاط

من الناس ، فوجدوا الأرمانيين « بني ارم » ، وهم الذين بأرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل ، يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ، فاستفادوا من ذلك وانتشروا في السواد . وسكن قسم منهم بين عرب الأنبار ، وسكن قسم آخر منهم بين عرب الحيرة . ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله ، ومالك بن زهير بن فهم بن تيم الله ، و غطفان بن عمرو بن الدلمثان ، و زهر بن الحارث ، وصنح بن صنح فيمن تنخ عليهم من عشائرهم وحلفائهم على الأنبار على ملك الأرمانيين ، فطلع نمارة بن قيس بن نمارة والنجدة ، وهم قبيلة من العماليق ، يدّعون الى كندة وملكان بن كندة ومالك وعمرو ابني فهم ومن حالفهم ، وتنخ معهم على « نفر » على ملك الأردوانيين ، فأنزلهم الحير ، أي الحيرة . فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة « نفر » على ذلك لا يدينون للأعاجم ولا تدين لهم الأعاجم حتى قدمها تبع ، وهو أسعد أبو كرب بن ملكيكرب ، في جيوشه ، فاستولى عليها ، ونزل الحيرة فيمن معه (١) .

وروى ابن الكلبي أيضاً أن كثيراً من تنوخ نزلوا الأنبار والحيرة وما بين الحيرة وطفّ الفرات وغربيه الى ناحية الأنبار وما والاهـا . نزلوا في المظال والأخبية لا يسكنون بيوت المدر ، ولا يزاوجون أهلها . وكانوا يسمون « عرب الضاحية » . فكان أول من ملك منهم في زمان الطوائف مالك بن فهم ، وكان منزله مما يلي الأنبار ، ثم مات مالك بن فهم ، فملك من بعده أخوه عمرو بن فهم . ثم هلك عمرو بن فهم ، فملك من بعده جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي (٢)

وقد أشار الطبري الى أن ما ذكره عن كيفية مجيء العرب الى العراق وعن كيفية سكنى تنوخ الحيرة وأمثال ذلك ، إنما أخذه من روايات ترجع الى ابن الكلبي ، أما رواية ابن إسحاق ، وقد أخذها عن شيخه ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحاق ، فهي تختلف عن رواية ابن الكلبي . وهي ترجع مجيء ربيعة بن نصر اللخمي الى العراق الى الرؤيا التي رآها ، وتعبير سطيح وشق لها بغلبة الحبشة على اليمن في المستقبل . فأمر عندئذ بنيه ـ على حد قول هذه الرواية ـ بالذهاب الى

---

(١) الطبري (٢/٢٧ وما بعدها) . (٢) الطبري (٢/٢٨ وما بعدها) .

العراق ، وكتب لهم كتاباً الى سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة ، ومن بقيتهم كان النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عديّ بن ربيعة بن نصر [1] .

هذه هي أقوال الأخباريين في كيفية مجيء العرب الى العراق وفي سكناهم الحيرة والأنبار وما بين المكانين من أرضين . وهي أقوال فيها شيء من الحق ، ولكن فيها شيء كثير من الخطأ والضلال . فنحن لا نريد أن ننكر هجرة القبائل العربية من الجزيرة الى العراق ، فهذا أمر ليس الى انكاره من سبيل ، ولكننا لا نستطيع أن نوافقهم على أقوالهم في مبدأ تلك الهجرة وفي تواريخها ، وفي كيفيتها ، فتلك أمور لايعرفها الأخباريون . كما اننا لن نستطيع أن نوافقهم في زعمهم على من قاد تلك الهجرة والهجرات التي تلتها من رجال . فنحن نعلم حق العلم أن من تحدثوا عنهم وجعلوهم في الدهر الداهر وفي العرب العاربة أو في أيام ملوك الطوائف هم في الأكثر أناس عاشوا بعد الميلاد ، وبينهم رجال لا تبعد أيامهم كثيراً عن الاسلام ، وبينهم أناس اخترعتهم مخيلة الأخباريين .

أما ما زعموه في معنى تنوخ ؛ فقد أشرت مراراً في الأجزاء السابقة الى جنوح الأخباريين الى أمثال هذه التفاسير ، حين ترسو بسفينة علمهم على شاطىء الجهل بالأشياء . وما تنوخ في نظري إلّا « Tanueitae » « Thanuitae » القبيلة التي ذكرها بطلميوس في جملة القبائل التي كانت في أيامه [2] . وهي وان كانت في جغرافيته في مواضع بعيدة عن الحيرة غير أن ذلك لا يمنع من انتقال بطون منها بعد أيامه الى الحيرة وبادية الشام واقامتها فيها ، وهو حادث مألوف ليس بغريب ، أو أنها كانت في هذه المواضع في أيام بطلميوس كما كانت بطون منها تقيم في المواضع التي ذكرها ، أو أنه أخطأ في تعيين مواضعها الصحيحة فظن أنها حيث وضعها من الأماكن ، وهو أمر ليس وقوعه من الكتّاب في الزمن الحاضر بغريب ، فكيف بالنسبة الى تلك الأيام .

لقد كان معظم نصارى الحيرة على مذهب النساطرة ، وهو مذهب شجعه الفرس في بلادهم

---

(١) الطبري (٢/٣٧ وما بعدها) .

(٢) راجع (ص ٤١١) من الجزء الثالث من هذا الكتاب .

نكاية بالروم . غير أن هنالك جماعة كانت على مذهب اليعاقبة ، كما كان بعضهم على مذاهب نصرانية أخرى لا مجال للحديث عنها في هذا المكان . وقد حاول أصحاب هذه المذاهب كسب أكبر عدد ممكن من الناس الى مذاهبهم . وطبيعي ألا يجد مذهب الروم صدراً رحباً في الأرضين الخاضعة للفرس أو لنفوذ الفرس ، لما في ذلك من أخطار سياسية تهدد مصالحهم .

وقد كانت الحيرة من المراكز المهمة في حركة التبشير بالنصرانية بين العرب . ومن الحيرة ذهب قسم من المبشرين الى اليمن والعربية لنشر النسطورية والمذاهب النصرانية الأخرى هناك[1] ، وفيها انعقد مجمع « داديشوع » في سنه ٤٢٤ م [2] وفي هذه المدينة توفي هذا الجاثليق « داديشوع » ودفن فيها على بعض الروايات[3] .

أما الأنبار التي زعم الأخباريون أنها بنيت في أيام بختنصر ، فقد كانت من المدن المشهورة المعروفة فى أيام الساسانيين ، تلي شهرتها فى العراق شهرة مدينة طيسفون « Ktesiphon » . وقد تبين من فحص آثارها ومعالمها الباقية أنها من المواضع التي كانت قبل عهد الدولة الساسانية ، غير أننا لا نعرف من أمرها شيئاً يذكر قبل عهد هذه الدولة . والذي بعث فيها الحياة وأنشأ فيها الأبنية والعمارات ، هو الملك الساساني سابور الثاني « شابور Shapur » ٣١٠ ـ ٣٧٩ م[4] . أو سابور الأول فى بعض الروايات[5] . وقد حصنت وقويت وجعلت قلعة حربية لصد غارات الروم على حدود هذه المملكة من ناحية الفرات . وكان لها أثر مهم في الحملة التي قام بها الانبراطور « يوليانوس Julianus » على مملكة الساسانيين فى سنة ٣٦٣ م ، اذ دافعت عن نفسها دفاعاً شديداً . ولما تمكن يوليانوس منها ، بعد ذلك الحصار المتعب صارت ركاماً وتلالاً من

---

(١) سيأتي الحديث عن النصرانية ومذاهبها عند العرب قبل الاسلام في الجزء المختص بأديان العرب قبل الاسلام من هذا الكتاب . (٢) الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ١٠) .

(٣) أوجين تسران : خلاصة تأريخية للكنيسة السريانية « تعريب القس سليمان صائغ » الموصل ١٩٣٩ (ص ٢٦ وما بعدها) .

(٤) Ency. . 1 . P. 348. Paulys - Wissowa . 64 Halbband . (1950) . 1725 .

(٥) Paulys - Wissowa . 2 Halbband . 1894 . 1791 . Musil . Euphrates . P . 354 .

الرماد ، فأمر عندئذ ببناء « هيليوبوليس Heleopolis » . وقد وصف المؤرخ « أميانوس مرسليانوس » « Ammianus Marcellianus » الأنبار ، وذكر قلاعها الحصينة [١] .

وفي جنوب هذه المدينة وعلى مسافة قليلة منها ، يقع نهر عيسى الذي يصل الفرات بدجلة ، وهو نهر قديم يرجع عهده الى ما قبل الاسلام ، عرف بـ « Naarsares » أو « Maarsares » [٢] ويظن أن الملك سابور الثاني المذكور هو الذي أمر بحفره . وقد اكتسبت المدينة بهذا النهر شأناً خاصاً اذ صارت فرضة مهمة ، ومخزناً للأموال ، ومركزاً عظيماً في وسط العراق للتجارة ولتبادل السلع ، المرسلة عن طريق دجلة الى الفرات وبالعكس . ولاسم هذه المدينة ، وهو الأنبار ، علاقة بهذا المعنى على ما يظن . وهو من « Ham - bara » الايرانية القديمة ، ومعناها المخزن ، ومنها « أنبار Anbar » بالفارسية الحديثة . وقد عرف العلماء السلون معنى الكلمة فذكروه [٣] . ومن هذه الكلمة أخذ البيزنطيون «Abbareny ، Anbara» « Abara » . ويقصدون بها الأنبار [٤] .

وقد عرفت المدينة بـ « فيروزسابو » « بيروز شابور Peroz Shapur » كذلك . ومعنى هذه الكلمة سابور المنتصر . ومنها جاء اسمها « بيريسابورا Pirisaboora» «Bersabora» «Pirisaboras» المذكور في تاريخ «اميانوس مارسليانوس Ammianus Marcellianus» [٥] .

---

(١) Paulys - Wissowa , 64 Halbband , (1950) . 1725 , (XX_1) Ammianus , XXIV , 2 , q . ff XXIV . 2 . 18 . Musil . Euphrates . p . 234 . 236 . 240 . 354 . ff .

(٢) Paulys - Wissowa , 64 Halbband , 1950 . 1725 .

(٣) « وانما سميت الأنبار أنبار ، لأنها كانت تكون فيها انابير الطعام ، وكانت تسمى الاهراء ، لأن كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها » الطبري (٢/٢٨) ، البلدان (١/٣٦٨) .
Ency. , I. P. 348 , Frankel ، Die Aramaischen Fremdworter in Arabischen S .136. (Leiden , 1886) , Scheftelowitz , In ZDMG. , lix , 699 . Noldeke Grammatik der neusyrischen Sprache . S . 403 . Leipzig . 1868 . Paulys - Wissowa , Zweiter Halbband , 1894 , 1461 .

(٤) Ency. , I , P . 348 .

(٥) Ency. , I , P . 348 , Musil ، Euphrates , P . 354 . Ammianus Mercellianus , XXIV , 2 9. . 5 , 3 , Paulys - Wissowa , 2 Halbband , 1894 , 1791 .

و« زوزيموس »[1]. وقد ذكر هذا الاسم في المؤلفات السريانية . وكان عليها أسقف نسطوري.[2] وسميت « بشابور Be - shabur » في التلمود ، وجعلت المدينة الثانية في اقليم بابل[3]، كما سميت أيضاً بـ « Abaron »و« Abbareon » في تأريخ « ثيوفالكتس Theophylactus »[4].

ويظن أن موضع « أنكوباريتيس Ankobaritis »[5] المذكور في جغرافية بطلميوس يعني المنطقة التي تقع فيها الأنبار . فاذا كان هذا الظن صحيحاً ، كان اسم هذه المدينة معروفاً إذن قبل أيام الساسانيين[6] .

ولم يذكر « أزيدور الكركسي Isidorus of Charax » الذي ساح حوالي ميلاد المسيح في امبراطورية الفرث ، اسم هذه المدينة ، ولا اسماً آخر يقع في هذا المكان ، لذلك يرى بعض الباحثين أن الأنبار لم تنشأ إلا بعد أيام أزيدور ، وربما في القرن الأول للميلاد ، وأنها أنشئت في بادىء الأمر لخزن المواد فيها وتموين الحاميات بما تحتاج اليه ، ثم توسعت في العصر الساساني حتى اصبحت المدينة الثانية في إقليم بابل بعد طيسفون[7] .

وفي رواية لـ« ثيوفيلكتس Theophylactus » أن « كسرى برويز الثاني Khusrave Abharvez » « ٥٩٠ ــ ٦٢٨ م تقريباً » ، حينما هرب من وجه « بهرام جوبين » حوالي سنة ٥٩٠ م ، وترك العاصمة طيسفون عبر دجلة واخترق البادية حتى جاء الأنبار ، ومنها ذهب الى عانة « Anatha » ، ومنها ذهب الى « قرقيساء » حيث اتصل بالروم[8] .

---

(١) Zosimus . III . 17 . 3.
(٢) Ency . . I , P. 348 , Guidi , ZDMG., Xliii, 413
(٣) Paulys - wissowa , 64 Halbband , (1950) , 1725.
(٤) Theophylactus Simocatta , Historiae , Leipzig , 1887 , III , 10 , 6 - 8 , IV , 10 , 4.f. Musil , Euphrates , p, 354. f.
(٥) Ptolemy . V . 13 , 4.
(٦) Paulys - wissowa , 2 Halbband , 1894 , 1792.
(٧) Paulys - wissowa , 2 Halbband , 1894 . 1791. f.
(٨) Theophylacuts , IV , 10 , 4 , Paulys - wissowa , 2 Halbband . , 1894 , 1794.

ملوك الحيرة :

وقد تحدثت اليك برأي الأخباريين في أول من حكم الحيرة من الملوك ، ورأينا أن مالك بن فهم هو أول من حكم هذا الموضع على زعمٍ ، وهو في نظرهم من الأزد [1] . وقد حكم مدة عشرين عاماً على رواية للأخباريين [2] .

وحكم بعد مالك بن فهم أخوه عمرو بن فهم على رواية [3] ، وجذيمة الأبرش المعروف بجذيمة الوضاح أيضاً على رواية أخرى . ولا نعرف من أمر عمرو هذا شيئاً يستحق الذكر .

أما حظ جذيمة الأبرش ، فهو خير من حظ الرجلين السابقين عند الأخباريين ، فله في رواياتهم شعر وحديث . وقد تحدثوا عنه ، ونسبوا اليه الغزوات ، وجاء عليه بعض الرواة فرفعوا زمانه ، وجعلوه في العاربة الأولى . جعلوه من بني وبار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح ، وصيروه « من أفضل ملوك العرب رأياً ، وأبعدهم مغاراً ، وأشدهم نكاية ، وأظهرهم حزماً . وأول من استجمع له الملك بأرض العراق ، وضم اليه العرب ، وغزا بالجيوش . » [4] ، وذكر المسعودي أنه أول من ملك الحيرة [5] .

وقد وصفوه أيضاً ، فقالوا : إنه « كان به برص ، فكنّت العرب عنه ، وهابت العرب أن تسميه به ، وتنسبه اليه ، إعظاماً له . فقيل : جذيمة الوضاح وجذيمة الأبرش » [6] . وذكر المسعودي أن جذيمة هو صاحب النديمين اللذين يضرب بهما المثل ، واستشهد على ذلك بشعر لمتمم بن نويرة اليربوعي في مرثيته لأخيه مالك بن نويرة :

وكنّا كندمانَيْ جَذِيمةَ حقبةً   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا [7]

وذكر الأخباريون أيضاً أن جذيمة غزا طسماً وجديساً ، غزاهم في منازلهم من « جوّ »

---

(١) الطبري (٢/٢٧) .   (٢) اليعقوبي (١/١٦٩)

(٣) الحيرة (ص ١١٨) . Rothstein , S. 38.

(٤) الطبري (٢/٢٩) .   (٥) المروج (٢/١٦) .

(٦) الطبري (٢/٢٩) ، الكامل (١/١٣٦) .

(٧) التنبيه والإشراف (ص ١٥٨ وما بعدها) ، ابن قتيبة عيون الأخبار (١/٢٧٤) .

وما حولهم . فأصاب حسّان بن تبّع أسعد أبي كرب ، قد أغار على طسم وجديس باليمامة ، فانكفأ جذيمة راجعاً بمن معه ، وأتت خيول تبع على سريّة لجذيمة ، فاجتاحتها وبلغ جذيمة خبرهم ، فقال فى ذلك شعراً دون منه الطبري أحد عشر بيتاً . وقد أراد ابن الكلبي أن يكون حذراً في هذه المرة ، أو أن يظهر نفسه فى مظهر الحذر الناقد ، فقال : « ثلاثة أبيات منها حق ، والبقية باطل » [1] . وجميل صدور هذا الحذر من الطبري ، أو من ابن الكلبي ، وقد عوّدانا سرد أبيات من الشعر العربي ، نسباها الى من هو أقدم عهداً من جذيمة ، ولم يذكرا أنه باطل ، أو أن فيه حقاً وباطلاً .

وفي جملة ما تحدث به الأخباريون عن جذيمة أنه تكهن وتنبأ ، وأنه اتخذ صنمين يقال لهما الضيزنان ، وضعهما بالحيرة فى مكان معروف ، وكان يستسقى بهما ويستنصر بهما [2] . فلم يقنع الأخباريون بالحديث عن ملك جذيمة وحده ، فأضافوا اليه التنبؤ والكهانة وعبادة الأصنام .

وهم يروون لذلك أن جذيمة كان يغازي إياداً النازلين بعين أباغ ، فذكر له اسم غلام من لخم في أخواله من إياد ، هو عديّ بن نصر ، له جمال وظرف ، فغزاهم . فبعثت إياد قوماً سقوا سدنة الصنمين الخمر ، وسرقوا الصنمين ، فأصبحا فى إياد . فبعثت اليه تفاوضه على إرجاع الصنمين اليه على أن يكفّ عن غزوهم ، ولكنه اشترط عليهم إعطاءه عديّ بن نصر مع الصنمين ، فوافقوا على ذلك . فانصرف عنهم وضم عدياً اليه ، وولاه شرابه . ويدعون أنه تزوج أخته رقاش التى أحبته فيما بعد [3] ، في قصة يروونها ، ومن هذا الزواج المزعوم كان عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة الذي خلف خاله على الملك .

وفى رواية من روايات الأخباريين أن جذيمة زوج أخته من ابن عمه عدي بن ربيعة بن نصر ، فولدت له عمرو بن عدي الذي استطار به الجن [4] . فجعلوا والد عديّ ربيعة بن نصر ، على حين تقول رواية أخرى إنه عديّ بن نصر .

---

(١) الطبري (٢/٢٩) .
(٢) الطبري (٢/٢٩) ، اليعقوبي (١/١٦٩) .
(٣) الطبري (٢/٣٠ وما بعدها) .
(٤) الأخبار الطوال (ص ٥٦) .

وفى جملة ما نسبه الأخباريون الى جذيمة من حروب حربه مع عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العملقى « العمليقى » من عاملة العماليق . وعمرو هذا هو أبو الزباء عند الأخباريين . ويذكر هؤلاء أن الطرفين استعدا للقتال استعداداً كبيراً ، فجمعا كل ما أمكنهما جمعه . ولما اصطدما ، قتل عمرو ، فانهزم أصحابه ، وعاد جذيمة بعد هذا النصر الى قواعده سالماً [1] . ولم يشر الطبري الى اسم الموضع الذي وقع فيه هذا القتال .

أما ملك جذيمة ، فكان على حد قول الأخباريين بين الحيرة والأنبار وبقة وهيت وناحيتها وعين التمر وأطراف البر الى الغمير والقطقطانة وخفية وما والاها [2] ورقة وسائر القرى المجاورة لبادية العرب . ويفهم من بعض الروايات أيضاً أنه ملك معداً وبعض اليمن [3] .

أما الأنبار ، فقد تحدثت عنها . وهى - على ما يظهر من روايات الأخباريين - من المواضع التي كان يخضع أعرابها فى الغالب لحكم اللخميين . وأما بقة ، فتقع على الفرات بين هيت والأنبار . وأما هيت ، فهى من المواضع القديمة المعروفة قبل الميلاد ، وقد ورد اسمها فى نص « توكلتي أنورتا Tukulti Enurta » الثاني الذي يعود عهده الى حوالي سنة ٨٨٥ق . م [4] . وقد عرفت بـ « ايد id » و « ايت It » [5] . وهى « ايس Is » [6] و « ايسبوليس Ispoolis » [7] و « ايديكاره Idikara » [8] و « دياكيره Diakira » [9] فى مؤلفات الكلاسيكيين . و « ايهى ihi » و « ايهيداكيرة Ihidakira » فى مؤلفات عصر التلمود [10] .

---

(١) الطبري (٢/٣١) (٢) الطبري (٢/٢٩) ، بلوغ الأرب (٢/١٧٥) .

(٣) حمزة (ص ٦٤) .

(٤) Scheil and Gautier, Annales de Takulti Ninip II, roi d'Assyrie 889-884 Paris 1910, p. 38, ff. Ency. II, p. 322, Musil, Euphrates, p. 350.

(٥) Musil, Euphrates, p. 350. (٦) Herodotus, I, 179.

(٧) Isidore of Charax, Mansiones Parthicae (Muller), p. 249, « ايوبوليس Aeiopolis » ، المشرق ، السنة ١٩٠٣ ، العدد ١٠ الصفحة ٤٤٠ .

(٨) Ptolemy, Geography, V, 19, 4.

(٩) Ammianus Marcellianus, Rerum, XXIV, 2, 3, Zosimus, III, 15.

(١٠) Musil, Euphrates, p. 350.

وفي بقّـة استشار جذيمة قصيراً على حد قول الأخباريين في أمر زيارته للزبّاء [1]. وتقع بقة على مقربة من الحيرة . وقيل هي حصن كان على فرسخين من هيت على رواية ياقوت [2] وقـد جعلها اليعقوبي على شط الفرات بالقرب من الأنبار وفي ملك الزباء [3] . وهي على الفرات بين الأنبار وهيت [4] . في رواية أكثر الأخباريين .

وأما القطقطانة ، فموضع في البرية لايبعد كثيراً عن الـكوفة ، وهو بالطف [5] . وأما خفية ، فهي أجمة في سواد الـكوفة ، بينها وبين الرحبة ، ينسب اليها الأسود المعروفة بأسود خفيـة ، وهي غربي الرحبة ، ومنها الى عين الرُهيمة مغرباً . وقيل أيضاً عين خفية [6] .

وقد اشتهرت عين التمر القريبة من « شفاثا » بالقسب والتمر ، وهي على طرف البادية . فتحها المسلمون على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ للهجرة في أيام أبي بـكر [7] .

وقـد طال عمر جذيمة على حد قول حمزة الأصبهـاني الى أن لحق ملك شـابور بن أشـك الأشغاني ، وحكم على حد قوله أيضاً ستين سنة [8] . أما نهايته ، فـكانت على يد الزباء في قصة مشهورة معـلومة ، رصعها الأخباريون بشعر وأمثلة ، تحدثت عنهـا في الجزء الثالث من هذا الـكتاب [9] .

وذكر أبو حنيفة الدينوري أن جذيمة لم يزل ملـكاً مقيماً بالخورنق ، حتى دعته نفســه الى تزويج مارية أبنة الزبّاء الغسانية . وكانت ملـكة الجزيرة ، ملـكت بعد عمّـها الضيزن الذي قتله سابور ، فقتلت جذيمة ، ثم قتلها قصير مولاه [10] . فجعل الملكة القاتلة بنتاً من بنات الزباء عينها ، فدعاها مارية ، وبذلك أنقذ الزباء من تهمة القتل التي ألصقها الأخباريون بهذه الملـكة ، وجعلها

---

(١) « يبقة خلفت الرأي » البلدان (٢/٢٥٣) ، الطبري (٢/٣٢ وما بعدها) .

(٢) البلدان (٢/٢٥٣) ، الطبري (٢/٣٢) (٣) اليعقوبي (١/١٦٩) .

(٤) Musil, Euphrates, p. 160.

(٥) البلدان (٧/١٢٥) . (٦) البلدان (٣/٤٥٢) .

(٧) البلدان (٦/٢٥٣) . (٨) حمزة (ص ٦٤ وما بعدها) . (٩) ص ١٠١ .

(١٠) الأخبار الطوال (ص ٥٦) .

ملكة على الجزيرة ، وجعل نسبها في غسان ، وغسان معادون منافسون لآل لخم ، ثم أبى الا أن يجعل لجذيمة قصراً منيفاً ، فوقع اختياره على الخورنق ، وهو قصر لائق أن يكون قصر ملك ، وخالف في ذلك رأى الاخباريين الذين ينسبون هذا القصر الى ملك آخر هو النعمان .

وأبو حنيفة الدينوري أيضاً من أولئك الأخباريين الذين يعتمدون على النقل ، فيكتبون ما يقال لهم ، ويأخذون ما يجدون أمامهم من غير نقد أو تمحيص . وتجد له في كتابه الأخبار الطوال أمثلة عديدة من هذا القبيل تدل على أنه لم يكن صاحب رأى أو اجتهاد في الموضوع الذي يكتب فيه . وهو وضع نجده عند أكثر الأخباريين .

وقد أشرت في الجزء الثالث من هذا الكتاب الى عثور السياح على كتابة في أم الجمال ، جاء فيها : « هذا موضع أي قبر فهر بن شلي مربي جذيمة ملك تنوح » . وقصد بجذيمة « جذيمة » ، وبتنوح « تنوخ » . وهذا النص على قصره ، ذو أهمية تاريخية بالغة ، لأنه يشير الى وجود صلة بين عرب العراق وعرب الشام[1] . ومن الصعب بالطبع استنتاج كيفية وفاة مربي الملك في هذا الموضع من ديار الشام : أكان زائراً هذه الديار فأدركه أجله فقبر هناك ؟ أم جاء مع سيده في حرب فتوفي في ذلك المكان ؟ مهما يكن من شيء ، فقد أفادنا مدون الحجر فائدة كبيرة بتدوينه اسم صاحب القبر ، واسم جذيمة ملك تنوخ .

وانتقل الملك بعد وفاة جذيمة الى ابن أخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم[2] . أما أمه ، فهي أخت جذيمة ، وهي رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان على رواية من ينسب مالك بن فهم الى عدثان[3] .

وفي رواية يرجعها الأخباريون الى ابن اسحاق أن ملوك الحيرة كانوا من نسل عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر ، وأن ربيعة بن نصر كان معروفاً في اليمن ، وهو من لخم وقد حكم فيها ، حكم فيما بين التبابعة من حمير . ملك بعد تبّان أسعد وقبل حسان بن تبّان أسعد ، وهو الذي استعاد ملك التبابعة بعد هلاك ربيعة بن نصر . وربيعة بن نصر هو صاحب الرؤيا التي

---

(١) ص ١٠٢ . (٢) الطبري (٢/٣٠ وما بعدها) . (٣) حمزة (ص ٦٥)

قصها على الكاهنين سطيح وشق (١) . فوالد عمرو بن عدي إذن بحسب هذه الرواية هو ربيعة بن نصر لا نصر بن ربيعة كما يذكره أيضاً الأخباريون ، وهو لخمي انتزع الملك عنوة من التبابعة وبقي فيه على حد قولهم الى أن هلك .

وزعم الدينوري أن وفاة ربيعة بن نصر كانت في أيام « قباد بن فيروز » ، وأنه بوفاته رجع الملك الى حمير ، فملك ذو نواس من بعده ، وهو ذو نواس صاحب تعذيب نصارى نجران (٢) نفسه. فأرجع أيام ربيعة الى قباد ، وهو قول يخالف ما يرويه الأخباريون . وجعل ذا نواس المالك من بعده ، وقد عاش ذو نواس بعد قباد أمداً ، فخالف في ذلك التأريخ وأقوال الأخباريين .

ويزعم الأخباريون أيضاً أن سطيحاً وشقاً أخبراه فى تأويلها لرؤياه بما يكون من غلبة الحبش على أرض اليمن ، وبغلبة الفرس بعدهم . فلما سمع بذلك ، أوجس فى نفسه خيفة ، فأحب أن يخرج ولده وخاصة أهله من أرض اليمن ، فوجه ابنه عمراً الى يزدجرد بن سابور أو إلى سابور ذي الأكتاف ، فأنزله موضع الحيرة ، فيومئذ بنيت ، فضم عمرو اليه إخوته وأهل بيته ، فمن هناك وقع آل لخم الى الحيرة ، واتصلوا بالأكاسرة فجعلوا لهم على العرب سلطاناً ، فلما مات خلفه من بعده ابنه جذيمة بن عمرو (٣) .

وهذا القصص هو من مرويات ابن اسحاق ، ومرجعه فى ذلك مسلمة أهل الكتاب (٤) . وابن اسحاق من المكثرين من رواية هذا النوع من القصص البعيد عن التأريخ والمولعين بها ، وهو ضعيف فى هذه الناحية ، ضعيف جداً في نقد ما ينقله الرواة اليه .

ويقول الأخباريون : إن عمراً هذا ، هو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب ، وأول ملك يعده ويمجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك عرب العراق ، وملوك العراق اليه ينسبون . وهم آل نصر (٥). ولذلك نجد المؤرخين يدعون هؤلاء الملوك بآل نصر بن معاوية (٦) .

---

(١) الطبري (٢/ ٩٨) ، الدينوري ، الأخبار الطوال (ص ٥٥ وما بعدها) .
(٢) الأخبار الطوال (ص ٦٢ وما بعدها) . (٣) الأخبار الطوال (ص ٥٦) .
(٤) الطبري (٢/ ٩٦) . (٥) الطبري (٢/ ٣٧) ، حمزة (ص ٦٥) .
(٦) الطبري (٢/ ٣٧) ، « واليه تنسب ملوك النصرية » المروج (٢/ ١٧) .

ويروون عنه أنه كان مستبداً بأمره ، يغزو المغازي ، ويصيب الغنائم ، وتفد عليه الوفود . لايدين لملوك الطوائف بالعراق ، ولا يدينون له [1]. ويرجعون أيامه الى أيام أردشير بن بابك أول ملوك الساسانيين .

فلما ضبط أردشير ملك العراق ، كره كثير من تنوخ أن يقيموا فى مملكته وأن يدينوا له . فخرج من كان منهم من قبائل قضاعة الذين كانوا أقبلوا مع مالك وعمرو ابني فهم ، ومالك بن زهير ، وغيرهم ، ولحقوا بالشأم الى من هنالك من قضاعة فانضموا اليهم [2] .

ويعدّ ابن الكلبي الفارس الأول في ميدان تأريخ الحيرة ، وعلى رواياته فى هذا التأريخ اعتمد معظم المؤرخين ، ومنها استخرجوا قوائم أسماء ملوك هذه المدينة وأسماء من ملك من آل نصر.

يدعى ابن الكلبي أنه كان يستخرج أخبار آل نصر من سجلات كانت محفوظة في بيع الحيرة . « وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال : إني كنت أستخرج أخبار العرب ، وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم ، من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها[3] . » ويدل هذا القول ، إن صح ، على أن ابن الكلبي كان قد قبس علمه من وثائق رسمية أصلية ، وهو قول يشك فى صحته بعض المستشرقين ، مثل المستشرق كولدزهير . أما نولدكة فلا يرى في ابن الكلبي هذا الرأي[4] .

وهناك رواية تنسب نصراً الى الساطرون ملك الحضر[5] ، وتجعل آل نصر من الجرامقة[6] . وهى رواية لا أظن أن ملوك الحيرة وأهلها يرضون عنها .

ويذكر الأخباريون أن عمْراً انتقم من الزباء لقتلها جذيمة ، ورووا في ذلك رواياتهم المرصعة بالشعر والأمثال[7] . وهي روايات لا تستند الى أسس تأريخية ، اذا قصدوا بذلك الزباء ملكة

---

(١) الطبري (٢/٣٧) . (٢) الطبري (٢/٥٩) .

(٣) الطبري (٢/٣٧) .

(٤) Rothstein , S. 51 , Goldzieher, Muh. Stud., I, S. 186. f. anm, I,

(٥) Rothstein , S . 42

(٦) « وهو جرمقاني من أهل الموصل من رستاق يدعى باجرمي » . Rothstein , S . 42. .

(٧) الطبري (٢/٣٥) ، الكامل (١/١٣٧) ، الأغاني (١٤/٧٣) ، الأمثال للميداني (١/١٥٨) ابن دريد : المقصورة (١٧) .

تدمر التي عرفنا تأريخها ونهايتها في الجزء الثالث من هذا الكتاب . وهي قصة يظهر أنها كانت معروفة مشهورة . وقد أشير فيها فى بعض الشعر المنسوب الى الجاهليين .

وتولى الملك بعد وفاة عمرو ابنه امرؤ القيس . ويقال له امرؤ القيس البدء وأمرؤ القيس الأول . أما أمه ، فهي ماوية بنت عمرو أخت كعب بن عمرو الأزدي على رواية حمزة[1] . وقد عاصر جملة من ملوك الفرس ، هم : سابور بن أردشير[2] « شابور بن أردشير[3] » ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام بن بهرام بن بهرام ، ونرسي بن بهرام بن بهرام ، وهرمز بن نرسي ، وسابور ذو الأكتاف على رواية نجدها مدونة في تأريخ حمزة . وجعل عدة ملكه مئة وأربع عشرة سنة ، وهى مدة تتفق مع ما ذكره الطبري حكاية على لسان ابن الكلبي .

غير أننا اذا ما وازنا بين ما ذكره الطبري حكاية على لسان ابن الكلبي في عدد ملوك الفرس الذين حكم « امرؤ القيس » في أيامهم ، وفي مدة حكمه فى عهد كل ملك من هؤلاء الملوك[4] ، وبين ما ذكره حمزة ، نجد اختلافاً فى العدد واختلافاً فى المدة[5] ، مما يدل على أن حمزة قد نقل من مورد آخر يختلف عن مورد الطبري .

واذا كانت مدة حكم امرؤ القيس على نحو ما ذكره ابن الكلبي وغير ابن الكلبي من رواة ، فكم تكون مدة حياة هذا الملك ؟ إنهم لم يعينوا هذه المدة ، ولكنها مدة تزيد بالطبع على هذه السنين فى نظر أصحاب تلك الروايات ، ولم لا تطول ؟ وقد ساروا على خطة إطالة أعمار الملوك الأولين ، فملك يتجاوز حكمه مئة عام بسنين أمر لا بأس به فى نظر هؤلاء الرواة .

غير أننا نلاحظ أنهم بخلوا على الملوك المتأخرين ، فلم يمنحوهم هذه النعمة ، نعمة اطالة مدة الحكم أو مدة العمر ، فجعلوا لهم مدداً مقبولة في الغالب معقولة . ولو عاش هؤلاء المتأخرون في زمن بعيد عن أولئك الرواة ، بعيد عن أيام تدوين أخبار ملوك الحيرة ، لما حرمهم الأخباريون

---

(١) حمزة (ص ٦٦) . (٢) الطبري (٢/٦٤) . (٣) حمزة (ص ٦٧) .

(٤) الطبري (٢/٦٥) . (٥) حمزة (ص ٦٧) .

كرمهم هذا ، ولأعطوهم ولا شك ما اعطوه من سبقهم من الملوك جملاً من السنين .

وقد نعت امرؤ القيس في بعض الروايات بالمحرق[١] ، ونعت أيضاً بمحرق الحزب[٢] .

ونصادف كلمة المحرق ومحرق وآل محرق فى مواضع من التواريخ المتعلقة بالحيرة . وقد أطلقها بعض الأخباريين على الغساسنة أيضاً . وهم يرون أنها لقب ألحق بأولئك الملوك ، لأنهم عاقبوا أعداءهم فى أثناء غزوهم لهم بحرق أما كنهم بالنار . ويرى « روتشتاين » أنه تفسير لظاهر الكلمة ، وهو تفسير مغلوط . والصحيح فى نظره أنها اسم علم لأشخاص عرفوا بمحرق ولذلك قيل « آل محرق » لا « آل المحرق »[٣] .

وبين أصنام الجاهليين صنم يدعى محرق والمحرق ، تعبدت له بعض القبائل مثل بكر بن وائل وربيعة فى موضع سلمان[٤] . وقد ورد بين أسماء الجاهليين اسم له علاقة بهذا الصنم ، هو عبد محرق[٥] ، أفلا يجوز أن يكون للمحرق اذن علاقة بهذا الصنم ، كأن يكون قد اتخذ من باب التيمن والتبرك الملك الذي عرف بالمحرق ، أو أنه قدم قرباناً لهذا الإلـه أحرقه على مذبحه بالنار ، وتلك عادة معروفة وقد وردت أيضاً عند العبرانيين ، فقيل له لذلك المحرق ؟ والى هذا الاحتمال ذهب بعض المستشرقين[٦] .

ويظهر أن محرقاً كان من الشخصيات الجاهلية القديمة الواردة فى الأساطير ، وقد اقترن اسمه بالدروع . وورد « بردي محرق » ، كما اقترن اسمه بـ « نسيج داوود » مما يدل على أن هذا الاسم من الأسماء المعروفة قديماً فى أساطير الجاهليين[٧] .

وقد ورد أيضاً صوت محرق وفرخ محرق[٨] ، وذلك يدل على أن « محرقاً » في هذا الموضع حيوان قد تكون له علاقة أيضاً بأساطير الجاهليين[٩] .

ومما حكاه الأخباريون عن هذا الملك أنه كان قد تنصر ، وأنه لذلك أول من تنصر من

---

(١) Rothstein, S. 64 (٢) المصدر نفسه . (٣) Rothstein. S. 47.

(٤) وسيكون رمزه : Reste J. Wellhausen, Reste Arabischen Heidentums, S. 57.

(٥) Rothstein, S. 48. (٦) Reste, S. 57. (٧) Rothstein, S. 49.

(٨) الأغاني (٦٥/٨) . (٩) Rothstein, S. 49.

كتابة النمارة « ٣٢٨ م »

من كتاب : Bossert

آل نصر[1] . وهو أمر يحتاج الى دليل . كما ذكروا أن ملكه كان واسعاً ، وأنه كان عاملاً للفرس « على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من بادية العراق والحجاز والجزيرة[2] » . وهي دعوى تشير الى سعة الأرضين التي خضعت له ، وفى نص « النمارة » ما يؤيد هذه الرواية .

ويظن أن امرأ القيس هذا ، هو امرؤ القيس الذي ورد اسمه مدوناً في نص « النمارة » الذي تحدثت عنه فى الجزء الأول[3] . فاذا كان هذا الظن صحيحاً ، كان امرؤ القيس أول ملك من ملوك الحيرة يصل خبره الينا مدوناً ، وكذلك خبر تأريخ وفاته في سنة ٣٢٨ للميلاد . المقابلة لسنة ٢٢٣ من تقويم « بصرى » ، التقويم المعمول به فى تلك الجهات التي قبر فيها امرؤ القيس[4] .

يظهر من نص النمارة أن امرأ القيس صاحب القبر ، كان رجلاً محارباً ، وقائداً كبيراً ، فأخضع قبيلتي أسد ونزار ، وهزم مذحجاً ، وأخضع معداً ، ووزع بنيه فى القبائل ، وبلغت فتوحاته أسوار نجران مدينة شمر . وهو بهذه الفتوحات قد تمكن من معظم أنحاء الجزيرة . وهذا النص يناقض الروايات التي تنسب الفتوحات العظيمة الى « شمر يهرعش » فتجعله فاتح العراق وما وراء العراق الى الصين ، وتعكس القضية عكساً تاماً . ورواية فتوحات « شمر » ، هي رواية يمانية وضعها أناس متعصبون لليمن ولا شك .

ويظهر من ورود كلمة « التج » أي التاج في هذا النص أن هذه الكلمة كانت معروفة عند العرب الشماليين فى ذلك الحين ، أي في القرن الرابع للميلاد . وقد أطلقت فى الأكثر على ملوك الحيرة ، وخاصة في عهد النعمان حيث عرف بذي التاج[5] . كما ورد تاج آل محرق في الشعر[6] . وقد استعملت كلمة سموط فى مقام التاج[7] .

---

(١) الطبري (٦٥/٢) ، ابن خلدون (٢٦٣/٢) .
(٢) الطبري (٦٤/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (١٧١/٢) .
(٣) (١٨٩/١) ، (٤٣٧/٣ وما بعدها) .
(٤) Francois Nau, Les Arabes Chrestiens, P. 32. Rene Dussaud, Arabees en Syrie avant l' Islam, Paris, 1907, P. 35.
(٥) Rothstein, S. 128. (٦) شعراء النصرانية (٣٢٩) . (٧) Rothstein, S. 129

وفي أيام امرىء القيس كان تنكيل سابور ذي الأكتاف بالعرب وتلقيبه بذي الأكتاف على رواية الأخباريين . وكان أول ما قام به أنه أوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب ، فقتل منهم قتلاً مبرحاً ، وأسر منهم أعنف أسر ، وهرب قسم منهم . ثم قطع البحر ، فورد « الخط » فقتل من بلاد البحرين خلقاً كبيراً ، وأفشى القتل في « هجر » ، وكان بها ناس من أعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، ثم عطف على بلاد عبد القيس فأباد أهلها إلا من هرب منهم ، فلحق الرمال ، ثم أتى اليمامة فقتل بها كثيراً أيضاً ، وسار على خطة طم المياه وردم الآبار ليحرم الناسَ الانتفاعَ بها . ثم سار حتى بلغ قرب المدينة فقتل من وجد هناك من العرب ، وأسر . ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس و « مناظر الروم » بأرض الشام ، ففعل بها ما فعله في الأرضين الأخرى . وأسكن من بني تغلب من البحرين « دارين » و « الخط » ، ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم « هجر » ، ومن كان من بكر بن وائل « كرمانَ » ومن كان من بني حنظلة « الرملية » من بلاد الأهواز[1] .

وفي رواية أخرى نقلها « الطبري » من مورد آخر غير مورد ابن الكلبي أن سابور بعد أن أثخن في العرب وأجلاهم عن النواحي التي كانوا صاروا اليها ، مما قرب من نواحي فارس والبحرين واليمامة ، استصلح العرب ، وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوّج والأهواز[2] . وقد كان ذلك بعد حربه مع الروم . والظاهر أن الأوضاع السياسية اضطرته الى استصلاح العرب ، بعد أن تبين له صعوبة الاستمرار في سياسة العنف والقوة الى أمد غير معلوم .

وفي رواية في تأريخ الطبري أن « لليانوس » ملك الروم ، معاصر سابور حارب سابور ، فضم الى جيشه من كان في مملكته من العرب ، أي عرب الروم . « وانتهزت العرب بذلك السبب الفرصة من الانتقام من سابور وما كان من قتله العرب ، واجتمع في عسكر « لليانوس » من العرب مئة ألف وسبعون ألف مقاتل ، فوجههم مع رجل من بطارقة الروم بعثه على مقدمته يسمى

---

(١) الطبري (٢/٦٧) . (٢) الطبرى (٢/٦٩ وما بعدها) .

« يوسانوس »[1] . أما من بقى فى عسكر « لليانوس » من العرب ، فقد سألوه أن يأذن لهم في محاربة سابور ، فأجابهم الى ما سألوه ، فزحفوا الى سابور فقاتلوه ، ففضوا جمعه ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وهرب سابور فيمن بقى من جنده ، واحتوى « لليانوس » على مدينة طيسفون محلة سابور ، وظفر ببيوت أموال سابور وخزائنه فيها »[2] عندئذ استنجد سابور بقواده ، فلما وصل اليه المون استخلص طيسفون . ثم تصالح بعد مقتل « لليانوس » مع يوسانوس الذي انتخبه الجيش ملكاً على أثر قتل « لليانوس »[3] .

وحكم بعد امرىء القيس البدء ابنه عمرو . وأمه هند بنت كعب بن عمرو على رواية[4] ، ومارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك الغساسنة فى رواية أخرى[5] . وكان يعاصر من ملوك الفرس سابور ذا الأكتاف ، وأخاه أردشير بن هرمز بن نرسي وسابور بن سابور[6] . وقد نعته بعض الأخباريين بموقد الحروب « مسعر حرب » . وذكروا أنه حكم خمساً وعشرين سنة[7] . ونعت الأخباريين له هذا النعت ، يدل على أنه كان محارباً ، ولكنهم لم يذكروا شيئاً من تلك الحروب .

وقد ذهب بعض الأخباريين الى أن مارية التي ضرب المثل بقرطيها فقيل قرطامارية ، هي مارية هذه أم عمرو[8] .

وقد وضع اليعقوبي بعد امرىء القيس شقيقه الحارث بن عمرو بن عدي ملكاً ، وجعل مدة ملكه سبعاً وثمانين سنة . ثم وضع عَمْراً بن امرىء القيس ملكاً من بعده . وحكم هذا على زعمه مدة أربعين عاماً[9] .

---

(١) الطبري (٢/٦٨)   (٢) المصدر نفسه ، واليعقوبي (١/١٣١) .

(٣) الطبري (٢/٦٨ وما بعدها) .   (٤) حمزة (ص ٦٧) .

(٥) المروج (٣/١٩٩) ، (٢/٢٣) ، « طبعة دار الرجاء » .

(٦) الطبري (٢/٧٠) .

(٧) شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسامة (ص ١٠٠) .

(٨) البسامة (١٠١) .

(٩) اليعقوبي (١/١٧٠) « طبعة النجف » ، وقد رجعت في هذا الجزء الى هذه الطبعة .

ولا نعرف من أعمال عمرو هذا شيئاً . وللأخباريين فى مدة حكمه أقوال عدة تتراوح عندهم من ٢٥ سنة الى ٦٠ سنة [١] .

لا نعرف الأسباب الحقيقية التي أدت الى تولي أوس بن قلام الحيرة بعد عمرو الثاني . فأوس بن قلام رجل غريب عن الأسرة المالكة ، فلم صار ملكاً على الحيرة إذن ؟ رَجّعَ ابن الكلبي نسب أوس الى العماليق ، ويقول : إنه من بني عمرو بن عمليق [٢] . وذكر حمزة نسبه على هذه الصورة : أوس بن قلام بن بُطينا بن جميهر بن لحيان العمليقي [٣] ، وجعله ابن خلدون من بني عمرو بن عملاق [٤] .

ويتبين من خبر ورد فى الأغاني أن أوساً كان من أسرة كانت تقيم فى الحيرة ، وهى من بني الحارث بن كعب [٥] . وقد ورد اسم رجل آخر من هذه الأسرة ، ذكر أنه بنى ديراً في الحيرة [٦] .

ولا نعرف من أعمال أوس هذا شيئاً ، وكل ما نعرفه عنه أنه حكم خمس سنوات [٧] ، وأن امرءاً اسمه « جحجبا بن عتيك بن لخم » ثار به فقتله على رواية لابن الكلبي ذكرها الطبري [٨] . أما حمزة فذكر اسمه ونسبه على هذه الصورة : « ححجنا بن عبيل أحد بني فاران » ، وقال : « قال ابن الكلبي : وهو فاران بن عمرو بن عمليق ، وهم بطن بالحيرة يقال لهم بنو فاران ، وححجنا منهم . فقتل ححجنا أوساً ، فرجع الملك إلى آل بني نصر » [٩] .

فنحن اذن أمام روايتين في أصل جحجبا أو ححجنا : رواية ترجعه الى لخم ، ورواية أخرى ترجعه الى بني فاران وترجع بني فاران الى عمليق .

أما هذا الاختلاف الذي نراه بين الرواة فى كيفية ضبط اسم هذا الثائر فى جحجبا أو

---

(١) الطبري (٢/٧٠) ، ابن الأثير (١/١٥٨) ، حمزة (ص ٦٧) ، المسعودي : المروج (٣/١٩٩) .
(٢) الطبري (٢/٧٢) . (٣) حمزة (ص ٦٧) . (٤) ابن خلدون (٢/٤٨) .
(٥) الأغاني (٢/١٨ ، ٢٦) . (٦) Rothstein's . 64
(٧) الطبري (٢/٧٢) ، حمزة (ص ٦٧) . (٨) الطبري (٢/٧٢) .
(٩) حمزة (ص ٦٧) .

ححجنا ، وفى عتيك أو عبيل ، فيمكن رَجْعُهُ الى خطأ وقع فى تدوين الروايات ، إمّا سهواً وإما جهلاً بحقيقة الاسم ، فمن هذين نشأ لدينا هذا الاختلاف .

ولم يذكر الأخباريون الأسباب التي حملت ججحجبا على الثورة والمنافع التي جرّها لنفسه منها . وهل حكم هو فى سبيل الأسرة الحاكمة ، أو قام بها لمسائل شخصية انتقاماً من « أوس » لعداء كان بينهما أو لسبب آخر . وكل ما ذكروه أن هلاك أوس بن قلام كان فى عهد بهرام بن سابور الذي استخلف من بعده امرؤ القيس بن عمرو بن امريء القيس البدء . وكان هلاكه فى عهد يزدجرد المعروف بالأثيم (١) .

وقد نعت الطبري امرأ القيس هذا بالبدء (٢) . أما حمزة فلقبه بالبدن (٣) . وأظن أن مرد هذا الاختلاف خطأ وقع فى الروايات من الرواة أو الكتابة للحرف الأخير من كلة البدء أو البدن ، فصارت الكلمة الواحدة في الأصل كلمتين .

وذكر ابن الأثير أن بهرام بن سابور استخلف من بعد أوس امرأ القيس بن عمرو بن امريء القيس الكندي ، فبقى خمساً وعشرين سنة ، وهلك فى أيام يزدجرد الأثيم (٤) . واضافة الكندي الى امريء القيس خطأ ، ولا شك ، فلم يرو أحد من الأخباريين أن امرأ القيس هذا كان كندياً . ومن المعروف أن ابن الأثير قد اعتمد على تأريخ الطبري اعتماداً كلياً ، حتى ليمكن أن يقال إنه اختصره ، والعبارتان ـ خلا زيادة كلة « الكندي » متشابهتان ، ففي استطاعتنا أن نقول بحدوث هذه الزيادة فى تأريخ ابن الأثير إما من النساخ وإما من ابن الأثيرنفسه ، إذِ أُستعجل دون تفكير فأضاف كلة الكندي الى نسب امريء القيس ، لشهرة« امريء القيس الكندي » .

وامرؤ القيس مثل سابقيه ، لا نعرف من خبره شيئاً يذكر . وقد ذكر حمزة أنه هو محرق الأول ، وأنه أول من عاقب بالنار . وفى روايته هذه أنه حكم إحدى وعشرين سنة (٥) . أما

---

(١) الطبري (٢/٧٢) . (٢) الطبري (٢/٧٢) . (٣) حمزة (ص ٦٧) .
(٤) ابن الأثير : الكامل (١/١٧٦) . (٥) حمزة (ص ٦٧) .

الطبري ، فذكر أنه حكم خمساً وعشرين سنة [1] . وقد نعته المسعودي بمحرق العرب [2] .

أما اليعقوبي، فلم يذكر أوس بن قلام ولا الثورة التي قام بها جحجبا ، بل نصب رجلاً آخر بعد عمرو بن امرئ القيس هو المنذر بن امرئ القيس ، ونعته بالمحرق ، نعته بذلك لأنه أخذ قوماً حاربوه ، فحرقهم ، فسمي لذلك محرقاً ، وجعل بعده النعمان [3] .

ولم يذكر المسعودي كذلك أوس بن قلام ولا جحجبا ، بل ذكر النعمان بن امرئ القيس رأساً بعد عمرو بن امرئ القيس ، وقال إنه قاتل الفرس خمساً وستين سنة ، وأن أمه الهيجانة بنت سلول كانت من مراد أو من إياد [4] .

والنعمان الأول بن امرئ القيس ، هو أول ملك نستطيع أن نتحدث عنه بشيء من التأكيد والتحقيق والتفصيل ، هو كما يقول الأخباريون : النعمان بن امرئ القيس . أما أمه فهي شقيقة ابنة أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان [5] ، وهي أخت عمرو المزدلف . أما حسان بن زهير ، فكان شقيق النعمان من أمه شقيقة [6] . وقد عرف النعمان بالنعمان الأعور كذلك ، كما عرف أيضاً بالسائح [7] .

ويظهر من وصف الأخباريين للنعمان أنه كان رجلاً حازماً قوياً ، محارباً من أشد الناس نكاية في عدوّه . غزا عرب الشام مراراً كثيرة فسبى منهم وغنم . وكان يغزو بكتيبتين كانتا عنده : دوسر وأهلها تنوخ ، والشهباء وأهلها الفرس . يغزو بهما من لا يدين له من العرب [8] . وقد اشتهرت دوسر بشدة ضربتها حتى قيل أبطش من دوسر [9] . وقد نسب بعضهم له خمس كتائب ، هي : « الرهائن » و « الصنائع » و « الأشاهب » والكتيبتان المذكورتان . أما « الرهائن » ، فذكروا أنها كانت تتألف من خمس مئة رجل رهائن لقبائل العرب ، يقيمون على

---

(١) الطبري (٢/ ٧٢) . (٢) المروج (٢/ ٢٣) « طبعة دار الرجاء » .
(٣) اليعقوبي (١/ ١٧٠) . (٤) المروج ، (٢/ ٢٣) . « طبعة دار الرجاء » .
(٥) الطبري (٢/ ٧٢) ، ابن الأثير (١/ ١٧٦) ، ابن خلدون (٢/ ٤٨) ، الأغاني (/ ٣٨) .
(٦) حمزة (ص ٦٨) . (٧) حمزة (ص ٦٨) .
(٨) الطبري ، (٢/ ٧٣) ، حمزة (٦٨) . (٩) الميداني : مجمع الأمثال (١/ ٧٨) .

باب الملك سنة ، ثم يجيء بدلهم خمس مئة أخرى ، وينصرف أولئك الى أحيائهم ، فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في أموره . وأما « الصنائع » ، فهي : « بنو قيس » وبنو « تيم اللات ابن ثعلبة » ، وكانوا خواص الملك لايبرحون بابه . وأما « الوضائع » ، فألف رجل من الفرس يضعهم ملوك الفرس بالحيرة نجدة لملوك العرب ، وكانوا أيضاً يقيمون سنة ، ثم يأتي بدلهم ألف رجل ، وينصرف أولئك [1] .

وقيل : إن وجوه العرب وأصحاب الرهائن كانوا يفدون عند رأس كل سنة ، وذلك في أيام الربيع ، الى النعمان وبقية من تولى الملك بعده ، وقد صيّر لهم أكلاً عنده ، وهم ذوو الآكال ، فيقيمون شهراً ، ويأخذون آكالهم ، ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى أحيائهم . والآكال هم سادة الأحياء . وكانوا يأخذون المرباع ، أي ربع الغنيمة في الحرب والغزو [2] .

ونعت بعض المؤرخين مثل الطبري وحمزة النعمان بأنه « فارس حليمة » [3] أي معركة حليمة المعروفة التي وقعت في أيام المنذر بن ماء السماء ، لافي أيام النعمان على روايات آخرين [4] .

والى النعمان هذا ينسب أكثر الأخباريين بناء قصر الخورنق الشهير في الأدب العربي . قيل : إنه بناه لبهرام جور بن يزدجرد الأول (٣٩٩ ـ ٤٢٠ م) ملك الفرس . وكان يزدجرد لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسقام ، فدل على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرامجور الى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مسكناً له ، وأنزله إياه ، وأمره باخراجه الى بوادي العرب [5] .

وقد ارتبط اسم الخورنق في القصص الذي شاع حوله باسم بانيه المسمى سنّمار ، وهو في زعم الأخباريين بنّاء رومي كلفه النعمان بناء القصر ، فلما انتهى منه وكمل ، تعجب من حسنه واتقان عمله ، وبدلاً من أن يوفّيه النعمان وفاءً حسناً ، أمر به فطرح من رأس الخورنق ، فمات

---

(١) بلوغ الأرب (٢/١٧٦) . (٢) بلوغ الأرب (٢/١٧٦) .
(٣) الطبري (٢/٧٢) ، حمزة (ص ٦٨) .
(٤) البلدان مادة حليمة . الميداني (١/٣٣١) ، (٢/١٥٠) .
(٥) الطبري (٢/٧٣) ، الأغاني (٢/١٤٤) « طبعة دار الكتب المصرية » .

في قصص يرويه الأخباريون . ويضرب بهذه النهاية المثل في الأدب العربي في الجزاء السيء ، فيقال « جزاه جزاء سنمار » [1] .

وقد وردت قصة سنمار في أبيات تنسب لعبد العزّي بن امرىء القيس الكلبي ، وكان أهدى أفراساً الى الحارث بن مارية الغساني ووفد عليه ، فأعزه وأكرمه ، ثم عاقبه لما بلغه خبر وفاة ولد للحارث كان قد استرضعه لدى بني الحميم بن عوف من بني عبد ودّ من كلب ، نهشته حيّة فتوفي ، فظن الملك أنهم اغتالوه ، لذلك طلب من عبد العزّي أن يجيء بهم اليه . فلما أبى ، أنزل به العقاب . وقد ورد في هذه الأبيات أن سنماراً صرف عشرين حجة في بنائه البنيان بالقراميد والسكب ، فلما كمل البناء وآض كمثل الطود ، وظن سنّمار أنه سينال من صاحبه المودة والقرب ، إذ بصاحب القصر يأمر بقذفه من فوق برجه فيموت [2] . ولم يذكر الشاعر اسم الملك ولا اسم الخورنق ، وهو يخاطب في هذه الأبيات ابن جفنة ، كما أشير الى « المرء حارث » ويقصد به الحارث الغسّاني [3] .

واقترن اسم هذا القصر في الغالب باسم قصر آخر نسب بناؤه أيضاً الى هذا النعمان ، هو السدير [4] .

وقد نشأ لقب « السائح » الذي لقب به النعمان من القصة الشهيرة التي يرويها الأخباريون عن هذا الملك ، وهي أن النعمان جلس في يوم من أيّام الربيع في قصره الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار ... فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار ، فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فبم ينال ذلك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده . فترك ملكه من ليلته ، ولبس المسوح مستخفياً هارباً لايعلم به ، وأصبح الناس لايعلمون بحاله ، فحضروا بابه ، فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل . فلما أبطأ الإذن

---

(١) الطبري (٢/٧٢ وما بعدها) . (٢) الطبري (٢/٧٣) .
(٣) الطبري (٢/٧٣) .
(٤) البلدان : « السدير » ، حمزة (ص ٦٨) .

عليهم ، سألوا عنه ، فلم يجدوه . وساح الملك منذ ذلك الحين في الأرض ، فلم يره انسان [1] .

ويلحق الأخباريون بهذه القصة أبياتاً ينسبونها لعدي بن زيد العبادي . ذكروا أنه خاطب بها النعمان بن المنذر ، وهي في الواقع اختصار للقصة ، لم يذكر فيها اسم النعمان ، وانما اكتفى الشاعر بذكر رب الخورنق [2] ، ورب الخورنق هو النعمان في تفسير الأخباريين .

وقد ورد في بعض الروايات تنصُّر النعمان [3] ، ونسب تنصره الى سلطان القديس « سمعان العمودي » ، « Symeon Stylites » عليه ، وكان يقوم بالتبشير بين أهل الحيرة [4] . وذكر أنه شفاه ببركته من مرض كان به ، فتنصر [5] . وهي رواية في حاجة الى دليل . فلم يثبت أن آل لخم كانوا قد تنصروا في هذا العهد . وليس في كلام الأخباريين ما يتخذ حجة في هذا الباب . وقد رأيت وسترى أمثلة عديدة من عدم صحة كثير مما رووه من أخبار الجاهليين .

وقد ذكر الطبري أن تبع بن حسّان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن ، تبع حمير أرسل حينما ولي الملك ابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم الى بلاد معد والحيرة وما والاها ، فسار الى النعمان بن امرىء القيس ابن الشقيقة ، فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من أهل بيته ، وهزم أصحابه ، وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر ، وأمه ماء السماء امرأة من النمر . فذهب ملك آل النعمان ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون [6] .

وقد استدرك الطبري على هذه الرواية ، فذكر بعدها مباشرة هذه الجملة ، قال : « وقال هشام ملك بعد النعمان ابنه المنذر بن النعمان ، وأمه هرّ ابنة زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغساني أربعاً

(١) الطبري (٢/٧٣ وما بعدها) ، حمزة (ص ٦٨) .

(٢) وتفكر رب الخورنق اذ أشرف يوماً وللهدى تبصير
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه ، فقال : وما غبطة حي الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والإمة وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

الطبري (٢/٧٤) « وتدبر رب الخورنق » ، حمزة (ص ٦٩) .

(٣) ابن خلدون (٢/٢٧١) . (٤) شيخو : النصرانية (٨٢) .

(٥) السمعاني ١/٢٤٧ ، الحيرة ١٥١ . Causin, 2.54 (٦) الطبري (٢/٨٦) .

وأربعين سنة[1] . وذلك يدل على أن هذه رواية أخرى منسوبة الى ابن الكلبي أيضاً ، ولكنه أخذها من مورد آخر غير المورد الذي نقل منه الرواية السابقة ، وهي منسوبة أيضاً الى ابن الكلبي استهلها الطبري بقوله : « حدثت عن هشام بن محمد[2] » . وهو « ابن الكلبي » .

وحديث الطبري عن قتل الحارث بن عمرو الكندي للنعمان بن امرىء القيس ابن الشقيقة ، يناقض ما رواه نفسه وما رواه غيره عن تنسك النعمان وعن اعتزاله الملك وسياحته فى الأرض وعن اللقب الذي منحه الأخباريون اياه وهو « السائح » . لقد زعموا أنه تنسك وزهد في التاج حينما فكر فى العالم وزواله وفى الدنيا الفانية ومصير هذا الانسان ، لذلك خرج من قصره وهو ملك متوج ، دون أن يعرف به انسان ، وساح فى البلاد وهو فرد ناسك زاهد على طريقة النساك والسائحين الزاهدين النافرين من العالم . فتولى لذلك ابنه المنذر التاج من بعده ، فكيف تستقيم هذه الرواية مع رواية لقاء الحارث الكندي النعمان وقتله له ؟ هذا تناقض بالطبع صريح .

وعاد الطبري فتكلم على هذا الموضوع في أثناء حديثه عن الأحداث التي وقعت بين العرب فى أيام قباذ ، فقال : « وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : لما لقي الحارث بن عمرو بن حجر بن عدي الكندي النعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن الشقيقة ، فقتله ، وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك ، بعث قباذ بن فيروز ملك فارس الى الحارث بن عمرو الكندي : أنه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واني أحب أن ألقاك . وكان قباذ زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء[3] . فجعل الطبري والد النعمان فى هذه الرواية المنذر بن امرىء القيس مع أن والد النعمان المقصود هو امرىء القيس ، وجعل القتل في عهد قباذ مع أن الطبري سبق أن جعل ملك النعمان بن امرىء القيس تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر ، وذكر استناداً الى رواية ابن الكلبي أنه عاصر يزدجرد وبهرام جور بن يزدجرد[4] . فلم يشر الى معاصرة النعمان لقباذ الذي جاء ملكه بعد بهرام جور بعدة ملوك .

---

(١) الطبري (٢/٨٦) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الطبري (٢/٨٩) .
(٤) الطبري (٢/٧٤) .

وصار عرش الحيرة بعد النعمان الى ابنه المنذر . وكانت أم المنذر من غسان . وهي هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمرو الغساني [1] . أما المسعودي فذكر أنها : هند بنت الهيجانة من آل بكر [2] .

ذكر الطبري أن يزدجرد لما ولد بهرام جور ، اختار لحضانته العرب ، فدعا المنذر بن النعمان واستحضنه بهرامَ ، فسار به المنذر ، واختار لرضاعته ثلاثة نسوة ذوات أجسام صحيحة وأذهان ذكية وآداب حسنة ، من بنات الأشراف ، وهنّ عربيّتان وعجمية ، فأرضعْنه ثلاث سنين ، فلما بلغ خمس سنين ، أحضر له مؤدبين ، فعلموه الكتابة والرمي والفقه . وأحضر له حكيماً من حكماء الفرس . ثم أحضر له معلمي الفروسية ، فتعلم الرماية والصيد وركوب الخيل حتى صار من أمهر الناس . وظل هذا شأنه لدى المنذر حتى مات يزدجرد . ففرح الناس بوفاته ، وقرر الأشراف والموبذان والمرازبة صرف الملك عن أسرة يزدجرد ، لسوء سيرته في الناس ، ونصبوا شخصاً آخر مكانه . فلما رأى بهرام ذلك ، طلب مساعدة المنذر ، فأرسل المنذر قوة بقيادة ابنه النعمان ، وسار هو على رأس قوة أخرى قوامها ثلاثون الفاً من فرسان العرب ، ومعه بهرام ، وبعد مفاوضات وافق الفرس على خلع من نصبوه كسرى عليهم ، وتعيين بهرام ، وبفضل هذه المساعدة استعاد التاج [3] .

وتناقض هذه الرواية كما نرى الرواية السابقة التي دونها الطبري نفسه في تعليل سبب بناء الخورنق ، وتحدثت عنها آنفاً . وقد فطن ابن الأثير الذي نقل الروايتين أيضاً لهذا التناقض ، فقال : « هكذا ذكر أبو جعفر ، في اسم بهرام جور ، أن أباه أسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم ، وذكر عند يزدجرد الأثيم أنه سلم ابنه بهرام الى النعمان بن امرىء القيس . ولا شك أن بعض العلماء قال هذا ، وبعضهم قال ذلك ، إلاّ انه لم ينسب كل قول الى قائله [4] » . وأبو جعفر هذا هو الطبري .

---

(١) حمزة (ص ٦٩) ، الطبري (٨٦/٢) . (٢) المروج (٢٣/٢) « طبعة دار الرجاء » .

(٣) الطبري (٧٤/٢ وما بعدها) الدينوري ، الأخبار الطوال (ص ٥٧ وما بعدها) ، تحقيق فلاديمير جرجاس « طبعة ليدن » . Noldeke, Aufsatze, S. 104.

(٤) ابن الأثير (١٦٢/١) .

ولا نعلم شيئاً من أمر النعمان بن المنذر الذي تولى قيادة القوة التي أمر والده بارسالها للتحرش بمملكة الفرس ، بعد أن رفضوا نصب بهرام جور ملكاً عليهم على نحو ما رأينا في رواية الطبري الثانية . فقد سكت الطبري عنه كما سكت الآخرون .

ونجد رواية نشأة بهرام جور بأرض العرب في رواية لليعقوبي مختصرة ، هي في الواقع جمع للروايتين السابقتين . ذكر اليعقوبي أن يزدجرد دفع بابنه بهرام جور الى النعمان ، فأرضعته نساء العرب ، ونشأ على أخلاق جميلة . ولما مات يزدجرد ، كرهت الفرس أن تولي إبناً له لسوء سيرته ، وقالوا : « بهرام ابنه قد نشأ بأرض العرب لا علم له بالملك » ، وأجمعوا على أن يملكوا رجلاً غيره ، فسار بهرام في العرب ، فلما لقي الفرس ، هابته ، فأذعنوا له وأعطوه الطاعة ، ووعدهم من نفسه خيراً . وكتب الى الآفاق يعدهم بذلك . وقدم المنذر بن النعمان عليه ، فرفع منزلته[1] . فلم تنكر هذه الرواية رواية من زعم أن يزدجرد سلم ابنه الى النعمان ، ولم تنكر صلة المنذر ببهرام جور . ولكنها كما نرى لم تشر الى اسم من قاد الجيش من العرب وسار على الفرس .

ولا يمنع على كل حال قول الأخباريين في بناء الخورنق لبهرام من كون المنذر هو الذي ساعد بهراماً على أخذ التاج . لقد سلمه والده صغيراً الى النعمان ، فلما كبر وترعرع ، ومات والده ، وهو بين عرب الحيرة ، وامتنع الفرس من توليه التاج ، ساعده المنذر في ذلك ، وأخذ له حقه ممن اغتصبه منه .

ويظهر من أخبار الأخباريين انه كانت للمنذر منزلة رفيعة عند الفرس . ذكر الطبري أن يزدجرد أكرم المنذر ، « وملكه على العرب وحباه مرتبتين سنيتين تدعى إحداهما : رام أبروذ يزدجرد ، وتأويله زاد سرور يزدجرد ، والأخرى تدعى مهشت ، وتأويلها أعظم الخول ، وأمر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك في منزلته »[2] . وذكر غيره أنه فوض المنذر « جميع أرض العرب »[3] .

---

(١) اليعقوبي (١/١٣٢) .

(٢) الطبري (٢/٧٤) .

(٣) Rothstein, S. 69.

واشترك المنذر في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس بعد مدة قصيرة من تولي بهرام جور الملك ، واختار بلاد الشام ساحة لهجومه . والظاهر أن مساهمته في هـذه الحرب كانت بطلب من بهرام الذي لم يكن موقفه حسناً فيها ، وللتخفيف من شدة ضغط الروم عليه . غير أن التوفيق لم يحالف المنذر في مسعاه ، فمني بخسارة كبيرة فى أثناء محاولة جيشه عبور الفرات ، فغرق أكثرهم فى النهر . وكان ذلك فى سنة ٤٢١ م . ولحقت به خسارة أخرى في السنة نفسها ، أو فى السنة التي تلتها حينما أعاد الـكرة على الروم[١] . وقد أشار المؤرخ « سقراط Socrates » المتوفى حوالي سنة ٤٣٩ م الى غرق زُهاء مئة الف رجل من رجال المنذر فى النهر[٢] ، وهو عدد مبالغ فيه ولا شك .

وتولى بعد المنذر ابنه الأسود من زوجته هرّ ابنة النعمان من بني الهيجمانة ابنة عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان على رواية الطبري[٣] ، ومن لخم على حد قول حمزة[٤] .

ولا نعرف من أخبار الاسود شيئاً كثيراً . وقد ذكر حمزة أنه حكم عشرين عاماً ، وذلك في زمن فيروز بن يزدجرد وبلاش بن فيروز وقباذ بن فيروز[٥] . وروى أنه حارب الغساسنة وانتصر عليهم ، وأسر منهم ، كما روى أنه وقع فى إحدى معاركه فى أيدي الغساسنة ، فقتلته[٦] . وذكر ابن الكلبي في رواية دوّنها الطبري أن الفرس أسرته[٧] ، ولم يذكر سبب هذا الأسر .

وورد في رواية أنه كان للأسود بن المنذر ولد اسمه شرحبيل ، قتل غيلة ، قتله الحارث بن ظالم ، وكان طفلاً مسترضعاً عند سنان بن أبي حارثة المريّ . وهي رواية ضعيفة وردت فى أثناء الـكلام على ارسـال النعمان بن امرىء القيس الطلب في أثر الحارث بن ظالم لقتله ، وفي أثناء الحديث عن يوم الرحرحان[٨] .

---

(١) Rothstein, S. 69. Socrates. VII. 18, Bar hebraeus, Chron. Syriac. 75. Noldeke, Sas., 86. annm. I, Caussin. Essai, II. 63.

(٢) Socrates, VII. I8, Paulys - Wissowa. Erster Halbband, S. 128I.

(٣) الطبري (٢/٨٦) .   (٤) حمزة (ص ٦٩) .

(٥) حمزة (ص ٦٩) .   (٦) الحيرة (ص ١٥٦ وما بعدها) .

(٧) الطبري (٢/٨٦) .   (٨) ابن الأثير ، الـكامل (١/٢٩٠ وما بعدها) .

وروايات الأخباريين عن يوم الرحرحان مضطربة يتداخل فيها اسم النعمان بن امرىء القيس مع اسم النعمان بن المنذر واسم الأسود بن المنذر. كان النعمان بن امرىء القيس على رواية قد تزوج بنتاً من بنات زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، وهو من السادة الأشراف، فأرسل النعمان ذات يوم الى زهير يستزيره بعض أولاده، فأرسل ابنه شاساً وكان اصغر ولده، فأكرمه وحباه، ورجع بهدايا وألطاف كثيرة. فلما بلغ ماء من مياه غنيّ بن أعصر طمع به رباح بن الأشل، فقتله، واستلب ما كان معه. فلما سمع زهير بمقتل ولده جاء ديار غنيّ، وأخذ يغير عليها، حتى قتل منها مقتلة عظيمة، فاستجارت غنيّ بحلفائهم بني عامر بن صعصعة، فأنجدوها. وتوسعت الحرب. فاشتركت بها هوازن وكانت تحقد على زهير لأنه كان يسومها خسفاً ويجبيها الإتاوة كل سنة بعكاظ، وترأس خالد بن جعفر بن كلاب غنيّاً وبني عامر وهوازن، فقتل زهيراً، وعاد ابناؤه بجسده ليواروه التراب. وذهب خالد بعد مصرع زهير الى النعمان مستجيراً به حين علم أن غطفان ستطلبه به. فأجاره وضرب له قبة وحماه. وبينما كان في مجلس النعمان، انزعج الحارث بن ظالم المريّ من كلام وجهه اليه خالد، وكان قد نزل أيضاً ضيفاً على النعمان، فاغتاله وهرب. فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره، وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد. فلحق ببني دارم من تميم واستجار بهم، فأجاروه على النعمان. فلما علم النعمان ذلك، جهز جيشاً الى بني دارم، فلما سمعوا بمجيء الجيش عليهم، استعدوا له، وأرسلوا أموالهم الى بلاد بغيض واستعدوا مع بني مالك بن حنظلة وبني عامر للقتال. فلما التقوا بجيش النعمان، قتل رئيس جيش النعمان وانهزم الجيش. وقيل إن الحارث بن ظالم ركب الى الحيرة متخفياً واستاق ابلا له كان قد استولى عليها النعمان، وقتل أحد ابنائه وفرّ[1].

هذه رواية، وهناك رواية أخرى يذكرها الأخباريون بعد الرواية السابقة جعلت الولد القتيل شرحبيل بن الأسود، وجعلت الحارث بن ظالم يسير متخفياً الى الحيرة ليفتك بالأسود. ولكنه يسمع صراخ امرأة أخذ الأسود صرمة من أبلها، فتوجع لها، ووعدها على ارجاع

---

(١) الكامل: (١/٢٢٩ وما بعدها).

ابلها ، فطلب منها أن تذهب الى موضع عينته لها ، ليأتي لها بإبلها . فلما وردت ابل النعمان ، أخذ مالها ، فسلمه اليها ، ثم فرّ يطلب له مجيراً ، فلم يجره أحد قائلين له : من يجيرك على هوازن والنعمان ؟ ويختفي اسم المنذر فجأة في هذه الرواية ، ويظهر اسم الملك النعمان كما في الرواية السابقة ، ولكن من غير تصريح باسم والد النعمان ، وهو امرىء القيس[1] .

ثم تستمر الرواية فتأخذ بالحارث إلى الشام ، ليستجير بيزيد بن عمرو الغساني من النعمان وهوازن ، فيجيره ويكرمه ، ولكنه يذبح ناقة ليزيد ، ثم يقتل امرأة أرسلها يزيد للتحرى في بيت الحارث ، ثم يقتل الكاهن الذى تكهن بعقر الحارث للناقة وبقتله للمرأة . فلم يبق أمام يزيد إلا قتل الحارث ، فأمر به فقتل[2] . وعلى هذه الصورة انتهت حياة رجل هو في نظر الأخباريين بطل من أبطال المغامرات والمفاجآت .

وهناك رواية تجعل النعمان المذكور في الرواية النعمان بن المنذر ، وتجعل الولد القتيل ابناً لهذا النعمان[3] . كما ان هناك رواية أخرى تجعل ملك الحيرة هو الأسود بن المنذر شقيق النعمان بن المنذر وتجعل الولد القتيل هو شرحبيل[4] . ومن الروايات من تجعل قاتل الحارث ملكاً من ملوك غسان تسميه النعمان[5] . ومنها ، وهي رواية من روايات أهل الكوفة ، من تجعل قاتل الحارث هو الملك النعمان بن المنذر ، وتذكر قصة في كيفية استدراج النعمان للحارث ومراسلته له مصرحاً له بأنه قد رضي عنه وعفى عما بدر منه حتى أمن الحارث ، فلما جاء الى النعمان وكان في « قصر بني مقاتل » أمر به فقتل . قتله ابن الخمس التغلبي ، وكان الحارث قد قتل أباه[6] .

ويلاحظ أن الروايات التي جعلت قتل الحارث بأمر يزيد بن عمرو الغساني أو النعمان الغساني ذكرت أيضاً أن الذى تولى قتل الحارث هو ابن الخمس التغلبي وقد دعاه بعضهم مالك بن الخمس

---

(١) الكامل (١/٢٣٣ وما بعدها) . (٢) الكامل (١/٢٣٤) .
(٣) الأغاني (١٠/١٦ وما بعدها) . (٤) العقد الفريد (٦/٧ وما بعدها) ، الأغاني (١١/٨٢ وما بعدها) ، « طبعة دار الكتب المصرية » ، ديوان الأعشى (ص ١) « طبعة Geyer » ، « ص ٢ » طبعة الدكتور م . محمد حسين » .
(٥) الأغاني (١٠/٢٧) . (٦) الأغاني (١٠/٢٨) .

التغلبي ، ويقصدون بالخمس التغلبي الكاهن الذى زعموا أنه تكهن بعقر الحارث لناقة الملك وقتله للمرأة التي أرسلها الملك للتجسس عليه حينما أنكر عقره للناقة . ويدل اختلاف أصحاب هذه الروايات وهم : ابن الكلبي وأبو عبيدة ، وتمثل رواياتهما روايات أهل الكوفة ، وروايات أهل البصرة [1] فى هذه الأمور وأمثالها على أنهم لم يكونوا على علم بالحادث ، وأن الأمر قد أشتبه عليهم ، فلم يعرفوا اسم الملك هل كان هو النعمان أو الأسود ، ثم أوقعهم اسم النعمان في حيرة أخرى فلم يدروا من كان ذلك النعمان أهو النعمان بن امريء القيس أم هو النعمان بن المنذر ؟ كما تحيروا في اسم الملك الذي كان بأمره قتل الحارث أهو ملك من غسان اسمه يزيد أو « النعمان » أو هو ملك من ملوك الحيرة هو النعمان الذي اضطربوا في تشخيصه أيضاً كما ذكرت ؟ ولم يذكر الأخباريون فى أثناء كلامهم عن آل غسان اسم ملك من ملوكهم اسمه يزيد بن عمرو . ويرى نولدكه أن قتل الحارث إنما كان بأيدي اللخميين إذ كان القاتل تغلبيا ، وتغلب أقرب الى آل جفنة منهم الى آل غسان [2] .

وفي جملة ما ذكره الأخباريون من قصص الحارث أن عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ لما سمع بقتل الحارث لخالد بن جعفر سخر من فعل الحارث ومن تفاخره وتباهيه بقتل رجل لم يكن يقظا . فلما سمع الحارث بذلك ، صمم على قتل ابن الإطنابة ، فذهب اليه واستدرجه حتى خرج معه ، وهو لا يعرفه . فلما ابتعدا عن الناس ، عرفه بنفسه وأراد الفتك به ، فلم ينج ابن الإطنابة من القتل إلا برميه سلاحه ورفضه مقاتلته ، فانصرف الحارث عنه ، وأبت مروءته عليه قتله . ويذكرون أن ابن الإطنابة هذا كان ملك الحجاز في هذا الوقت ، وكان صاحب تاج [3] .

وذكر أيضاً أن الأسود غزا بني ذبيان وبني أسد بشط أريك وأوقع فيهم ، وأنه وجد نعل ابنه شرحبيل القتيل فى بني محارب بن حفصة بن قيس عيلان ، فانتقم منهم شر انتقام ،

---

(١) الأغاني (١٠/٢٨) . (٢) أمراء غسان : « ص ٤٨ » الترجمة العربية .

(٣) الأغاني (١٠/٢٨ وما بعدها) .

وأنه قبل من الحارث بن سفيان دفع دية شرحبيل ، فدفعها اليه ، وهي ألف بعير « دية الملوك » [1] .

وحكم بعد الأسود أخوه المنذر بن المنذر ، وأمه هرّ ابنة النعمان . حكم على رواية ابن الكلبي سبع سنين [2] ، وذلك في زمان قباذ بن فيروز [3] .

وبعد المنذر انتقل الملك الى ابن أخيه النعمان بن الأسود ، وأمه هي أم الملك بنت عمرو بن حجر أخت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي . إذن فهي أميرة من أمراء كندة . وقد حكم هذا الملك على رواية ابن الكلبي أربع سنين [4] .

يظهر من رواية « ثيوفانس Theophanes » أن النعمان أغار على حدود الروم وعلى العرب المحالفين لهم ، فاصطدم بالقائد « أويجينيوس Eugenius » عند موضع « بثرابسوس » « Bithrapsos » « البئر » على الفرات ، ولكنه أصيب بخسارة فادحة . ولا نعرف على وجه التحقيق سنة وقوع هذا الحادث ، والمظنون أنه كان حوالي سنة ٤٩٨ م [5] .

واشترك النعمان أيضاً في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس حوالي سنة ٥٠٢ م إذ رجا منه قباذ أن يهاجم حدود الروم من جهة الجنوب ، فهاجمها في قطاع « حرّان Carrhae » [6] واصطدم بالقائدين : « أوليمبيوس Olympius » و « أويجينيوس Eugenius » فتغلبا عليه ، غير أنه أعاد الكرة فتغلب عليهما . وفى المعركة التي وقعت على مقربة من « قرقيسياء Circesium » على الخابور أصيب بجرح بليغ في رأسه فقضى عليه [7] .

وفى أثناء غياب النعمان ومعظم جنوده عن الحيرة ، انتهز العرب الذين في بلاد الروم الملقبون

---

(١) الأغاني (١٠/٢٢ وما بعدها) .

(٢) الطبري (٢/٩٤) . (٣) حمزة (ص ٦٩) .

(٤) الطبري (٢/٩٤) ، حمزة (ص ٦٩) .

(٥) Rothstein . S. 74 . Theophanes . 217 . Huart . I . S. 66

(٦) Josua Stylites . SS 51 . Rothstein . s. 74.

(٧) Josua Stylites . SS 57 . Rothstein . s. 74 .

بني ثعلبة « طايوس دييث روموين دمثقرين دييث ثعلبة (١) » هـذه الفرصة ، فأغاروا على عاصمته ، وأخذوا كل ما أمكنهم أخذه ، فاضطر من كان قد تخلف فى الحيرة من جيش النعمان الى الفرار الى البادية (٢) . ويخيّل اليّ أن ذلك كان على أثر إصابة الملك بجرحه المميت .

لقد أثارت وفاة النعمان بهذه الصورة مشكلة خطيرة جداً لقباذ وهو في حرب مع الروم ولا شك . وقد حلت المشكلة بولاية رجل من لخم الملك بعد النعمان ، واسم هذا الرجل «أبو يعفر ابن علقمة بن مالك بن عدىّ بن الذميل بن ثور بن أسس بن ربىّ بن نمارة بن لخم » (٣) ، فهو من ذميل ، وذميل بطن من لخم (٤) .

أما كيف جيء بأبي يعفر ملكا ؟ وكيف اختير لهذا المنصب الخطير ، ولم لم يعين أحد أبناء النعمان أو أحد ذوى قرابته من البيت المالك ؟ فأسئلة لا نعرف أجوبتها معرفة صحيحة ، لسكوت الأخباريين والمؤرخين السريان عن ذلك . فقد يكون الاختيار لقدرة هذا الرجل وشجاعته ، أو لضعف أبناء الملك المتوفى وأعضاء الأسرة المالكة ، فكان أبو يعفر أبرز من كان في أهل الحيرة فى تلك اللحظة من رجال ، وقد يكون ذلك لصلته بقباذ وخضوعه له ، وقد يكون غير ذلك . ومهما يكن من شيء فان هذا الرجل لم يبق في الحكم طويلاً ، فقد حكم ثلاث سنين ثم انتقل الملك بكيفية لا نعرفها وصورة نجهلها الى رجل من البيت المالك ، هو المنذر بن امرىء القيس البدء في رواية للطبرى عن هشام (٥) .

أما حمزة الأصبهاني ، فجعل بعد أبي يعفر ابناً للنعمان الأعور سماه امرأ القيس بن النعمان بن امرىء القيس . قال : إنه هو الذى غزا بكراً يوم « أوارة » فى دارها ، وكانوا أنصار بني آكل المرار ، وهزمهم . وكانت بكر قبله تقيم أود ملوك الحيرة وتعضدهم . ونسب اليه بناء حصن « الصنبر » زاعماً أن الذى بناه له هو البنّاء الرومي الشهير سِنِمّار ، وأنه هو الذى قتل ذلك البناء . وجعل

---

(١) Rothstein, S. 74.

(٢) Rothstein, S. 74.

(٣) الطبري (٢/٩٤) .

(٤) حمزة (ص ٦٩) .

(٥) الطبري (٢/٩٤) .

مدة حكمه سبع سنين [1] .

يعرف المنذر هذا عند أكثر الأخباريين بالمنذر بن امرىء القيس بن النعمان وبذى القرنين وبالمنذر بن ماء السماء وبابن ماء السماء . وماء السماء هي أمه على زعمهم ، وهي : مارية ابنة عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط في رواية ابن الكلبي التي دونها الطبرى [2] . وذكر حمزة نسب ماء السماء كما ذكره الطبرى ، غير أنه جعل الاسم ماوية بدلاً من مارية [3] ، ولا أراه الا خطأ من النساخ فى كتابة الاسم أدى الى هاتين الصورتين .

وأما سبب تلقيبه بذى القرنين ، فيقال انه لقب بذلك لضفيرتين كانتا له من شعره ، فعرف بهما لذلك [4] .

وتلقيب ابن الكلبي امرأ القيس والد المنذر بالبدء هو خطأ ولا شك ، إذ لا يعقل أن يكون هذا المنذر ابناً لامريء القيس البدء المتوفى سنة ٣٢٨ م .

ويلاحظ أن الأخباريين لقبوا امرأ القيس الآخر الذي حكم بعد أوس بن قلام بالبدء كذلك ، مع أنه مسبوق على حدّ قولهم بتلك آخر اسمه هذا الاسم . فلا يجوز تلقيب صاحبنا هـذا اذن بالبدء . ولا يجوز بالطبع تلقيب امريء القيس الآخر الذي زعم أنه والد المنذر بالبدء أيضاً ، لأنه ثالث المراقسة فى ترتيب أسماء الملوك بحسب رواية الأخباريين .

ولا نعلم شيئاً يذكر من أمر امريء القيس والد المنذر ، فهم لم يشيروا اشارة صريحة الى أنه كان ملكاً . فهـل هو امرؤ القيس بن النعمان الذى جعله حمزة ملـكاً بعد أبي يعفر ؟ لايستبعد أن يكون هو إن صحت رواية حمزة .

ويلاحظ أن المؤرخين البيزنطيين واللاطين قد أطلقوا على المنذر « Alamoundaros O Sacicus » و « O Sacicys » و « O Secicis » و « Alamundarus Sicices » وغير ذلك [5] ممـا يفهم منه أنهم قصدوا بـ « Sacicus » و « Secicis » وأمثال ذلك كلمة

---

(١) حمزة (ص ٧٠) . (٢) الطبري (٢/ ٩٤) . (٣) حمزة (ص ٧٠) .

(٤) الطبري (٢/ ٩٤) . (٥) Rothstein . S. 76.

« شقيقة » الشقيقة العربية ، وأنهم أرادوا المنذر بن الشقيقة ، وهو هذا المنذر الذى نتحدث عنــه في رأى المستشرقين ، لذلك ذهب بعض المستشرقين الى أن أم المنــذر هي « الشقيقة » « شــقيقة » ، وذهب آخرون الى أنهــا لم تـكن أمه ، وانما قيل له ذلك لأنه كان من آل الشــقيقة الشهيرة ، فعرف عند أولئك المؤرخين بابن الشقيقة أو بالمنذر ابن الشقيقة كما دعي الملوك بعد المنذر ببني ماء السماء [1] .

أما الأخباريون ، فقد جعلوا شقيقة أماً للنعمان الأعور كما رأيت ، ولم يشيروا الى ملك اسمه المنذر وأسم أمه شقيقة ، فأيها المصيب ؟ الأخباريون أم المؤرخون اليونان واللاطين والسريان ؟ وهل نحن أمام ملك آخر اسمه المنذر بن الشقيقة حكم في أوائل القرن السادس للميلاد ؟

وذكر الأخباريون أن المنذر كان قد تزوج هنداً بنت آكل المرار ، فولدت له أولاداً منهم عمرو بن هند الذي ولي الملك بعده ، وقابوس ، ثم تزوج أختها أمامة فولدت له ولداً اسمه عمرو وهو المقتول بوادي القضيب[2] .

كان قباذ قد عقد صلحاً في عام ٥٠٦ م مع الروم بعد الحرب التي استمرت من سنة ٥٠٢ حتى سنة ٥٠٦ م ، غير أن هذا الصلح لم يدم طويلاً . فنى سنة ٥١٨ م تجدد الخلاف بين الفرس والروم ، وذلك على أثر مطالبة قباذ القيصرَ « يوسطينوس Justinus » الأول بدفع الإتاوة التي اتفق فى صلح ٥٠٦ م على دفعها للفرس . وبناء على تباطؤ القيصر فى دفعها حرض قبـاذ المنذر على التحرش بحدود الروم ، وقام المنذر بغزوها فى سنة ٥١٩ م[3] .

لقد تمكن المنذر فى بعض حروبه مع الروم من أسر قائدين ، هما : « ديموستراتوس » « Demostratus ، Timostratus » ، و« يوحنا Johannes ». وأراد القيصر أن يفك أسر هذين القائدين ويعقد صلحاً وحلفاً بين الروم والمنذر ، فأرسل ــ على ما يظهر ــ رسولاً خاصاً الى المنذر هو « ابراهيم Abraham » والد الكاتب المؤرخ « نونوسوس Nonnosus » ، ومعه

---

(١) Rothstein . S. 76. (٢) البلدان (٧/١١٨) . (٣) Rothstein. S. 79.

« شمعون الارشامى Symeon of Beth Arsham »[1] و « سرجيوس Sergios » أسقف الرصافة « بيت رصافة » . وقد وصل الوفد الى المنذر فى السنة السادسة « السنة السابعة »[2] من حكم « يوسطينوس Justinus » الموافقة لسنة ٨٣٥ من التقويم السلوقى ، ولسنة ٥٢٤ للميلاد . وكان المنذر آنئذ في البادية فى موضع اسمه رملة « الرملة » . وقد نجحت مهمته فيما يخص فك أسر القائدين .

و « سرجيوس Sergius » هو مؤلف القسم السرياني الخاص بشهداء العربية الجنوبية ، أي شهداء نجران[3] . وقد دونت فى عهد أسقفيته على « الرصافة » أسماء الشهداء على الجدار الشمالي للكنيسة الكبرى ، كنيسة القديس سرجيوس[4] .

وصادف وصول وفد الروم الى المنذر وصول وفد آخر من اليمن أرسله ذو نواس الملك الشهير المعروف بتعذيبه نصارى نجران الى المنذر ليفاوضه على تعذيب من فى مملكته من النصارى . وقد دوّن شمعون الارشامي قصة التعذيب هـــذه مدعياً أنه نقلها من الكتاب الذي قرىء على الملك ومن أقوال من عرفه الحارث من الحاضرين ، دونها فى صورة كتاب ليقرأ فى الكنائس ويطّلع عليه المؤمنون . وقد نشر هذا الكتاب ، وطبعت ترجمته كذلك[5] .

وللعلماء فى هذه الرسالة وفى مادتها بحوث[6] ، وقد أشرت اليها فى الجزء الأول فى أثناء الكلام على ذي نواس[7] .

---

(١) Ro hstein , S. 80 , Land , Anecd. , III 235.

(٢) K tab Al - unvan , Histoire Universelle Ecrite Par Acapius (Mahbub) de Menbidj . Second Partie II , P. 425. Unvan : وسيكون رمزه

(٣) Musil, Palmyrena , p. 267 , Guidi , La lettra di Simeone vescova di Beth-Arsham , P. 507.

(٤) Musil , Palmyrena , p. 265.

(٥) Land , Anecd. 3,235. Assemani , Bibl. Orient., I , 364.

(٦) Noldeke , Sas., 185 , anm. I , Mordtmann , in ZDMG. , 35 , 693. ff., Rothstein , S. 80 , ذخيرة الأذهان (ص ١٦٥) لويس شيخو : النصرانية وآدابها القسم الأول (ص ٨٩) ، الحيرة (ص١٦٨) .

(٧) (١/١٨٥ وما بعدها) .

وذكر أن القيصر « يوسطينوس Justinus » كتب الى المنذر بن النعمان[١] طالباً منه اخراج من فى أرضه من القائلين بالطبيعة الواحدة . وقد جادلهم في مجلس عقد بحضرة المنذر شيلا الجاثليق . فلما سمع هؤلاء بذلك ، هرب بعضهم الى نجران وأقاموا هناك . وكان من مؤيديهم الحجاج بن قيس الحيري صاحب المنذر .

يظهر أن أمل القيصر فى عقد هدنة أو معاهدة مع المنذر لم يتحقق ، أو أنه تحقق ولكن الى حين . فلما ساءت العلاقات بين الروم والفرس ، ووقعت الحرب سنة ٥٢٨ م بين الجانبين ، هاجم المنذر الروم مؤيداً الفرس ، وكان له أثر خطير فى هذه الحرب . وقد توغل في بلاد الشام ، وغنم منها غنائم كثيرة ، ولكنه لم يبق فيها أمداً طويلاً ، فعاد مع جنوده سريعاً الى قاعدته كعادة سائر الملوك بعد أن اشبع نفسه من غنائم الحرب[٢] .

ونجد المنذر يجدد هجومه على بلاد الشام ، بعد مدة قصيرة من هجومه الأول . لقد هاجمها سنة ٥٢٩ م وتوغل فيها حتى بلغ حدود أنطاكية ، وأحرق عـدداً من المواضع ومنها موضع « خلقيدون Chalcedon » . وقد زعم بعض المؤرخين السريان أنه ضحى بأربع مئة راهبة للعزّي[٣] وهي رواية تحتاج بالطبع الى درس .

وقد أشار ابن العبري الى توغل المنذر « Mundar » فى أرض الروم ، واستيلائه على أرضين واسعة شملت كل منطقة الحدود ومنها أرض الخابور ونصيبين ، حتى بلغ « حمص Emesa » و « ابامیا ، فامية Apamea » و « أنطاكية Antioch » زاعماً أنه قتل عدداً كبيراً من السكان، وخرب أكثر تلك الأرضين ، ذاكراً أنه اختار من بين الأسرى أربع مئة راهبة أخذهن لنفسه ، غير أنه لم يشر الى أنه قدمهن قرباناً الى العـزّي[٤] .

---

(١) Histoire Nestorienne. (Chronique de Seert) Seconde Partie (1), p. 143. f.

(٢) Noldeke. Sasa., 11, anm. 3, Malalas, 11, 166, Rothstein, S. 81.

(٣) Malalas. 11, 166, Noldeke. Ghass. 11, anm. 3, Theophanes, 273, Land, Anecd. Syr., III, 247, Rothstein, S. 81, Paulys - Wissowa, Erster Halbband 1893. S. 1281.

(٤) Bar Hebraeus, 78. Noldeke, Aufsatze, S. 112.

وقد اضطر هذا الغزو القيصر « يوسطنيانوس Justinianus » الذي خلف « يوسطينوس » الى نصب الحارث الجفني « فيلارخا Phylarch » أي عاملاً على عرب بلاد الشام لحماية الحدود من اعتداءات المنذر وعرب العراق[1] .

وقد عوض قباذ الخسارة التي لحقت به عند موضع « دارا » بربح ناله بواسطة المنذر . لقد قام المنذر وأحد القوّاد الفرس بمهاجمة منطقة الفرات « Euphratesia » وهي منطقة « قوماجين » « Commagene » . فلما تصدى لهما القائد « بليزاريوس Belisarius » تراجعا ، ثم التقيا به عند « الرقة Callinikus » فانتصرا عليه . وقد كان ذلك فى السـنة الرابعة من حكم « يوسطنيانوس Justinianus » ، أي فى سنة ٥٣١ م[2] .

وقد اشترك الحارث بن جبلة فى هذه الحرب مع الروم ، وانيطت به حماية الجانب الأيمن فى القتال الذي اضطرم مع الفرس. أما المنذر وجيشه ، فكان يكوّن الجناح الأيسر لجيش الفرس ، أي الجناح المقابل لعرب الروم[3] .

وعلى الرغم من الصلح الذي عقد فى عام ٥٣٢ م بين الفرس والروم ، لم ينقطع النزاع بين الحارث الجفني والمنذر بسبب اختلافهما على الإتاوة التي تجبى من أعراب « Strata » أى المنطقة الواقعة فى جنوب تدمر ، وهي منطقة رعي لا شجر فيها ولا زراعة . وقد زعم بروكوبيوس أن كسرى « Chosroes » ، حرض المنـذر على التحرش بالحارث ، للاخلال بشروط الصلح ، وايجاد سبب لتجديد الحرب[4] ، وأن القيصر يوسطنيانوس « Justinianus » كلف رجلين من ثقاته وهما : « ستراتيجيوس Strategius » ، وهو من أصحاب الخبرة والحنكة فى الشؤون الإدارية ، و « سوموس Summus » وهو ممن قادوا الجيوش فى فلسطين ومن السفراء الذين

---

(١) Rothstein, S. 81.

(٢) Procopius, I, 17, 18, Rothstein, S. 81. Paulys - Wissowa, Erster Halbband, 1893, 1281.

(٣) Musil, Palmyrena, P. 274, Procopius, De bello, I, 17. f.

(٤) Procopius 11, 1, Rothstein, S. 82.

سبق أن كلفوا القيامَ بمهمات سياسية فأرسل رسولاً الى نجاشي الحبشة والى ملك حمير « Homeritae » دراسةَ النزاع وايجاد حل للمشكلة . فأشار سوموس على القيصر بعدم اجابة طلب المنذر وبالاحتفاظ بالأرض ، أما ستراتيجيوس ، فقد رأى أن الموضوع تافه وأن الأرض المتنازع عليها لا تستحق كل هذا الاهتمام . ومضى وقت طويل دون أن يجزم القيصر برأي (١).

وفى هذه الأثناء ادعى كسرى « Chosroes » أن القيصر قد أخل بشروط الصلح باتصاله بالمنذر « Alamoundarus » وبمحاولته التأثير عليه وجره اليه . وبارساله «سوموس» « Summus » الى المنذر مع كتاب خاص من القيصر يمنيه بالوعود وبمبالغ كبيرة من المال اذا انضم الى الروم ، وبأمور أخرى اتخذها حجة لاعلان اخلال الروم بالصلح (٢) . وصار يتهيأ لحرب جديدة حتى تهيأت له الأسباب ، وذلك فى عام ٥٤٠ م (٣)

فبعد مراسلات بين الفرس والروم دون بعضها بروكوبيوس ، وهي مراسلات جيلة ترينا فن الدبلوماسية ومنطق الملوك فى ذلك العهد ، هاجم الفرس الروم . وغزا الحارث أرض الجزيرة للوقوف على قوة الفرس ومقدرتهم (٤) ، وهاجم المنذر بلاد الشام فبلغ فينيقية ، وتوغل فى مناطق واسعة من لبنان (٥) . وتأصل هذا النزاع فى نفسي الملكين العربيين حتى صار عداء أشد قوة وشدةً من العداء الذى كان بين الروم والفرس ، مع أنهما من جنس واحد وليس لهما مصلحة عامة فيه ، وإنما يخدمان به قوتين كل واحدة منهما تريد الخير لنفسها لاغير .

وقد أشار الطبرى الى هذا النزاع الذي وقع بين المنذر والحارث بن جبلة ، فى أثناء كلامه على الحبشة فى اليمن وعلى دخول الفرس اليها ، كما أشار الى الموادعة والهدنة التي عقدت بين كسرى أنوشروان والقيصر ، وقد سماه يخطيانوس أى « Justinianus » ، فقال : « وكان

---

(١) Procopius, II, I. ff., Gibbon, II, P. 607, (The Modern Library ed.).

(٢) Procopius, II, 12—15.

(٣) Procopius, II, V, vol. I, P. 295, (Dewing ed.).

(٤) Procopius, II, XVI, 4-6, II, XIX, 15-20.

(٥) Procopius, II, XIX, 32—46.

فيما ذكر بين كسرى أنوشروان وبين يخطيانوس ملك الروم موادعة وهدنة . فوقع بين رجل من العرب كان ملّكه يخطيانوس على عرب الشأم يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من لخم كان ملّكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب يقال له المنذر بن النعمان نائرة . فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أموالاً من أمواله ، فشكا ذلك المنذر الى كسرى وسأله الكتاب الى ملك الروم في انصافه من خالد ، فكتب كسرى الى يخطيانوس يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة والصلح ويعلمه ما لقي المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على من في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يردّ على المنذر ما غنم من حيّزه وبلاده ويدفع اليه دية من قتل من عربها وينصف المنذر من خالد وأن لا يستخف بما كتب به من ذلك فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه . وواتر الكتب الى يخطيانوس في انصاف المنذر ، فلم يحفل بها . فاستعد كسرى فغزا بلاد يخطيانوس في بضعة وتسعين الف مقاتل فأخذ مدينة دارا ومدينة الرهاء ومدينة منبج ومدينة قنسرين ومدينة حلب ومدينة أنطاكية وكانت أفضل مدينة بالشأم ومدينة فامية ومدينة حمص ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض وسبى أهل مدينة أنطاكية ونقلهم الى أرض السواد » (١) .

ويظهر من سياق هذه الرواية أن الطبري لم يكن على علم واضح بالمنذر بن النعمان ولا بخالد بن جبلة . وقد أخذ روايته هذه من مصدر نقل من ابن اسحاق . والشخص الذي تخاصم المنذر معه هو الحارث بن جبلة بالطبع . وقد وهم المورد الذي نقل الطبري منه فظن أنه خالد بن جبلة . وهو مورد يظهر كما يتبين من سياق الحديث أنه لم يكن يعرف شيئاً عن الموضوع . ولست استبعد — لما عُرِفَ من أخذ ابن اسحاق من أهل الكتاب الذين يسميهم « أهل العلم الأول » — أن يكون قد أخذ خبره هذا من النصارى ممن وقفوا على التواريخ السريانية أو اليونانية ، وهي تواريخ تحدثت عن هذا النزاع ، فنقله نقلاً من غير أن يكون له علم واضح عنه . وقد وقع أبو

---

(١) الطبري (١٢١/٢ وما بعدها) .

حنيفة الدينوري فى هذا الخطأ عينه ، وأخذ من المورد الذي نقل الطبري أو ابن اسحاق منه (١).

وفى أيام المنذر احتل الأحباش اليمن على النحو الذي تحدثت عنه سابقاً ، فتوسع بذلك نفوذ الروم ، لعلاقة الحبشة الحسنة بهم ، ولكونهم مثلهم على النصرانية . وقد كان هذا الاحتلال ضربة أليمة موجعة للفرس . وفى الخطاب المنسوب الى جماعة من نبلاء الفرس ، الذي ألقوه أمام كسرى « Chosroes » ، نجد اشارة الى الحبشة والى عقدهم معاهدة مع الروم ، والى احتلالهم أرض حمير « Homeritae » ، والى أخذهم أرض النخيل التى مكنتهم من بسط نفوذهم على الساحل العربي الشمالي للبحر الأحمر (٢) . لقد كان فرح الفرس عظيماً ولا شك حينما جاء رسول ذي نواس الى الحيرة يحمل رسالة ملكه الى المنذر بمقاومة النصرانية وتعذيب النصارى كما فعل هو بأرضه اليمن . ومن يدري فلعل الرسالة لم تكن خاصة بهذا الغرض ، بل كانت لغرض آخر ، لغرض سياسي هو توسيط المنذر لدى الفرس للحصول على مساعدتهم فى الدفاع عن بلاده التي يهددها الأحباش بالغزو . وهل بلغ التعصب أو الحق بذي نواس هذا الحدّ من الشدة حتى يرسل وفداً يقطع تلك المسافات الى ملك ليس عليه نفوذ أوسلطان ليطلب اليه تعذيب نصاراه واضطهادهم ، وهم كما نعلم كثيرو العدد أولو بأس في المملكة شديد ؟ وما الذي سيفيده هذا التعذيب ، اللهم إلا شفاء حقده ؟ وهل يعقل هذا يا ترى ؟ لا ، لا أرى أن ذلك سبب معقول . أما المعقول فى نظري ، فهو انه انما أرسل رسله الى المنذر ليطلب وساطته لدى الفرس ، وليطلب مساعدته أيضاً إن أمكن ، وهو أي المنذر ، من حزب يناصب الروم العداء ، وذو نواس نفسه يكره الروم ويخشى الحبشة خلفاء الروم ، فمن مصلحة الطرفين الاتفاق ، وتقديم المساعدة الممكنة . وبين العراق واليمن صلات دائمية وان باعدت المسافات بين القطرين .

على كل حال ، لسنا نعلم اليوم شيئاً عن نتائج تلك السفارة . لا نعلم أأخفقت أم نجحت . ولو لا قصة التعذيب التي دونها رجال وفد القيصر ، لما عرفنا شيئاً من خبر الوفد نفسه . وأيّاً كان الأمر فقد هزم ذو نواس ، وهزمت حمير ، وتغلب الحبش . واستولوا على العربية السعيدة . واذ

---

(١) الأخبار الطوال (٧٠ وما بعدها) (٢) Procopius. II. III. 40 — 43.

بالفرس يشعرون بعظم النكبة وبفداحة الخسارة . ثم إذ بهم يرسلون وفداً الى اليمن مع وفد آخر يمثل المنذر ، ثم اذ بالوفدين يقابلان في اليمن أربعة وفود . وفد ملك الروم، ووفد الحارث بن جبلة ، ووفد أبي كرب بن جبلة ، ووفد نجاشي الحبشة . وهي وفود كما نعلم تعارض الفرس . لقد وصلت هذه الوفود في سنة ٥٤٢ م بعد أن أتم أبرهة نائب النجاشي على اليمن ، ترميم سد مأرب وفرغ من بنائه . فهل وصلت هذه الوفود التي تمثل جانبين مختلفين جانباً غربياً وجانباً شرقياً لمجرد تهنئة أبرهة ، لانتهائه من هذا العمل الهندسي الرائع ؟ أم أنها وصلت لغاية أخرى بعيدة ، أعني بها غاية سياسية ترمي الى اكتساب هذا الرجل الذي استأثر باليمن ، ونازع ملكه في كل شيء حتى اللقب ، فحمله هو أيضاً ، ولم يعد للنجاشي سلطان عليه !

على كل حال ، لم تنجح رسالة رسول الفرس ولا رسول المنذر ، وبقي أبرهة في صف الروم ، وما المشروع الذي أراد القيام به ، وهو مشروع فتح مكة والاستيلاء على الحجاز ، إلا احد المشروعات السياسية الاقتصادية العالمية الكبرى بالنسبة لذلك الزمن ، الغاية منه القضاء على آخر فاصل يفصل بين الروم وبين حليفهم أبرهة . وبهذا الانصال يتحقق أعظم مشروع حاول أغسطس والاسكندر تحقيقه من قبل . ولو تحقق ذلك ، لكان ضربة قاصمة للفرس ولا شك .

ولكن المشروع لم يتحقق ، وملك الحبشة في اليمن لم يعمر طويلاً ، ولم يعمر ملك الفرس بعده أيضاً إذ قضى عليه الإسلام ، وقصر عمره ، وأبعد السلطان الأجنبي عن اليمن حتى اليوم .

ولم تنقطع المناوشات بين الحارث والمنذر ، بالرغم من الهدنة التي اتفق الفرس والروم على عقدها لمدة خمس سنوات وذلك في سنة ٥٤٥ م (١) . فبعد مدة قصيرة من التوقيع عليها ، عادت نيران الحرب فاستعرت بين الحارث والمنذر من غير أن يتدخل الفرس أو الروم في هذا النزاع . وقد تمكن المنذر من مباغتة أحد أبناء الحارث ، وكان يكلىء خيله في البادية ، فأسره ، وقدمه على ما يقوله بروكوبيوس ضحية الى العزّي « Aphrodite » (٢) . وبعد أن جمع كل واحد منهما

---

(١) Procopius . II. 28 . 9— 11.

(٢) أمراء غسان (ص ١٨) Procopius . II . 28 . 12 - 14

كل ما يملك من قوة ومن حديد ، اشتبكا فى حرب جديدة انتصر فيها الحارث انتصاراً كبيراً ، وقتل عـدداً كبيراً من جنود خصمه . فلما رأى المنـذر ما حلّ به ، فرّ هو ومن بقي حيّاً من أتباعه ، تاركاً اثنين من أبنائه في جملة من وقع في الأسر [١] .

والى المنذر يرجع الأخباريون معركة يوم أوارة الأول ، وهي معركة وقعت بسبب التجاء سلمة بن الحارث الـكندي الى بـكر بن وائل بعد أن أخرجته تغلب عنها ، ودفاعها عنه وتمليكها له عليها . فلما أبت بكر اخراج سلمة عنها ، ولم تلب طلب المنذر بطاعتها له ، سار اليهم على رأس جيش كبير اصطدم بهم عند جبل أوارة ، وأنزل بهم خسائر فادحة ، اذ سقط عدد كبير من القتلى من بـكر بن وائل ، قتلوا كما يقول الأخباريون على قمة جبل أوارة ، وبأسر أحـد أمراء كندة هو يزيد بن شرحبيل الـكندي وقتله [٢] ، وأسر عدد كبير منهم .

وقد تكون غارة قيس بن سلمة بن الحارث الـكندي على الحيرة غارة انتقامية من المنذر لما أنزله بآل كندة من خسائر . ويظهر أن قيساً قد باغت المنذر وفاجأه بغارة خاطفة اضطرته الى الهزيمة والالتجاء الى الخورنق مع ابنيه عمرو وقابوس . وبعد مضي عام على هذه الهزيمة ، انتقم المنذر لنفسـه بغارة أغارها على كندة كلفت الـكنديين اثنى عشر أميراً من بني حجر بن عمرو وقعوا فى أسره في مكان يسمى ذات الشقوق ، ثم أمر بعد ذلك بضرب أعناقهم فى الجفر ، وهو الموضع الذي أطلق عليه لهذه الحادثة اسم جفر الأملاك ، وهو موضع « دير بني مرينا » الذي أشير اليه فى الشعر المنسوب لامرىء القيس [٣] .

وفى رواية تذكر أن الذين قتلوا من بنى حجر آكل المرار في جفر الأملاك هم تسعة ، واستشهدت على ذلك بشعر للحارث بن حلزة جاء فيه :

وفديناهم بتسـعة أملا ك كرام أسلابهم أغلاء [٤]

وأشير في البيت التالي لهذا البيت الى الجون ، وهو جون آل بنى الأوس ، وهو فى شرح

---

(١) Procopius, II, 28, 13-14

(٢) ابن الأثير (١/٢٢٨) شعراء النصرانية (ص ٤ وما بعدها) .

(٣) شعراء النصرانية (ص ٤) .

(٤) الأغاني (١١/٤٨) « طبعة دار الكتب المصرية » .

الرواة ملك من ملوك كندة ، وهو ابن عم قيس بن معد يكرب . قالوا : وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المرار ، ومعه كتيبة خشناء ، فحاربته بكر ، فهزموه ، وأخذوا بني الجون ، فجاؤوا بهم الى المنذر ، فقتلهم[1] .

وفي بعض الروايات أن المنذر توسط لعقد الصلح بين بكر وتغلب واشترط أن أيّ رجل وجد قتيلاً في دار قوم فهم ضامنون لدمه ، وإن وجد بين محلتين قيس ما بينهما ، فينظر أقربهما اليه ، فتضمن ذلك القتيل . وأخذ من الفريقين رهناً بأحداثهم ، فمتى التوى أحد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن[2] .

وختم عام ٥٥٤ م هذا النزاع العنيف الذي أتعب الحارث والمنذر فاستراح الجانبان ، ختم بسقوط المنذر بن النعمان « مونذر بر نعمن » « ملك العرب » صريعاً بيد خصمه الحارث بن جبلة بعيداً عن عاصمة ملكه ، في منطقة قنسرين على روايات المؤرخين السريان ، ففي السنة السابعة والعشرين من حكم القيصر « يوسطنيانوس Justinianus » هاجم المنذر منطقة « Rhomaye » التابعة لحكم الروم ، فنازله الحارث بن جبلة ، وتغلب عليه ، وقتله عند عين « Wdaja » في منطقة قنسرين . وقد سقط في هذه المعركة أحد أبناء الحارث ، فدفنه أبوه في قلعة هذا الموضع[3] .

و « عودايا Wdaja » هو « المذية » على رأي موسل ، وهو من مواضع منطقة « باليرنا » « Palmyrena » ، أي منطقة تدمر ، ومعظم هذه المنطقة هي من أعمال قنسرين[4] .

وقد فهم أوليري من رواية للمؤرخ ثيوفانس أن المنذر كان حيّاً حتى سنة ٥٦٢ م ، وهي السنة التي عقد فيها الصلح بين الروم والفرس ، وفيها توفي[5] .

---

(١) المصدر نفسه . (٢) الأغاني (١١/٤٤) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٣) Bar Hebraeus. 81, Vol. 1, P. 76. (English Translation by Ernest A. Wallis Budge, London, 1932), Michael the Syrian, Chronicle, Vol. 4, PP. 323, Musil, Palmyrena, P. 144, Rothstein, P. 83, . أمراء غسان (ص ١٨)

(٤) Musil, Palmyrena, P. 144. (٥) O'leary, P. 160, Theophanes, 203.

وقد ذكر « هارتمن Hartmann » أن المنذر هذا حارب فى صفوف الرومان فى أيام القيصر « طيباريوس الثاني Tiberius» ، غير أنه خانهم وغدر بهم فى إحدى المعارك التي قادها « موريقيوس Mauricius » فلما صار موريقيوس قيصراً ، قبض عليه ، ونفاه ونفى معه زوجته وبعض ابنائه الى جزيرة صقلية[١] . ولم يقل هذا القول أحد . وإنما قصد المورد الذي استند اليه هارتمن وهو « أيوا كريوس Evagrius »[٢] منذراً آخر غير المنذر الذي نتحدث عنه .

وسبق لأوليري أن ظن هذا الظن ، فذكر أن المنذر حدس أن في الفرس ضعفاً ، وذلك بسبب انقطاع الحروب مدة بين الفرس والروم ، فانضم الى الروم ، وصار حليفاً لهم ، وحارب معهم . فلما تبين لديه الأمر ، عاد الى حلفائه القدامى الفرس . فلما وقع في احدى المعارك أسيراً في أيدي الروم ، نفاه القيصر موريقيوس سنة ٥٨٠ م ونفى معه زوجته وبعض أولاده الى صقلية[٣] . ومصدر وهمها هو اعتمادها على رواية للمؤرخين « أيوا كريوس Evagrius » و « نيقيفوروس كالستوس Nicephorus Callistus » من غير أن يمحصاها . فالمنذر المقصود فى هذه الرواية ليس هذا المنذر ، وإنما هو المنذر بن الحارث بن جبلة الذي نفى بعد أن اتهمه الروم باتصاله من طرف خفي بالفرس ، وأنه كان السبب فى اخفاق الحملة التي قادها موريقيوس يوم كان قائداً ، فلما صار قيصراً ، انتقم منه بالنفى .

أما الذي عليه أكثر الأخباريين ، فهو : أن قتل المنذر كان فى عين أباغ فى المعركة التي عرفت بيوم عين أباغ[٤] . و « عين أباغ » بحسب وصف بعض الأخباريين واد من أودية العراق وراء الأنبار على الفرات بين الكوفة والرقة ، لا يبعد كثيراً عن الحيرة[٥] . وسبب وقوع هذه المعركة على ما يقولونه ، هو أن المنذر بن ماء السماء « ملك العرب » سار من الحيرة

---

(١) Paulys - Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

(٢) Evagrius Scholasticus, V, 20, VI, 2. Paulys - Wissowa, Erster Halbband, 1281

(٣) O'leary. P. 160. Evagrius. Histo. Eccl. 5, 60, 6, 2, Nicephorus Callistus, 18, 10

(٤) حمزة (ص ٧٠) ، ابن الأثير ، الكامل (١/٢٢٢) .

(٥) البلدان (١/٧٣) ، البكري (١/٦٤) ، ابن دريد الاشتقاق (٢٠٩) ، الاغاني (١٩٨/٢٧) ، البلدان (٢٠١/٦) . Noldeke. Ghass.. 18. Rothstein. 2.38.

في معدّ كلها حتى نزل بعين أباغ ، وارسل الى الحارث الأعرج بن جبلة « ملك العرب » بالشأم : إما أن تعطيني الفدية فأنصرف عنك بجنودي ، وإما أن تأذن بحرب . فأرسل اليه الحارث : أنظرنا ننظر في أمرنا . فجمع عساكره ، وسار نحو المنذر ، فلما التقى به في عين أباغ ، اقتتلا ، فقتل المنذر ، وقتل فيها ابنان للحارث . فسار الحارث بولديه القتيلين الى الحيرة ، فأنهبها وأحرقها ودفن ابنيه بها ، ثم عاد (١) .

ويظهر من تعليقات ابن الأثير على هذه المعركة أن من الأخباريين من كان يرى أن اسم الملك الغساني الذي انتصر في هذا اليوم هو أبو شمر عمرو بن جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث الأيهم بن الحارث بن مارية الغساني ، أو هو رجل من الأزد تغلّب على غسان ، أو غيرهما . وقد رجح هو رواية من قال إنه الحارث الأعرج بن جبلة ، وهي رواية أكثرية الأخباريين(٢) . ويؤيد هذه الرواية روايات المؤرخين السريان الذين سمّوا اسم ملك عرب الشام . فدعوه « حرت برجابالا » أي الحارث بن جبلة . ويلاحظ أن ابن العبري استعمل جملة « ملك العرب » للمنذر (٣) . كما استعملها غيره من المؤرخين .

وأشار حمزة أيضاً الى اختلاف الرواة في القاتل والمقتول في يوم عين أباغ ، فقال : « وقتله الحارث الأعرج ، وهو الحارث الوهّاب الجفني يوم عين أباغ . وهو اليوم الذي قيل فيه ما يوم حليمة بسرّ . وفي كتاب المعارف : أن الذي قتله الحارث الأعرج في يوم حليمة ، هو المنذر بن امرىء القيس . وكان يوم عين أباغ بعد يوم حليمة . والمقتول في يوم عين أباغ المنذر بن المنذر . وكان خرج يطلب بدم أبيه . فقتله الحارث الأعرج أيضاً . وقد سمعنا أن قاتله مرة بن كلثوم أخو عمرو بن كلثوم التغلبي » (٤) .

أما ابن قتيبة صاحب كتاب المعارف الذي أشار حمزة اليه ، فقد ذكر هذه الجملة : « ولم يزل المنذر بن امرىء القيس على الحيرة ، الى ان غزا الحيرة الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو

---

(١) راجع تفصيل المعركة في المراجع وابن الأثير (١/٢٢٢ وما بعدها) .
(٢) ابن الأثير (١/٢٢٢) . (٣) Bar Hebraeus, 81, Vol. I, P. 76
(٤) حمزة (ص ٧٠) .

الحارث الأعرج ، فقتله الحارث الأعرج بالخيار » [1] . إذاً لم يكن المنذر قتيل « يوم حليمة » في رأي ابن قتيبة كما ذكر ذلك عنه حمزة . ويظهر من رواية ابن قتيبة هذه أن « الخيار » أو « الحيار » موضع أقرب ما يكون الى الحيرة ، منه الى بلاد الشام .

وهناك رواية أخرى عن مقتل المنذر بن ماء السماء نجدها مدونة في الأغاني ، لم تشر الى عين أباغ ، ولا الى يوم حليمة ، أو ذات الخيار ، خلاصتها : أن شمراً بن عمرو الحنفي أحد بني سحيم هو الذى قتل المنذر بن ماء السماء ، قتله غيلة لما حارب الحارث بن جبلة الغساني ، فبعث الحارث الى المنذر بمئة غلام تحت لواء شمر هذا ، يسأله الأمان على أن يخرج له عن ملـكه ، ويكون له من قبله . فركن المنذر الى ذلك ، وأقام الغلمان معه ، فاغتاله شمر بن عمرو الحنفي ، فقتله غيلة . وتفرق معه من كان مع المنذر ، وانتهبوا عسكره [2] .

وقد جعل بعض الأخباريين عين أباغ « ذات الخيار » [3] ، ويفيد قولهم هنا أن عين أباغ هو موضع يقع فى منطقة تسمى ذات الخيار « الحيار » « الخيار » ، ويرى « نولدكه » أن موضع « الحياران » الوارد في معلقة الحارث هو أيضاً هذا المكان [4] . وللتثبت من هذا القول ، لابد من الوقوف على موقع ذات الخيـار و « الحيار » و « الحياران » . وقد ذكر ياقوت الحموي أن الحيار صقع من برّية قنسرين ، كان الوليد بن عبد الملك أقطعه القعقاع بن خليد بينه وبين حلب يومان [5] . وهذا الوصف لموقع الحيار ينطبق على ما رواه المؤرخون السريان عن موضع مقتـل المنذر كما يوافق رأي من جعل عين أباغ « ذات الخيار » .

وذكر ابن عبد ربّه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ أن القتيل في يوم عين أباغ هو المنذر بن المنذر بن

---

(١) المعارف (ص ٢٨٣) « طبعة محمد اسماعيل عبد الله الصاوي » .

(٢) الأغاني (٤٦/١١) « طبعة دار الـكتب المصرية » ، العقد (٦٦/٢) ، الاشتقاق (ص ٢٠٩) البكري (٦٤/١) . Rothstein , S. 86 .

(٣) ابن الاثير (٢٢٢/١) .

(٤) المعلقة البيت ٨٢ . Noldeke , Ghass . 18 , Rothstein , S , 83

(٥) البلدان (٢٧٥/٣) .

ماء السماء ، وهو الذي تولى ملك الحيرة بعد قابوس وقبل النعمان بن المنذر . وأما القاتل ، فهو الحارث الغساني[1] . ومردّ أمثال هذا الاختلاف في أسماء الملوك في الروايات ، الى تشابه الأسماء إذ يصعب على الرواة ، وهم يعتمدون في رواياتهم على الحفظ ، أن يميزوا بعد مدة بين أمثال هذه الأسماء ، فيحدث لهم مثل هذا الاضطراب .

وفي رواية أن الغساسنة تمكنوا في المعركة التي سقط فيها المنذر من أسر أحد أبنائه ، وهو امرؤ القيس ، وبقي في أسرهم الى أن أغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام ، فقتلوا ملكاً من ملوك غسان ، واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها ميسون[2] . وقد ذهب كوسان دي برسفال الى أن هذه الغارة كانت بقيادة احد أبناء المنذر القتيل ، وأنها كانت غارة انتقامية وقعت بعد المعركة التي سقط فيها ابن ماء السماء[3] .

وقد أشار الحارث بن حلزّة الى ذلك في شعره مفتخراً :

وفككنا غلّ امريء القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء

وقد زعم الشراح أن امرأ القيس هذا كان معروفاً بماء السماء[4] . أما الملك الغساني القتيل، فلم يشيروا الى اسمه ، وأشك في الذي رواه الأخباريون من أنه كان ملكاً . وأرى احتمال كونه أحد أبناء الملوك . واستعمال جملة « رب غسان » ، هي من باب التفخيم والتعظيم للعمل الذي قامت به بكر .

وذكر الرواة أن حجراً الكندي ، وهو في نظرهم حجر بن أم قطام ، غزا امرأ القيس هذا ، وكانت مع حجر جموع كثيرة من كندة ، غير أن بكراً التي كانت مع امريء القيس قاتلته ، وقتلت جنوده[5] .

وذهب بعض الأخباريين الى أن مقتل المنذر بن ماء السماء هو في يوم حليمة ، قتله الحارث

---

(١) العقد الفريد (٦/١١٠) . (٢) الأغاني (١١/٤٨) .

(٣) Caussin , Essai , II , 116 .

(٤) الأغاني (١١/٤٨ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٥) الأغاني (١١/٤٩) . « طبعة دار الكتب المصرية » .

ابن أبي شمر الغساني . وسبب تسمية ذلك اليوم بيوم حليمة أن حليمة ابنة الحارث كانت تخلّق قومها وتحرضهم على القتال في ذلك اليوم . وذهب آخرون الى أنه موضع . وذهب بعض آخر الى أنه اسم بنت رئيس غسان الذي قاوم الضجاعم « الضجاعمة » ، (وهم عرب من قضاعة كانوا عمال الروم على الشأم قبل مجيء الغساسنة) ، وكانوا يجبون الناس فيأخذون من كل رجل ديناراً . فلما امتنع جذع ، وهو رجل من غسان من دفع الجباية ، ثارت الحرب بين غسان والضجاعمة . وكانت حليمة تخلّق الناس في ذلك اليوم ، وتحثهم على القتال ، حتى انتصروا على الضجاعمة ، فملكوا الشام . ولذلك قيل « ما يوم حليمة بسرّ » ، و « خذ من جذع ما أعطاك » [1] .

وقد ورد « زمان حليمة » في شعر لحسان بن ثابت :

كأنهم ماتوا زمان حليمة ... فإن تأتهم تحمد ندامتهم غدا [2]

وقبل أن ندخل في الحديث عن الشخص الذي خلف المنذر بن ماء السماء ، لابد لنا من الكلام مرة أخرى باختصار عن الحارث بن عمرو الكندي . وقد سبق أن تحدثت عن كندة وعن ملوكها في الجزء الثالث من هذا الكتاب [3] . والذي تولى ملك الحيرة من كندة ، هو الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار . وقد ذكرت ما قاله الأخباريون عن اسباب تولي هذا الملك الحيرة ، وكيف ربطوا بين المزدكية التي دان بها قباذ ملك الفرس ، وبين خلع المنذر بن ماء السماء الذي أبى أن يوافق قباذَ على عقيدته ، وتعيين الحارث الذي أظهر موافقته على الدخول في دين مزدك ، فأيد بذلك دين قباذَ على زعم الأخباريين .

والروايات المذكورة المتعلقة بكيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، وبدخوله في المزدكية ، وبعلاقته بقباذ ، روايات مضطربة غامضة تحتاج الى شرح ونقد . فلا بد من التعرض اذن لقباذ ، « قباد » . ملك الساسانيين .

---

(١) البلدان (٣/٣٢٠) . (٢) الأغاني (٤/١٦٨) .
(٣) (ص ٢١٥ وما بعدها) .

و « قباذ Kavadh [1] » أو قباذ كما دوّن في بعض المؤلفات[2] ، هو ابن الملك « فيروز » « Peroz » من ملوك الساسانيين ، تولى الملك سنة ٤٨٨ م ودام حكمه حتى سنة ٥٣١ م[3] ، ولم يكن الزمن مؤاتياً له حين أوتي الحكم . كانت الأحوال مضطربة ، والفتن رافعة رأسها في مواضع متعددة ، والنفوذ فى المملكة بيد الوابذة ، ولموبذان موبذ الكلمة العليا اذْ هو الرئيس الروحي الأعلى فى المملكة ، كما كان للأغنياء وللأقطاعيين الشأن الأول فى سياسة الدولة . فلم يعجب قباذ الوضع ، لأنه « ملك الملوك » ، ومن حق « ملك الملوك » ألا ينازع في الملك ، ففكر فى طريقـــة لتقليص ظل الوابذة والمتنفذين فى المملكة من كبار الأغنياء والملاكين . فكيف يتمكن من ذلك ؟

رأى أن خير ما يفعله فى هذا الباب ، هو نشر تعاليم مزدك بين الناس . فاذا انتشرت كانت كفيلة بالقضاء على الأغنياء وعلى رجال الدين المتنفذين[4] . وكان مزدك وأصحابه يقولون إن الناس تظالوا في الأموال والأرزاق ، فاغتصبها بعضهم من بعض ، وإن الأغنياء قد اغتصبوا رزق الفقراء » وأنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردّون من المكثرين على المقلّين ، وانه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة ، فليس هو بأولى به من غيره . فافترص السفلة ذلك ، واغتنموه ، وكانفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم ، فابتلى الناس بهم ، وقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل فى داره ، فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم[5] » . هكذا وصف الطبري وغيره من الأخباريين دعوة مزدك . فهي على هذا الوصف دعوة اشتراكية جاءت بمبادىء مقوضة لرجال الدين والإقطاعيين ومتنفذة الأغنياء .

فلما شايع قباذ المزدكية ، اجتمعت كلمة موبذان موبذ والعظماء على إزالته من ملكه ، فأزالوه عنه وحبسوه ، وعينوا أخاه جاماسب مكانه . ويذكر الطبري أن ذلك كان فى السنة العاشرة لملك

---

(١) الطبري (٢/٨٧) . (٢) حمزة (ص ٣٩) .

(٣) Ency. Brita., Vol. 17, P. 574.

(٤) Noldeke, Aufsatze Zur Persischen Geschichte, Leipzig, 1887. S. 109.

(٥) الطبري (٢/٨٨) .

قباذ ، فيكون ذلك في سنة ٤٩٨م على رأي من جعل ابتداء ملكه في عام ٤٩٨ م[١] . وقدر حدوثه أيضاً بسنة ٤٩٦ م[٢] . وقد مكث أخوه ملكاً ست سنوات ، ثم أزاله عنه أخوه قباذ الذي أفلت من السجن في قصة يرويها الأخباريون ، واستعاد قباذ بذلك ملكه[٣] . فتكون استعادته ملكه في حوالي سنة ٥٠٤ أو ٥٠٢ م . وقد مكث ملكاً حتى انتقل الى العالم الثاني في سنة ٥٣١ م .

واذا قبلنا روايات الأخباريين ووافقناهم على قولهم إن قباذ نحّى المنذر من مكانه وأعطاه الحارثَ الكندي ، وأن المنذر ظل بعيداً عن ملكه حتى وافت قباذَ منيته ، فأعاده ابنه كسرى أنوشروان عندئذ الى مكانه ، تحتم علينا أن نقول إن عودة الحارث كانت حوالي سنة ٥٣١ م ، وكان غائباً عن ملكه قبل ذلك ، اذ كان الحكم للحارث الكندي . ولكننا رأينا المنذر مع قباذ يهاجم الروم ، ويغزو بلاد الشام ، ويلقي الرعب في النفوس ، رأيناه في سنة ٥١٨ وفي سنة ٥١٩ يغزو الروم وعرب الروم ، ورأيناه ذا أثر خطير في الحرب التي وقعت في سنة ٥٢٨ م بين الروم والفرس . ثم يجدد الحرب مع الروم في سنة ٥٢٩ م ثم في سنة ٥٣١ م . فكيف نوفق بين هـذا الذي يرويه الأخباريون ، وبين هذا الذي دونه المؤرخون من لاطين ويونان وسريان ومنهم من كان معاصراً للحوادث وشاهد عيان ؟

لقد ذكر حمزة أن امرأ القيس بن النعمان ، أي والد المنذر ، كان قد حكم سبع سنين ، وكان حكمه في زمن قباذ[٤] . واذا قبلنا هذه الرواية ووافقنا على رأي من جعل بدء حكم قباذ في سنة ٤٨٨ م ، ثم أضفنا اليها مدة حكم أبي يعفر بن علقمة الذميلي الذي حكم في زمن قباذ كذلك مدة ثلاث سنين ، ثم أضفنا اليها مدة حكم النعمان بن الأسود وهي أيضاً في زمن قباذ ومقدارها أربع سنين ، ومقدار « سبع سنين » أخرى وهي مدة حكم المنذر بن المنذر في أيام قباذ ، وست سنين أخرى وهي مدة حكم الأسود بن المنذر في أيام قباذ[٥] ، نكون قد حصلنا على الرقم « ٢٧ »

---

(١) Ency. Brita., Vol., 17, P. 574. (٢) Noldeke, Aufs., S. 109.

(٣) الطبري (٢/٨٧ وما بعدها) . (٤) حمزة (ص ٧٠) (٥) حمزة (ص ٧٩) .

الذي يمثل مجموع مدة حكم ملوك الحيرة الذين حكموا قبل المنذر في أيام قباذ ، ويستنتج من ذلك أن حكم المنذر انما كان في حوالي سنة ٥١٥ م ، وأن تنحية قباذ للمنذر إن صحت إنما كانت فى الفترة بين ٥١٥ و ٥٣١ م .

وقد رأينا الأخباريين يروون « أنه لما مضى لملك قباذ عشر سنين اجتمعت كلمة موبذان موبذ والعظماء على إزالته عن ملكه ، فأزالوه عنه وحبسوه » وعينوا أخاه ملكاً ، وقد ظل أخوه ملكاً ست سنين ، وأن مجموع حكم قباذ وحكم أخيه كان ٤٣ سنة[1] ، فتكون ثورة موبذان موبذ والعظماء على قباذ حوالي سنة ٤٩٨ م وأن عودته الى الحكم كانت حوالي سنة ٥٠٤ م . ولما كانت ثورة هؤلاء على قباذ بسبب دخوله في المزدكية كما يقولون ، وأن قباذ كما يؤكدون لم يغير من رأيه ومن عقيدته فى المزدكية بعد عودته الى الحكم ، وأنه ظل مخلصاً لها الى أن وافته منيته ، يكون قباذ هذا قد عاصر عدداً من أسلاف المنذر وهو على هذا الدين ، وعاش أمداً مع المنذر وهو على هذا الدين ، فلم سكت اذن طوال هذه المدة ، ولم يطلب من أسلاف المنذر ولا من المنذر نفسه تغيير دينهم أو دينه ، والدخول فى المزدكية جرياً على سنته منذ أوائل سني حكمه ؟ لم سكت طوال هذه المدة وهو على المزدكية . ثم نراه يفطن الى ذلك فجأة وبعد أمد ، فيطلب من المنذر متابعته في دينه ، ثم يفاوض الحارث على هذا الدين ، فيوافق هذا عليه ، ويشايعه فيه ، فيأمر قباذ بعزل المنذر وبتولية الحارث الكندي مكانه . القضية فى نظري ليست قضية مزدكية أو اختلاف في دين كما ذهب الى ذلك الأخباريون ، بل هي أمور أخرى أبعد من هذه أثراً بكثير ، هي قضية ملك وسلطان . فالمنذر رجل كفء ذو شخصية قوية ، أوقع الرعب فى أرض الروم ، وأكره القيصر على ارسال وفد اليه لفك قائدين من قواده سقطا أسيرين فى يديه ولإقناعه بالانضمام اليه ان أمكن ، أو تأمين جانبه على الأقل . وقباذ رجل لاقى في ملكه مصاعب جمة : طرد من الملك ، وسجن ، وأريد هلاكه ، ولكنه هرب من سجنه ونجا ، وبعد جهد وتعب وعمل سرّي استعاد ملكه ، وحكم دولة لم تكن قواعد الأمن فيها رصينة ساعة توليه الملك ، ثم حارب الروم ، وحاربه الروم . فرجل مثل هذا الرجل لابد أن يكون قلقاً يخشى منافسة الرجال الأقوياء .

---

(١) الطبري (٢/٨٧ وما بعدها) .

فليس بمستبعد إذن أن يكون قباذ قد حسب حساباً لتوسع نفوذ المنذر ، ولاحتمال اتصال الروم به لاقناعه بالانضمام اليهم ، فلما ظهر الحارث الكندي في العراق ، طامعاً في ملك المنذر وفي ملك عرب العراق ، لم يجد من مصلحته الدفاع عن المنذر ، فتركه وشأنه ، فتغلب الحارث عليه . وليس بمستبعد أيضاً احتمال اتصال الحارث بقباذ أو اتصال قباذ بالحارث ، حين ظهور الحارث في أرض العراق ومنازعته المناذرة على ملكهم . وقد رأينا الطبري يشير الى اصطدام الحارث بالمناذرة أولاً وتغلبه عليهم ، ثم يشير بعد ذلك الى مراسلة قباذ للحارث طالباً منه الاتصال به . ثم يشير الى ضعف قباذ وطمع الحارث به بعد ذلك اللقاء ، وكيف أنه أمر أعرابه بالتحرش برجال الحدود ، فلما بلغ قباذ النبأ أرسل الى الحارث يقول : « إن لصوصاً من لصوص العرب قد أغاروا ، وإنه يحب لقاءه ، فلقيه. فقال له قباذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد قبلك ، فقال له الحارث : ما فعلت ولا شعرت ، ولكنها لصوص من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود . قال له قباذ : فما الذي تريد ؟ قال : أريد أن تطعمني من السواد ما اتخذ به سلاحاً . فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات »[1] . وتزعم رواية الطبري هذه أن الحارث ، كتب بعد أن أعطى الطساسيج الست تبعاً ، وهو باليمن : « إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيج ، فاجمع الجنود وأقبل ، فانه ليس دون ملكهم شيء ؛ لأن الملك لا يأكل اللحم ، ولا يستحل هراقة الدماء ، لأنه زنديق » . فجمع تبع جيشه وجاء به . وهي رواية تتحدث بعد ذلك عن فتوحات تبع التي شملت الصين والقسطنطينية ومناطق أخرى . ومصدر هذه الرواية الرواة الذين يرجعون أنسابهم الى اليمن والذين عرفوا بتعصبهم لليمانين .

وقد نصت هذه الرواية على أن الحارث الكندي اصطدم بالنعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن الشقيقة ، فقتله ، وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر . واذا استعرضنا قوائم الأخباريين لملوك الحيرة ، لا نجد من بين الملوك ملكاً ينطبق عليه اسم النعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن

---

(١) الطبري (٢/٨٩ وما بعدها) .

الشقيقة وله ولد اسمه المنذر بن النعمان الأكبر الا النعمان الأول صاحب الخورنق والسدير . غير أن اسم أبيه لم يكن المنذر ، وإنما كان كما قلت امرؤ القيس . وقد عاصر النعمان على ما ذكره الطبري يزدجرد وبهرام جور من ملوك الفرس [1] . فالرواية اذن لا تستقيم على هذا الوضع ، لا تستقيم لأن النعمان عاش قبل زمن قباذ بأمد . وقد حكم بينه وبين الحارث المغتصب لملك الحيرة عدة ملوك . فلاستقامة الرواية لتنطبق على أيام قباذ ، لا بد من وضع اسم المنذر بن ماء السماء بدلا من اسم النعمان . ومهما كان اسم الشخص المقصود ، فالذي يفهم من هذه الرواية أن الحارث الكندي كان قد قتل ملك الحيرة أولاً وملك ما كان يملك وعندئذ اتصل به قباذ . فليس لقباذ اذن على هذه الرواية يد في خلع ملك الحيرة ، وليس للمزدكية صلة ما بالموضوع . ثم إنها تذكر أن ملك الفرس أعطى الحارث ستة طساسيج ، وذلك بعد تحرش الأعراب بالحدود ، أعطاه هذه الأرضين لإسكات الأعراب ، ولتأمين سلامة الحدود ، أي أنه لم يعطه ذلك اختياراً وانما رهبة وطمعاً في أمن الحدود وسلامتها . ثم انها تذكر زيادة على ذلك أن الحارث طمع في المزيد ، وقد نال الزيادة بفضل مجيء تبع ومساعدته له . فليس فى الرواية اذن مزدكية ولا تبديل دين .

وليس بمستبعد فى نظري أن تكون هذه القصة ، قصة دخول الحارث فى المزدكية ومتابعته دين قباذ من وضع أهل الحيرة والمعادين لكندة ، وضعوها وألصقوها بالحارث الكندي لتكون سبّة له وعاراً عليه وعلى كندة ، لهذا العمل الذى قام به تجاههم ، وهم كما نعلم يكرهون هذا الكندى ، وينكرون توليه الحيرة ، ولا يدخلون اسمه في قائمة أسماء ملوك الحيرة كما صرح بذلك ابن الكلبي [2] .

أما متى كان استيلاء الحارث على ملك الحيرة ، فلا نعلم ميقاته على وجه أكيد ، والظاهر أنه حدث بعد مجيء وفد قيصر الى المنذر في سنة ٥٢٤ م . ولما كان المؤرخون من روم وسريان يشيرون الى حروب المنذر مرة أخرى في سنة ٥٢٨م فما بعد ، فيجب أن يكون اغتصاب الحارث لملك الحيرة بين سنة ٥٢٤ وسنة ٥٢٨ م كما أشرت الى ذلك في الجزء الثالث من هذا الكتاب [3] .

---

(١) الطبري (٢/٧٤) . (٢) حمزة (ص ٧١) . (٣) (ص ٢٣٨) .

ولا قيمة بالطبع لما زعمه الأخباريون من أن انتهاء ملك الحارث كان في بدء تولي كسرى أنوشروان بن قباذ الحكم ، وأن عودة المنذر كانت في هذا الوقت كذلك ، فقد رأيت بطلان هذه الرواية بسند مكتوب فى ذلك العهد ، وبخط شهود عيان هم مؤرخو الروم والسريان الذين دونوا أخبار غزو المنذر لبلاد الشام وحروبه مع الروم منذ سنة ٥٢٨ م فما بعدها ، أى في حياة قباذ وقبل وفاته بجملة سنين الى حين وفاته ، وتولى ابنه كسرى الملك . فملاقة المزدكية بعزل المنذر وتولي الحارث في نظرى أسطورة لا أصل لها ، ابتكرها الأخباريون لتعليل هذا العزل ، ولتولي الحارث لجأة ملك الحيرة . ومن يدرى ، فلعل بعضهم دس في ثنايا القصة موضوع المزدكية نكاية بكندة .

وقد أشرت سابقاً الى أمثلة عديدة من أمثلة الافتعال التي وضعها أصحاب العصبيات ، والى ما كانت تضمه القبائل المتنافسة بعضها على بعض ، وربما لا يستبعد أن يكون هذا الدس من رواة أهل الحيرة للحط من قدر الحارث الكندى ، ولإظهاره فى صورة رجل باع دينه وعقيدته وقبل الزندقة والإباحية في سبيل الملك ، بينما نرى الرواية السابقة ، أى الرواية اليمانية ، تجعل الحارث رجلا مستخفاً بالمزدكية وبشخصية قباذ ؛ لأنه « لا يأكل اللحم ولا يستحل هراقة الدماء ، لأنه زنديق »[1] فهل تستطيع أن تجد تعليلا للروايتين المتأثرتين بالعصبية غير ما ذكرت ؟

ولا نعلم على وجه واضح صحيح أين ذهب المنذر بعد استيلاء الحارث الكندى على ملكه ، ولا يعقل بالطبع التجاؤه الى مملكة الفرس ، وملك الفرس نفسه لم يساعده على خصمه الحارث فليس للمنذر إذن الا الذهاب الى الروم أعداء الفرس ، أو الاحتماء بالبادية الواسعة بادية الشام ، أو الاحتماء بالشيخات وهي عديدة ولا سيما المشيخات المعادية لكندة . أما حمزة ، فذكر أنه التجأ الى الجرساء الكلبي ، فأقام عنده الى أن رده كسرى انوشروان الى ملكه[2] .

وذكر الأخباريون أن الحارث الكندي كان فى الأنبار حين هاجمه المنذر ، فهرب الى الثوية . ثم اضطر الى مغادرة هذا المكان أيضاً خوفاً من قبائل تغلب وبهراء وإياد ، حين

---

(١) الطبري (٢/٩٠) . (٢) حمزة (ص ٧١) .



من الآثار التي عثر عليها فى الحيرة ويعود تأريخها
الى القرن الثامن للميلاد .
من مجلة : « Ars Islamica » .

أخذت تتعقبه ، فلحق بأرض كاب ونجا بعد أن انتهب ماله وهجائنه . وقد أخذت تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بنى آكل المرار ، فقتلوهم بجفر الأملاك في ديار بني مرينا العباديين بين الكوفة ودير هند [1] . وقد أشرت سابقاً الى رواية أخرى ذكرها الأخباريون فى قتلى جفر الأملاك .

وينسب الى المنذر بناء الغريّين فى بعض الروايات ، وكان السبب فى ذلك كما يقول الأخباريون أنه كان له نديمان من بني أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة « مضلل » والآخر عمرو بن مسعود ، فثملا ، فراجعا الملك ليلة فى بعض كلامه ، فأمر وهو سكران فحُفِرَ لهما حفيرتان فدُفنا حيين . فلما أصبح استدعاهما ، فأخبر بالذي أمضاه فيهما ، فغمّه ذلك ، وقصد حفرتيهما ، وأمر ببناء طربالين عليهما ، وهما صومعتان . فقال المنذر : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري ، لا يمرّ أحد من وفود العرب الا بينهما ، وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم ، يذبح فى يوم بؤسه كلّ من يلقاه ويُغرّي بدمه الطربالين ، ويحسن فى يوم نعيمه الى كل من يلقى من الناس ويحملهم ويخلع عليهم . وقد ظل المنذر على عادته هذه الى أن حدث له حادث ، أظهر فيه رجل ظهر يوم بؤسه وفاء عظيماً ، فعفا عنه ، وترك تلك العادة وتنصر . وكان الرجل الذى برّ بوعده فحضر بعد عام ليأخذه سيف الجلاد نصرانياً ، ولذلك تنصر المنذر . وذكروا أنه لم يكن يتورع من ذبح أعز الناس عليه اذا ظهر له يوم بؤسه . فلما ظهر الشاعر الشهير عَبيد بن الأبرص الأسدي ، لم يُنْجِهِ شعره من مصير ذلك اليوم [2] . وذكروا أن الرجل الذي كاد يسلمه سوء طالعه الى يد الجلاد هو حنظلة الطائي ، وأنه ترهب بعد هذا وابتنى ديراً له هو الدير المعروف بدير حنظلة . وأما الذي كفل ذلك الرجل حتى يعود بعد عام ، فرجل من أشراف القوم

---

(1) Musil, Euphrates, p. 354. ، شعراء النصرانية (ص ٧) .

(2) البلدان (٦/٢٨٣ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (ص٦٠٠) ، الأغاني (٥/٢١٣) « طبعة دار الكتب المصرية » ، البكري : معجم (ص ٦٩٤) « طبعة ليدن » ، ابن قتيبة الشعر (ص ١٤٤) ، الأغاني (١٩/٨٦) ، القالى : الأمالى (٣/١٩٥) ، « طبعة دار الكتب المصرية » ، ابن هشام (١/٤٠١) ، شرح قصيدة ابن عبدون (١٣٢) .

هو شريك بن عمرو . وذكروا أيضاً أن حنظلة هذا هو عم أياس بن قبيصة الطائي ملك الحنيرة [1] .

ومنَ الأخباريين مَنْ نسب بناء الغريين الى النعمان الثالث ، ومنهم من نسبها الى جذيمة ، وذهب آخرون الى نسبة الغريّ الى الحارث الغساني [2] . ويرينا هذا الإختلاف مبلغ جهلهم بأصل الغريين . أما هذا الذي يرويه الأخباريون عن سبب بنائها ، فهو من هذا القصص الذي ألفناه ، وعودنا أصحاب الأخبار سماعه ، فهو لاقيمة تأريخية له في نظرنا ، وإن أكد لنا الأخباريون أو حاولوا التأكيد بأنه حق ، وأنه أمر مسلم به وشائع معروف ، وأن عبيداً لقي حتفه لظهوره يوم بؤس المنذر أو النعمان . قد يكون ذلك مسلماً به عندهم ، غير أننا لسنا من السذاجة بحيث نصدق بأمثال هذا القصص لمجرد أنه شائع معروف . فليس كل شائع معروف أمراً صحيحاً يجب الأخذ به .

ونحن لا نريد أن ننكر وجود الغريين ، فليس الى نكرانهما أو نكران « الغري » من سبيل . ولكننا كما قلت ننكر هذا القصص الذى يرويه الأخباريون عن هذين الغريين ، لأنه قصص نشأ كما نشأ أمثاله عن جهل الناس أو أهل الأخبار بأصول الأشياء ، فلما احتاجوا الى معرفة الأسباب ، أوجدت لهم مواهبهم هذا القصص الطريف . وهو أمر لم ينفرد به زمان دون زمان ، فما زال الناس يبتدعون قصصاً ثم يروونه ويتناقلونه على أنه شائع صحيح ، مع أن تأريخ ابتداعه لايبعد عن زماننا بكثير ، وأهل الحيّ بهذا القصص عارفون .

أما أن الغريين حفرتان دفن في كل حفرة منها رجل حيّ لأنه عربد في سكر ، وتحدث بكلام غاض الملك ، فأمر لا نسلم به . ولكننا نستطيع أن نقول إن الغريّ أو الغريين من المواضع التي كانت لها صلة بعبادة الأوثان ، ومن الجائز أنهما كانا مخصصين لتقديم الذبائح والقرابين في المواسم الدينية وفي الأعياد . وقد عرفت مثل هذه العادات عند شعوب أخرى ، فكانت تهرق دماء الذبائح عند الأنصاب ثم تطلى بها . وما الغريّان إلا نصبان من هذه

---

(١) شيخو ، شعراء النصرانية (ص ٨٩) .

(٢) Rothstein , S . 140 .

الأنصاب. على أن الأخباريين أنفسهم قد ذكروا أن الغريّ نصب كان يذبح عليه العتائر، كما ذكروا أن الغريين كانا طربالين، والطربال صومعة على رأي وشيء مرتفع عند الأكثرين (١). فلا يستبعد أن يكون الغريان موضعين من مواضع ذبح القرابين للأصنام (٢).

وفي رواية تنسب الى ابن الأعرابي أن بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء، ولكنهم غلبوا على أمرهم، فلحقوا بالشام خوفاً منه. وبقوا هناك، فمر بهم عمرو بن أبي حجر الغساني في رواية، أو الحارث بن أبي شمر الغساني في رواية أخرى، فلم يستقبلوه، فانزعج من ذلك، وتوعدهم؛ وأن عمرو بن كلثوم نهاه عن ذلك (٣). وفي هذا دلالةٌ على أن هذا الشاعر كان معروفاً في قومه في ذلك الزمن، وأنه كان قد ذهب معهم الى ديار الشام.

والذي خلف المنذر على ملك الحيرة بعد وفاته، هو ابنه عمرو بن هند المعروف بمضرط الحجارة، وهو لقب يشير بالطبع الى قوة ابن هند وشدة بأسه. وقد عرف عمرو بأمه هند بنت عمرو بن حجر الكندي آكل المرار، فهو كندي من جهة أمه، وعرف أيضاً بمحرق الثاني على رواية حمزة (٤). وقد كان له من الأشقاء من أمه: قابوس، والمنذر.

وزعم ابن الأثير أن الذي تولى الملك بعد المنذر بن ماء السماء هو ابنه المنذر الذي لقب نفسه بالأسود، وأنه لما استقر الأسود وثبت قدمه جمع عساكره وسار الى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه، ونزل بمرج حليمة. ووصل الحارث الى هذا الموضع كذلك، واقتتل الطرفان أياماً ولم ينتهيا الى نتيجة. فلما رأى الحارث طول الوقت، نادى في فتيان غسان: «يا فتيان غسّان، من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هنداً». فلما سمع ذلك لبيد بن عمرو الغساني، شدّ على الأسود فقتله، وانهزم أصحابه، فنزل لبيد واحتز رأس الأسود، وأقبل به الى الحارث، فألقى الرأس بين يديه. فوافق الحارث على اعطاء لبيد ابنته، ثم إن لبيداً انصرف ليواسي أصحابه،

---

(١) البلدان (٢٨٢/٦).

(٢) Wellhausen, Reste Arabischen Heidentums S. 43, Rothstein' S. 141. f.

(٣) الأغاني (٥٧/١١ وما بعدها). (٤) حمزة (ص ٧٢).

فرأى أخاً للأسود يقاتل الناس ، فتقدم لبيد فقاتل فقتل ، ولم يقتل في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره . وانهزمت لخم ثانية ، وكثر فيها القتل . وذكر الأخباريون أن هذا اليوم هو من أيام العرب الكبرى اذ سار الأسود بجميع من عنده من عرب العراق ، وأقبل الحارث بجميع من كان عنده من عرب الشام [1] . فجعلت هذه الرواية بعد المنذر ابنه المنذر الأسود ، وجعلته صاحب مرج حليمة على نحو ما رأيت .

وهناك رواية أخرى عن مقتل المنذر بن المنذر ، خلاصتها : أن الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج خطب الى المنذر ابنته هنداً ، وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان ، فوافق المنذر على ذلك . غير ان هنداً أبت عليه ذلك ، فحقد الحارث على آل لخم . فلما خرج المنذر غازياً ، بعث الحارث جيشاً الى الحيرة ، فانتهبها وأحرقها ، فانصرف المنذر عن غزاته ، وسار يريد غسان . وبلغ الخبر الحارث ، فجمع أصحابه وقومه ، فسار بهم ، فتوافقوا في عين أباغ ، فاصطفوا للقتال ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث ، وفيها ابنه ، فقتلوه ، وانهزمت الميسرة . وحملت ميمنة الحارث على ميسرة المنذر ، فانهزم من بها ، وقتل مقدمها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه ، وانهزم أصحابه في كل وجه ، وقتل منهم خلق كثير ، منهم ناس من بني تميم ، ومن بني حنظلة ، ومن هؤلاء الأسرى شأس بن عبدة شقيق علقمة بن عبدة من شعراء الجاهلية المعروفين [2] . فالقتيل في هذه المعركة وعلى هذه الرواية اذن هو المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، لا المنذر بن ماء السماء .

وقد تشكى ابن الأثير كما تشكى قبله حمزة من اختلاف الأخباريين في الروايات ، ومن تضارب الروايات بعضها ببعض ، ومن تقديم الأيام وتأخيرها ، وفي الشخص المقتول ، فذكر أن من الأخباريين من يقول إن يوم حليمة هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء ، ويوم أباغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر ، ومنهم من يقول بضد ذلك ، ومنهم من يجعل اليومين واحداً ، فيقول لم يقتل إلا المنذر بن ماء السماء ، وأما ابنه المنذر فمات بالحيرة . وقيل إن

---

(١) ابن الأثير (١/٢٢٣ وما بعدها ، ٢٢٥) . (٢) ابن الأثير (١/٢٢٤) .

المقتول من ملوك الحيرة غيرهما . وقد رجح ابن الأثير رواية القائلين إن المقتول هو المنذر بن ماء السماء ، ورجح أيضاً رواية من يقول إن المنذر بن المنذر لم يقتل ، وإنما مات حتف أنفه (١) .

ويظهر من الروايات المذكورة عن عمرو بن هند ومن الشعر المذكور اسمه فيه ، أنه كان رجلا سريع الانفعال ، يتألم بسرعة مما يقال له ، ولذلك حدثت له مشكلات عديدة لم تكن لتحدث لو لا هذا الحس المرهف عنده ، الذى جعله عرضة لهجو الشعراء ، والشعراء ألسنة الناس وأبواق الدعاية في ذلك العهد ، وقصته مع طرفة بن العبد و المتلمس معروفة مشهورة (٢) .

وقد أصبحت الحيرة موئل الشعراء فى أيام عمرو بن هند ، فلأكثر مشاهير الشعراء الجاهليين خبر مع هذا الملك ، كانوا يحضرون اليه من أماكن نائية لإنشاده شعرهم ولنيل جوائزه ، ولم تكن مجالسه لتخلو من منافسة الشعراء بعضهم لبعض ، ومن نقد بعضهم شعر بعض كالذى حدث بين طرفة والمسيب بن عَلَس على ما يذكره الأخباريون (٣) . ولمنزلة الشاعر والشعر عند العرب يومئذ ، فطالما كانت هذه المفاخرات والمنافسات تؤدى الى غضب القبائل وغضب الملك نفسه والى هجائهم له نفسه لاعتقادهم بتحزبه لأحد الخصمين .

يتبين من حديث الأخباريين عن صحيفة المتلمس ، ومن قصة نهاية طرفة في البحرين ، أن البحرين كانت تابعة فى ذلك العهد لملك الحيرة . وأن حاكمها كان عاملاً لعمرو بن هند . وهي رواية تحتاج الى سند ، فما نجده لدى الأخباريين من روايات ، باستثناء هذا الخبر ، لا يؤيد هذا الزعم . ويذكر الأخباريون للخرنق أخت طرفة شعراً في هجاء عمرو بن هند وفي هجاء عبد عمرو بن بشر الذى وشى بطرفة عند ابن هند (٤) .

---

(١) ابن الأثير (١/٢٢٥) .

(٢) « صحيفة المتلمس » ، الأغاني (٢١/١٩٤) ، خزانة الأدب (١/٤١٢) ، اليعقوبي (١/١٧٢) ، شعراء النصرانية (ص ٣٢٧) . Rothstein, S. 95. f.

(٣) شعراء النصرانية (ص ٣٠٤ ، ٣٥٠ وما بعدها) .

(٤) الموارد المذكورة ، والبطليوسي : الاقتضاب (١٠٤) ، شعراء النصرانية (ص ٣٢١ ، ٣٣٠ وما بعدها) .

وورد في إحدى قصائد الأعشى ما يفيد انساع ملك عمرو بن هند وجباية كل ما بين عمان وملح له [1] . ويذكر الرواة أن المراد بعمان هنا « عمّان » بلاد الشام أي « عمان » المملكة الأردنية الهاشمية في الزمن الحاضر ، وأما ملح ففي اليمامة من بلاد بني جعدة [2] .

ويذكر بعض الأخباريين أن عمرو بن هند كان على بقّة يدير أعمالها في أيام أبيه المنذر ، واليه لجأ امرؤ القيس الشاعر المعروف مستجيراً به لأنه كان ابن عمته ، فأجاره ، ومكث عنده زماناً . فلما سمع به المنذر ، وكان يتعقبه ، طلبه من ابنه ، فأنذره عمرو ، فهرب حتى أتى حمير مستجيراً بها [3] .

وقد نسبت لابن هند جملة غزوات منها غزوه لتغلب ، فقيل : طلب من بني تغلب ، حينما تولى الملك ، مساعدته بالأخذ بالثأر من بني غسان قتلة أبيه ، فامتنعوا ، فانصرف عنهم ، وجمع الجموع . فلما تهيأت ، كان أول عمل قام به غزو تغلب ، فأوجعهم وآذاهم ، انتقاماً منهم ، لامتناعهم عن نصرته ومعاضدته [4] .

ومنها غزوة غزا بها تميماً فقتل من بني دارم مئة نفس انتقاماً منهم ، لقتلهم أخيه سعد ، وكان ذلك في يوم أوارة الثاني [5] . ويزعم الأخباريون أنه ألقي بالقتلى في النار ، ولهذا السبب عرف بمحرّق [6] . ولبعض الأخباريين تفاسير أخرى في منشأ هذا اللقب [7] . ويشبه هذا التفسير التفاسير الأخرى المروية عن أصل كلمة محرق . وهو يدل عن عجز أصحابنا عن معرفة الكلمة ، وهي اسم صنم ، فأوجدوا لذلك تلك الأقاصيص [8] .

---

(1) آتقا يجبي اليه خرجه كل ما بين عمان فلح
ديوان الأعشى (القصيدة ٣٦ ، البيت ٩) .

(2) ديوان الأعشى (ص ١٦٠) « طبعة « Geyer » ، (ص ٢٣٧) « طبعة الدكتور م . محمد حسين » ، البلدان (٨/١٤٧) .

(3) الأغاني (٨/٦٧) .

(4) الأغاني (٩/١٧٣) ، (١١/٤٧) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(5) حمزة (ص ٧٣) .

(6) الأغاني (١٩/١٢٩) ، الكامل (١/٢٢٨) .

(7) الاقتضاب (ص ٣٥٩) .

(8) Rothstein, S. 95, Noldeke, in, ZDMG., 1887, 712.

ويفهم من بعض الروايات أن يوماً من أيام العرب عرف بيوم الشقيقة ، وقد كان فى عهد عمرو بن هند ، وأراد فيه قوم من شيبان - جاؤوا مع قيس بن معد يكرب ومعهم جمع عظيم من أهل اليمن - الاغارة على إبل لعمرو بن هند ، فردتهم بنو يشكر ، وقتلوا فيهم ، ولم يوصل الى الإبل (١) .

وفي سنة ٥٦٣ م أغار عمرو على بلاد الشام ، وكان على عربها الحارث بن جبلة (٢) . والظاهر أن الباعث على ذلك كان امتناع الروم عن دفع ما كانوا يدفعونه سابقاً لعرب الفرس مقابل إسكاتهم عن مهاجمة الحدود . فلما عقد الصلح بين الفرس والروم سنة ٥٦٢ م ، وهدأت الأحوال ، لم يدفعوا لابن هند ما تعودوا دفعه لوالده . فأثر امتناعهم هذا فى نفسه ، وطلب من الفرس مساعدته في ذلك ، فلما طالت الوساطة ولم تأت بنتيجة ، هاجم تلك المنطقة ، ثم أعاد الاغارة فى « ٥٦٦ م » وسنة « ٥٦٧ م » على التوالي . وقام بهاتين الغارتين أخوه قابوس بأمر أخيه .

ويعزو « ميننذر Menander » أسباب الغارة الأخيرة الى سوء الأدب الذى أبداه الروم تجاه رسول ملك الحيرة الذى ذهب الى القيصر « يوسطينوس Justinus » لمفاوضته على دفع المال (٣) . وكان الروم قد أرسلوا رسولين قبل ذلك الى الفرس للبحث في هذا الموضوع : احدهما اسمه بطرس، والآخر اسمه يوحنا ، غير أنهما أنكرا للفرس حق ملك الحيرة في أخذ إتاوة سنوية من الروم . فلما عومل رسول ملك الحيرة معاملة غير لائقة ، قام قابوس شقيق عمرو بتلك الغارتين (٤) .

وفي قصيدة للنابغة الذبياني مطلعها :

أتاركة تدللها قطام وضنا بالتحية والكلام (٥)

اشارة الى غزوة قام بها عمرو بن هند ، ويذكر أهل الأخبار أنها كانت بعد مقتل المنذر

---

(١) الأغاني (١١/٤٨) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٢) Rothstein , S. 96. f , Theophanes ,371 , Noldeke , Sassa. , 172, anm. I. Ghassan. , 20.

(٣) Rothstein , S. 96 , Menander , by Dindorf , Hist. Min. , II , 45.

(٤) Rothstein , S. 96. ff.

(٥) شعراء النصرانية (٧١٣ وما بعدها) .

أبيه . وقد ورد فى أحد الأبيات اسم جبال حسمي إشارة الى بلوغه في تلك الغزوة هذه الجبال [1].

ولكن الأبيات تدل على أن صاحب تلك الغزوة دوخ العراق، وأنه حارب قبائله، ولذلك رأى بعض الأخباريين أن صاحبها لم يكن عمرو بن هند ملك الحيرة، وإنما كان ملكا من غسان، والى هذا الرأى ذهب أيضاً نولدكه فى بحثه عن أمراء الغساسنة كما سترى فيما بعد.

ونسبوا له غزوة لـ « طيء » لم يكن لها على رواية ابن الكلبي سبب ما الا تحريض زرارة بن عدس ابن عبد الله بن دارم الحنظلي له على غزوها، وكان على ما يظهر يحقد عليهم. فلما اعتذر عمرو بن هند له عن هذا الغزو، لوجود عقد بينه وبينهم، ألح عليه، فغزاهم، وأخذ أسرى منهم [2].

وفى بعض روايات الأخباريين أن عمْراً توسط بين بكر وتغلب ابنى وائل فأصلح بينهما بعد حرب البسوس، وأخذ رهائن من كل حيّ من الحيين مئة غلام من أشرافهم، ليكف بعضهم عن بعض، فكانوا يصحبونه فى السلم والحرب [3].

ويرى فريق آخر من الأخباريين أن الذي توسط لعقد الصلح بين القبيلتين هو المنذر بن ماء السماء [4].

وكان عمرو بن هند كما يقول الأخباريون يعطف على قابوس أخيه من أمه هند، ففوض اليه ادارة أمور الدولة المهمة فى حياته. أما أخوه من زوجة أبيه أمامة، واسمه عمرو، فلم يكن يعطف عليه، لذلك خرج الى حمير لتساعده فى أخذ حقه. فلما كان راجعاً مع مراد، وعليهم المكشوح، قتلوه فى موضع يقال له قضيب بأرض قيس عيلان [5].

ويفهم من روايات الأخباريين أن عديّ بن زيد كان من المقربين عند عمرو بن هند، وكان يصحبه مع من يصحبه من الرؤساء في الصيد [6].

---

(١) شعراء النصرانية (ص ٧١٥).

(٢) الأغاني (١٩/١٢٧ وما بعدها)، شعراء النصرانية (١٢٤).

(٣) الأغاني (١١/٤٢ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية »، شعراء النصرانية (ص ١٩٨ وما بعدها).

(٤) الأغاني (١١/٤٤ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية ».

(٥) البلدان (٧/١١٨ وما بعدها) البكرى : معجم (٣/١٠٨٠) « طبعة السقا ».
Rothstein, S. 99, Freytag, Arab. Prov., I, 172.

(٦) الأغاني (٢/١٥٤).



زخارف فنية مصنوعة من الجص .

من مجلة : « Ars Islamica »

وانتهت حياة عمرو بن هند بالقتل ، وهو مسؤول عن قتل نفسه إن صحت القصة . وخلاصتها : أن الغرور أخذ مأخذه من صاحبنا عمرو . وأراد يوماً أن يظهر فخره أمام الناس ، فقال لجلسائه : هل تعلمون أن أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمي ؟ قالوا : ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ، فإن أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو ، فسكت وأضمرها في نفسه . ثم بعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويأمره أن تزور أمه ليلى أم نفسه هند . فقدم عمرو مع أمه ، فأنزلها منزلاً حسناً ، ثم أمر بالطعام فقدم للحاضرين . وكان عمرو قد قال لأمه : اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف ، فنحي خدمك عنك ، فإذا دنا الطرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء . ففعلت هند ما أمرها به ابنها . فصاحت ليلى عندئذ : واذلاه يا آل تغلب ! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه ، والقوم يشربون ، وثار الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق ، فأخذه وضرب به رأس مضرط الحجارة ، ونادى في التغلبيين فأخذوا ما تمكنوا من أخذه ، وعادوا من حيث أتوا . وهكذا جنى عمرو بن هند حصاد ما زرعه إن صحت الرواية[1] ، ويروي الرواة في تأييدها هذا المثل : « أفتك من عمرو بن كلثوم » . كما افتخر بها الشعراء التغلبيون[2] .

والى هند أم الملك ينسب دير هند الكبرى من أديرة الحيرة ، وقد أرخ بناؤه في عهد خسرو أنوشروان وفي عهد الأسقف مارافريم . وقد لقبت فيه بالملكة بنت الأملاك وأم الملك عمرو بن المنذر[3] . واذا صحت قراءة الأخباريين هذه ، كان بناء هذا الدير في أيام ابنها عمرو .

---

(١) ابن الأثير (١/١٢٦) ، الأغاني (٩//١٧٥) ، (١١/٥٣) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٢) قال أفنون التغلبي :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا ... لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتاً ... وأمسك من ندمانه بالمخنق
وجلله عمرو على الرأس ضربة ... بذي شطب صافي الحديدة رونق

ابن الأثير (١/٢٢٦) ، الأغاني (٩/١٨٣) ، شعراء النصرانية (٢٠٠) .

وقال الأخطل مفتخراً :

أبني كليب ، إن عمي اللذا ... قتلا الملوك وفككا الأغلالا .

الأغاني (٩/١٨٣) ، ابن دريد : الاشتقاق (٢٠٤) ، خزانة الأدب (١/٥٢٠) ، حمزة (ص٧٢) .
Rothstein, S. 101.

(٣) الحيرة (٤٧) .

وكان الملك من نصيب قابوس بن المنذر بعد وفاة عمرو بن هند أخي قابوس ، وأمه كندية هي هند كما رأيت[1] . ملك على رواية حمزة أربع سنين في زمن أنوشروان . وذكر حمزة أن من الأخباريين من قال إنه لم يملك . « وإنما سموه ملكاً لأن أباه وأخاه كانا ملكين » . وقد وصفه بالضعف وباللين ، ولذلك قيل له « فتنة العرس » و « قينة العرس » في بعض الروايات. وقد قتله رجل من يشكر ، وسلب ما كان عنده وعليه[2] ، وهذا رأي الأخباريين فيه .

وليس بصحيح ما زعمه حمزة نقلاً عن بعض الأخباريين من أن قابوساً لم يكن ملكاً ، وإنما قيل له ذلك لأن أباه وأخاه كانا ملكين . فقد نعته « يوحنا الأفسوسي John of Ephesus » في تأريخه الكنيسي بـ « ملكا » أي ملك ، ويوحنا الأفسوسي من الرجال الذين عاشوا في القرن السادس للميلاد . وقد توفي سنة ٥٨٥ م تقريباً . ولم يكن لينعته بـ « ملكا » لو لم يكن قابوس ملكاً على الحيرة حقاً[3] .

ويظن أن الصورة التي رسمها الأخباريون لقابوس إنما حصلوا عليها من شعر الهجاء الذي قيل فيه ، وأن ما أوردوه عنه من لين وضعف هو في حاجة الى دليل ؛ إذ يظهر من الموارد الأخرى مثل التواريخ السريانية أنه كان على العكس[4] . وقد يكون لتوليه الحكم ، وهو رجل متقدم في السن ، أصل في ذلك الهجاء . فالذي يظهر من أخباره أنه ولي الحكم وهو شيخ كبير . وأما اللقب الذي لقب به ، وهو قينة العرس ، فقد انتزعه الأخباريون من شعر منسوب الى طرفة هجا فيه عمرو بن هند وقابوساً ، وهو قوله :

يأت الذي لا تخاف سبّته   عمرو وقابوس قينتا عرس[5]

وقد ذكر المؤرخ مارسليانوس رجلاً سماه « Chabus » ، ذكره مع المنذر الثالث في حوادث سنة ٥٠٦ م[6] . ويرى روتشتاين أن المراد به رجلٌ آخر غير قابوس . فلو كان هو

---

(١) جعل المسعودي أمه بنت الحارث من آل معاوية بن معد يكرب . وأما أم عمرو بن المنذر فجعلها أخت عمرو بن قابوس من آل نصر . المروج (٢/٢٤) « طبعة دار الرجاء » .

(٢) حمزة (٧٣) ، وجعل المسعودي مدة حكمه ثلاث سنين . المروج (٢/٢٤) ، ابن الأثير (١/٢٠٠) .

(٣) John of Ephesus , Eccl. Histo. , 345 , 11 , 3. (Cureton ed.) 6 . Rothstein , S. 102.

(٤) Rothstein , S. 102 , Caussin , Essai , II , 129 .

(٥) اليعقوبي (١/١٧٢) .

(٦) Noldeke , Sassa . , 345 , anm . I . Rothstein , S. 102.

المقصود به كان قابوس اذن شيخاً هرماً حين انتقل الملك اليه ، ولكنه لا ينفي مع ذلك عدم جوازه[١] . وقد أشرت الى ارسال أخيه عمرو اليه فى حملة انتقامية على عرب الشام ، وذلك فى سنة ٥٦٦ وسنة ٥٦٧ م .

ولما تولى قابوس الحكم ، أغار على بلاد الشام ، وكان يحكم عرب الشام المنذر بن الحارث بن جبلة إذ ذاك . وقد ذكر « ابن العبري Bar Hebraeus » أن المنذر بن الحارث « منذر برحرت » كان نصرانياً وأن جنوده كانوا نصارى كذلك ، ولم يشر الى نصرانية قابوس . ويفهم من جملة ابن العبري : « وقد أغار قابوس على العرب النصارى » ما يؤيد هذا الظن . وقد ظفر قابوس بغنائم عديدة أخذها وعاد بها ، غير أن المنذر جمع جيشه وسار يتعقبه . فلما التقى به ، تغلب عليه ، وأخذ منه أموالاً كثيرة وعدداً كبيراً من الجمال . ولما أعاد قابوس الكرة ، انهزم ، فذهب الى الفرس يلتمس منهم عوناً ومدداً[٢] . ويظهر من رواية أخرى أن انتصار المنذر على قابوس كان فى سنة ٨٨١ من التقويم السلوقي ، وهي توافق سنة ٥٧٠ للميلاد[٣] .

يظهر من رواية « يوحنا الأفسوسي John of Ephesus » أن الملك قابوساً انتهز الفرصه عند وفاة الحارث بن جبلة ، فباغت الغساسنة بهجوم مفاجىء فى عقر دارهم ، فأسرع عندئذ المنذر بن الحارث وجمع جمعه ، وفاجأه بهجوم مقابل لم يتمكن قابوس من الثبات له ، فانهزم هزيمة منكرة بحيث لم ينج من أصحابه الا القليل . وقد فرّ هو ومن سار معه من الناجين في اتجاه نهر الفرات تاركاً عدداً من الأمراء اللخميين أسرى في أيدي المنذر . غير أن المنذر سار فى أثرهم حتى كان على ثلاثة مراحل عن الحيرة[٤] ، ويرى نولدكه أن هذه المعركة هي معركة عين أباغ[٥] .

وبعد قليل من هذه الهزيمة ، جرب قابوس حظه مرة أخرى ، غير أنه مني بخسارة جديدة ، وكانت هذه الغارة حوالي سنة ٥٧٠[٦] .

---

(١) Rothstein, S. 102.

(٢) Bar Hebraeus, Vol., I, P. 79.

(٣) Land, Anecd. Syr., I, 13

(٤) John of Ephesus, VI, 3, Rothstein, S. 103

(٥) Rothstein, S. 103.

(٦) Rothstein, S. 103.

وجرب قابوس حظه مرة أخرى منتهزاً فرصة القطيعة بين المنذر والقيصر « يسطينوس Justinus » ، وهي قطيعة لا نعلم أسبابها على وجه التحقيق ، وإنما يعزو ابن العبري سببها الى مطالبة المنذر للقيصر بدفع مال اليه ليتمكن به من إعداد جيش قوي منظم يستطيع الوقوف به أمام الفرس [١] ، فأغار على حدود الروم ، وتوغل في الأرضين التابعة لهم حتى وصل أتباعه الى منطقة « انطاكية [٢] » . وقد دامت تحرشات « عرب الفرس » بحدود الروم ثلاث سنين ، هي مدة القطيعة ، حيث كان المنذر قد ذهب مع أتباعه الى الصحراء فاحتمى فيها ، ولم تنقطع هذه التحرشات إلا بعد مصالحة الروم له في الرصافة . حينئذ جمع المنذر أتباعه وفاجأ المناذرة بهجوم خاطف كابدت منه الحيرة الأمرين ، فأحرق ما تمكن من احراقه من المدينة وساق من وجده أمامه من الناس أسرى في ركابه ، وأطلق من كان في سجون الحيرة من أسرى الروم . وقد وقعت هذه المفاجأة حوالي سنة ٥٧٨ م . ويظن روتشتاين أنها وقعت بعد وفاة قابوس في عهد المنذر الرابع أخي قابوس وخليفته في الملك [٣] .

وقد ذكر البكري بيتاً من الشعر لأبي دؤاد وردت فيه اشارة الى غزوة غزاها قابوس عرفت بيوم قحاد . ويظهر أن خصوم قابوس أخذوا بثأرهم من هذا اليوم بغزوة قاموا بها على تنوخ [٤] .

ويفاجئنا بعض الأخباريين بذكر رجل يقال له فيشهرت أو سهرب أو السهراب ، قالوا إنه هو الذي تولى الملك بعد قابوس [٥] . وقد جعل حمزة مدة حكمه سنة واحدة في أيام كسرى أنوشروان [٦] . ولم يشر الأخباريون الى الأسباب التي أدت الى تعيين هذا الرجل الغريب ملكاً على الحيرة ، دون سائر آل لخم ، ومنهم المنذر أخو عمرو بن هند وقابوس ، فلعل اضطراباً حدث في المملكة أو نزاعاً وقع بين أولاد قابوس أو بين آل لخم أدى الى تدخل الفرس فقرروا تعيين رجل غريب عن أهل الحيرة لأمد حتى تزول أسباب الخلاف ، فقرروا تعيين واحد منهم . فلما زالت تلك الموانع ، عين المنذر ملكاً على الحيرة ، وبذلك عاد الملك الى آل لخم .

---

(١) Bar Hebraeus , I , P , 79 , F . (٢) John of Ephesus , P, 348 , Rothstein , S , 104 .
(٣) Rothstein , S , 104 . (٤) البكري : معجم (٣/١٠٤٩) « طبعة السقا » .
(٥) « فيشهرت » حمزة (ص ٧٣) . (٦) حمزة (ص ٧٣) .

ويلاحظ أن بعض الأخباريين ، لم يذكروا اسم فيشهرت أو السهراب ، بل ذكروا أن الملك انتقل الى المنذر بعد وفاة أخيه قابوس [1] . وذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب النعمان بن المنذر مباشرة بعد قابوس [2] .

لقد حكم المنذر أربع سنين على رواية حمزة من ذلك في زمن أنوشروان ثمانية أشهر ، وفي زمن هرمز بن كسرى أنوشروان ثلاث سنين وأربعة أشهر [3] . أما الذي خلفه على الحيرة ، فهو النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس . وقد كنّاه بعض الشعراء بأبي قبيس [4] . كما كنّاه بعضهم بأبي منذر [5] .

أما أم النعمان ، فهي سلمى بنت وائل بن عطية بن كلب . أو « سلمى بنت عطية » [6] . وقد نسبها بعض الأخباريين الى سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ ، وقالوا : إنها من فدك ، وزادوا في ذلك أنها كانت أمة للحارث بن حصن بن ضمضم بن عديّ بن جناب من كلب [7] من دومة الجندل [8] ، فهي بنت صائغ من فدك على رواية بعض ، وأمة من دومة الجندل على رواية بعض آخر . وهي في كلتا الحالتين من طبقة وضيعة لا تليق بأسرة مالكة ، ولعلها من أصل يهودي [9] ، إذ كان أكثر أهل فدك من يهود ، وكانوا يحترفون الحرف ومنها الصياغة . وقد دعي النعمان بأمه ، فقيل له ابن سلمى في شعر الهجاء ، وقصدهم من ذلك إهانته .

ومن الشعراء الذين نسب اليهم هجاء النعمان الشاعر عمرو بن كلثوم ، وله فيه وفي أمه هجاء مرّ . وقد وصف خاله بأنه ينفخ الكير ، ويصوغ القروط بيثرب [10] ، أي أنه كان من صاغة تلك المدينة ، وهو مما يؤيد روايات الأخباريين في أصل أمه .

---

(١) اليعقوبي (١٧٢/١) . (٢) المروج (٢٤/٢) .

(٣) حمزة (ص ٧٣) .

(٤) في شعر النابغة ٣٠ ، ٧ ، ٣١ ، ١ ، علقمة ١٢ ، ٤ Rothstein , S . 107

(٥) Rothstein , S . 107

(٦) المروج (٢٤/٢) ، الأغاني (١٣/١١) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٧) الطبري (١٤٧/٢) . (٨) Rothstein , S . 108 (٩) Rothstein , S . 106

(١٠) الأغاني (١١ /٥٨ وما بعدها) .

والظاهر من وصف الأخباريين له أنه كان دميم الخلقة ، فقالوا : انه كان أحمر أبرش قصيراً [1] . وهذا مما قوى جانب خصومه في التهكم به ، يضاف الى ذلك أصل أمه ، وقد أثر هذا النقص الذي لابد له فيه في نفسية النعمان وفي سلوكه ولا شك . فصيره سريع الغضب أخاذ بالوشايات ، فوقع من أجل ذلك في مشكلات عديدة . وقد يكون تسرعه بتصديق ما قاله الواشون عن عديّ بن زيد وتأثره بأقوالهم من غير تحقيق ولا امتحان وقتله له ، من جملة تلك العوامل التي أدت الى هلاكه .

لم ينتقل الملك الى النعمان بسهولة ، فقد كان للمنذر جملة أولاد حين أتته المنية ، عدّتهم ثلاثة عشر ولداً معظمهم طامع في الملك . والظاهر أن المنذر كان عارفاً بالخلاف الذي كان بين أولاده ، فلم يشأ أن يزيده بتعيين أحد أبنائه . ولا ندري لِمَ لم ينص على أكبرهم جرياً على السنة المتبعة في انتقال الملك . ولعله كان عارفاً بحراجة الموقف وضعف مركز ابنه الكبير ، وعدم تمكنه من فرض نفسه عليهم إذا عينه ونصبه ، لذلك وكل أمره كله الى إياس بن قبيصة الطائي [2] ، فتولاه أشهراً حتى انفرجت المشكلة على النحو التالي على حد رواية ابن الكلبي :

دعا كسرى بن هرمز عديّ بن زيد العبادي ، فقال له : من بقي من بني المنذر ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال عديّ : بقيّتهم في ولد هذا الميت ، المنذر بن المنذر ، وهم رجال . فبعث اليهم يمتحنهم . فلما وفدوا على كسرى ، أنزلهم على عديّ بن زيد . فاحتال عديّ على هؤلاء الأخوة كما يقول الأخباريون وتظاهر أنه يفضلهم على ربيبه النعمان ، وأوصاهم أن يجيبوا جواباً معيناً حين يسألهم كسرى ، وأمر النعمان أن يجيب جواباً آخر يختلف عن جواب إخوته . وهو جواب يعتقد أن كسرى سيرضى عنه ويعينه . فلما أدخلوا على كسرى وأجابوا بجواب واحد هو الجواب الذي لقنهم إياه عديّ ، وهو « نكفيك العرب إلا النعمان » ، رضي كسرى بجواب النعمان ، وسرّ به ، فملكه وكساه ، وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب [3] . فانتصر بذلك النعمان على إخوته ، وسرّ عدي بن زيد بتولي ربيبه الملك .

---

(١) الطبري (٢/١٤٧) . (٢) الطبري (٢/١٤٧)

(٣) الطبري (٢/١٤٧) ، الأغاني (٢/١٠٦ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية » .

ولكن انتصار النعمان أدى الى هلاك عديّ بن زيد على ما يقوله الأخباريون ، فقد كان لعديّ ، كما لرجل كبير صار له نفوذ وجاه ومركز خطير ، أعداء في مقدمتهم رجل اسمه كاسمه ودينه مثل دينه ، هو عديّ بن أوس بن مرينا ، وبنو مرينا أسرة لها مكانتها وخطرها في الحيرة . وكان لهذا الرجل شأن يذكر في أيام المنذر ، وكان يميل الى الأسود بن المنذر لأنه ، ربيب بني مرينا فنصحه أن يتجنب الأخذ برأي عديّ بن زيد ، لأنه رجل لا ينصح . فلما أخفق الأسود في الامتحان ، وعجز عن نيل التاج ، صار يدبر المؤامرات لخصمه عديّ ، ويَشِي به الى النعمان ، ويُغْري آخرين بالتظاهر بأنهم من محبي عديّ ، ليثق النعمان بهم ، فاذا أمن بهم ، عادوا فوشوا بعديّ عنده ، ثم لم يكتف بذلك فوضع رسائل على لسان عديّ الى قهرمان لعديّ فيه مكر ومؤامرة بالنعمان ، ثم دس له حتى أخذ الكتاب ، فجاء به الى النعمان ، فلما قرأه صدق بما جاء فيه ، وغضب على عديّ وقرر الانتقام منه (١) .

جرت كل هذه المؤامرات على ما يقوله الأخباريون ، وعديّ عند كسرى يقوم بوظيفته ، لا يدري بها . فلما كتب النعمان اليه : « عزمت عليك إلا زرتني ، فإني قد اشتقت الى رؤيتك » . صدق كلامه ، واستأذن كسرى فاذن له . وسار الى منيته وهو لا يدري ما يخبئه له القدر . فلما وصل الى من كان مشتاقاً الى رؤيته ، ألقاه في سجن منفرد لا يدخل عليه فيه أحد ، وهو لا يدري بم سجن . وفي السجن أخذ ينظم أشعاراً يتضرع فيها الى النعمان أن يفك أسره ؛ ويعظه فيها بالموت وبمن هلك قبله من الملوك الماضين ، وكاد يطلقه لولا وشاية أعدائه به . فلما طال سجنه ، كتب بشعر الى أخيه أبيّ وهو مع كسرى يستجير به للتوسط لدى كسرى أن يكتب الى النعمان يأمره بفك أسره . فلما كتب كسرى بذلك كتاباً ارسله مع شخص الى النعمان ، كتب خليفة النعمان عند كسرى اليه يبلغه بمجيء الرسول ، وعرف أعداء عديّ من بني بقيلة من غسان ، فقالوا للنعمان : أقتله الساعة قبل وصول الرسول اليك ، فان لم تفعل

(١) الطبري (٢/١٤٧ وما بعدها) ، اليعقوبي (١/١٧٣) ، الأغاني (٢/١٠٨ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية » .

فسيذهب الى كسرى فلا يستبقي أحداً لا أنت ولا غيرك . فبعث اليه النعمان اعداءه فنموه حتى مات فى سجنه بالصنّين . ولما وصل الرسول ، رشي بهدايا كثيرة نفيسة ، فعاد الى كسرى يخبره أن عدياً مات قبل وصوله بأيام[1] .

وندم النعمان كما يقول الأخباريون على ما صنع ، واجترأ أعداء عديّ عليه ، وهابهم هيبة شديدة . وبينما كان يوماً في صيده ، اذ به يشاهد غلاماً ظريفاً ذكياً ، ففرح به فرحاً شديداً . فلما عرف أنه زيد وأنه ابن من أبناء عديّ، قربه وأعطاه وحباه ، ثم أرسله الى كسرى ، وكتب معه كتاب توصية رقيقة يشير فيه الى منزلة عديّ منه والى خسارته بوفاته والى عظم المصيبة ، ويوصي كسرى بالولد خيراً . فلما وصل زيد الى كسرى ، جعله مكان أبيه ، وصرف عمه الى عمل آخر ، فكان هو الذي يلي ما كتب به الى أرض العرب وخاصة الملك . ولما مضى وقت على زيد فى هذه الوظيفة ، وقع عند الملك بهذا الموقع مكاناً حسناً ، وتعالت منزلته عنده . ولما اطمأن الى مركزه ، أخذ يدبر مكيدة للانتقام من النعمان قاتل أبيه حتى نجح في مسعاه ، إذ قبض عليه كسرى فبعث به الى سجن خانقين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه . وفى رواية انه مات بساباط[2] . وقد رجح الطبري رواية خانقين ، وأنه مات بسحق الفيلة له . وفي رواية أخرى أنه سجن فى القطقطانة فى البر[3] . وهكذا نجد الرواة يذهبون جملة مذاهب في موضع سجن النعمان .

والذين يروون أن حبس النعمان كان بساباط . يستشهدون بشعر للأعشى ، جاء فيه :

فذاك وما أنجى من الموت ربّه ... بساباط حتى مات وهو محرزق[4]

وهناك روايات أخرى فى أسباب غضب النعمان على عدي وحبسه له فى الصنّين . لا تخرج

---

(١) الطبري (١٥٢/٢) ، اليعقوبي (١٧٣/١) وما بعدها ، المروج (٢٥/٢ وما بعدها) ، الأغاني (٦٥/٦) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٢) Paulys - Wissowa , 33 Halbband ' 1936 , 1254 , Haurt , Geschichte der Araber ,ü iibers . Von Beck und Farber , 1914 , 68 .

(٣) البلدان (١٢٥/٧) .

(٤) الأغاني (٦٥/٦) ، « طبعة دار الكتب المصرية » .



من آثار الحيرة ، ويعود تأريخها الى القرن الثامن للميلاد .
من مجلة « Ars Islamica »

فى جملتها عن حدود هذه المنافسة التي دبرها عديّ بن مرينا وخصوم عديّ له[1]، ولكنها كلها تجمع على قتل النعمان لعديّ.

وقد أحس عديّ بن زيد كما يقول الأخباريون بامتعاض خصمه « عديّ بن أوس بن مرينا » من الحيلة التي دبرها لنجاح النعمان وبمحاولته الغدر به، فأراد مصالحته واسترضاءه كما يقول الأخباريون، فعمل له طعاماً دعا اليه من أحب عديّ بن أوس بن مرينا حضوره، وحلف بعد انتهاء الطعام في البيعة إنه لن يحقد عليه، وإنه سيتناسى ما حدث، ورجا من خصمه أن يفعل مثله. فقام عديّ بن أوس الى البيعة، فحلف مثل يمينه أن لا يزال يهجوه ابداً ويبغيه الغوائل ما بقي. وقد كان[2]. وهم يروون شيئاً من هذا التهاجي الذى وقع بين الخصمين.

والقصة كما يرويها الأخباريون قصة طريفة تصلح أن تكون موضوعاً لشريط سينمائي اختلط فيها التأريخ بالخيال، والواقع بالابداع. أما نحن فلا يهمنا من أمرها إلا النتيجة، وهى أن الفرس قبضوا على النعمان ملك الحيرة وسجنوه، وأن حادثاً وقع بعد ذلك كان وقعه عظيماً فى نفوس العرب، لا فى العراق وحده، انما دوّى صداه الى جميع جزيرة العرب كلها، هو حادث وقعة ذي قار، وهى من الوقائع الفاصلة فى تأريخ الجزيرة كان لها أثر في فتح الاسلام للعراق.

وفى رواية سريانية أن كسرى بعد أن قبض على النعمان بن المنذر وأولاده سقاهم سماً فماتوا، وعصى عندئذ العرب الفرس، وأخذوا يهاجمونهم. فأرسل كسرى قائداً سمته الرواية بـ« بولر » تولى أمر الحيرة. ولكنه لم يتمكن من ضبط أمورها، لشدة أهلها، فانصرف عنها، وترك أمرها لمرزبان اسمه روزبي مرزوق، أقام فى برّية الحيرة في حصن حفنة، وأخذ يقاتل منه الأعراب[3].

وقد أشير الى مصرع النعمان في شعر عدد من الشعراء مثل سلامة بن جندل، وقد ورد فيه ذكر إلقاء كسرى للنعمان تحت أرجل الفيلة[4] كما هي رواية ابن الكلبي التي تعارض رواية لحماد

---

(١) شعراء النصرانية (ص ٤٥٠). (٢) الطبري (٢/١٤٧).

(٣) Histoire Nestorienniè. II Partie. (II). P. 539. 546.

(٤) شعراء النصرانية (ص ٤٩١).

القائلة فيها أنه مات بحبسه في ساباط [١] .

وهناك قصيدة نسبها بعضهم الى زهير بن أبي سلمى، ونسبها آخرون الى صرمة الأنصاري . ذكر فيها كيف ذهب النعمان – قبل ذهابه الى كسرى – الى من كان يحسن اليهم ، ويغدق عليهم الألطاف ، فلما غضب عليه كسرى لم يُجِرْهُ هؤلاء ، ولم يساعدوه الا ما كان من بني رواحة من عبس ، فشكرهم النعمان وودعهم وأثنى عليهم ، وقال لهم : لا طاقة لكم بجنود كسرى ، فانصرفوا عنه [٢] .

ولا نعلم من أعمال النعمان شيئاً كثيراً يتناسب مع المدة التي حكمها ، وهي ٢٢ سنة على رواية حمزة [٣] . والمسعودي وغيرهما[٤] . وقد ذكر حمزة أنه غزا « قرقيسياء **Circesium** » ، ولكنه لم يعين تأريخ وقوعها[٥] ، ويقصد بذلك بالطبع غارة قام بها على أرض الروم .

وقد ورد اسم « السيلحون » في جملة المواضع التي كان يجبيها النعمان ، وذلك في شعر لأعشى قيس [٦] . ويقع السيلحون في البرّية بين الكوفة والقادسية ، كما ورد اسم هذا الموضع في شعر لهانيء بن مسعود يرثي فيه النعمان ويذكر قتل كسرى إياه . ويظهر أنهـا كانت من جملة المسالح التي تحمي الحدود من البادية . والمسالح هي مواضع في الثغور يوضع فيها الجنود والمسلحون لحماية الحدود من الأعداء [٧] .

وقد ورد في حديث الطبري عن قصة سجن النعمان لعديّ ما يفيد أن النعمان خرج يريد البحرين ، فأقبل رجل من غسان ، فأصاب في الحيرة ما أحب . وقد قيل : إن هذا الرجل هو

---

(١) شعراء النصرانية (ص ٤٦٤) .

(٢) خلا ان حياً من رواحة حافظوا ... وكانوا أناساً يتقون المخازيا
فساروا له حتى أناخوا ببابه ... كرام المطايا والهجان المتاليا
فقال لهم خير وأثنى عليهم ... وودعهم وداع أن لا تلاقيا
شعراء النصرانية (ص ٥٨٤) .

(٣) حمزة (ص ٧٤) . (٤) المروج (٢/٢٤) . (٥) حمزة (ص ٧٣) .

(٦) ولا الملك النعمان يوم لقيته ... بأمته يعطي القطوط ويأفق
وتجبى اليه السيلحون ودونها ... صريفون في أنهارها والخورنق
شعراء النصرانية (ص ٣٨٣) . (٧) البلدان (٥/١٩٩ وما بعدها) .

جفنة بن النعمان الجَفْني [١] . ولعل هذه الغارة هي واحدة من جملة غارات قام بها الغساسنة على الحيرة . وفي شعر النابغة الذبياني إشارات الى أمثال هذه الغارات [٢] . ويفيد خبر رواه المؤرخ « ثيوفلكتس Theophylaktus » أن عرب الروم أغاروا على عرب الفرس حوالي سنة ٦٠٠ م ، أي في أثناء الصلح الذي عقد بين الروم والفرس [٣] .

ولم يكن النصر حليف النعمان في اليوم المعروف بيوم الطخفة ، وهو يوم نسبه بعض الأخباريين أيضاً الى قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، كما نسبه بعض آخر الى المنذر بن ماء السماء [٤] . وخلاصة الحادث : أن حاجب بن زرارة الدارمي التميمي سأل النعمان أن يجعل الردافة للحارث بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع الدارمي التميمي . وكانت لبني يربوع ، وهي بمنزلة الوزارة ، يتوارثونها صغيراً عن كبير ، وكان الرديف يجلس عن يمين الملك . فلما سأل النعمان موافقتهم على نقل الردافة منهم ، أبوا ذلك ، لما لها من منزلة ومكانة ، فبعث اليهم قابوساً ابنه وحسانَ أخاه على رأس جيش كثيف فيهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم ، فساروا حتى أتوا طخفة ، فالتقوا هم ويربوع واقتتلوا ، وصبرت يربوع ، وانهزمت جموع آل لخم ، وأخذ قابوس وحسان أسيرين . فلما بلغ خبر هذه الهزيمة سمع النعمان ، طلب من أحد بني يربوع ـ وهو شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي ـ أن يذهب عاجلاً الى بني يربوع ليفك أسر ابنه وأخيه مقابل إعادة الردافة اليهم واداء دية الملوك وهي ألف بعير للرجل الواحد . وبذلك صالح مرغماً بني يربوع [٥] . وهذا اليوم من الأيام التي يفاخر بها أبناء يربوع . وقد ورد ذكره في شعر مالك بن نويرة [٦] والأحوص [٧] وجرير [٨] .

---

(١) الطبري (٢/١٤٨) .

(٢) ديوان النابغة « طبعة Ahlwardt ٢٧ ، ٣٥ » . Rothstein , S . 112 .

(٣) Theophylaktus , VIII , I , Noldeke , Ghassa . . S. 39 , Rothstein , S. 112

(٤) ابن الأثير (٢/٢٧٢ وما بعدها) . (٥) ابن الأثير (٢/٢٧٢ وما بعدها) .

(٦) ابن الأثير (٢/٢٧٣) ، العقد الفريد (٣/١٠٢) .

(٧) البلدان (٣/٥١٨) « طبعة اوربة » .

(٨) البكري (١/٤٥٢) . Rothstein , S . 113

وكان نصيب النعمان من يوم السلاّن كنصيبه من يوم الخخفة ، وسبب وقوع هذا اليوم هو أن بني عامر بن صعصعة ، وكانوا حمساً لقريش متشدّدين في دينهم لايدينون للملوك ، تعرضوا للطيمة كان الملك النعمان بن المنذر يريد ارسالها الى عكاظ لبيعها في السوق . وكان من عادته ارسال لطيمة الى عكاظ كل عام لتباع هناك . فلما بلغ النعمان الخبر ، غضب ، فبعث الى أخيه لأمه وهو وبرة بن رومانس الكلبي ، والى صنائعه وهم من كان يصطنعه من العرب ليغزو بهم ، والوضائع وهم الذين كانوا شبه المشايخ ؛ وأرسل الى بني ضبّة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم ، فأجابوه ، وأتاه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حبيش بن دلف ، فاجتمعوا كلهم في جيش عظيم . وأرسل النعمان معهم تجارة ، وأمرهم ألاّ يتحرشوا ببني عامر إلا بعد الانتهاء من عكاظ ومن الأشهر الحرم . فلما انتهوا من عكاظ ، أحست قريش بنيات جماعة النعمان ، فأخبروا بني عامر وحذروهم ، فاستعدوا للقتال . فلما وصل أصحاب النعمان اليهم ، قاتلوهم عند موضع السلاّن ، وهو موضع قريب من منازل بني عامر ، وتغلبوا عليهم ، وأسروا وبرة بن رومانس الكلبي وعدداً من رؤساء القوم ، وانهزمت جماعة النعمان ، ورضي عندئذ من حملته هذه بدفع دية أخيه وبرة ودية عدد من الرؤساء (١) .

وقد تعرضت لطيمة النعمان مرة أخرى الى النهب حينما وكَلَ أمر حمايتها الى رجل من هوازن ، فتربص بها رجل خليع معروف اسمه البراض بن قيس بن رافع من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فقتل حامي القافلة وساق الركاب . وكان من عادة النعمان أن يشتري بثمن اللطيمة الأدم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشي والمسير والعدني من سوق عكاظ (٢) .

وفي أيام النعمان كان يوم شعب جبلة ، وهو لعامر وعبس على ذبيان وتميم . وهو من أيام العرب المشهورة في نظر الأخباريين . وقد اشترك النعمان فيه بمساعدته لقيط بن الجون الكلبي

---

(١) ابن الأثير (١/٢٦٨ وما بعدها) . (٢) الأغاني (١٩/٧٥) .

ملك هجر، وإرساله أخاه لأمه حسان بن وبرة الكلبي لمعاونة لقيط . ويلاحظ أن الرواة قد لقبوا لقيطاً بلقب ملك ، وأشاروا الى اشتراك جملة ملوك في هذا اليوم (١) ، وهم يقصدون بذلك رؤساء القبائل وشيوخ المقاطعات .

وكان حسّان بن وبرة شقيق النعمان لأمه رئيساً على ضبّة . وقد أسره يزيد بن الصعق فى الغارة التي قامت بها بنو عامر على تميم وضبة ، وانهزمت فيها تميم . وقد فادى حسان نفسه من يزيد ابن الصعق بألف بعير هى فدية الملوك . وأغار يزيد بعد ذلك على عصافير النعمان وهي أبل معروفة شهيرة كانت إذ ذاك بمكان يسمى ذا ليّان (٢) .

ويقال إن النزاع الذي وقع بين النعمان وتغلب كلف النعمان حياة ابنه المنذر ، إذ سقط قتيلاً على يد رجل من تغلب يدعى مرة بن كلثوم (٣) . هو أخو عمرو بن كلثوم ، ويقال إنه قتل أيضاً أبناً آخر من أبناء النعمان .

وكانت للنعمان كتائب يقاتل بها ، هي : الرهائن ، والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، والدوسر . وقد اشتهرت هذه الكتيبة الأخيرة بالشدة وبقوة البطش ، فقيل فى أمثالهم « أبطش من دوسر » (٤) .

وقد كان النعمان بن المنذر مثل عمرو بن هند محباً للشعر والشعراء ، والخطب والخطباء . وقد جعله الأخباريون من خير خطباء زمانه ، كالذي يظهر من كلامه مع كسرى ، وهو كلام نسبت روايتــه الى ابن الكلبي ، ونسب ابن الكلبي روايته الى القطامي وهو من مشاهير الأخباريين (٥) .

وروى الأخباريون شعراً من الشعر الذي قاله أصحابه فى حضرة النعمان أو في مدحه وفي مدح آل لخم ، كما رووا شعراً في هجائه وفي هجاء آل لخم ، ورووا بعض ما قيل في حضرته من حديث وبعض ما صادفه الشعراء حين كانوا يقصدونه لنيل ما يبتغون مثل حديث حسان بن ثابت الشاعر

---

(١) العقد الفريد (٦/١٠ وما بعدها) « طبعة العريان » .

(٢) العقد الفريد (٦/٤١ وما بعدها) .

(٣) Rothstein , S . 112

(٤) الميداني : مجمع الأمثال (٧٨١) .

(٥) العقد الفريد (١/٢٥٣ وما بعدها) .

المخضرم المعروف [١] . ويظهر من كلامهم أن النابغة الذبياني كان من أكثر الشعراء صلة بالنعمان . وفي الشعر الذي يرويه الأخباريون عنه وينسبون قوله اليه ، شيء كثير من المناسبات التي وقعت بين الملك وبين هذا الشاعر . وقد استاء خصوم النابغة من قربه من النعمان ، ونيله جوائزه وألطافه ، فسعوا به اليه حتى غضب عليه ، وهمّ بقتله ، ولم ينجه من القتل إلا هربُهُ الى آل جفنة ملوك عرب الشام ، فبقي في كنفهم مدة ، ثم عاوده الحنين الى صاحبه وحاميه القديم النعمان ، فاعتذر اليه ، وتنصل من التهم التي ألصقها خصومه به ، وعاد يأخذ جوائزه ونعمه كما كان [٢] .

ويذكر الأخباريون أن آخر مرة اتصل بها « النابغة » بالنعمان كانت في أثناء مرض الملك « النعمان » . وكان « النابغة » هارباً انذاك على أثر الوشاية به . فلما سمع « النابغة » بمرضه ، آثر السفر اليه ، والاعتذار منه . فلما وصل الحيرة ، كان الملك لا زال مريضاً ، شديد المرض . وقد حمل على سرير على العادة المتبعة عند مرض الملوك مرضاً شديداً ، يشرف فيه على الموت . فاستأذن للنابغة في الدخول عليه وانشاده ما نظمه في مدحه ، فسمح له بالدخول . وانعم النعمان بالنعم عليه [٣] .

وفي جملة من كان له شرف الاتصال بالنعمان ، وبنيل هباته وجوائزه من الشعراء المنخل اليشكري والمثقب العبدي والأسود بن يعفر وحاتم الطائي وأمثال هؤلاء . والى النعمان هذا نسب بعض الأخباريين قتل عبيد بن الأبرص ، وذلك لظهوره في يوم بؤس النعمان [٤] . ويحتاج هذا القصص الى تمحيص ، فأكثره مما لا يثبت لنقد النقاد [٥] . وقد عدّ يوم عبيد من

---

(١) العقد الفريد (١/٢٦٧) ، الأغاني (١٥/٢٧) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٢) الأغاني (١٥/٢٧ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية » . شعراء النصرانية (٦٤١ ، ٦٤٩ وما بعدها) .

(٣) الأغاني (١٥/٢٨ وما بعدها)

(٤) حمزة (ص ٧٣) ، مجاني الأدب (٣/٣٠٩) ، شعراء النصرانية (ص ٦٠٠) .

(٥) Rothstein, S. 114

أيام الشؤم ، وضرب به المثل فقيل « يوم عبيد »[1] .

ويذكر أن المنخل اليشكري كان ينادم النعمان وينشده القصائد ، وكان النعمان يكرمه ويقربه اليه ، غير أنه يؤثر شعر النابغة على شعره ، وهذا مما غاظ المنخل وجعله يسعى للايقاع به[2] ، فأوغر صدر النعمان عليه ، حتى همّ بقتله ، فهرب النابغة منه ، وخلا المنخل بمجالسة النعمان ، وأصبح من أقرب المقربين اليه . ولكن النعم كما يقول الناس لا تدوم ، فما لبث مدة حتى انقلب الحظ على المنخل ، فدفع به الى عكب صاحب سجن النعمان ، وهو من بني تغلب ، فسجنه وعذبه ثم قتله . وقيل بل دفن حياً أو أغرق . ومهما يكن من شيء ، فلم تكن خاتمة هذا الواشي خاتمة أكثر الناس ، وضرب بنهايته المثل كما ضرب بالقارظ العنزي وأشباهه ممن هلكوا ولم يعلم لهم خبر[3] .

كان النعمان في أول عهده عابد وثن ، يتعبد للعزي ، ويذبح الذبائح للأوثان ، ثم رأى رأيا فغير دينه ، ودخل فى النصرانية . ولبعض مؤرخي الكنيسة ولبعض الأخباريين قصص فى كيفية اهتدائه الى النصرانية ، مرجعها قصص نصارى أهل الحيرة على ما يظهر . يحدثنا أصحاب تواريخ الكنيسة أن النعمان ولع به الشيطان وأصيب بلوثة ووسوسة ، فحاول الشفاء منها بالتجائه الى كهنة الأصنام . فلما عجزوا من شفائه ، أشير عليه بالالتجاء الى آباء الكنيسة ، فلجأ الى شمعون بن جابر أسقف الحيرة ، والى سبر يشوع أسقف لاشوم وأيشوعزخا الراهب فانتفع بهم ، فغيرّ دينه ، فتنصر واعتمد وحسن ايمانه ، وطرد اليعاقبة من سائر أعماله وتقوت بذلك النسطورية . وكذلك تنصر ولده ، ومنهم الحسن والمنذر . وكان الحسن أشد الجماعة تمسكاً

---

(١) قال أبو تمام :

لما أظلتني سماؤك أقبلت ... تلك الشهود علي وهي شهودي

من بعد ما ظن الأعادي أنه ... سيكون لي يوم كيوم عبيد

شعراء النصرانية (٦٠٢) .

(٢) شعراء النصرانية (ص ٦٤١ وما بعدها) .

(٣) شعراء النصرانية (٤٢١) .

بالنصرانيـــة . وقد سبقته أختاه هند ومارية الى الدخول فى هذا الدين [1] . وهذه رواية « النساطرة » فى كيفية تنصر النعمان .

وقد أشار أبو فرج الأصبهاني فى كلامه على كيفية انتقال الملك الى النعمان ، أن عديّ بن زيد أخذه الى جابر بن شمعون ، وهو من بني الأوس بن قلام بن بطين بن جهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب وكان أسقفاً على الحيرة ، فاقترضا منه مالاً لتدبير أمورها به ، وذكر أن جابراً هو صاحب القصر الأبيض الذي بالحيرة [2] .

أما الأخباريون فينسبون تنصره الى تأثير عديّ بن زيد عليه . وهم يروون أنه خرج ذات يوم راكباً ومعه عديّ بن زيد ، فوقف بظهر الحيرة على مقابر مما يلي النهر ، فقال له عديّ بن زيد : أبيت اللعن ، أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ! قال : إنها تقول :

أيهـــا الركب المخبّون على الأرض المجدّون

مثل ما أنتم حينـــا وكما نحن تكونون

ثم قال :

رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال

ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

فأثر هذا القول ـ على حد قول الأخباريين ـ في نفس النعمان ، وارعوى ، وتنصر [3] .

وقد نسب حمزة الى النعمان بناء الغريين وغريها بدم من يقتله في يوم بؤسه [4] . وقد ذكرت

---

(١) Histoire Nestorienne , Seconde Partie , (II). P. 468 , f , 478. ff , Evagrius , IV , 22 , S. 238 , 17. ff , Paulys - Wissowa , 33 Halbband 1936 , 1254.

الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٣٢ ، ٤٧ وما بعدها) . أوجين تسران : خلاصة تأريخيــة للكنيسة الكلدانية (ص ٤٠) .

(٢) الأغاني (٢/١١٥) ، « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٣) حمزة (ص ٧٣ وما بعدها) . ذكر صاحب الأغاني هذه الأبيات مع شيء من الاختلاف : الأغاني (٢/٩٦) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٤) حمزة (ص ٧٣) .

فيما سلف أن من الأخباريين من نسب بناءها الى المنذر بن ماء السماء . واني أرجح رواية حمزة هذه ، وأرى أن قصة اعتقاده بيوم البؤس والنعيم هي نوع من هذا الاضطراب النفسي الذى أشارت اليه الروايتان السالفتان من تنصره من بعد ، والذى جاء فى الروايات السريانية من عبادته للأوثان وإصابته بلوثة وعجز كهنة الأوثان عن مداواته وشفائه واخراج الشيطان منه ومن نجاح القسيسين فى شفائه وتنصره على يدهم كما ذكرت .

وينسب الى النعمان أبو قابوس دير اللج[1] ، وقد دعي بـ « دير اللجة » فى « تأريخ سعرت » ، ونسبه الى اللجة ابنة النعمان . وذكر أن فى هذا الدير قبر مار آبا الكبير الجاثليق[2] .

ونسب حمزة الى النعمان أربع بنات ، هن : هند ، وحُرَقة ، وحريقة ، وعنفقير[3] . وهند هى البنت الوحيدة التي نعرف عنها شيئاً من بنات النعمان ، وقد ورد فى بعض الروايات أنها لم تكن بنت النعمان ، بل كانت أخته[4] . وذكر أيضاً أن والدها النعمان زوّجها من عدي[5] . وقد عاشت حتى أدركت الاسلام ، وكانت مترهبة ، فلم تقبل الدخول فيه . ولما ماتت دفنت فى ديرها الى جانب قبر أبيها النعمان . وقد بقي الدير والقبران معروفين مدة طويلة فى الاسلام .

وكانت للنعمان جملة نساء ، منهن : زينب بنت أوس بن حارثة ، وفرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وقد ولدت له ولداً وبنتاً ، وكانت عنده لما طلبه كسرى ، وصار يتجول بين القبائل ليمنعوه[6] . ومارية الكندية ، وهى أم هند التي تزوجها عديّ بن زيد[7] .

وذكر فى جملة وزراء النعمان عمرو بن بقيلة والد عبد المسيح ، وهو صاحب قصر بني بقيلة بالحيرة . وكان عبد المسيح فى جملة من اشترك فى المفاوضات مع خالد بن الوليد لعقد الصلح

---

(١) الحيرة (٢٠٣) .

(٢) Histoire Nestorienne, (Chronigue de Seert), Seconde Partie (I), p. 155.

(٣) حمزة (ص ٧٤) .   (٤) الأغاني (١/٣٤) .

Assemani, Bibl. Oerienta., III, 109, Rothstein, S. 125.

(٥) Rothstein. S. 125.

(٦) الأغاني (١/١١٥) « طبعة دار الكتب المصريه » .

(٧) الأغاني (١/١١٩) « طبعة دار الكتب المصرية » .

وتسليم الحيرة ، وله دير بناه في ظاهر الحيرة فى موضع يقال له الجرعة ، عرف بدير الجرعة ، وبدير عبد المسيح[1] . وفى جملة من اشترك مع عبد المسيح فى مفاوضة خالد بن الوليد هانيء بن قبيصة الشيباني وإياس بن قبيصة الطائي ، وفروة بن إياس فى بعض الروايات[2] .

وقد نسب الى النعمان كلام ذكر أنه قاله فى مجلس كان حافلاً بوفود الروم والهند والصين ، اجتمعوا عند كسرى . كما نسب اليه إرسال وفد ضم أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين ، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين ، وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين ، وعمرو بن الشريد السلمي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي والحارث بن ظالم المريّ ، وكانوا خيرة من عرف بالخطابة وحسن الكلام فى تلك الأيام[3] .

أما عديّ بن زيد ، فهو من العباديين أي من نصارى الحيرة . واما والده ، فهو زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصيّة بن أمريء القيس بن زيد مناة بن تميم ، فهو تميمي الأصل[4] . وكان لزيد ثلاثة أولاد ، هم : عديّ هذا الذي تحدثنا عنه . وكان كما يقولون شاعراً خطيباً قرأ كتب العرب والفرس ، وعمار « حمّار » « حمّاد » واسمه أبيّ ، وكان مع كسرى ، وعمرو واسمه سميّ ، ولهم أخ من أمهم يدعى عديّ بن حنظلة ، وهو من « طيء »[5] . وكان عديّ نصرانياً وقد سعى لتنصير نفر من آل لخم ، ومنهم النعمان في قصة تجد حديثها فى كتب الأخباريين[6] .

وقد حكي على لسان عديّ بن مرينا أنه قال للأسود : « أما إذا لم تظفر ، فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المعدي الذي فعل بك ما فعل ، فقد كنت أخبرك أن معداً لا ينام

---

(١) الأغاني(١٥/١١) ، السجستاني (٣٨) ، شعراء النصرانية (١٥) ، البلدان (١/٦٥١،٦٧٧) .
(٢) شعراء النصرانية (١٨) .
(٣) العقد الفريد (١/٢٥٣ وما بعدها) « طبعة العريان » ، بلوغ الأرب (٣/١٤٧ وما بعدها) .
(٤) الطبري (٢/١٤٦) ، الأغاني (٢/٩٧) « طبعة دار الكتب المصرية » .
(٥) الطبري (٢/١٤٦) ، الأغاني (٢/١٠٥) « طبعة دار الكتب المصرية » .
(٦) حمزة (ص ٧٣ وما بعدها) .

كيدها »[1]، فنسب عديّ بن زيد الى معد .

وحكى على لسان العجّاج أنه كان يقول : إن عدياً قروي[2] ، ولذلك لم يكن شعره على حدّ قوله مثل شعر الفحول .

كان أيوب جدّ عديّ من أهل اليمامة على رواية الأخباريين ، كان يقيم في بني امرئ القيس بن زيد مناة ، ولكنه اضطر الى ترك اليمامة والهجرة الى الحيرة لاصابته دماً ، فخاف على نفسه من القتل ، والتجأ الى أوس بن قلام ، وكان بينه وبين أوس نسب في النساء . فلما قدم أيوب الحيرة ، نزل في دار أوس ، وأقام عنده أمداً . ثم اقام في دار أخرى بعد أن حباه أوس واكرمه ، وصار له شأن في البلد ومقام . فاتصل بالملوك وتقرب اليهم وغدا من علية القوم[3] .

وصار لزيد بن أيوب شأن يذكر في البلد ، وتزوج امرأة من آل قلام ولدت له ولداً دعاه حمّاداً . وبينما كان زيد يتصيد في البادية ، اصطاده رجل من بنى امرئ القيس ، فقتله بسهم اخذاً لثأر قومه من أبيه أيوب . وعلم « حمّاد » الكتابة والقراءة ، فكان أول من كتب من بنى أيوب في رواية الأخباريين ، وغدا من أكتب الناس في الحيرة ، ولذلك اختير كاتباً لملك الحيرة النعمان ، واتصل بكبار الفرس ومنهم فروخ ماهان الذي تكفل زيداً بن حمّاد بعد وفاته ، وربّاه مع أبنائه . ثم أوصله الى كسرى أنوشروان فجعله على البريد ، لما تبين له من ذكاء زيد وقدرته في العربية والفارسية . وهي وظيفة لم تكن تعطى لغير أبناء الفرس[4] .

وتزوج زيد امرأة من طيء ولدت له عديّاً ، وقد ربى هذا تربية طيبة ، فأرسل الى الكتاب ، فلما حذق ومهر فنه بالعربية ، أرسل الى كتّاب الفارسية ، فتعلم مع أولاد المرازبة ومنهم شاهان مرد الفارسية حتى صار من الحاذقين بها العارفين بفنونها ، ثم تعلم الرماية ولعب الصولجان ، واتصل بكبار الفرس . وقد ساعده مركزه هذا على التقرب من آل لخم ، والى « زيد بن

---

(١) الأغاني (١٠٩/٢) طبعة دار الكتب المصرية » .
(٢) المصدر نفسه (ص ٩٧) .
(٣) الأغاني (٩٨/٢) « طبعة دار الكتب المصرية » . شعراء النصرانية (ص ٤٣٩ وما بعدها) .
(٤) الأغاني (٩٩/٢ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية » . شعراء النصرانية (ص ٤٤١) .

حماد » اوكل تدبير شؤون ملك الحيرة بعد سياحة النعمان على رواية بعض الأخباريين الى أن انتقل الملك الى المنذر بن ماء السماء (١) .

وقرب عديا الى كسرى أنوشروان المرزبان فروخ ماهان ، فعهد اليه الكتابة بالعربية ، فتولاها وصار له شأن يذكر عند الفرس ، كما صار له مركز خطير في قصور آل لخم . ولما توفي كسرى أنوشروان وملك هرمز ابنه ، اتصل عديّ بطيباريوس قيصر الروم على ما يقوله الأخباريون ، ثم ذهب اليه ، فأكرمه القيصر ، وحباه ، وأراه اطراف مملكته ، وذهب الى دمشق وأقام فيها أمداً ، وهو على صلات حسنة بالروم . وفي أثناء اقامته بالشام ، أراد أهل الحيرة قتل المنذر والخروج عليه ، لظلمه وأخذه أموالهم بغير حق . فلما علم بذلك المنذر ، طلب من زيد والد عديّ أن يتولى هو الأمر ، وفرح الناس على ما يذكره الرواة بهذا القرار ، فجاؤوه يحيونه بتحية الملك ، ولكنه أبى أن يسمى ملكاً ، ورضي بالحكم بغير هذا الاسم ، وسرّ المنذر بهذا الحل ، ورضي به . وبقي في هذا المركز الى أن هلك ، وابنه بعيد عنه في دمشق .

فلما جاء عديّ من الشام ، لم ينس المنذر فضل أبيه عليه ، وانقاذه الملك بهذا الحل ، وسلمه ما كان قد تركه أبوه ، واستقبله استقبالاً عظيماً حينما قدم الحيرة قادماً من المدائن بعد زيارته لكسرى لتقديم هدية القيصر اليه . وأقام في الحيرة سنين يتصيد ويلهو ويلعب ، ويبدو في فصلي السنة ، فيقيم في حفير ، ويشتو بالحيرة ، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى . وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدى من مبادي العرب ، ولا ينزل في حيّ من أحياء بني تميم غيرهم . وكان أخلاؤه من العرب كلهم بني جعفر . وكانت ابله في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر (٢) .

وقد كانت هند امرأة نصرانية ، كما كان عديّ على هذا الدين كذلك . وقد عاشت معه ثلاث سنين ، أو مدة حياة عديّ ، ثم حبست نفسها في الدير الذي عرف باسمها وترهبت ،

---

(١) الأغاني (٢/١٠٠) « طبعة دار الكتب المصرية » . شعراء النصرانية (ص ٤٤٣) .
(٢) الأغاني (٢/١٠٢ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية » ، المشرق ، الجزء الأول ، كانون الأول ١٩٤٤ (ص ٤٦ وما بعدها) .

وأدركت الإسلام ، وخطبهـا المغيرة فلم تقبل ، وماتت راهبة فى الاسلام [١] وقد وضع القصاصون جملة قصص فى شأن هند ، وفى شأن تعففها عن الزواج وترهبها ، وقتال العرب مع كسرى أنوشروان [٢] .

وروى الأخباريون لعديّ شعراً زعموا أنه قال أكثره فى حبسه وفى معاتبته للنعمان وفي توسله اليه بأن يطلقه من حبسه ، وفيه مواعظ تذكر النعمان بأن الدنيا زائلة ، وأنها دار فناء ، وأن الملك لايدوم ، وأمثال ذلك . وهو شـعر ، وان زعم أنه من نظم عديّ حقاً ، فللباحثين الناقدين مجال واسع للشك فيه أو فى أكثر ما نسب اليه منه .

وذكر الأخباريون لعديّ ولدين ، هما : زيد كاتب كسرى وعمرو ، وقد قتل في معركة ذي قار [٣] .

وانتقل ملك الحيرة بعد مقتل النعمان الى رجل غريب لم يكن من لخم ، اسمه إياس بن قبيصة الطائي [٤] ، أو إياس بن قبيصة بن أبى عفراء ، أو إياس بن قبيصة بن النعمان بن حيّة بن سعنة [٥] . وله خال اسمه حنظلة بن أبى عفراء بن النعمان . ويقال إنه كان نصرانياً . وقد ذكر له أخ اسمه قيس بن قبيصة كان نازلاً بعين التمر ، وهناك رواية تشير الى وفاة إياس فى عين التمر [٦] . وذكر أن والده إياساً كان من شعراء جرم ، وجرم رهط من طيء [٧] .

وآل قبيصة من الأسر المعروفة فى الحيرة ، وقد سبق أن عهدت الى إياس ادارة مهمات الحكومة بعد وفاة المنذر ، فمكث أشهراً ملكاً يدير أمور الملك [٨] الى أن أعطي التاج للنعمان

---

(١) الأغاني (٢/١٢٨ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية » . شعراء النصرانية (ص٤٤٦) .
(٢) شعراء النصرانية بعد الاسلام : (١/٢١ وما بعدها) .
(٣) شعراء النصرانية (ص ٤٧٣) .
(٤) حمزة (ص ٧٤) « إياس بن قبيصة بن أبى عفراء بن النعمان بن حية بن سعية بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سفر بن هنيء بن عمرو بن غوث بن طيء » ، شعراء النصرانية (ص ١٣٥) ، ديوان الأعشى (ص ١٦٢) « طبعة الدكتور م . محمد حسين » .
(٥) ابن دريد : الاشتقاق (٢٣١) . Rothstein , S. 119 .
(٦) Rothstein , S. 119 . (٧) شعراء النصرانية (ص ٩٣) .
(٨) الأغاني (٢/٢١) .

أبي قابوس . ويظهر من روايات الأخباريين أنه كان مقرباً من كسرى ، لأنه ساعده حينما هرب من بهرام ، وأهدى اليه فرساً وجزوراً (١) ، ولأنه عاونه في نزاعه مع الروم . فلما فرّ أبناء النعمان بعد مقتل والدهم ، وتشتت شمل البيت المالك مدة ، تذكر كسرى فضل هذا الرجل عليه فعينه ملكاً على الحيرة ، وعين معه رجلاً فارسياً اختلفوا فى اسمه ، فقالوا « الهمرجان » و « البحرجان » و « النخرجان » و « التخرجان » (٢) . وهو اختلاف يسير ، يعود سببه على ما يظهر الى عدم تمكن الرواة من ضبط الكلمة . والظاهر أنها وظيفة ومركز ، حسبها الرواة اسم علم ، فأطلقوها على شخص (٣) . وقد كان كسرى قد عينه مدة أشهر على الحيرة ، وذلك قبل أن ينتقل الملك الى النعمان (٤) .

وفى رواية ذكرها أبو الفرج الأصبهاني أن كسرى كان قد عين إياساً على عين التمر وما والاها الى الحيرة ، وأطعمه ثلاثين قرية على شاطيء الفرات (٥) . ويظهر من هذه الرواية ومن رواية وفاته فى عين التمر ووجود أخيه فيها أن عين التمر كانت من مناطق نفوذ هذه الأسرة حتى في أيام ملك آل لخم .

لا نعرف شيئاً مهماً قام به إياس فى أثناء توليه الملك ، ويظهر أن حكمه لم يكن يتجاوز هذه المنطقة التي أشار اليها الأخباريون ، ولم يشر الأخباريون الى قيامه بغارات على عرب الشام . أما الشيء المهم الذى وقع فى أثناء توليه الحكم ، فهو يوم ذي قار .

وذكر الأخباريون أن كسرى بن هرمز كان يتيمن بـ « إياس » ، ويفزع اليه في حروبه ويعجبه ، وأنه استنجد به في حربه مع قيصر ، فتعقبه حتى أدركه فى موضع «ساتيدما» ، فأثخن القتل فى جنوده ، ونجا قيصر فى خواص من أصحابه بصعوبة . وأصيب إياس بمرض فى

---

(١) الطبري (٢/١٥٢) .
(٢) حمزة (ص ٧٤) ، ابن الأثير (١/٢٠٠) ، شعراء النصرانية (١٣٧) .
(٣) Noldeke , Sassa . , 152 , Anm . 2 , Rothstein , S . 120
(٤) شعراء النصرانية (١٣٥) .   (٥) الأغاني (٢١/١٣٤) .

هذه السفرة ، أشار الأعشى فى شعره اليه [1] . وللأعشى خمس قصائد فى مدح إياس ، وكانت له صلة به ، وقد أغدق عليه نعمه [2] .

وذوقار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط [3] ، وبالقرب منه مواضع منها حنو ذي قار وقراقر وجبابات ذي العجرم وجذوان وبطحاء ذي قار [4] . ويقع حنو ذى قار على ليلة من ذى قار [5]

يرجع الأخباريون سبب وقوع ذي قار الى مطالبة كسرى هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان بتسليم الودائع التي أودعها النعمان لديه اليه . فلما أبى هانىء تسليم ما أوتمن عليه لغير أهله ، غضب كسرى ، فبعث الى الهامرز التستري ، وهو مرزبانه الكبير ، وكان مسلحه في القطقطانة ، والى جلابزين وكان مسلحه فى بارق ، كما كتب الى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين ، وكان كسرى استعمله على طف سفوان بأن يوافوا إياساً ، فاذا اجتمعوا فإياس على الناس . وجاءت الفرس معها الجنود والفيلة عليها الأساورة ، فالتحموا بأرض ذي قار . فلما كان اليوم الأول ، استظهر الفرس على العرب ، ثم جزعت الفرس فى اليوم الثاني من العطش ، فصارت الى الجبابات ، فتبعتهم بكر وباقى العربان ، فعطش الأعاجم ، ومالوا الى بطحاء ذي قار وبها اشتدت الحرب ، وانهزمت الفرس ، وكسرت كسرة هائلة ، وقتل أكثرهم وفيهم الهامرز وجلابزين ، وانتصر العرب على الفرس انتصاراً عظيماً ، وانتصفت فيه العرب من العجم [6] .

أما متى وقع يوم ذي قار ، فالمؤرخون مختلفون فى ذلك ، منهم من جعله فى يوم ولادة الرسول ، ومنهم من جعله عند منصرف الرسول من وقعة بدر الكبرى [7] . وقد ذهب روتشتاين

---

(١) ديوان الأعشى (ص ١٥٩) « طبعة Geyer » . البلدان (٦/٥) « مادة ساتيدما » .
(٢) ديوان الأعشى : القصائد : (٢١) ، (٢٩) ، (٣٦) ، (٥٥) ، (٧٩) .
(٣) البلدان (٨/٧) . (٤) Rothstein, S. 121. (٥) البلدان (٨/٧) .
(٦) الطبري (١٥٢/٢ وما بعدها) ، البلدان (٨/٧ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (ص ١٣٧) .
(٧) البلدان (٩/٧ وما بعدها) .

الى أنه كان حوالي سنة ٦٠٤ م ، وذهب نولدكه الى أنه بين ٦٠٤ و ٦١٠ م[١] .

وذكر الأخباريون بعد اسم إياس اسم رجل فارسي قالوا إنه هو الذى حكم الحيرة وملكها فى زمن أبرويز وفى زمن شيرويه بن أبرويز وفي زمن أرد شير بن شيرويه وفى زمن بوران بنت أبرويز ، وذكروا أن مدة حكمه سبع عشرة سنة ، ودعوا هذا الرجل باسم أزادبه بن ماهبيان بن مهرا بنداد[٢] ، أوآزاذبه بن يابيان بن مهر بنداذ الهمداني[٣] ، ولكنهم لم يذكروا من أمره شيئاً ، فلا نعرف من أعماله شيئاً مع طول مدة حكمه إن صحت رواية الأخباريين . والظاهر أنه ظل حاكماً على الحيرة إلى أن فتحها المسلمون ، فانتهى حكمه بالطبع .

ولكن ابن الكلبي يذكر بعد أزاذبه اسم رجل آخر من لخم من الأسرة المالكة ، هو المنذر بن النعمان ، ودعاه بالغرور أو « المغرور » . وزعم أنه قتل بالبحرين فى يوم جواثا[٤] ، وأنه حكم ثمانية أشهر بالحيرة ، وذلك قبل فتح خالد لها[٥] . وهو كلام مشكوك فيه . والصحيح أن المنذر لم يحكم الحيرة ، وإنما حكم البحرين فى أثناء الردة ، وذلك بأن ربيعة حينما ارتدت عن الاسلام قالت نرد الملك فى المنذر بن النعمان بن المنذر . فلما حارب المسلمون المرتدين منوا بهزيمة منكرة ، وسقط المنذر أسيراً فى أيدي المسلمين . ويقال إنه أسلم على أثر ذلك وسمى نفسه « المغرور » بدلاً من « الغرور » ، وهو اللقب الذى كان يعرف به قبل اسلامه[٦] .

وبينما يذكر الأخباريون تولي المنذر بن النعمان ملك الحيرة ، إذا بهم أنفسهم يذكرون من جهة أخرى ، وفى أثناء كلامهم على مسير خالد بن الوليد الى العراق وصلحه مع أهل الحيرة ، أن أميرها إذ ذاك هو إياس بن قبيصة الطائي ، ويقولون إنه كان عليها أميراً بعد النعمان بن المنذر[٧] وبذلك ناقضوا ما قالوه فى ملك المنذر بن النعمان .

---

(١) Rothstein, S. 123. (٢) حمزة (ص ٧٤) . (٣) الطبري (١٥٦/٢) .
(٤) الطبري (١٥٧/٢) . (٥) Rothstein, S. 124.
(٦) الأغاني (٤٨/١٤) ، ابن الأثير : الكامل (١٥٤/٢) .
(٧) ابن الأثير : الكامل (١٦١/٢) .




زخارف فنية مصنوعة من الجص . يعود تأريخها الى القرن الثامن للميلاد
من مجلة : « Ars Islamica »

لقد أشرت الى ما زعمه ابن الكلبي من أنه كان يأخذ أخبار ملوك الحيرة ومقدار ما حكموا، وأيام من عاصروا من الأكاسرة وأمثال ذلك من كتب كانت محفوظة لديهم في الأديرة والكنائس، كما أشرت الى ما زعمه الأخباريون من أن النعمان ملك الحيرة كان قد أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج، وهي الكراريس، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد، قيل له إن تحت القصر كنزاً، فاحتفره، فأخرج تلك الأشعار. وأنه كان لدى النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته، فصار ذلك الى بني مروان أو ما صار منه [1].

وأشرت أيضاً الى ما ذكروه من تعلم عديّ بن زيد الكتابة العربية والفارسية في الكتاب، والى تعلم زيد بن عديّ، والى ما زعموه من أن المرقش الأكبر تعلم الكتابة على نصراني من أهل الحيرة [2]، وأن جفينة النصراني وهو من أهل هذه المدينة كان يعلم الكتابة والقراءة في المدينة في خلافة عمر بن الخطاب [3]، والى ما ورد في تواريخ الكنيسة من أن جماعة من رجال الدين النصارى، تعلموا في الحيرة، وكانوا يلجؤون الى علمائها في حل بعض المشكلات الدينية [4]، والى وجود مدارس كانت ملحقة بالأديرة والكنائس لتعليم القراءة والكتابة وعلوم الدين [5]. فبأيّة لغة كان التعليم في الحيرة، وبأي قلم كانوا يكتبون، وبأية لهجة علّم آباء الكنيسة أطفال النصارى في مدارسهم؟ وهل صدق الأخباريون في قولهم عن عديّ بن زيد وأمثاله أنه تعلم الفارسية والعربية في الحيرة؟ واذا كان ما ذكروه صحيحاً، فأية لهجة من لهجات العربية قصد أولئك الأخباريون: أهذه اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم والتي نظم بها من قبل شعراءُ

---

(١) (١/١٤)، ابن جني، الخصائص (١/٣٩٣)، تاج العروس (٢/٧٠)، طبقات الشعراء (ص ١٠)، المزهر (٢/٤٧٤).

(٢) الأغاني (٥/١٨١). (٣) ابن سعد: الطبقات (٣/٢٥٨).

(٤) أدي شير: تأريخ كلدو وآثور (٢/٢٩٦)، الحيرة (ص ٥٤).

(٥) الحيرة (ص ٥٥)، R. Duval, Litterature Syriaque, P. 4

الجاهلية والشعراء المخضرمون ، أم لهجة أخرى من لهجات العرب ، أم لهجة من لهجات أهل العراق ، هذه وأمثالها أسئلة على جانب كبير من الأهمية والخطورة ، لا أرى أن في استطاعة أحد الاجابة عنها اجابة علمية مقنعة ما لم يملك نصوصاً جاهلية لانشك فى صحتها ولا يتطارق الشك الى جاهليتها ، فهذه النصوص هي وحدها التي تستطيع أن تقدم الينا الأجوبة المقنعة . أما ما سوى ذلك من فرضيات وآراء وأقوال تستند الى روايات أصحابنا الأخباريين ، فهو في نظري خيال في خيال ، لا يأتى بعلم ، ولا يفيد يقيناً ، والأخباريون هم أنفسهم عفا الله عنهم فى حاجة الى علم والى دراسة في هذه الموضوعات .

اذا كانت هنالك مؤلفات مدونة بالعربية التي نزل بها القرآن الكريم ، أي بالعربية التي ألف بها الأخباريون ، واذا كانت هنالك تواريخ فيها أخبار ملوك الحيرة ، وأيام ملوكهم ومقدار ما حكموا ، واذا كانت هنالك دواوين ، فيها الشعر الجاهلي الجيد ، وفيها ما قيل من مدح في حق آل لخم ، فلم لم يغرف رواة الشعر من تلك الدواوين ، ولم يكتبوا قصائد شعراء الجاهلية ، والجيد من شعر الجاهلية من تلك الدواوين ما دامت تلك الدواوين على زعمهم بعربية الأخباريين وبلغة القرآن الكريم ؟ فهل كان أولئك الرواة على غفلة ؟ وهل كانوا على جهل بتلك الدواوين خلا نفراً معدوداً من الأخباريين خصوا بهذا السر العظيم ، فلم يبوحوا به لأحد ؟ ألم يكن أقوى ، لإثبات حجتهم وروايتهم للشعر ، الأخذ من تلك المدونات والاشارة اليها والى جامعيها ومن ضمها فى أجلاد الدواوين من الالتجاء الى رواة اعترف بعضهم بالوضع وبالتزوير ، أو الالتجاء الى الأعراب والى حفظة أخبار وشعر لم يتجاسر واحد منهم ، فيذكر أنه أخذ ذلك الشعر من ديوان جاهلي ؟

ثم لم خص ابن الكلبي وحده بهذا الكنز كنز أخبار ملوك الحيرة المدونة فى البيع والأديرة ، يغرف منها ما شاء ، وينقل منها ما يريد ؟ أهو سرّ خصّه الله لهذا الأخباري وحده ، فلم يطلع عليه أحد سواه ، ثم مات ولم يتمكن أحد من بقية الأخباريين من الوقوف عليه ؟ وهل كانت

كنوز الأديرة وقفاً على ابن الكلبي وحده ، فلم يسمح لغيره بالوقوف عليها ؟ ثم كيف تثبت دعوى ابن الكلبي هذه مع التناقض الغريب الذي نراه في رواياته عن ملوك الحيرة ؟ وهو تناقض قد يتفوق به على بقية الأخباريين في كثير من الأحايين . ثم إن الموازنات بين رواياته وروايات غيره عن ملوك الحيرة ، تثبت أنه كان يعتمد على موارد فارسية لا عربية ، وأن ابن الكلبي قد نقل منها كما نقل غيره منها ، ولا سيما أولئك الذين استعانوا بترجمات ابن المقفع وأضرابه ، وفيها تعصب ظاهر للفرس . وفيها قليل عن ملوك الحيرة خاصة الأولين منهم ، وقليل عن الغساسنة وعرب الشام .

وإذا جاز لنا أن نقول إن ما عناه ابن الكلبي لم يكن يريد به أنه كان مدوناً بالعربية ، وإنما كان مدوناً بالسريانية ، لغة أهل الأديرة ورجال الدين . غير أننا لا نستطيع أن نؤمن ابداً بصحة دعواه من أنه نفسه كان يقرأ تلك الكتب ، وأنه كان يحسن فهم السريانية ، فإن في الذي رواه عن السريان وعن الأخبار المستقاة من الموارد السريانية ما يكفي للحكم عليه بالجهل بتلك اللغة جهلا تاماً . واذن فلأجل أن نعيد اليه بعض الاعتبار ، نستطيع أن نقول إنه قصد أنه كان يلجأ الى آباء الأديرة ، فيسألهم فيجيبونه . وهنا تعود أسئلتنا الينا : اذا كان الحال على هذا التفسير ، فلم حدث تناقض فى أقوال ابن الكلبي فى أمور لا يحتمل حدوث تناقض فيها ؟ ولِمَ لم يأخذ أخبار ملوك الحيرة كاملة تامة بتفاصيلها كما كانت مدونة في أصولها ، واكتفي بنتف وروايات ناقصة فيها خلل كبير وفيها تضارب كبير ، وفيها خبط في الأسماء كما فى أخبار عين أباغ وذات الخيار ويوم حليمة وما شابه ذلك مع أن هذه من صميم أخبار الحيرة ومن الأمور التي يجب ألا يقع فيها خلاف على نمط الخلاف الذي ذكره ابن الكلبي ؟ .

يظهر من ثنايا روايات الأخباريين عن الحيرة فى أيام الاسلام وعن بعض الكتابات التي وجدوها هناك مدونة في الحجارة أن تلك الكتابات لم تكن بقلم عربي ، وانما كانت بقلم نبطي أي بقلم

بني إرم . ولا أظن أن لغتها عربية أيضاً كعربيتنا هذه . فقد صرح الأخباريون مراراً أن فى لهجة أهل الحيرة رطانة ، وأنها رطانة نبطية ، وأن أهلها عرب متنبطون ، فلا يستبعد أن تكون لهجتها لهجة خاصة فيها تلك الرطانة التي لم يرتضها أهل الحجاز حينما دخلت الحيرة فى الاسلام ، على نحو ما شاهدناه فى النصوص العربية الشمالية التي أشرت اليها ، ومنها نص النمارة المكتوب على قبر امرىء القيس الذى هو من ملوك الحيرة على رأي المستشرقين . وهو ، إن صح ، يعطينا بعض الرأي عن لهجة أهل الحيرة فى القرن الرابع للميلاد . وربما لا يستبعد أن تكون كتاباتهم تلك بالنبطية جرياً على سنة أهل تدمر و « بترا » فى الكتابات أو بالسريانية خاصة فى أمور الدين .

وفى الجملة فاني ما زلت أسأل نفسي وأسأل العلماء المؤرخين : اين ذهبت يا ترى كنوز أهل الحيرة ؟ ولِمَ اختفت مؤلفاتهم ومدوّناتهم وكتاباتهم وتواريخهم وعلومهم ؟ ولِمَ لم يكلف العلماء أنفسهم مؤونة النقل منها ان كانت بعربية واضحة مفهومة ؟ ألا يدل سلوكهم طريق الترجمة والأخذ من الأفواه على أن لغة تلك المدونات لم تكن سهلة هينة بالنسبة الى لغة الأخباريين ، فسبب هذا البعد ، ضياع تلك المدونات ؟ ولكن ألم يكن من واجب رجال الأخبار والمؤرخين الاستعانة بأهل العلم من أهل الحيرة لنقل تلك المؤلفات الى عربية القرآن الكريم ؟ هذا تقصير ولا شك عظيم ، لا يقلل من خطورته إلا قولنا إن ما نفكر فيه في القرن العشرين لم يكن يفكر به في ذلك العهد ، وإن للقوم بعض العذر ، وإن انشغال الناس بتثبيت الاسلام ، شغلهم عن التفكير في أمور تعود الى الجاهلية ، فضاع عليهم من أخبارها شيء كثير ، وأن ما نحاول ايجاد العذر له ، يحدث فى أيامنا الحاضرة ، فالثورات وخاصة الثورات المقرونة بانقلاب فكريّ ، لا تفكر فى الماضي الذي ثارت عليه ، وانما تريد تثبيت ما جاءت به ومن هنا يزول القديم ويثبت الجديد اذا ظفر بالفوز .

فوائم ملوك الحيرة :

يصعب تصور حدوث خلاف بين الأخباريين في أسماء حكم ملوك الحيرة وعددهم ومُدَدهم . لدعواهم أنهم أخذوا علمهم بهم من كتب كانت مدونة محفوظة في الحيرة ومن موارد أخرى هي كتب الفرس ، وقد ذكر بعضهم ملاحظات من مثل قوله : « ذكر هشام عن أبيه أنه لم يجد الحارث فيمن أحصاه كتاب أهل الحيرة من ملوك العرب ، قال : وظنيّ أنهم انما تركوه لأنه توثب على الملك بغير اذن ملوك الفرس ، ولأنه كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ، ولم يعرف له مستقر ، وانما كان سيارة في أرض العرب »[1] ، ومثل ملاحظة أخرى لابن الكلبي نفسه أشرت اليها سابقاً ، هي دعواه أنه كان يستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها[2] . فدعاوى مثل هذه لا تصور لنا وقوع اختلاف كبير بين الأخباريين في أسماء ملوك الحيرة ، ومبالغ أعمارهم وتأريخ سنيهم وأمثال ذلك ، مع إننا نجد بين الأخباريين اختلافاً غير يسير في أسماء الملوك وفي ترتيب توليهم الحكم ومقدار سنيهم وأمثال ذلك . والعجب أنهم يعتمدون على مورد أو موارد مشتركة قد يشيرون اليها ، ثم اذا بهم يختلفون في أمور ما كان ينبغي وقوع اختلاف ما فيها لأخذها من مورد مشترك أو موارد مشتركة .

وعدة من ملك الحيرة قد يزيد على العشرين ملكا بقليل عند بعض الأخباريين ، وقد ينقص عن هذا العدد عند بعض آخر . وقد ذهب المسعودي الى أن عدة ملوكهم ثلاثة وعشرون ملكا من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس ، وأن مدة ملكهم ست مئة سنة واثنتان وعشرون سنة وثمانية أشهر[3] ؛ وذهب حمزة الى أن مدة ما حكمه ملوك الحيرة منذ عهد عمرو بن عديّ الذي اتخذها منزلا الى أن وضعت الكوفة واتخذت منزلاً في الإسلام هي خمس مئة وبضع وثلاثون سنة[4] .

---

(١) حمزة (ص ٧١ وما بعدها) . (٢) الطبري (٢/٣٧) . (٣) المروج (٢/٢٨) .
(٤) حمزة (ص ٦٦) .

ونحن اذا فحصنا القوائم التي سجلها الأخباريون لملوك الحيرة ، وفحصنا ما ذكروه من مدة حكم كل ملك إجمالا ، ثم قابلناه بما ذكروه بالنسبة الى حكم ذلك الملك مجزءاً على مدد حكمه بالقياس الى من حكم في زمانه من ملوك الفرس ، نجد اختلافاً بين ما ذكروه إجمالاً ثم ما ذكروه تفصيلاً ، كذلك نجد مثل هذا الاختلاف بين المدة الإجمالية التي ذكروها لعمر مملكة الحيرة وبين المدد التي ذكروها لحكم كل ملك أيضاً على وجه الإجمال [1] ، مما يدل على أنهم لم ينتبهوا الى ملاحظة أمثال هذه الأمور الضرورية للمؤرخين .

ونجد قائمة ابن الكلبي لأسماء ملوك الحيرة ومدد حكمهم ومقدار حكم كل ملك بالنسبة الى من عاصره من ملوك الفرس مدونة في تأريخ الطبري وفي تأريخ حمزة وفي تواريخ أخرى . ولاقتصار ابن الكلبي على ذكر مدد حكم ملوك الحيرة اجمالا ، ثم ذكرها تفصيلا بما يقابل ذلك من سني حكم الأكاسرة دون الاشارة أبداً الى ما يقابل ذلك أيضاً بالقياس الى القياصرة ، نستطيع أن نقول إن ابن الكلبي لم يغرف من موارد تأريخية استندت الى تواريخ الروم أو السريان . وإنما غرف من مناهل تأريخية فارسية أو معتمدة على الموارد الفارسية ، ومن موارد أهل الحيرة وهي موارد يظهر أنها لم تكن تعتمد على أصول قديمة مدونة لتواريخ الحيرة ؛ لأن أكثر ما رووه لا يختلف فى طبيعته في الغالب عن النوع الذي ألفناه من أخبار الأخباريين .

وقد جزأ الطبرى قائمة ابن الكلبي لملوك الحيرة ، فوضعها قطعاً قطعا في ثنايا حديثه عن ملوك الفرس وفى المناسبات ، ولم يذكرها جملة واحدة في مكان واحد ، أو في فصل مستقل خاص كما فعل غيره من المؤرخين [2] ، وتبلغ جملة ملوك الحيرة عشرين ملكا ، وقد ذكر مع كل ملك مقدار ما حكمه من سنين وأسماء من عاصرهم ذلك الملك من الأكاسرة .

أما هؤلاء الملوك ، فهم :

---

(١) Rothstein . S . 52 . Noldeke . Sassa . . 349 . Anm . I .

(٢) تجدها في المواضع (١/٨٣٣ ـ ٨٣٤ ، ٨٤٥ ـ ٨٤٦ ، ٨٥٠ ـ ٨٥٤ ، ٨٨٢ ، ٩٠٠ ، ١٠٣٢) من الطبعة الأوربية .

(١) عمرو بن عدي، وقد عاش مئة وعشرين سنة [١] وحكم على حد قول ابن الكلبي مئة سنة وثماني عشرة سنة من ذلك في زمن «أردوان» و «ملوك الطوائف» خمس وتسعون سنة وفي زمن ملوك فارس أي الساسانيين ثلاثاً وعشرين سنة. من ذلك في زمن أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وفي زمن سابور بن أردشير ثماني سنين وشهران [٢].

(٢) امرؤ القيس البدء، وقد عاش مملكا في عمله مئة سنة وأربع عشرة سنة من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وفي زمن هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام وفي زمن بهرام بن هرمز بن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثماني عشرة سنة [٣]. ولكنك اذا جمعت هذه المدد وقابلت حاصل الجمع، وجدت فرقاً كبيراً بين ما زعمه ابن الكلبي من أنه حكم ١١٤ سنة، ثم ما زعمه هو نفسه من حكم هذا الملك مجزءاً بالنسبة الى ملوك الفرس.

(٣) عمرو بن امرىء القيس، وقد حكم على رواية ابن الكلبي أيضاً ثلاثين سنة. وعاصر من الملوك سابور وأردشير بن هرمز بن نرسي وبعض أيام سابور بن سابور [٤].

(٤) أوس بن قلام، وقد حكم خمس سنين في أيام سابور بن سابور وبعض أيام بهرام بن سابور ذي الأكتاف [٥].

(٥) امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امريء القيس، وقد حكم خمساً وعشرين سنة. حكم في أيام بهرام بن سابور ذي الأكتاف، وهلك في عهد يزدجرد الأثيم [٦].

(٦) النعمان بن امريء القيس، وقد ملك تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر. من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة [٧]. وينقص ذلك أربعة أشهر عن العدد الإجمالي الذي ذكره ابن الكلبي.

---

(١) الطبري (٢/٣٧). (٢) الطبري (٢/٥٩). (٣) الطبري (٢/٦٥).
(٤) الطبري (٢/٧٠). (٥) الطبري (٢/٧٢). (٦) المصدر نفسه.
(٧) الطبري (٢/٧٤).

(٧) المنذر بن النعمان ، وقد ملك أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثماني سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة ، وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة [1].

(٨) الأسود بن المنذر ، وقد حكم عشرين سنة ؛ من ذلك في زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين ؛ وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفي زمن قباذ بن فيروز ست سنين [2].

(٩) المنذر بن المنذر بن النعمان وقد ملك سبع سنين [3] ،

(١٠) النعمان بن الأسود بن المنذر وكان ملكه أربع سنين [4] .

(١١) أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل ، وكان ملكه ثلاث سنين [5] .

(١٢) المنذر بن امرىء القيس البدء ، وكان ملكه تسعاً وأربعين سنة .

(١٣) عمرو بن المنذر ، وكان جميع ملكه ست عشرة سنة [6] .

(١٤) قابوس بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين : ثمانية أشهر منها في زمن أنوشروان ، وثلاث سنين وأربعة أشهر في زمن هرمز بن أنوشروان .

(١٥) السهرب .

(١٦) المنذر بن المنذر أبو النعمان ، وقد ملك أربع سنين .

(١٧) النعمان بن المنذر أبو قابوس ، وقد ملك أثنتين وعشرين سنة ، من ذلك في زمن هرمز بن أنوشروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمن كسرى أبرويز بن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

(١٨) إياس بن قبيصة الطائي ومعه النخيرجان ، وقد ملك تسع سنين في زمن كسرى بن هرمز .

(١٩) آزاذبه بن بابيان بن مهر بنداذ الهمداني ، وقد حكم سبع عشرة سنة : في زمن

---

(١) الطبري (٢/٧٤) . (٢) الطبري (٢/٨٦) . (٣) المصدر نفسه .
(٤) الطبري (٢/٩٤) . (٥) المصدر نفسه . (٦) كذلك .



من خرائب الحيرة ، ويعود تأريخها الى القرن الثامن للميلاد .

من مجلة : « Ars Islamica »

جـ ١ قسم ١ . ومن مقال : « D. Talbat Rice »

كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفى زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفى زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفى زمن بوران‌دخت بنت كسرى شهراً .

(٢٠) المنذر بن النعمان بن المنذر ، وقد ملك ثمانية أشهر .

هذه هي قائمة أسماء ملوك الحيرة كما رواها الطبرى عن ابن الكلبي [(١)] .

قائمة حمزة لملوك الحيرة :

(١) عمرو بن عديّ ، وكان جميع ما ملكه مئة وثمان عشرة سنة . من ذلك فى زمن ملوك الطوائف خمس وتسعون سنة ، وفي زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ، منها فى أيام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفى أيام شابور بن أردشير ثماني سنين وشهران .

(٢) امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ ، وقد ملك مئة وأربع عشرة سنة ، منها فى زمن شابور بن أردشير ثلاث وعشرين سنة ، وفى زمن هرمز بن شابور سنة وعشرة أشهر ، وفى زمن بهرام بن هرمز تسع سنين وثلاثة أشهر ، وفى زمن بهرام بن بهرام ثلاثاً وعشرين سنة ، وفى زمن بهرام بن بهرام بن بهرام ثلاث عشرة سنة وستة أشهر ، وفي زمن نرسى بن بهرام بن بهرام تسع سنين ، وفى زمن هرمز بن نرسى ثلاث عشرة سنة ، وفى زمان شابور ذي الأكتاف عشرين سنة وخمسة أشهر .

(٣) عمرو بن امرىء القيس ، وقد ملك ستين سنة ، من ذلك في زمان شابور ذي الأكتاف احدى وخمسين سنة وسبعة أشهر ، وفى زمن أردشير أخى شابور خمس سنين ، وفى زمن شابور بن شابور أربع سنين وخمسة أشهر .

(٤) أوس بن قلام ، وقد ملك خمس سنين فى زمن أردشير أخي شابور .

(٥) أمرؤ القيس ، وقد حكم إحدى وعشرين سنة وثلاثة أشهر . من ذلك فى زمن

---

(١) الطبري (٢/١٥٦ وما بعدها) .

شابور بن شابور خمس سنين ، وفي زمن بهرام بن شابور احدى عشرة سنة ، وفى زمن يزدجرد بن شابور خمس سنين وثلاثة أشهر .

(٦) النعمان بن امريء القيس ، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة ، من ذلك فى زمن يزدجرد بن بهرام بن شابور خمس عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

(٧) المنذر بن النعمان ، وقد ملك أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثماني سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام جور ثمان عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة .

(٨) الأسود بن المنذر ، وقد ملك عشرين سنة ، من ذلك فى زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن فيروز أربع سنين ، وفي زمن قباد بن فيروز ست سنين .

(٩) المنذر بن المنذر ، وقد ملك سبع سنين فى زمن قباد بن فيروز .

(١٠) النعمان بن الأسود ، وكان ملكه أربع سنين في زمن قباد .

(١١) أبو يعفر بن علقمة الذميلي ، وكانت مدة حكمه ثلاث سنين فى زمن قباد بن فيروز .

(١٢) أمرؤ القيس بن النعمان ، وكان ملكه سبع سنين فى زمن قباد بن فيروز .

(١٣) المنذر بن أمرىء القيس ، وقد ملك اثنتين وثلاثين سنة ، من ذلك في زمن قباد بن فيروز ست سنين ، وفي زمن كسرى أنوشروان بن قباد ستا وعشرين سنة .

(١٤) الحارث بن عمرو بن حجر الكندي .

(١٥) عمرو بن المنذر ، وكان ملكه ست عشرة سنة .

(١٦) قابوس بن المنذر ، وكان حكمه مدة أربع سنين فى زمن أنوشروان .

(١٧) فيشهرت ، وقد حكم سنة فى زمن أنوشروان .

(١٨) المنذر بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين ، منها ثمانية أشهر فى زمن أنوشروان ، وثلاث سنين وأربعة أشهر فى زمن هرمز بن كسرى أنوشروان .

(١٩) النعمان بن المنذر ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك سبع سنين وثمانية أشهر فى زمن هرمز بن أنوشيروان ، وأربع عشرة سنة وأربعة أشهر فى زمن كسرى بن هرمز .

(٢٠) إياس بن قبيصة ومعه البحرجان ، وكان ملكه مدة سبع سنين في زمن أبرويز .

(٢١) زاديه بن ماهبيان بن مهرا بنداد الهمداني ، وقد ملك سبع عشرة سنة ، من ذلك أربع عشرة سنة وثمانية أشهر فى زمن أبرويز ، وثمانية أشهر فى زمن شيرويه بن أبرويز ، وسنة وسبعة أشهر في زمن أردشير بن شيرويه ، وشهراً واحداً فى زمن بوران بنت أبرويز .

(٢٢) المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان ملكه وملك غيره الى أن ورد خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر [١] .

وقد ذكر حمزة أن جميع ملوك آل نصر ومن استخلف من العباد والفرس بالحيرة خمسة وعشرون ملكاً حكموا فى مدة ست مئة وثلاث وعشرين سنة وأحد عشر شهراً [٢] . غير أننا اذا ما رقنا الأسماء المذكورة نجدها تقل عن خمس وعشرين ، فهي اثنان وعشرون شخصاً . والظاهر أنه توهم فى عدد خمس وعشرين بإدخال مالك بن فهم وجذيمة الأبرش فى هذه القائمة ، وبذكره المنذر بن امريء القيس مرتين باعتبار أنه حكم مرتين : مرة قبل الحارث الكندي ، ومرة أخرى بعده ، فتكون لديه من ذلك خمس وعشرون ملكا ، وكان عليه ألا يعدّ مالكاً وجذيمة في هذه القائمة ؛ لأنهما لم يتخذا الحيرة مسكناً لهما ولذلك لم يعدهما الحيريون من ملوكهم كما ذكر « حمزة » نفسه ذلك [٣] ؛ وألا يذكر المنذر مرتين ، لأنه شخص واحد . على أننا لو أدخلناه فى القائمة لم يزد العدد على ثلاث وعشرين . وأما المدة التي ذكرها ، وهي ست مئة وثلاث وعشرون سنة وأحد عشر شهراً ، فلا نعرف كيف تمكن من ضبطه على هذا الوجه ، أو كيف توصل المورد الذي استند اليه الى ايجاد هذا العدد ، وهو عدد لا ينطبق بالطبع على سنى الحكم التي ذكرها حمزة لكل ملك من ملوك الحيرة كل الانطباق .

وقد استند حمزة في تأليف قائمته هذه على رواية ابن الكلبي فى تأريخ الطبري ، وعلى رواية

---

(١) حمزة (ص ٦٥ـ٧٦) . (٢) حمزة (ص ٧٥) . (٣) حمزة (ص ٦٥) .

محمد بن حبيب [1]، وعلى ابن قتيبة [2]، ولذلك خالفت قائمته هذه بعض المخالفة قائمة الطبرى فى الأسماء وفي السنين .

ملوك الحيرة بحسب رواية المسعودي :

(١) عمرو بن عديّ ، وكان ملكه مئة سنة .

(٢) امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ ، وقد ملك ستين سنة .

(٣) عمرو بن امرىء القيس ، وقد ملك خمساً وعشرين سنة .

(٤) النعمان بن امرىء القيس ، وقد حكم خمساً وستين سنة .

(٥) المنذر بن النعمان ، وكان حكمه خمساً وثلاثين سنة .

(٦) المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر ، وقد ملك أربعاً وثلاثين سنة .

(٧) عمرو بن المنذر ، وكان ملكه أربعاً وعشرين سنة .

(٨) قابوس بن المنذر ، وقد ملك ثلاثين سنة .

(٩) النعمان بن المنذر ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة .

(١٠) إياس بن قبيصة الطائي ، وكان ملكه تسع سنين .

هذه هي أسماء ملوك الحيرة الذين ذكرهم المسعودي ، وقد نص هو على أن عدة ملوك الحيرة ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس ، ومدة ملكهم ست مئة سنة واثنتان وعشرون سنة وثمانية أشهر [3]. وهذا العدد الذي زعمه المسعودي لملوك الحيرة وهو ٢٥ ، مساوٍ للعدد الذي ذكره حمزة . وأما المدة ، فهي مقاربة للمدة التي أشار اليها حمزة ، وهى ست مئة سنة وثلاث وعشرون سنة وأحد عشر شهراً [4] .

---

(١) حمزة (ص ٦٧ ، ٧١ ، ٧٥) .
(٢) حمزة (ص ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥) .
(٣) المروج (١٦/٢ ـ ٢٩) .
(٤) حمزة (ص ٧٥) .

ملوك الحيرة بحسب رواية اليعقوبي :

(١) عمرو بن عدىّ ، وقد ملك خمساً وخمسين سنة .

(٢) امرؤ القيس بن عمرو ، وقد ملك خمساً وثلاثين سنة .

(٣) الحارث بن عمرو ، وقد ملك سبعاً وثمانين سنة .

(٤) عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن عدىّ ، وقد ملك أربعين سنة .

(٥) المنذر بن امرىء القيس .

(٦) النعمان .

(٧) المنذر بن النعمان ، وقد ملك ثلاثين سنة .

(٨) عمرو بن المنذر .

(٩) عمرو بن المنذر الثاني .

(١٠) قابوس بن المنذر .

(١١) المنذر بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين .

(١٢) النعمان بن المنذر [١] .

---

(١) اليعقوبي (١/١٦٩ ـ ١٧٦) « طبعة النجف » .

الفصل الثاني

مملكة الغساسنة

وانتقل إرث « تدمر » الى مشيخات عديدة كما يحدث عادة عند سقوط مملكة أو إمارة كبيرة تتكون فى البادية أو على أطرافها ، ثم استقر فى « آل جفنة » عربِ الشام ، ويعرفون أيضاً بالغساسنة وبآل غسان .

وقد وردت كلمة غسان في زعم الأخباريين من اسم ماء يقال له « غسان » ، نزل عليه آل غسان ، وأصلهم من الأزد ، بعد خروجهم من اليمن قبيل حادث سيل العرم أو بعده . فلما أقاموا عليه وشربوا منه ، أخذوا اسمهم منه ، فسموا « غسان »[1]. وذكروا أن الذي قادهم فى خروجهم من اليمن ، هو عمرو المعروف بمزيقيا ، وهو ابن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث[2]. ولهم في نسبه على هذا النحو من ذكر الآباء والأجداد والألقاب أقوال وحكايات[3].

ولم نظفر حتى الآن باسم غسان فى نصوص المسند ، كذلك لم نظفر به فى الأرضين التي عدّها

---

(١) حمزة (ص ٧٦) ، المروج (٢/٣٠) ، القاموس (٤/٢٥٣) .

إما سألت فإنا معشر نجب ... الأزد نسبتنا والماء غسان

البرقوقي (ص ٤١٣) ، شرح ديوان كعب بن زهير لأبي سعيد السكري (ص ٣٢ ــ ٣٣) « طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠ » .

(٢) حمزة (ص ٧٧) . (٣) المروج (٢/٣٠) .

الأخباريون في جملة ممتلكات هذه القبيلة . أما « الكلاسيكيون » ، فلم يشيروا الى اسم القبيلة في هذه الأماكن ، ولكنهم ذكروا أسماء قريبة من هذا الاسم ، كما أشرت الى ذلك في الأجزاء السالفة من الكتاب . ولكنها أسماء قبائل أو مواضع في اليمن لا في بلاد الشام . فهل نذهب مذهب من يرون أن الغساسنة من عرب اليمن في الأصل ، وأن هذه الاسماء هي تحريف لغسان، وأنهم هاجروا من موطنهم الى بلاد الشام بعد القرن الثالث للميلاد ؟

وأما سبب تسميتهم بآل جفنة وبأولاد جفنة [١] ، فلأن نسبهم الى جد أعلى يدعونه جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر . وللأخباريين تفاسير في سبب تلقيب عمرو بن عامر بمزيقياء . وقد ذكر حمزة بعض الآراء الواردة في ذلك ، فقال : « وتزعم الأزد أن عمراً إنما سمي مزيقياء ؛ لأنه كان يمزق كل يوم من سني ملكه حلتين لئلا يلبسها غيره ، فسمي هو مزيقيا . وسمي ولده المزاقية . فهذا قول . وقيل : إنما سمي مزيقيا ، لأن الأزد تمزقت على عهده كل ممزق عند هربهم من سيل العرم ، فاتخذت العرب افتراق الأزد عن أرض سبأ بسيل العرم ، فقالوا : ذهبت بنوفلان أيادي سبأ . » [٢] . ومال نولدكه الى هذا التفسير الأخير ، فرأى أنه مأخوذ من الآية : « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور »[٣]. ويظهر أن الأزد ومن يرجع نسبه الى مزيقيا اخترعوا أسطورة تمزيق الثياب ، للاشارة الى غنى جدهم عمرو بن عمرو واقتداره [٤] . وأما ما ذهب اليه نولدكه ، فهو في نظري نوع من الظن ، استخرجه من هذا التفسير الثاني الذي رواه الأخباريون في تفسير الكلمة الخاص بتفرق الأزد عن أرض سبأ لحدوث السيل .

وقالوا في تعليل نعت عامر بماء السماء : « إنه إنما سمي ماء السماء ؛ لأنه أصابت الأزد

---

(١) أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
عبد الرحمن البرقوقي : شرح ديوان حسان بن ثابت « طبع المطبعة الرحمانية » القاهرة ١٩٢٩ ، (ص ٣٠٩) . وسيكون رمزه : البرقوقي .
(٢) حمزة (ص ٧٧) .
(٣) سورة سبأ ٣٤ ، الآية ١٨ . نولدكه : أمراء غسان ص (٣) ملحوظة ١ الترجمة العربية .
(٤) غسان (ص ٣ وما بعدها) ، الأصل الألماني (ص ٥) .

مخمصة ، فسأنهم حتى مطروا فقالوا : عامر لنا بدل من ماء السماء . » [1] . وهو تعليل قد كان مقبولاً عند المتقدمين ، أما اليوم فنحن لا نقيم له ولأمثاله وزناً . وقد ذكرت سابقاً أن المنذر ابن امريء القيس كان يعرف عند الأخباريين بابن ماء السماء ، كما عرف بالمنذر ماء السماء . وقد عرف غيرهما بهذا النعت كذلك ، وأظن أن هذا النعت انما أخذ من الشعر كالذي جاء عن حسان ابن ثابت مفتخراً بالغساسنة والمناذرة وهم من اليمن :

كجفنةَ والقمقامِ عمرو بن عامرٍ وأولادِ ماءِ المُزنِ وابنَيْ محرّقِ
وحارثةَ الغطريف أو كابن منذرٍ ومثل أبي قابوس ربِّ الخورنقِ [2]

وليس من السهل استنباط مادة تأريخية من هذا القصص الذي يرويه الأخباريون عن أجداد الغساسنة ، وكل ما يمكن أن يستنتج منه ومن الشعر الوارد في آل غسان هو أنهم ينتمون الى جد أعلى يعرف بجفنة[3] . ويشاركهم أهل يثرب الغساسنة في هذا الجد [4] . أما من كان هذا الجد ؟ ومتى عاش ؟ ومن كان أهله ؟ فليس لأحد على ما أظن طاقة الإجابة عن هذه الأسئلة إجابة تأريخية مقنعة ، وكل ما يمكن أن يقال استناداً الى النسب الذي رواه النسابون وأهل الأخبار للحارث بن جبلة إنه لم يكن بعيد عهد عن أيام هذا « الحارث » ، وإن من الجائز أن يكون جفنة شخصاً تأريخياً من نسله كان أول أمراء غسان [5] . غير أننا لا نستطيع مجاراة الأخباريين بالطبع في القول بانحدار هذا العدد العديد من الناس من عرب غسان ويثرب من صلب هذا الشخص ، فليس الى تصديق أمثال هذا القصص من سبيل .

ونسب آل غسان الى جدّ آخر يعرف بثعلبة . وقد أشير الى « عرب الروم من آل ثعلبة[6] » ،

---

(١) حمزة (ص ٧٧) .
(٢) البرقوق (ص ٢٨٧) .
(٣) غسان (ص ٣) ، العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين (١/ ٧) « طبعة Ahlwardt » ، « جفنة بن عمرو بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن أزد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن سيدنا عابر وهو نبي الله هود عليه الصلاة والسلام » . شرح ديوان النابغة الذبياني للبطليوسي (ص ٢) .
(٤) غسان (ص ٣ وما بعدها) . (٥) غسان (ص ٤) .
(٦) غسان (ص ٤) .

نص زبد المكتوب بلغات ثلاث : يونانية وسريانية وعربية

كتابة سريانية كثير من حروفها متصلة

عن كتاب : Bossert

وقد يكون لثعلبة هذا صلة بـ « ثعلبة » الأخباريين . وربما لا يكون لهم صلة ما بـ « ثعلبة آل غسان » . فـ « ثعلبة » من الأسماء التي يتسمى بها عدد من القبائل ليس لها صلة ما بغسان .

ويظهر من روايات الأخباريين أن الغساسنة أخذوا الحكم بالقوة من أيدي عرب كانوا يحكمون هذه المنطقة قبلهم ، ويدعون بـ « الضجاعمة » ، وهم من سليح بن حلوان[1] .

وبنو سليح هم عرب ينسبهم النسابون الى سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وقد ذكروا في أخبار الفتوح . وكانوا في جملة من أقام على النصرانية من تنوخ الشام ، أي القبائل العربية التي تنخت هناك . وقد أسلم قسم منهم ، وكانوا في منطقة قنسرين في أيام المهدي[2] .

ومن ملوك سليح الذين ذكرهم الأخباريون ، زياد بن الهبولة ملك الشأم . جعلوه من معاصري حجر بن معاوية بن الحارث الكندي آكل المرار ، وذكروا أنه سمع بغارة قام بها حجر على البحرين ، فسار الى أهل حجر ومن تركهم ، فأخذ الحريم والأموال وسبى منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية . فلما سمع حجر وكندة وربيعة بغارة زياد ، عادوا عن غزوهم في طلب ابن هبولة ، ومع حجر أشراف ربيعة : عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ، وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وغيرهما . فأدركوا عمراً بالبردان دون عين أباغ ، فحمل أتباع حجر على أهل الشأم ، فانهزموا ، ووقع زياد أسيراً ثم قتل[3] . وهي رواية يعترض عليها كثير من الأخباريين ، اذ يقتضي ذلك إرجاع أيام ملك بني سليح الى عهد قباذ والمناذرة . بينما يذكرون أن ملكهم كان قد انقضى قبل ذلك بمئات من السنين[4] .

ويرجع الأخباريون الضيزن ـ وهو في نظرهم « الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرام ابن عمرو بن النخع بن سليح من بني تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وملك الحضر » ـ الى بني سليح ، وجعلوا أمه جيهلة امرأة من بني تزيد بن حلوان ، وهو أخو سليح

---

(١) حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان (ص ١٥٢) ، « طبعة القاهرة ١٩٠١ » .
(٣) ابن الأثير (٢٠٨/١) . (٤) ابن الأثير (٢٠٨/١) .

ابن حلوان ، فهي أيضاً في نظرهم من القبيلة التي تفرعت منها بنو سليح . ويلاحظ أنهم جعلوا أيضاً بني الأجرام والعبيد بن الأجرام من بني سليح [1] .

وقد ذكر « زوزيموس Zosimus » ٤٩١—٥١٨ م في كتابه شيخاً عربياً سماه « زوكوموس Zocomos » ، عاش في أواخر القرن الرابع للميلاد ، وكان بدرجة « فيلارخوس Phylarcos » ، أي كان عامل لدى الروم على عرب الشام [2] . كما أشار المؤرخ « ثيوفلكتوس Theophylactus » الى «Zeokomos» [3] ، وهو الرجل الذي قصده زوزيموس ، ولاشك . ويمكن أن نقول إنه اسم عربي أصيل ، حرف فصار على الشكل المذكور . وهو « ضجعم » في الأصل ، واليه انتسب الضجاعمة أسلاف آل جفنة [4] .

وروى أن هذا العامل تنصر وتنصر معه عدد كبير من أتباعه ، وأن الله وهبه ولداً بفضل دعاء النساك النصارى [5] ، وأن الأمر صار من بعده الى مارية أو ماوية . وقد حاربت الرومان في عهد القيصر « والنس Valens » في أواسط القرن الرابع للميلاد . وانتصرت غير مرّة على الرومان ، ثم تصالحت معهم . وكان من جملة ما اشترطته عليهم أن يسقف على عربها راهب يدعى موسى كان يتعبد في بادية الشام ، فوافق القيصر على ذلك ، وكان هذا الراهب كاثوليكياً معارضاً لمذهب أريوس [6] .

وليست لدينا معرفة كافية عن الضجاعمة . وأما النسب الذي يذكره النسابون وأهل الأخبار لهم ، فهو لايستند بالطبع الى مصدر جاهلي مكتوب . وشأنه بالنسبة لنا ، شأن الانساب الأخرى التي يرويها الأخباريون . وقد جعل « حمزة » والد ضجعم رجلا سماه حماطة [7] . وللأخباريين

---

(١) الأغاني (/١٤٠—١٤١) .

(٢) Zosimus, 6;38. (٣) Theophylactus, 2, 2 (٤) غسان (ص ٦) .

(٥) Zosimus, 6; 38, Socrates, 4; 30, Rufinius, 11; 6, Theodoretus, 40; 21.

(٦) المشرق : السنة العاشرة ، العدد ١١ حزيران ١٩٠٧ (ص ٥٢٤) . Theodoretus, 4, 21, Socrates, Hist. eccl 4, 36,

(٧) حمزة ص (٧٦) .

روايات في أسماء الأناس الذين تزعموا الضجاعمة بعد رئيسهم ضجعم[1] ، وهي روايات متضاربة ، لا تبعث الاطمئنان في النفوس .

ولا تخلو أخبار الأخباريين عن الفتك الذى حل بالضجاعمة من مبالغة ، إذ ورد أن أحد الشعراء قيل إنه « النابغة » نزل على أحد الضجاعمة في بصرى ، كما ذكر أنهم كانوا فى جملة من حارب خالد بن الوليد في معركة دومة الجندل[2] . وهذا مما يدل على أنهم وإن فقدوا ملكهم فى بلاد الشام ، لم يرتحلوا عن تلك البلاد .

وأرجع المسعودي ملك العرب بالشأم الى أيام فالغ بن هور . وهو من صميم أهل اليمن ، ملك ، ثم ترك الحكم الى سومات . وهو أيوب بن رزاح . ثم انتقل ملك الشأم على رأيه أيضاً الى الروم . وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل الشأم ، وانضافوا الى ملوك الروم ، فملكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشأم من العرب . وكان النعمان بن عمرو بن مالك أول من تولى من تنوخ بالشأم . ثم ملك بعده ابنه عمرو ، ثم الحواري بن النعمان . ثم انتقل الملك الى سليح . وانتقل الملك منهم الى آل غسان[3] .

ولم يأت الملك الى الغساسنة كما يقول الأخباريون عفواً ، وبطريق سهل . إنما أخذوه بالقوة وبالحرب . وهم يذكرون أن غسان لما نزلت في جوار سليح بن حلوان ، ضربت سليح عليهم الإتاوة . ولما طالب سبيط ، وهو من ثعلبة بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة ، ثعلبة بن عمرو كبير غسان بدفع الإتاوة ، تحايل عليه حتى اغتاله أخوه جذع بن عمرو ، فوقعت الحرب بين سليح وغسان ، واندحرت فيها سليح ، وصار الملك الى غسان[4] . ويروى الأخباريون هذه القصة تفسيراً لأصل المثل الذى يروونه ، وهو : « خذ من جذع ما أعطاك » .

وللأخباريين روايات عن هذا المثل تتفق كلها فى أن الرجل الذى فتك وقتل خصمه هو

---

(١) ابن خلدون (٢/٢٧٩) ، حمزة (٧٦) ، غسان (ص ٦) .
(٢) غسان (ص ٧ ملحوظة ١٦) ، النص الألماني (ص ٩ ملحوظة ٢) ،
(٣) المروج (٢/٢٩ وما بعدها) . (٤) حمزة (ص ٧٦) .

جذع ، ثم تختلف في اسم المقتول . فيقول بعضهم إنه سبيط ، ويقول آخرون : إنه سبطة[1] . ويقول بعض آخر : إنه كان رجل من الروم[2] .

ونسب ابن خلدون « سبطة » القتيل الى المنذر بن داوود[3] ؛ ويظهر أن داوود هذا هو داوود اللثق الذي ينتسب اليه بنو سليح . والى داوود ينسب دير داوود ، وذلك يدل على أنهم جعلوه نصرانياً وفي خدمة دولة الروم[4] .

وزعم المؤرخ حمزة أن أول ملك ملك من غسان هو جفنـة بن عمرو مزيقيـا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث . وقد ملك في أيام نسطورس ، وهو الذي ملـكه على عرب الشام . فلما ملك ، قتل ملوك قضـاعة من سليح الذين يدعون الضجاعمة ، ودانت له قضاعة ومن بالشام من الروم ، وبنى جلق والقرية وعدة مصانع ، ثم هلك . وكان ملـكه خمساً وأربعين سنة وثلاثة أشهر[5] . وبهـذا الرجل سمي آل جفنة عمال القياصرة على عرب الشام[6] ، والى هذه المدة من الحـكم ذهب البطليوسي[7] مما يدل على أنه استعان بمورد هو المورد الذي أخذ حمزة منه .

وقد قصد الأخباريون بنسطورس ونوشر القيصر أنسطاسيوس « أنسطاس **Anastasius** » « ٤٩١ — ٥١٨ » [8] . فاذا كان هذا الظن صحيحاً ، كان حكم جفنة إذن حوالي نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس للميلاد .

وعند المسعودي أن أول من ملك من بني غسان بالشام الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسـان بن الأزد بن الغوث ، ومن بعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة ، وهو ابن مارية ذات القرطين[9] . أما ابن قتيبة ،

---

(١) ابن خلدون (٢/٢٧٩) . (٢) اليعقوبي (١/١٦٧) « طبعة النجف » .

(٣) ابن خلدون (٢/٢٧٩) . (٤) غسان (ص ٧) ، Ghassan , S. 8

(٥) حمزة (ص ٧٧) ، « جفنة بن علية بن عمرو بن عامر » ، اليعقوبي (١/١٦٧) « طبعـة النجف » ، « جفنة بن مزيقيا » ، ابن خلدون (٢/٢٨١) .

(٦) حمزة (ص ٧٦) . (٧) شرح ديوان النابغة الذبياني للبطليوسي (ص ٦) .

(٨) غسان (ص ٧) ، النص الألماني (ص ٩ ملحوظة ٤) .

(٩) المسعودي : المروج (١/٢٩٨) « طبعة المطبعة البهيـة » .

فذهب الى أن أول من ملك منهم هو الحارث بن عمرو المعروف بمحرق . وسمي بمحرق لأنه أول من حرق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ويكنى بأبي شمر [1] .

ونَجَل عمرو بن عامر ، وهو « مزيقيا » على روايـة ابن خلدون ، جملة أولاد ، منهم : جفنـة ، والحارث وهو محرق ، وثعلبة وهو العنقا ، وحارثـة ، وأبو حارثة ، ومالك ، وكعب ، ووادعة ، وعزف ، وذهل ، ووا كل [2] . فيكون جفنة على هذه الرواية أخاً للحارث بن عمرو الذي عدّه المسعودي وابن قتيبة أول من تملك من الغساسـنة في ديار الشام . وعلى هذا تـكون لدينا روايتان بشأن أول من تملك من الغساسنة بالشام : رواية تجعل جفنة أول من ملك منهم في تلك البلاد ، ورواية أخرى تجعل شقيقه الحارث أول من ملك بديار الشام .

وتولى الحـكم بعد جفنـة على رواية حمزة ابنه عمرو بن جفنة ، وكان ملـكه خمس سنين . ونسب حمزة اليه بناء عدة أديرة منها : دير حالي ، ودير أيوب ، ودير هنّاد [3] . وذلك يدل على أن المورد الذي نقل منه حمزة كان يظن أنه كان نصرانياً .

وتولى بعد عمرو بن جفنة ابنه ثعلبة على رواية حمزة ، وكان ملـكه سبع عشرة سنة . ونسب اليه بناء عقة وصرح الغدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء [4] . وقد نسب البطليوسي اليه بناء صرح السدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء . وذكر مثل حمزة أنه حكم سبع عشرة سنة [5] .

ثم تولى من بعده الحارث ، وهو ابنه ، وكانت مدة ملـكه عشرين سنة . وذكر حمزة أنه لم يبن شيئاً . ثم ذكر من بعده جبلة بن الحارث ، وهو ابنه ، وحكم على روايته عشر سنين [6] . وجعل البطليوسي مدة حكمه عشر سنين [7] .

وجبلة هو أول من يمكن أن نطمئن الى وجوده من ملوك الغساسنة كل الاطمئنـان ، وهو « جبلس Jabalac » عند ثيوفانس . وقد ذكـر عنه أنه غزا فلسطين حوالي سنة « ٥٠٠ »

---

(١) المعارف (ص ٢٨٠) .
(٢) ابن خلدون (٢/٢٧٩) .
(٣) حمزة (ص ٧٧) .
(٤) حمزة (ص ٧٧) .
(٥) البطليوسي (ص ٦) .
(٦) حمزة (ص ٧٧) .
(٧) البطليوسي (ص ٦) .

للميلاد[١] . ولا نعرف من أمر هذا الرجل شيئاً يستحق الذكر . وقد نسب حمزة والبطليوسي اليه بناء القناطر وأدرج والقسطل[٢] . وجعل البطليوسي مدة حكمه عشر سنين[٣] .

وجبلة المذكور ، هو والد الحارث بن جبلة الذي يمكن عدّه أول ملك كان له شأن يذكر من ملوك آل جفنة ، وهو في نظر نولدكه « اريثاس Arethas » الذي ذكره المؤرخ السرياني « ملالا Melalas » . وقد ذكر عنه أنه كان عاملا للروم[٤] .

وذكر حمزة والبطليوسي وآخرون أن والدة الحارث هي مارية ذات القرطين بنت عمرو بن جفنة[٥] . وهنالك امرأة أخرى تعرف بمارية ذات القرطين عند الأخباريين ، وأبوها هو ظالم بن وهب ، وهي أخت هند الهنود امرأة حجر الكندي ، وأم عمرو بن الحارث . وقد ضرب المثل بحسنها فقيل « خذه ولو بقرطي مارية »[٦] . وذكر المسعودي أنها مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو ، ثم ذكر رواية أخرى تزعم أنها مارية بنت ظالم بن وهب بن معاوية بن ثور بن كندة ، وذكر أن جماعة من ملوك غسان انتسبوا اليها[٧] .

وذكر الطبري في أثناء كلامه على النعمان السائح أنه غزا الشام مراراً وأكثر المصائب في أهلها وسبي وغنم ، ولم يشِرْ الى اسم الأمير الغساني الذي كان يحكم عرب الشام يومئذٍ . غير أنه تحدث عرضا عن اهداء عبد العزّى بن امرىء القيس الكلبي أفراساً الى الحارث بن مارية الغساني[٨] . مما يدل على أنه قصد الحارث بن جبلة الذي نتحدث عنه .

وقد أشار أبو الفرج الأصبهاني إلى هذه القصة أيضاً ، وذكر أن الحارث بن مارية الغساني أعجب بعبد العزيّ ، واختصه بنفسه ، ثم قال : « وكان للملك ابن مسترضع في بني عبد ودّ من كلب فنهشته حيّة ، فظن الملك أنهم اغتالوه . فقال لعبد العزيّ : جئني بهؤلاء القوم ، فقال :

(١) غسان (ص ٨) ، Theophanes , 218 , (Bonn) O ' Leary , P , 164 .
(٢) حمزة (ص ٧٧) . (٣) البطليوسي (ص ٦) .
(٤) غسان (ص ٩) ، Melalas , 2 . I66 (٥) حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٦) .
(٦) شيخو : النصرانية (٢٤٤/٢) ، الميداني : الأمثال (٢٠٤/١) .
(٧) المروج (٣٠/٢) . (٨) الطبري (٧٣/٢) .

هم قوم أحرار ، ليس لي عليهم فضل فى نسب ولا فعل . فقال : لتأتيني بهم أو لأفعلن وأفعلن ، فقال له : رجونا من حبائك أمراً حال دونه عقابك ، ودعا ابنيه شراحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما الى قومه :

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سنمّار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجةً يعلّي عليه بالقراميد والسكب

وهي أبيات . قال : فقتله النعمان[1] .

وقد تحدثت عن هذه القصة فى أثناء كلامي على النعمان السائح ، وهي قصة متداخلة ، يتعلق أولها بالحارث بن مارية الغساني وتتعلق نهايتها بالنعمان السائح . فقول أبي الفرج « قال : فقتله النعمان » معناه أن الذى أمر بقتل عبد العزّي هو الملك النعمان ، بينما الكلام يدور على موضوع وقع بين هذا الرجل وبين الحارث بن مارية النسانى . فالواجب أن يكون القاتل هو الحارث ، لرفض عبد العزيّ استدعاء من أرادهم الملك من قبيلة كلب . والحارث بن مارية متأخر عن النعمان . وحكم الحارث من سنة «٥٢٩ م» حتى سنة « ٥٦٩ » على تقدير نولدكه ، بينما كان حكم النعمان من حوالي «٤٠٠ م» حتى سنة «٤١٨» على بعض الآراء . فلا يعقل اذنْ أن يكون النعمان هو الآمر بقتل عبد العزيّ . فالظاهر أن المورد الذى نقل منه أبو الفرج كان يتكلم على موضوع الخورنق وقصة سنمار ، فتحدث استطراداً عن قصة عبد العزيّ ، لورود اسم سنمار في الأبيات المنسوبة اليه ، وفى الجزاء الذى لقيه من الحارث ، وقد كان له فضل عليه ، وهو جزاء يشبه جزاء سنمار . وقد أخطأ المورد فنسب القتل الى النعمان وهو يقصد الحارث صاحب هـــذه القصة مع عبد العزيّ ، أو أنه لم يقصد هذا أيضاً ، وانما أدخلت تلك الجملة ادخالاً بعد تلك الأبيـات لمناسبة الكلام على « سنمار » ، فصارت كأنها من صلب قصة عبد العزيّ ، وليست لها بالقصة علاقة . وهذا تعليل ، والواقع أننا نجد خطأ كثيراً مثل هذا يقع فيه الأخباريون لاعتمادهم على النقل وعلى كلام الرواة من غير نقد ولا تمحيص ، فيحدث عندهم مثل هذا التناقض الغريب .

---

(١) الأغاني (٢/١٤٥ — ١٤٦) « طبعة دار الكتب المصرية » .

وورد في شعر للحارث بن حلزة :

فهلا سميت لصلح الصديق كصلح ابن مارية الأقصم

وقد ذكر الأخباريون أن ابن مارية في هذا البيت هو قيس بن شراحيل ، ومارية أمه بنت الصباح بن شيبان من بني هند[1] . فيظهر من ذلك أن هناك جملة رجال عرفوا بابن مارية .

وذكر الأخباريون أن الحارث بن مارية الغساني كان قد اجتبى أخوين من بني نهد اسمها حزن وسهل ، وهما ابنا رزاح . فحسدهما زهير بن جناب الكلبي ، وسعى بهما لدى الحارث ، وأظهر له أنهما عين للمنذر ذي القرنين عليه حتى قتلها . ثم تبين له فيما بعد بطلان قول زهير ، فطرده من عنده . واسترضى الحارث والد القتيلين رزاح ، وأبقاه عنده ، فلم يطق زهير على ذلك صبراً ، حتى تخلص منه بمكيدة انتهت بقتل الحارث له وبرجوع زهير الى ماكان عليه[2] . وهي قصة من هذه القصص التي يرويها الأخباريون تشير الى معاصرة زهير للحارث وللمنذر الأكبر ذي القرنين أي المنذر بن ماء السماء .

وقد ذكر ملالا أن الحارث بن جبلة حارب « المنذر **Alamundarus** » أمير عرب الفرس ، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة ٥٢٨ م[3] ، وذكر معه اسم أميرين ، هما : « جنوفاس » « **Jnophas** » ، و « نعمان **Naaman** » . ويرى نولدكه أن جنوفاس هو جفنة ، وهو اسم أحد الأمراء الجفنيين ، سمي باسم جفنة مؤسس تلك الأسرة . وأما نعمان ، فهو أيضاً من أولئك الأمراء الجفنيين[4] .

ويرى نولدكه أيضاً أن هذا الحارث هو الحارث الذي ذكر عنه المؤرخ ملالا أنه أخمد ثورة السامريين الذين ثاروا في فلسطين في سنة ٥٢٩ م[5] .

وقد ورد في تأريخ « بروكوبيوس **Procopius** » أن المنذر ملك العرب « **Sarakynou** »

---

(١) الأغاني (١١/٤٤) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٢) الأغاني (٥/١١٨ وما بعدها) . (٣) غسان (ص ١٠) . Melalas . 2 . 166 .

(٤) غسان (ص ١٠) . (٥) غسان (ص ١٠) . O'leary . P. 164. Malalas. 2,180. f. .

الذين كانوا في مملكة الفرس ، لما أكثر من الغارات على حدود انبراطورية الروم ، وعجز قوّاد الروم من أرباب لقب « Duce » ، ومشايخ القبائل من أرباب لقب « فيلارخ Phylarchus » المخالفين للروم عن صده والوقوف أمامه ، رأى القيصر « يسطنيانوس Justinianus » أن يمنح الحارث بن جبلة الذي كان يحكم عرب العربية « Arabia » لقب « ملك » ، ليقف بوجه « المنذر Alamoundaros » . وقد ذكر أن هذا اللقب لم يمنح لأحد من قبل . ولكن المنذر لم يرعو مع ذلك عن غزو الحدود الشرقية لبلاد الشام والعبث بها مدة طويلة من الزمن [١] . وقد ذهب نولدكه الى أن هذه الحوادث كانت في سنة ٥٢٩ م . ويكون منح القيصر الحارث هـــذا اللقب على رأيه في هذه السنة إذن [٢] .

ويشك نولدكه في رواية بروكوبيوس بشأن منح الحارث لقب « ملك » ، ذلك لأن لقب « ملك » كان خاصاً بقياصرة الروم ، فلا يمنح لغيرهم [٣] . ويلاحظ أن بعض كتبة اليونان أطلقوا أيضاً لقب « ملك » على الأمراء العرب ، مثل « ماوية » فقد لقبت بـ « ملكة » . ولم يستعملوا كلمة « فيلاركوس Phylarkos ’ Phylarque ’ Phylarcos » التي تعني « العامل » أو « شيخ قبيلة » . وأما الكتبة السريان ، فقد لقبوا رؤساء القبائل العربية بلقب « ملك » في بعض الأحيان على نحو ما نجده في الشعر العربي [٤] . ولكن نولدكه يرى أن هـذا الاستعمال لا يمكن أن يكون سنداً لإثبات أن الروم أطلقوا لقب « ملك » على « الحارث » أو على خلفائه لأن الوثائق الرسمية لم تطلق هذا اللقب عليهم [٥] .

والذي صح إطلاقه من الألقاب على أمراء الغساسنة ، وثبت وجوده في الوثائق الرسمية ، هو لقب « بطريق Patricius » ، ولقب « عامل » أو رئيس قبيلة « فيلارخوس Phylarchus » « Phylarcos , Phylarkos » مقروناً بنعت من النعوت التابعة له ، أو مجرداً منه ، كالذي جاء عن المنذر الذي حكم بعد الحارث بن جبلة « فلابيوس المنذر البطريق الفائق المديح ، ورئيس

---

(١) Procopius . I . XVII . 43 — 48 .   (٢) غسان (ص ١١) .

(٣) غسان (ص ١٢) ، المشرق : السنة الأولى الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ ، (ص ٤٨٥) .

(٤) المصدر نفسه .   (٥) غسان (ص ١٢) .

القبيلة » ، والمنذر البطريق الفائق المديح » ، وما ورد عن الحارث « الحارث البطريق ورئيس القبيلة »[1] .

ولقب « البطريق » من ألقاب الشرف الفخمة عند الروم ، ولذلك فلم يكن يمنح إلا لعدد قليل من الخاصة ، ولصاحبه امتيازات ومنزلة في الدولة حتى إن بعض الملوك كانوا يحبذون الحصول على هذا اللقب من القيصر[2] .

ويتبين من رواية المؤرخين بروكوبيوس وملالا أن الحارث بن جبلة كان قد اشترك في المعركة التي نشبت بين الفرس والروم في ١٩ نيسان سنة ٥٣١ ، وانتهت باندحار الروم وكان قائدهم « بليزاريوس »[3] . وذكر أن الفرس أسروا رجلاً اسمه « عمرو Amros » وكان حائزاً على درجة « قائد Dux »[4] .

وقد أشرت في معرض كلامي على تأريخ الحيرة الى النزاع الذي كان بين الحارث وبين المنذر ملك الحيرة على الأرض التي أطلق الروم عليها « Strata » ، وهي البادية التي على جانبي الطريق الحربي وكان الأعراب ينتجعونها ، فقد ادعى كل واحد من الأميرين أنها له ، وأن الأعراب النازلين فيها أو الذين يقصدونها للرعي هم تبع له ، وعليهم دفع الجزية له . فكان هذا النزاع من جملة العوامل التي جددت الحرب بين الروم والفرس .

وقد أثار تصرف الحارث في الحرب التي نشبت في سنة ٥٤١ م بين الفرس والروم ، شك الروم في إخلاصه لهم ، والحذر منه ، إذ ما كاد يعبر هذا الأمير نهر دجلة مع القائد بليزاريوس حتى بدا له فرجع الى مواضعه بعد أن سلك طريقاً آخر غير الطريق الذى اتبعه معظم الجيش دون أن يقوم بعمل يذكر في هذه الحرب[5] .

---

(١) غسان (ص ١٢ وما بعدها) .

(٢) المشرق : السنة الأولى : الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٤٨٥) .

(٣) غسان (ص ١٧) Musil . Palmyrena . P. 274. Procopius . I . 8 . Melala . 2 . 199

(٤) غسان (ص ١٨) Melala . 2 . 202 .

(٥) غسان (ص ١٨) Melala . 2. 203. Procopius . 2 . 5 . 16 . I8 . Musil . Palmyrena . 266.

وقد عاد النزاع فتجدد بين الحارث والمنذر حوالي سنة ٥٤٤ م ، وانتهى بسقوط ملك الحيرة قتيلاً في معركة حدثت فى ٥٥٤ م على مقربة من قِنَّسْرِين بالقرب من الحيار على نحو ما تحدثت عنه فى أثناء الكلام على المنذر . وهذه المعركة هي معركة يوم حليمة على رأي نولدكه[1] . ويظهر أن المنذر كان قد هاجم بلاد الشام ، وتوغل فيها حتى وصل الى حدود قنَّسرين ، فصرع هناك . حدث ذلك فى السنة السابعة والعشرين من حكم « يوسطنيانوس Justinianus » على رواية ابن العبري . وقد ذكر ابن العبري فى أثناء كلامه على هذه الحرب أن « بر حارث Bar-Herath » أي « ابن الحارث » سقط قتيلاً فى الحرب[2] . وكان قد ذكر قبل كلمات أن المنذر بن النعمان لما هاجم منطقة « Rhomaye » وتوغل فيها ، نازله « الحارث بن جبلة Herath Bar'Gabala » بهجوم مقابل ، فهزمه ، وقتله في قنّسرين . ثم ذكر أن ابن الحارث نفسه سقط قتيلاً في هذا الموضع . ويعرف هذا الولد باسم جبلة[3] .

وقد أشرت في أثناء كلامي على أبرهة الى إرسال الحارث بن جبلة رسولا عنه الى مدينة مأرب ليهنىء أبرهة بترميمه سد مأرب[4] ، وذكرت أن النص الذى أمر أبرهة بتدوينه عن هذا الحارث لم يدون كلمة « ملك » مع اسم « الحارث » ، بل ذكر « ورسل حرثم بن جبلت[5] » أي « ورسول الحارث بن جبلة » . وقد كان وصول رسول الحارث أو رسله فى سنة ٥٤٢ م .

وذكر مع الحارث اسم رجل آخر أرسل أيضاً رسولاً عنه الى أبرهة ، وهذا الرجل هو أبو كرب بن جبلة ، لعله شقيق الحارث . وقد ذهبت فى الجزء المتقدم من هذا الكتاب الى أنه « Abochorabus » المذكور فى تأريخ بروكوبيوس . والذى قال عنه إن الانبراطور « يوسطنيانوس Justinianus » كان قد عينه عاملا على عرب غابات النخيل الواقعة على حدود فلسطين الجنوبية ، وأنه كان صاحب مواهب وكفاية ، وقد استطاع أن يحفظ الحدود من اعتداء

---

(١) غسان (ص ٢٠) . (٢) Bar Hebraeus, Vol., I, P. 76.

(٣) Michael The Syrian, Chronicle, (ed Chabot), Vol., 4, PP. 323, Musil 'Palmyrena, P, 144.

(٤) ١٩٧/٣ وما بعدها . (٥) Glaser, 618.

الأعراب عليها . وتجاور أرضه أرض « Maddeni » ، أي أرض « معد » . وقد كانت في حكم « Homeritae » فى أيام يوسطنيانوس[1] .

ويفهم من بعض الروايات أن صلات أبي كرب بالقيصر يوسطنيانوس كانت حسنة ، وأن القيصر أهدى اليه عشرين ألف أسير حرب ، جعلهم حصته من غنائم الحرب ، فباعهم أبو كرب للفرس والأحباش[2] .

ويرى نولدكه أن « رب غسان » القتيل الذى أشار اليه الحارث بن حلزة فى معلقته ، هو أحد ذوي قرابة الحارث بن جبلة ، وقد قتل اخذاً لثأر المنذر ملك الحيرة الذى قتله الحارث بن جبلة . واستعمال جملة « رب غسان » يشير الى أن القتيل كان من كبار آل غسان[3] .

وكان الحارث من أنصار « المنوفستيين Monophysites » ، أي القائلين بوجود طبيعة واحدة في المسيح ، ويقال إنه سعى لدى الانبراطورة ثيودورة فى تعيين يعقوب البرادعي ورفيقه ثيودورس أسقفين للمقاطعات السورية العربية . فنجح فى مسعاه هذا فى سنة ٥٤٢—٥٤٣ م ، وبذلك وطد هذا المذهب فى بلاده[4] .

ونسب المؤرخ السرياني ميخائيل الكبير الى الحارث محاورة جرت بينه وبين البطريق افرام « ٥٢٦ — ٥٤٥ م » في السريانية أو اليونانية فى « طبيعة المسيح » وفي مذهبه القائل بوجود طبيعة واحدة فيه . وهو مذهب يعقوب البرادعي المتوفى سنة ٥٧٨ م . وقد صيغت الحكاية بأسلوب يفهم منه أنه تغلب بأدب ولطف على خصمه البطريق[5] .

ولمعارضة مذهب اليعاقبة أتباع يعقوب البرادعي لمذهب الكنيسة الرسمي للانبراطورية ، عدّ الروم هذا المذهب من المذاهب المنشقة المعارضة فقاوموه وناضلوا أصحابه ولا سيما في أيام القيصر يوسطنيانوس ، باعتباره مذهباً من المذاهب الناهضة لسياسة الملوك والدولة ، كمعارضة الأحزاب

---

(١) ٣/٢٠٥ وما بعدها . (٢) O'leary . P. 174. f. (٣) غسان (ص٢٠) .
(٤) Francois Nau , Les Arabes Chrestiens , PP. 52.
(٥) المشرق ، المجلد ٣٤ (السنة ١٩٣٦) الجزء الأول (ص ٦١ وما بعدها) .

السياسية فى الزمن الحاضر[١] ، الا أن الحارث سعى جهد إمكانه في تخفيف حدة غضب الحكومة على رجال هذا المذهب ، ومن التقريب ما أمكن بين آراء رجال الكنيستين . ولجهود الحارث ومسعاه في حماية هذا المذهب ، فضل كبير ولا شك في بقائه ، وفى انتشاره بين السريان وعرب الشأم[٢] .

والى هذا الحارث قصد امرؤ القيس الكندي الشاعر ، ليوصله الى القيصر ليشكو له ظلامته ، ويطلب منه مساعدته في استرجاع حقه وأخذه بالثأر على حسب رواية الأخباريين ، واليه تنسب أيضاً قصة مطالبة السموأل بن عاديا باعادة دروع امرىء القيس التي أودعها لديه فى القصة الشهيرة التي يحكيها الأخباريون فى معرض كلامهم على امرىء القيس وقصة السموأل والوفاء على نحو ما أشرت الى ذلك فى الجزء الثالث من هذا الكتاب[٣] . وهناك جماعة من الأخباريين ترى أن الحارث الذى طالب بتسليم دروع امرىء القيس اليه هو شخص آخر اسمه الحارث بن ظالم[٤] . ولكنها لم تذكر الصلة التي كانت بين الحارث بن ظالم وامرىء القيس ، وحملته على المطالبة بتلك الدروع .

وقد زار الحارث القسطنطينية في تشرين الثاني من سنة ٥٦٣ م ، فاستقبل استقبالاً حافلاً . وأثر أثراً عميقاً فى نفوس أهل العاصمة وفى رجال القصر والحاشية ، ويقال إن رجال البلاط كانوا يخوفون القيصر « يوسطينوس Justinius » بعد خرفه بالحارث ، فكان يهدأ ويسكت روعه حين سماعه اسمه[٥] . والظاهر أن الغاية التي من أجلها ذهب الحارث الى القسطنطينية هي مفاوضة رجال الحكم فيمن سيخلفه على عرشه بعد وفاته من أولاده ، وفى السياسة التي يجب سلوكها

---

(١) Eduard Gibbon, Der Sieg, S. 66.

(٢) المشرق : السنة الأولى : الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٤٨٦) .

(٣) أيضاً الأغاني (٦/٣٣١ — ٣٣٣) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٤) الأغاني (٦/٣٣١ — ٣٣٣) .

(٥) غسان (ص ٢١) , John of Ephesus, Eccl., 3, 2., O'Leary, P. 165, Huart, I, S. 60, Les Arabes Chrestiens, PP. 58, Michel The Syrer, chronique, I, II, P. 314

تجاه عمرو ملك الحيرة [١] .

وقد تُوُفّي الحارث فى سنة ٥٦٩ أو ٥٧٠ على رأي نولدكه ، استنتج ذلك من ورود اسمه في الوثائق الكنيسيّة التي يعود تأريخها الى سنتي ٥٦٨ و ٥٦٩ ، والى ربيع سنة ٥٧٠ م ، حيث حلّ اسم ابنه المنذر فى محله ، فاستدل من هذا التغير على أنه توفي في هذا الزمن [٢] .

ويظن المستشرق صموئيل كوبر أن الحارث هو الذي أمر ببناء كنيسة الرصافة الكبرى لا الملك يوسطنيانوس ، ذلك لأن المؤرخ بروكوبيوس لم يشر فى أثناء كلامه على هذا القيصر الى أي أثر له فى هذه المدينة ، على حين أشار الى تسوير الحارث لها والى إحترامه العظيم للقديس سرجيوس [٣] المدفون بها ، وهو قديس له منزلة كبرى فى نفوس نصارى عرب الشام .

وذكر البطليوسي أن الحارث كان يسكن البلقاء ، وبها بنى « الحفير » ومصنعه بين دعجان وقصر أبين ومعان ، وكان حكمه على رأيه عشرين سنة [٤] .

ومن الأمراء العرب الذين عاصروا الحارث بن جبلة أمير اسمه « قيس K isus » ، وكان عاملاً على « فلسطين الثالثة » فى حوالي سنة ٥٣٠ م . والأسود ويظهر أنه كان قد تحارب مع الحارث [٥] .

وعثر في إحدى الكتابات في حرّان على اسم أمير يدعى شرحيل بن ظالم ، يرى نولدكه أنه أمير كندي ، لأن هذين الاسمين من الأسماء الشائعة عند كندة [٦] ، ويرجع تأريخ هذه الكتابة المدونة باليونانية والعربية الى حوالي سنة ٥٦٨ م . وقد دونت لمناسبة تدشين هذا العامل بناء أقامه للقديس يوحنا المعمدان ، فيكون « شراحيل » شرحيل اذن من المعاصرين للحارث بن جبلة [٧] . ويستنتج نولدكه من ذلك أن عدداً من المشايخ ظلوا يتمتعون بنفوذهم حتى بعد تألق نجم آل

---

(١) غسان (ص ٢٠) . (٢) غسان (ص ٢٤) .

(٣) Rusafah . P . 12 . Hertzfeld . Bd . I . S . 167 .

(٤) البطليوسي (ص ٧) . حمزة (ص ٧٨) . (٥) غسان (ص ١٧ ملحوظة ٤٨) .

(٦) غسان (ص ١٧) ، النص الألماني (ص ١٧) .

(٧) غسان (ص ١٧) ، النصرانية وآدابها (١/٣٤) .

Waddington . Inscriptions Grecques . 3 . p. 563 . ZDMG. . 38 . 53.

غسان . ويرى أن ذلك مما يوافق سياسة الروم الذين لم يكن من مصلحتهم ظهور أمير واحد قوي ، بل كان من مصلحتهم وجود جملة أمراء متنافسين ، ليتمكنوا بذلك من السيطرة عليهم جميعاً بضرب بعضهم ببعض [1] .

وانتقل العرش الى المنذر المعروف بـ « Alamundaros » عند بعض الكتبة اليونان واللاطين والسريان، وذلك بعد وفاة والده الحارث بن جبلة . وقد استهل حكمه بالحرب مع ملك الحيرة النعمان أبو قابوس . والظاهر أن عرب الحيرة كانوا هم البادئين بها ، فانتصر عليهم في يوم (٢٠ أيار) من سنة ٥٧٠ م [2] . ثم انتصر عليهم في معركة أخرى فيما بعد [3] . ويرى نولدكه أن المعركة الأولى هي عين أباغ [4] .

ويرى نولدكه أن المنذر هو أبو كرب الذي ذكر اسمه في نص سرياني عثر عليه في إحدى ضواحي تدمر ، وهو نص ديني ورد فيه اسم الأسقفين يعقوب وثيودور ، وهما على رأيه يعقوب البرادعي وصاحبه [5] .

لقد حدث سوء تفاهم بين القيصر « يسطينوس Justinus » وبين المنذر تطور حتى صار قطيعة . ولما أحس المنذر بأن القيصر قد دبر له مؤامرة ، وأنه أمر عامله البطريق مرقيانوس « Marcianus » بأن يحتال عليه ليقتله ، تمرد على الروم ، وغادر أرضهم الى البادية . فانتهز عرب الحيرة هذه الفرصة المؤاتية فأمعنوا في غزو بلاد الشام ، وايقاع الرعب في نفوس سكان القرى المجاورة لهذه الحدود مما حمل الروم على مراسلة المنذر والتودد اليه لاسترضائه ، حتى اذا ما تلطف الجو أرسلوا اليه البطريق يوسطنيانوس ليجتمع به في مدينة الرصافة عند قبر القديس سرجيوس لاقناعه بترك موقفه والموافقة على العودة الى محله . وعند القبر المقدس تم عقد الصلح بينهما في صيف سنة ٥٧٨ . فعاد المنذر الى أرضه ، ليقوم بالدفاع عن حدود الشام [6] .

---

(١) غسان (ص ١٦) النص الألماني (ص ١٦) .

(٢) غسان (ص ٢٥) ، Land . 1 . 13

(٣) John of Ephesus . 6 . 3.

(٤) غسان (ص ٢٥) .

(٥) غسان (ص ٢٧ — ٢٨) .

(٦) غسان (ص ٢٦) ، John of Ephesus. 6 . 3-46

وقد أشار ابن العبري الى هذا الحادث ، فذكر أن العرب « طيـاية » كانوا منقسمين الى جماعتين : جماعة المنذر بن الحارث « Mundar bar Herath » ، وكان نصرانياً وكذلك كان جنوده ، وجماعـة قابوس ، فهاجم قابوس وجنوده العرب النصارى ، وقصد بذلك الغساسنة ، واستاق ما وجده أمامه من ماشية ، ثم قفل الى بلاده . فلما رأى المنذر ما حدث ، جمع جيشاً هجم به على قابوس ، فتغلب عليه ، ورجع بغنائم عديدة وعدد كبير من الإبل . وعاد قابوس فهـاجم المنذر ، غير أنه مُنِيَ بهزيمة ثانية اضطرته الى طلب النجدة من الفرس . فأخبر المـنذر القيصر يسطينوس بذلك ، وطلب منه إمداده بالمال ليؤلف به جيشاً يقف أمام الفرس ، فاستاء القيصر منه ، وقرر التخلص منه بقتـله ؛ لظنه أنه كان السبب فى غزو الفرس لـ « Rhomaye » ، وكتب الى عامله مرقيانوس وكان معسكراً يومئذ فى منطقة نصيبين « Nisibis » أن يتربص بالمنذر فيقبض عليه ، ويقطع رأسه . وقد أخطأ كاتب الرسائل ، فأرسل الرسالة الخاصة بالبطريق مرقيانوس الى المنذر ، وأرسل الرســـالة الخاصة بالمنذر الى البطريق . فلما قرأ المنذر الـكتاب وعرف بما أراد القيصر أن يفعله به ، غضب غضباً شديداً ، وتصالح مع قابوس ، وصارا يهاجمان بلاد الشام . فظن يسطينوس أن مرقيانوس قد خانه ، وأنه أخبر المنذر بالمؤامرة ، فأمر بالقبض عليه ، وحبسه . ولما صار طيباريوس « Tiberius » قيصراً ، ذهب المنذر الى القسطنطينيـة ، فلامه القيصر على ما صنع ، ولـكنه قدره واحترمه كثيراً حينما أراه رسـالة يسطينوس التي أراد توجيهها الى عامله لاغتيال المنذر ، وأنعم عليه بهدايا كثيرة ، وألطافٍ سَنِيـّة ، ثم عاد مـكرماً الى مركزه السابق (١) .

قام المنذر فى اليوم الثامن من شباط سنة ٥٨٠ م بزيارة القسطنطينية مصطحباً معـه اُبنين من أبنائه . فلما بلغها ، استقبل بكل احترام وتبجيل ، وأنعم القيصر طباريوس « Tiberius » عليه بلقب « Rex » وبالتاج وهو لقب كان له شأن كبير فى انبراطورية الروم . ويرى نولدكه أن الروم لم يمنحوا عمالهم العرب على بلاد الشام من قبـل إلا « الإكليل » ، ودرجته دون درجـة

---

(١) Bar Hebraeus, Vol., I, p. 80, 82.

« التاج »[1] .

وكان المنذر مثل والده من القائلين بمذهب « الطبيعة الواحدة » والمدافعين عنه ، ولذلك انتهز فرصة وجوده في القسطنطينية ، فسعى فى إقناع رجال القصر بالتسامح مع رجال مذهبه والصفح عنهم . ويظهر أنه عقد هناك مجمعاً في اليوم الثاني من شهر آذار سنة ٥٨٠ م لمعاضدة هذا المذهب والدفاع عنه[2] ، كما اتصل بالبطاركة للتوفيق بين رجال الكنيستين ، غير أنه خابت مساعيه بالرغم من إظهار البطاركة رغبتهم فى ذلك وعدم ممانعتهم فيه[3] .

لقد عثر على كتابة سريانية فى إحدى ضواحي تدمر ، أشير فيها الى ملك عربى دعي فيها بـ « أبي كرب » ، والى أسقفين هما : يعقوب ، وثيودورس . وقد ذهب نولدكه الى أن المقصود بيعقوب هو يعقوب البرادعي صاحب المذهب المنوفستي ، وأما ثيودورس فهو صاحبه . وأما أبو كرب فكنية للمنذر أو الحارث أبيه[4] .

وقد ذكر أن المنذر بنى صهاريج لإيصال الماء الى الرصافة مدينه القديس سرجيوس ذي المكانة العظيمة عند عرب الشام . وظهر من كتابة عثر عليها فى أنقاض كنيسة فى الرصافة أن المنذر بنى أو جدد بناء تلك الكنيسة . وأما بناؤها ، فهو على الطراز البيزنطي[5] .

غير أن قدسية مدينة الرصافة لم تمنع الأعراب ، ولا سيما أعراب العراق ، من التحرش بها ، فغزتها مراراً[6] ، وأخذت قبيلة تغلب صورة القديس بعد عودتها من غزو المدينة[7] ، وهدم أهل الحيرة صهاريج المدينة مراراً . ولحمايتها من الهجمات أحاطها القيصر يوسطنيانوس بسور قوي ،

---

(١) غسان (ص ٢٦) ، John of Ephesus , 4 , 39 , 42

(٢) غسان (ص ٢٧) John of Ephesus , 4, 40 , Les Arabes Chrestiens , P. 63.

(٣) المشرق السنة ٣٤ ج ١ (ص ٦٤) ، السنة ١٩٣٦ .

(٤) غسان (ص ٢٨) .

(٥) Kirchengesch . , V , S . 315 , H . Gelzer , in Byzantinischer Zeitschrift , I , 1892 , S. 245 , Les Arabes Chrestiens , PP. 69. Musil , Palmyrena , P. 165 , 264 , 323—326.

(٦) Musil , Palmyrena , P. 263.

(٧) ديوان الأخطل (ص ٣٠٩) ، « طبعة الصالحاني » ، Musil , Palmyrena , P. 267 .

بدلاً من سورها القديم [١].

وكانت بين « موريقيوس Mauricius » والمنذر منافرة على ما يظهر ، فلما حاول موريقيوس غزو حدود الفرس في عام ٥٨٠ م ، وجد الجسر المنصوب على نهر الفرات مهدماً ، فاضطر الى التراجع وترك الغزو . وكان المنذر معه فى هذه الحملة ، فذهب موريقيوس الى أن المنذر كان على اتفاق سريّ مع الفرس ، وأنه هو الذي أوعز بهدم الجسر ، ليكتب للحملة الإخفاق ، وسعى لدى الروم للايقاع به ، وللدفاع عن نفسه من الخيبة التي مني بها فى هذا المشروع . ولما عاد المنذر فغزا أرض الحيرة بنفسه فيما بعد ملحقاً بالمدينة أذى كثيراً ، جاعلاً إياها طعمة للنيران ، اتخذ الروم هذه الغزوة دليلاً على تحدي المنذر لهم . ورغبته فى الخروج على طاعتهم ، فقرروا الانتقام منه بقتله ، فأصدروا أمراً سرّياً الى حاكم بلاد الشام « ماكنوس Magnus » صديق المنذر بالعمل على قتله . وصادف أن الروم كانوا قد انتهوا من بناء كنيسة في حوارين ، وقد عزم ماكنوس على تدشينها ، فكتب يدعو صديقه الى الاحتفال بذلك . فلما كان على مقربة منه ، قبض عليه ، وأرسله مخفوراً الى العاصمة حيث أجبر على الإقامة فيها مع إحدى نسائه وبعض أولاده وبناته ، وذلك فى أيام القيصر طباريوس . ولما انتقل العرش الى موريقيوس عدوّه ، أمر بنفيه الى صقلية وبقطع الإعانة التي كان الروم يدفعونها الى الغساسنة في كل عام [٢].

وقد ذكر اسم أحد أساقفة العرب ، وهو يوحنا ، في جملة أساقفة مذهب « الطبيعة الواحدة» « Monophysite » ، وكان يقيم فيمدينة حوارين . وقد عرفت عند اليونان باسم «Euarius» « Euaria » ، كما مثلها فى مجمع « خلقيدون Chalcedon » أسقف اسمه توماس « Theomanes Episcopus Euariae » [٣].

وقد لقب « حمزة » المنذر بلقب « الأكبر » ، وجعل مدة حكمه ثلاث سنين ، ونسب اليه

---

(١) Musil , Palmyrena , P. 264. ff, Rusafah , S. 12.

(٢) غسان (ص ٣٠ ـ ٣١) Evagrius , 6 , 2 Bar Hebraeus , vol. , I , P. 82 , John of Ephesus , Eccl. Hist. , III , 40 , 42.

(٣) Musil , Palmyrena , pp. 37.

بناء « حربا » وموضع « رزقا » على مقربة من « الغدير »[1].

أثار عمل الروم هذا ثائرة أبناء المنذر الآخرين ، فتركوا ديارهم ، وتحصنوا بالبادية ، وأخذوا يهاجمون منها حدود الروم ملحقين بها أذى شديداً ، فاضطر القيصر على أثره أن يوعز الى القائد « ماكنوس Magnus » بتجهيز حملة على أبناء المنذر ألحق بها أحد إخوة المنذر . وكان قد أعدّ ليتولى مقام أخيه ، غير أنه توفي بعد أيام . ولما كان من الصعب على الروم مهاجمة أبناء المنذر فى البادية ، عمد القائد الى المكيدة ، فأرسل الى النعمان كبير أبناء المنذر أنه يريد مقابلاته للاتفاق معه على وضع شروط للصلح . وقد ظن الأمير أن القائد صادق فيما دعي اليه فذهب لمقابلته ، فقبض الروم عليه ، وأرسلوه مخفوراً الى العاصمة حيث حجروا فيها عليه[2].

وكان موضع حوارين في جملة المواضع التي هاجمها النعمان بعد ارتحال ماكنوس عنها ، وقد استولت عساكره عليها ، وقتلوا بعض أهلها ، وأسروا قسماً من الباقين ، ثم عادوا بغنائم كثيرة[3] الى البادية للاحتماء بها من هجمات الروم .

وذكر ابن العبري أن النعمان لما بلغته رسالة القائد « ماكنوس Magnus » لم يذهب اليه ، وانما أرسل اليه بعض الشبان وأمره أن يتظاهر له بأنه هو النعمان . فلما وصل الشاب الى القائد ، سأله : أأنت النعمان ؟ فقال له : نعم ، جئتك بحسب أمرك ، فقال القائد لمن معه : إقبضوا على عدوّ الملك ، وقيدوه بالحديد . ولما تبين القائد أنه لم يكن النعمان ، هم بقتله ، ثم أمر باخراجه ، فعاد الى أهله . وتوفي ماكنوس بعد ذلك بأمد قصير[4].

ويدعي ابن العبري أن النعمان ذهب بعد ذلك الى موريقيوس « Mauricius » واعتذر اليه ، وبين له أنه إنما حارب مع الفرس ليتمكن بذلك من إنقاذ والده من الأسر . ولما طلب منه موريقيوس أن يدخل فى المذهب الخلقيدوني ، أجابه أن جميع القبائل العربية « طياية » هى على

---

(١) حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .

(٢) غسان (ص ٣٢ ــ ٣٣) ، Evagrius . 6 - 2

(٣) Musil . Palmyrena, p. 38.

(٤) Bar Hebraeus . Vol . . I . P . 82 .

المذهب الأرثدوكسي « orthodox » ، وأنه اذا بدل مذهبه لا يأمن على نفسه من القتل . ولما قفل راجعاً ، قبض عليه ، ونفي [1] .

لقد تصدع بناء الغساسنة وتفكك ، وانقسم الأمراء على أنفسهم ، وذلك حوالي سنة ٥٨٣ أو ٥٨٤ م على تقدير نولدكه . ويشير ميخائيل السرياني وابن العبري الى أنهم اقسموا بعد القبض على الأمير النعمان الى خمس عشرة فرقة تركت بعضهـــا ديارها فهاجرت الى العراق ، وتشتت الباقون [2] ، ولم يبق لهم شأن يذكر . ودخل بعضهم في المذهب الخلقيدوني ولم يشر الكتبة السريان أو البيزنطيون الى ملاك الغساسنة بعد هذا الحادث [3] . وهو أمر يؤسف له غاية الأسف . إذ حرمنا بذلك من الحصول على وثائق مهمة تساعدنا في معرفة تأريخ عرب الشام .

وقد عقب هذا التصدع حدوث اضطراب فى الأمن وفوضى بين القبائل التي أخذت تتنافس بينها للحصول على الرئاسة والسيادة ، ولخطورة مثـل هذه الأحوال بالنسبة الى الروم وسـلامة الحدود ، كان هذا مما حمل البيزنطيين على التفكير في اختيار رئيس قوي من الشيوخ المتنافسين ليقوم بضبط هذه القبائل وإعادة الأمن الى نصابه وحماية الحدود من هجمات عرب الحيرة [4] .

ولم يشر الأخباريون الى هذا الحادث ، ويظهر أنهم لم يعرفوه ، بل ذكروا أن الذي حكم بعد المنذر هو شقيقه النعمان . وقد جعلوا مدة ملكه خمس عشرة سنة وستة أشهر [5] .

وحكم بعد النعمان على رواية حمزة وآخرين « المنذر بن الحارث » أي شقيق المنذر والنعمان [6] ، وجعل حمزة مدة حكمه ثلاث عشرة سنة ، ولقبه بلقب « الأصغر » ، وكناه بـ « أبي شمر » .

وتولى بعده على رواية حمزة أخوه جبلة ، وجعل منزله بـ « حارب » ونسب اليه بناء « قصر حارب » و « محارب » و « صنيمه » ، وكانت مدة حكمه على رأيه أربعاً وثلاثين سنة [7] .

وحكم بعد جبلة على رواية حمزة أخوه الأيهم . وقد حكم على رأيه ثلاث سنين ، ونسب اليه

---

(١) Bar Hebraeus . Vol . , I . P , 82 .

(٢) غسان (ص ٣٣) .

(٣) غسان (ص ٣٥) .

(٤) Noldeke . S . 31 . Ency . , II . P . 143 .

(٥) حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .

(٦) حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧)

(٧) حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .

بناء « دير ضخم » و « دير النبوة » و « دير سعف »[1] .

ثم انتقل الحكم على رواية حمزة أيضاً الى عمرو ، وهو أيضاً على رأيه أحد أبناء الحارث بن جبلة . وقد حكم ستّاً وعشرين سنة وشهرين ، وذكر أنه نزل السدير ، وبنى « قصر الفضا » و « صفاة المجلات » و « قصر منار »[2] .

وعمرو هذا هو الذي مدحه النابغة الذبياني على رأي البطليوسي . وقد كان على زعمه متكبراً دميماً قبيح السيرة ، أنشأ في دمشق وضواحيها عدة قصور شامخات ، منها : قصر الفضة ، وقصر « صفات العجلات » ، و « قصر منار » . وقد صور في بعض هذه القصور مجالسه وجلسائه ورؤساء دولته ، وأشكال صورته . ثم اتعظ وتغير على أثر شعر قاله له عمرو بن الصعق العدواني ، وكان قد أسر الأمير أخته ، وحسنت سيرته ومات بعد أن حكم ستّاً وعشرين سنة[3] .

هؤلاء الستة الذين ذكرهم حمزة بعد الحارث بن جبلة ، هم أبناؤه اذن ، وقد حكموا على زعمه بالتعاقب دون فترة . ثم نقل الحكم من عمرو الى رجل دعاه جفنة الأصغر ، وهو على رأيه ابن المنذر بن الحارث . ولم يذكر أي منذر قصد : آلمنذر الأول ، أو المنذر الثاني الذي دعاه الأصغر ، وجعل لقبه « المحرق » ، وذكر أنه هو الذي أحرق الحيرة ، وبه سمّوا « آل محرق » ، وكان سيارة جواباً ، ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثين سنة[4] .

وحكم بعد جفنة الأصغر على رواية حمزة النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر حكم سنة واحدة ، ولم ينسب اليه بناء ما[5] .

ثم انتقل الحكم على زعم حمزة الى النعمان بن عمرو بن المنذر ، ولم يكن عمرو على رأيه ملكا ، وإنما كان غازياً يغزوا بالجيوش ، وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة ، ونسب اليه بناء « قصر السويدا » و « قصر حارب »[6] .

وجعل حمزة بعد النعمان ابنه جبلة ، وزعم أن منزله بـ « صفّين » ، وأنه صاحب « عين

---

(١) حمزة (ص ٧٨) . (٢) حمزة (ص ٧٨) . (٣) البطليوسي (ص ٧) .
(٤) حمزة (ص ٧٨) . (٥) حمزة (ص ٧٩) . (٦) حمزة (ص ٧٩) .

أباغ » ، وقاتل المنذر بن ماء السماء ، وكان ملكه ست عشرة سنة [1] .

ثم ملك ـ بعد جبلة ـ النعمان بن الأيهم بن الحارث بن جبلة ، وكان ملكه احدى وعشرين سنة لم يحدث خلالها على حد قول حمزة شيء ، فتولى من بعده النعمان بن الحارث ، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة ، وكان بعض ملوك لخم خربها ، وكان ملكه ثماني عشرة سنة [2] .

ويرى الويس موسل أن النعمان هذا كان قد حارب الفرس من حوالي سنة ٦٠٤ حتى سنة ٦١٦ م ، وأنه كان قد احتمى مراراً بأسوار الرصافة . وبهذه المناسبات على ما يظهر قام بترميم صهاريج المدينة لخزن الماء [3] .

وذكر حمزة اسم اثني عشر ملكا آخر حكموا على زعمه بعد النعمان بن الحارث آخرهم جبلة ابن الأيهم . ومن أشهر من ذكرهم الحارث بن جبلة ، ويسمى الحارث بن أبي شمر ، وهو الذي أوقع ببني كنانة ، وكان يسكن الجابية . و « النعمان بن الحارث » ، وكنيته « أبو كرب » ، ولقبه قطام ، وهو الذي بنى ما أشرف على « الفور الأقصى » ، ومدحه النابغة بقوله :

بكى حارث الجولان من فقد ربه   وحوران منه خاشع متضائل

والأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر ، وهو على حد تعبير حمزة صاحب « تدمر » و « قصر بركة » و « ذات أنمار » وغير ذلك [4] .

ويرى نولدكه أن حمزة أخطأ فى إضافة لقب « قطام » الى النعمان بن الحارث ، ويرى أن الأمير الملقب بقطام هو أحد أمراء كندة ، ويرى أن الذي أوقعه فى هذا الخطأ هو ورود قطام فى بيت من معلقة الحارث بن حلزة ، وهو :

ثم حجر أعني ابن أم قطام   وله فارسية خضراء [5]

---

(١) حمزة (ص ٧٩)
(٢) حمزة (ص ٧٩) .
(٣) Musil , Palmyrena , p. 267
(٤) حمزة (ص ٨١) .

وعدة ملوك الغساسنة على رواية حمزة اثنان وثلاثون ملكا ، ملكوا ست مئة وست عشرة سنة [1] .

وينسب الرواة للنابغة الذبياني أبياتاً ورد فيها ذكر جملة أمراء من أمراء الغساسنة ، منهم : الحارث الأكبر ، والحارث الأصغر ، والأعرج ، وليست كلمة « الأعرج » اسماً للأمير ، ولكنها لقب له . ويظهر أنه كان يعرف بـ « الحارث » كذلك ، و « الحارث » من الأسماء المحبوبة في تلك الديار ، وقد تسمى بها عدد من ملوك النبط . وقد ذهب نولدكه الى أن المراد بالحارث الأكبر « الحارث بن جبلة » . وأما الحارث الأصغر ، فهو ابن من أبنائه . وأما الحارث الأعرج ، فهو أحد أبناء الحارث الأصغر ، وهو أبو الأمير الذي مدحه الشاعر [2] .

وذهب نولدكه الى أن الحارث الأصغر هو الحارث الوهاب الذي مدحه الشاعر علقمة في إحدى قصائده [3] ، ويستفاد من هذه القصيدة أن الحارث المذكور كان قد انتصر على بعض القبائل ، وأسر كثيراً من رجالها ، منهم شأس شقيق علقمة . وهو ينكر ما ذهب اليه بعض الشراح من أن المعركة التي أشار الشاعر اليها هي معركة « عين أباغ » ، وأن الأمير المقصود هو الحارث الأكبر [4] .

وقد اكتفى أكثر العلماء الذين شرحوا قصيدة علقمة بالاشارة الى أن مراد الشاعر بالحارث الوهاب « الحارث بن أبي شمر الغساني » [5] ، وبالحارث بن أبي شمر « جبلة بن الحارث الأعرج الغساني » [6] . ومعنى هذا أن والد الحارث كان يعرف بأبي شمر . وقد ذكر المسعودي في أثناء كلامه على ملوك الغساسنة أن حسان بن ثابت زار الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان النعمان بن المنذر اللخمي يساميه ، وأن حسان بن ثابت مدحه ، فكان مما قاله :

---

(١) حمزة (ص ٨١) . (٢) غسان (ص ٣٦ — ٣٨) .

(٣) طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

راجع « طبعة Ahlwardt رقم ٢ » . (٤) غسان (ص ٣٨ — ٣٩) .

(٥) ديوان علقمة بن عبدة التيمي ، للامام الشنتمري : اخراج الشيخ ابن أبي شنب ، من مطبوعات كلية الأدب بالجزائر ، سنة ١٩٢٥ ، (ص ٢٥) .

(٦) المصدر نفسه (ص ٤٠١) .

نبئت أن أبا منـــذر   يساميك للحارث الأصغر[1]

ومعنى هذا أن الحارث الممدوح هو الحارث الأصغر ، وأنه هو الحارث بن أبي شمر ، وأن كنية والده هي « أبو شمر » . ولو أخذنا بالرواية الثانية التي جعلت « الحارث الوهاب » الممدوح « ابن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج الغساني » ، فيكون اسم أبيه إذن « جبلة » ، واسم أبي أبيه أي جـــده الحارث الأعرج الغساني . وعلى ذلك فالحارث الأعرج هو جدّ الحارث الأصغر ، لا ابنـه كما ذهب نولدكه الى ذلك[2]. ويلاحظ أيضاً أن كثيراً من الأخباريين رأوا أن الحارث الأعرج هو الحارث بن جبلة[3] ، وهو الأرجح في نظري ، وتجد ذلك صراحة في رواية الأخباريين عن يوم عين أباغ ، حيث ذكروا أنه كان بين المنذر بن ماء السماء وبين الحارث الأعرج بن أبي شمر جبلة . وقد رجح ابن الأثير هذا الرأي . وذكر أيضاً أن هناك جماعةً من الأخبـــاريين رأت ان أبا شمر هو عمرو بن جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث الأيهم بن الحارث بن مارية الغساني ، كما ذكر أن جماعــة رأت رأياً آخر ، ولـكنه رجح الرأي الأول وفضله على غيره من الآراء[4] .

وذكر الرواة في أثناء كلامهم على زيارة النابغة لغسان أنه نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر ، وذكروا أن أم الحارث الأعرج هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندية ، وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل ، فيقـال لما يغلى به الثمن : « خذه ولو بقُـرْطَـيْ مارية » ، وأختها هي هنـد الهنود امرأة حُجـْر آكل المرار[5] .

فيفهم من هذه الرواية أن الحارث الأصغر هو ابن الحارث الأعرج ، وأن الحارث الاعرج هو ابن الحارث الاكبر . ويوافق هذا رأي أكثرية الأخباريين ، وقد فرقت هذه الرواية بين الحارث الأعرج والحارث الأكبر ، وجعلت مارية أماً للحارث الأعرج ، على حين أنهـا أم

---

(١) المروج (٢/٣١) .   (٢) غسان (ص ٣٨) .
(٣) البلدان (٢/٣٢٥) ، ابن الأثير ، (١/٢٢٢) (١/٣٩٨) .
(٤) ابن الأثير (١/٢٢٢) .   (٥) الأغاني (١١/١٥) وما بعدها .

الحارث بن جبلة ، أي الحارث الأكبر ، على رأي أغلب الرواة . وقد نتج هذا التفريق وهذا النسب من الالتباس الذي حدث عند الراوي بين الحارثين .

وقد مدح الشاعر حسان بن ثابت هذا « الحارث » ، وكان قد زاره ، وجاء ذكر منافسه ومعاصره النعمان بن المنذر اللخمي ، فنظم فيه شعراً مفضّلاً إياه على المنذر [1] . وله شعر آخر في مدحه وفي ذم أتباعه الذين ذهبوا معه في غزو ، ولكنهم لم يبذلوا أنفسهم فيه ، فعادوا منه خائبين بغير سلب ولا غنيمة . وقد رثى فيه هذا الأمير [2] . ويظهر أنه تُوفي على أثر هذا الغزو أو بعده بقليل ، فلعله توفي من جرح أصيب به ، أو من مرض ألمّ به بعد هذا الحادث بزمن غير طويل .

وقد ذهب بعض الشراح الى أن المراد بابن مارية في شعر حسان بن ثابت :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم   قبر ابن مارية الكريم المفضل

الحارث بن جبلة [3] . وذهب آخرون الى أن المراد به الحارث الأعرج ، وأن مارية هي مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة [4] .

وقد ذكر البطليوسي أن الأمير الذي مدحه النابغة والتجأ اليه بعد هربه من النعمان ملك الحيرة ، هو « عمرو بن الحارث الأصغر المعروف بالأعرج ابن الحارث الأكبر أبي شمر »[5] . فالأعرج هنا هو عمرو بن الحارث ، فهو ابن الأعرج على شرحه . وكان عمرو هذا غزا قبيلة عوف بن مرّة النازلة في أعالي الحجاز أو في شمال غربي نجد [6] .

---

(١) البرقوقي (ص ٢٩ ، ١٨١ — ١٨٢) ، المروج (٣١/٢) .
(٢) البرقوقي (ص ٢٩) ، ديوان حسان (ص ٤٥) « طبعة هرشفلد » .
(٣) غسان (ص ٢٣ — ٢٤) .
(٤) البرقوقي (ص ٣٠٩) ، ديوان حسان (ص ١٦) « طبعة هرشفلد » ليدن ، ١٩١٠ » . (ص 32) .
(٥) ديوان زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني مع شرحه للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي (ص ١) .
(٦) البطليوسي (ص ٦٣) .

وقد ذهب بعض الشراح الى أن قصيدة النابغة التي مطلعها :

أتاركة تدلّلها قَطامِ وضنّاً بالتحية والسلام

هي فى مدح عمرو بن هند ، قالها الشاعر عند قيام عمرو بغزو الشام للأخذ بثأر أبيه المنذر . أما الأصمعي ، فيرى خلاف هذا الرأي ويقول إنها قيلت فى مدح عمرو بن الحارث الغسانى وذلك فى غزوه العراق [1] . ويرجح نولدكه هذا الرأي [2] . وقد حملت جملة « ولكن ما أتاك عن ابن هند » الشراح على أن يروا أن الشخص الممدوح هو عمرو بن هند . غير أن فى القصيدة أبياتاً ، مثل قوله :

فدوخت العراق فكل قصر يجلل خندق منه وحام

تشير الى أن الشخص الممدوح يجب أن يكون ملكاً من الغساسنة ، لامن الحيرة عرب العراق . ومن يدري ؟ فلعل أم عمرو بن الحارث كانت تعرف أيضاً بـ « هند » .

وللنابغة شعر فى مدح الحارث بن أبى شمر ، وفي ابنه النعمان ، وقد قصد الحارث وابنه ليكلمها فى أسرى بني أسد وبني فَزارة . وكان حصن بن حذيفة الفَزاري قد أصاب قوماً من غسان قبل دلك بعام ، فغزا الحارث قومه واستاق أسرى منهم ، فعفا الحارث وابنه عن الأسرى استجابة لوساطته [3] .

وذكر الأخباريون أن الحارث الأعرج ـ وهو في روايتهم هذه الحارث بن أبي شمر الغساني ـ غزا قبيلة تغلب ، وكان السبب الذي حمله على هذا الغزو مروره بجماعات منها لم يهتموا به كما كان يجب أن يكون . وقد نصحه الشاعر عمرو بن كلثوم ـ على حد قولهم ـ بعدم غزوهم ، واعتذر عنهم اليه . ولكنه لم يأخذ بنصيحته ، فلما تقابل معهم ، انهزم مع قومه من غسان ، وقتل منهم عدد كثير كان فى جملتهم أحد إخوة الحارث [4] .

وكانت تغلب وبكر قد تصالحتا فى أيام المنذر بن ماء السماء ، أصلح بينهما قيس بن شراحيل بن

---

(١) البطليوسي (ص ٧٥) . (٢) غسان (ص ٣٩) .
(٣) البطليوسي (ص ٩ وما بعدها ، ٢٤) ، غسان (ص ٤١) .
(٤) ابن الأثير (١/٢٢٢) .

مرة بن همام ، واجتمعت القبيلتان للمنذر ، فجعل عليهما عمرو بن هند ، وغزا بهما بني آكل المرار . ثم انتقضت تغلب على المنذر ، ولحقت بالشام حيث اتصلت بالغساسنة أعداء ابن ماء السماء [1] .

ويتبين من قصيدة للنابغة أن قومه وهم ذبيان تجاوزوا على حمى أُقُر . وقد نهاهم النابغة عن ذلك ، وخوّفهم من انتقام النعمان منهم ، غير أنهم لم ينتهوا عن ذلك ، بل عيّروه بالخوف منه . فأرسل النعمان عليهم جيشاً على مقدمته النعمان بن الجُلاح الكلبي ، فأغار عليهم بذي أقر ، وأوقع بهم . فانقطع النابغة الى النعمان الى أن مات ، فرثاه ، ثم انقطع الى أخيه عمرو بن الحارث [2] .

ولما همّ النعمان بغزو بني حنّ ، وهم قوم من بني عُذْرَةَ ، وكان النابغة عنده ، نهاه عن ذلك ، وأخبره أنهم في حَرّةٍ وبلاد شديدة ، فأبى عليه . فلما أرسل عليهم جيشاً من غسان هزم الجيش وحاز بنو حنّ على ما كان عندهم من غنائم ، وأسهموا لبني مرة بن عوف . ويدعي بعض الرواة أن النابغة كان على صلات حسنة ببني حنّ ، وأنه مدحهم ، وودّ ألا يغزوهم النعمان . فلما أبى الا غزوهم ، بعث النابغة الى قومه يخبرهم بغزو النعمان لهم ، ويأمرهم بأن يمدّوا بني حنّ ، فلما اشتبك الغساسنة معهم في القتال التحم قوم النابغة بـ « بني حنّ » وساعدوهم فيه [3] .

وقد غزا هذا الأمير بكراً وتميماً ، وألحق بالقبيلتين خسائر كبيرة [4] ، كما غزا العراق ، ولا يستبعد نولدكه أن يكون هو الذي قصده المؤرخ ثيوفلكتوس حين تحدث عن غزو قام به عرب الروم على العراق في زمن الصلح أي حوالي سنة ٦٠٠ [5] .

وقد مدح النابغةُ النعمان بن الحارث الأصغر في القصيدة التي تبدأ بقوله :

ان يرجع النعمان نفرح ونبتهج ... ويأت معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد ... وتلك التي لو أننا نستطيعها [6]

---

(١) ابن الأثير (٢٢٢/١) .

(٢) البطليوسي (ص ٤١ — ٤٢) (٣) البطليوسي (ص ٤٥ — ٤٦) .

(٤) ديوان النابغة : قصيدة (٢١) البيتان ١١ و ١٣ .

(٥) غسان (ص ٤٢) ، Theophylactus , Historiae , 8 , I.

(٦) البطليوسي (ص ٥٧) .

كما رثاه في قصيدة جاء فيها أن شيبان وذُهْلاً وقيس بنى ثعلبة وتيماً ووائلاً سرّوا بوفاته؛ لأنهم أمنوا بذلك على أنفسهم من غاراته ومن غزوه لهم[1] . ويظهر من شعر النابغة فيه أنه كان محارباً يغزو القبائل، ولذلك هابته .

وذكر الأخباريون أميراً جفنياً دعوه جفنة بن النعمان الجفني، قالوا انه غزا الحيرة في أثناء ذهاب النعمان بن المنذر الذى قتله كسرى الى البحرين، فأصاب في الحيرة ما أحب . وذكروا أنه هو الذى عناه عديّ بن زيد العبادي في قصيدة مطلعها :

سما صقرٌ فاشعل جانبيها وألهاك المروّح والعَزِيبُ[2]

وقد مدح حسان بن ثابت الشاعر الأنصاري المتعصب لليمن أميرين من أمراء غسان، هما : عمرو وحجر . وقد ذكر أنهما ملكا من « جبل الثلج » حتى « جانبي أيلة »، وأنهما غَزَوَا أرض فارس[3] . ويرى نولدكه احتمال كون حجر هذا هو أحد أبناء النعمان الذى كني بأبي حجر[4] .

وقد ذهب بعض الأخباريين الى أن عَمْراً المذكور في هذه الأبيات هو عمرو بن الحارث ابن عمرو بن عديّ بن حجر بن الحارث . وأما حجر، فهو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شمر[5] . والذى يتبين من هذه القصيدة أن الملكين المذكورين حكما في زمن واحد، وغَزَوَا مشتركين أرض فارس، ويقتضي ذلك أن يكونا قريبين، كأن يكونا أباً وابناً، أو أخوين، أو

---

(1) البطليوسي (ص ٦٠ وما بعدها) .
(2) الأغاني (٢/١١٧ — ١١٨) طبعة دار الكتب » .
(3) البرقوقي (ص ٢٠٥) .

من يغر الدهر أو يأمنه من قبيل بعد عمرو وحجر
ملكا من جبل الثلج الى جانبي أيلة من عبد وحر

الأغاني (٣/١٦) « طبعة دار الكتب المصريه » .
(4) غسان (ص ٤٤) .
(5) الأغاني (٣/١٦) « طبعة دار الكتب المصرية » .

أن كل واحد منهما كان يحكم فرعاً من فروع غسان ، وذلك بعد تصدع أمر غسان وانقسامهم الى جملة مشيخات .

ويتبين من شعر لحسان أن كسرى ، وهو خسرو أبرويز ، قتل أحد الأمراء من آل غسان[١] ، غير أنه لم يشر الى الأسباب التي أدت الى قتله ولا الى الظروف التي قتل فيها[٢] . ويظهر أن نازلة حلت بالغساسنة بعد هذا الحادث غيرت حالهم وزادت في شدة النكبات التي نزلت بهم من قبل .

وقد ذكر هذا الشاعر أميراً سماه ابن سلمى ، وذكر أنه زاره فوجد عنده : « أبيّاً » و « النعمان » و « عَمْراً » و « واقداً » . ثم ذكر فى موضع آخر أنه زار هذا الأمير ، فوجد عنده « النعمان » و « واقداً » و « أبيا » موثقين بالأغلال ، فشفع لهم عنده ، فوفق لذلك[٣] . ويرى نولدكه أن « أبيّاً » هو شقيق « حسان » ، وقد ذكر الأخباريون أنه كان لهذا الشاعر شقيق اسمه « أُبي » . أما « ابن سلمى » فيجوز أن يكون أميراً من أمراء غسان[٤] .

وقد أشار أبو الفرج الأصبهاني الى أمير غساني سماه يزيد بن عمرو الغساني ، ذكر أنه قتل الحارث بن ظالم[٥] . ولا نعرف من أمر هذا الأمير شيئاً يذكر . وهناك روايات أخرى تنسب قتل الحارث الى النعمان الغساني ، على حين تنسبه روايات ثالثة الى الأمراء اللخميين ، ويرجح نولدكه الرأي الأخير[٦] .

وأشار الواقدى الى أمير غساني آخر اسمه شرحبيل بن عمرو الغساني ، وقد ذكر أنه قتل رسولَ رسول الله الى ملك بصرى فى مؤتة[٧] . ويشك نولدكه فى نسبة هذا الأمير الى الغسانيين ، وسنده فى ذلك أن الواقدي ذكره فى موضع آخر مع أخويه سدوس ووبر ، وقد

---

(١) البرقوقي (ص ٣٨٧ — ٣٨٨) . (٢) غسان (ص ٤٦) .

(٣) ديوان حسان (١٤،٢٦) ، (١٠،٢٧) ، (١٠،٨٩) (٤) غسان (ص ٤٧) .

(٥) الأغاني (١٠ /٢٨ وما بعدها) . (٦) غسان (ص ٤٨) .

(٧) الواقدي (ص ٣٠٩) « طبعة Wellhausen » ، السيرة الحلبية (٦٦/٣) طبعة مصر .

نسبه في هذا الموضع الى الأزد . ثم إنه لم تكن من عادة الغساسنة على رأيه ذكر لقب الغساني بعد الاسم (١) .

استرد الروم بلاد الشام من الفرس في سنة ٦٢٩ م (٢) ، غير أنهم لم يتمكنوا من البقاء فيها طويلاً ، إذ أخرجهم منها المسلمون بعد مدة ليست طويلة . أما في خلال هذه المدة فاننا لا نعرف أ كان الروم قد عادوا فأسندوا عمالة عرب الشام الى الغساسنة . غير أن الذي يظهر من دراسة أخبار الفتوح الاسلامية لبلاد الشام أن الغساسنة لم يكونوا اذ ذاك تحت رئاسة موحدة ، وأن القبائل العربية كانت تعمل مستقلة بإمرة رؤسائها الذين تفردوا في مقاطعاتهم بالحكم (٣) .

وفي أثناء الفتوح الإسلامية لبلاد الشام كان على الغساسنة جَبَلَةُ بن الأيهم ، وكان يحمل لقب « ملك » على رواية الأخباريين . وقد قاتل خالد بن الوليد في دومة الجندل ، واشترك مع الروم في محاربة المسلمين في معركة اليرموك ، ثم أسلم من بعد ، ثم ارتد ، وعاد فالتجأ الى بلاد الروم . ويشك نولدكه في المركز الذي منحه الأخباريون لجبلة . فأمر الغساسنة على رأيه لم يكن على درجة من القوة بحيث يمكن أن يكون ملكا ، واذا صح أنه كان ملكاً ، فانما كان ذلك لأمد قصير (٤) .

وكان جبلة هذا معاصراً للنعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وكان النعمان يتعقب أخباره ويسأل عنه من يقدم من الشام . كما يظهر ذلك من قصة قدوم الشاعر حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر ، ووصية حاجبه عصام بن شهبر له ، وهي قصة تنسب روايتها الى المدائني والى أبي بكر الهُذَلي (٥) . ولكن هناك قصة أخرى مضمونها كمضمون هذه القصة ، وتكاد عباراتها تكون مطابقة لعبارات هذه القصة ، الا أنها سمّت الملك الذي قصده حسان بن ثابت « الحارث » ، وجعلته غسانياً له قرابة ورحم بجبلة بن الأيهم ، وتركت ذكر اسم الحاجب ، فلم تشر اليه (٦) .

---

(١) غسان (س ٤٨) . (٢) غسان (س ٤٩) . (٣) غسان (س ٤٩) .
(٤) غسان (س ٤٩ ـ ٥٠) .
(٥) الأغاني (٢٧/١٥) « طبعة دار الكتب المصرية » .
(٦) الأغاني (٣٩/١١ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية » .

وأظن أن القصتين هما قصة واحدة فات الرواةَ ضبطُها تماماً ، فرويت على هذين الشكلين .

وقد ذكر فى كتب السير اسم أمير غساني آخر ، هو الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الذي ارسل الرسول اليه شجاع بن وهب ليطلب اليه الدخول فى الإسلام ، وقد حمل اليه منه كتاباً هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر . سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدّق . وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له . يبقى لك ملكك »[1] .

وكان ملكه على ما يذكر الأخباريون فى الشام ، وكان له قصر منيف وحجاب . ويظهر من روايتهم هذه أنه كان يعاصر النبي .

وأرى أن الحارث بن أبي شمر هذا هو « الحارث » معاصر جبلة بن الأيهم الذي أشار حسان اليه .

وذكر الأخباريون ملكاً آخر من ملوك غسان ، دعوه « عديّاً » ، وقالوا : إنه ابن أخت الحارث بن أبي شمر الغسانى ، وإنه أغار على بني أسد ، فلقيته بنو سعد بن ثعلبة بن دودان بالفرات ، ورئيسهم ربيعة بن حذار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتلت بنو سعد عديّاً[2] . وأظن أن « عدياً » هذا من مشايخ غسان المتأخرين ، وأن الحارث بن أبى شمر هو هذا الحارث المعاصر لجبلة بن الأيهم . أما كلام الرواة فيه ، فمضطرب ، وقد نشأ اضطرابهم هذا من وجود عدة ملوك عرفوا بالحارث .

أما أبو جبيلة عبيد بن سالم بن مالك بن سالم وهو ملك من ملوك غسان على رواية بعض الأخباريين ، وإليه ذهب مالك بن العجلان الخزرجي مستجيراً به من يهود يثرب فيرى ابن الأثير أنه لم يكن من آل غسان ، وإنما كان من بني غضب بن جشم بن الخزرج ، ذهب الى

---

(١) السيرة الحلبية (٣/٢٥٥) « طبعة مصر » ، ابن خلدون (٢/٣٦) .

(٢) الأغاني (١١/١٩٩) « طبعة دار الكتب المصرية » .

غسان ، فصار عظيماً عند ملكهم ، مطاعاً بينهم . وقد أنجد مالكاً ، وسار معه حتى أوقع في اليهود ، ثم رجع عائداً الى غسان (١) .

ومما زاد في غموض الحالة السياسية ، وفي مهمة أولئك الرواة في جمع الأخبار ، غزو الفرس لبلاد الشام ، واستيلاؤهم على بيت المقدس ودمشق (٦١٣ ـ ٦١٤ م) . وغزو الفرس لبلاد الشام ، لم يكن على كل حال في مصلحة الغساسنة الذين عرفوا في الغالب بموالاتهم لحلفائهم الروم . وقد تركت فترة الغزو هذه فراغاً ولا شك ، لم يتمكن المؤرخون من سده حتى الآن . فلم يكن في وسع المؤرخين البيزنطيين أو السريان ، وهم في جانب الروم بالطبع ، تدوين تاريخ هذه الحقبة وما فعله فيها الفرس بالضبط . ولم يترك الفرس لنا أثراً يتحدث عن أعمالهم في بلاد الشام ، وعن صلاتهم بالقبائل العربية التي كانت فيها ، فضاع الأمر ، وصار مرجعنا ومولئلنا الشعر وما ورد في شرحه عند الرواة ، وقد بينت لك رأيي فيه ، وفي أقوال الرواة في كثير من المناسبات .

ونجد في شعر حسان توجعاً وتفجعاً على ما نزل بملوك غسان ، وما حل بديارهم من خراب (٢) ، وقد كان يقصدهم وينال عطاءهم ، ولم ينقطع ذلك عنه حتى في الإسلام ، وبعد زوال دولتهم ، فيقال أن جبلة بن الأيهم وصله بمال بعد تنصره والتجائه الى الروم ؛ لأنه سمع أنه مكفوف البصر ، كبير السن (٣) .

لقد زار حسان بن ثابت الغساسنة ، وذكر بعض الأماكن التي زارها وكانت تابعة لهم ، ومنها مواضع في منطقة الجولان القريبة من دمشق والتي ورد ذكرها في شعر النابغة كذلك . غير أن مما يؤسف عليه أنه لم يذكر في شعره أسماء الأمراء الغساسنة الذين نزل عليهم ، وظفر بنعمهم وبألطافهم (٤) ، فأضاع علينا باهماله الاشارة اليهم أشياء كثيرة بنا اليها حاجة .

---

(١) ابن الأثير (١/٢٧٦) .
(٢) ديوان حسان (القصيدة ١ الأبيات الأولى منها) ، البرقوقي (ص ١ وما بعدها) .
(٣) البرقوقي (ص ٣٩١) .
(٤) غسان (ص ٤٥ ـ ٤٦) .

ويتبين من شعر للأعشى ميمون بن قيس أنه زار الغساسنة ، وصحب ملوكهم بديار الشام[1] ، واتصل بهم ، وقد خاطب أحدهم بقوله : « اليك أُبْنَ جفنة »[2] ، غير أنه لم يذكر اسمه ، كذلك اتصل بخصومهم اللخميين . وقد قال فيهم :

وبني المنذر الأشاهب بالحيـ ـرة يَمْشُونَ غُدْوَةً كالسيوفِ[3]

ورجل زار الملوك وصحبهم لابد أن يقول فيهم شعراً يمدحهم فيه ، غير أننا لانجد في ديوان هذا الشاعر قصائد مدح بها أولئك الملوك مدحاً خاصاً مفصلا ، لا فى آل جفنة ولا فى آل لخم .

أما حدود مملكة الغساسنة ، فلم تكن على وجه العموم ثابتة ، بل كانت تتبدل وتتغير بحسب تبدل سلطة الملوك وتغيّرها ، وهي عادة نجدها لدى جميع الممالك والإمارات التي تكونت في البادية أو على أطراف البوادي ، حيث تكون معرضة لغزو القبائل ، ولنفوذ القبائل الفتية القوية التي تطمع فى ملك الإمارات والمشيخات التي تجد فيها شيئاً من الوهن والضعف ، وفى رؤسائها دعة أو حزماً . ولهذا نجد ملك الغساسنة يتوسع ويتقلص بحسب الظروف فيصل الى مقربة من دمشق ، والى فلسطين الثانية و « الكورة العربية » و « فينيقية لبنان » وفى فلسطين الثالثة . وفى ولايات سوريا الشمالية فى بعض الأحيان[4] . وفى مساحات شاسعة من البادية الى المدى الذي يصل اليه سلاحهم . ثم نجده تارة أخرى أقل من ذلك بكثير ، لضعف الأمير المالك ولطمع القبائل فيه ولاختلافه مع السلطات . ويظهر من شعر حسان بن ثابت أن ملك الغساسنة كان يمتد من حوران الى « خليج العقبة »[5] .

وتعد منطقة الجولان من أشهر مناطق الغساسنة . وقد ورد ذكرها فى الشعر العربى ، وفيها

---

(۱) وصحبنا من آل جفنة أملاكا كراماً بالشام ذات الرفيف

ديوان الأعشى (ص ۳۱٥) « طبعة الدكتور م. محمد حسين » ، « ص ۲۱۱ » « طبعة Geyer » . القصيدة رقم ٦۳ البيت ۱۳ .

(۲) القصيدة ۳۱ البيت العاشر ، ديوان الأعشى (ص ۲۰۷) « طبعة م. محمد حسين » ، « ۱۳۹ » « طبعة Geyer » .

اليك ابن جفنة من شـقة دأبت السري وحسرت القلوصا

(۳) ديوان الأعشى (القصيدة ٦۳ البيت ١٤) « ص ۳۱٥ » « طبعة م . محمد حسين » .

(٤) (غسان ٥۱) . (٥) المشرق : السنة الأولى العدد ۱۱ ، حزيران ۱۸۹۸ (ص ٤۸٥) .

قبر بعض الأمراء الغسانيين . وهي من الأرضين التابعــــة لولاية فلسطين الثانية في التقسيم الاداري عند الروم (١) ، وبها كان فى الغالب مقر آل غسان (٢) . وقـد اشتهرت الجابية بأنهـا كانت مقر الملوك ، ولذلك عرفت بجابية الملوك ، كما عرفت أيضاً بجابية الجولان (٣) .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى أن قصر المشتي الذي نقلت بعض أحجار جدرانه المحفورة بالصور الجميلة الى متحف برلين (٤) هو من القصور التي أنشـــأها الغساسنة ، وكذلك بعض الآثار الأخرى الواقعة فى البادية (٥) .

وفى « البرج » عثر على كتابة يونانية جاء فيها : « البطريق الشريف والأمير النذر » (٦) ، ويدل ذلك على أنه من آثار « المنـذر » . أما بقية المواضع ، وهي عديدة منتشرة فى أماكن واسعة ، فللعلماء في أصلها نظريات وآراء .

ولا بدّ لي ، وقد انتهيت من الـكلام على الغساسنة ، من الاشارة الى ضعف مادة الأخباريين عنهم ، وقلة معرفتهم بهم ، فأنت اذا درست هذا الذي رووه عنهم ، وحللته تحليلاً علمياً لا تخرج منه إلا بنتائج تأريخية محدودة ضيقة تريك أنهم لم يكونوا يعرفون من أمرهم إلا القليل ، وأنهم لم يحفظوا من أسماء أفراد الأسرة الحاكمة غير أسماء قليلة . وما عداها فتكرار وإعادة لهذه الأسماء القليلة ، أو أوهام . وأنت اذا راجعت كتب التواريخ مثل تأريخ الطبري لا تكاد تجد فيها شيئاً يذكر عن هذه الأسرة . وقد تفوق كتب الأدب كتب التأريخ في هذا الباب . ويعود الفضل في ذلك الى الشعر ، فلعدد من شعراء الجاهلية أشعار فى مدح آل جفنـة أو ذمّهم ، ولهم معهم ذكريات حفظت بفضل هذا الشعر الذي يرويه الرواة ويروون المناسبات التى قيلَ فيها . فلولاه ضاع أيضاً هذا القليل الذي عرفناه من أخبار الغساسنة .

---

(١) غسان (ص ٥١) . (٢) غسان (ص ٥٢) . John of Ephesus, 4, 22

(٣) Ency., I, P. 1029.

(٤) Kaiser Friedrich Museum, Rene dussaud, Les Arabes en Syrie avant l' Islam Paris, 1907 PP. 40.

(٥) Josef Strzygowski, Kunstwissenschaftliche, untersuchung, S. A, Jahr. Kgl. Preuss., 1904, Heft, IV, S. 225. ff. Brunnow, Provincia Arabia Bd., 2, S, 310, Brunnow, Nachrichten und Mittheilungen, 1895, S. 87.

(٦) Gayer, Rusafa, S., 12, 37.

وحتى القوائم ، وهي جافة فى الغالب ، لا تستند أيضاً الى علم بالرغم من هذا الترتيب الذي يحاول أصحابه اظهاره لنا بمظهر الواقع والحق . ولن تكسب سنوات الحكم المذكورة مع كل ملك ثقتنا بها ، ولا اعتمادنا عليها . وقد اعتمد أكثر من رتب أسماء أمراء الغساسنة على رواية ابن الكلبي ، غير أنهم كما يظهر من مدوناتهم لم يرووها عنه رواية تامة ، بل تصرفوا فيها ، فزادوا عليها أو نَقَصُوا منها وحرفوا فيها بعض التحريف . وأخذ آخرون من موارد أخرى ، واستعان بعض آخر بما رواه ابن الكلبي وبما رواه غيره وأضافوا اليه ما عرفوه من أسماء الأمراء المذكورين في الشعر ، فجاءت النتيجة قوائم متعددة بتعدد مشارب أصحابها ، وهي على العموم شاهد عدل على ضعف الأخباريين فى المحاكمات وفى منطق التأريخ .

وقد درس نولدكه معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمراء الغساسنة ، ونقدها وغربلها ، وقارن الحاصل بما وجده فى الموارد السريانية والبيزنطية ، واستخلص من تلك الدراسة هذه القائمة :

أبو شمر جبلة . حكم حوالي سنة ٥٠٠ م تقريباً .

الحارث بن جبلة . استمر حكمه من حوالي سنة ٥٢٩ حتى سنة ٥٦٩ م .

أبو كرب المنذر بن الحارث . حكم من سنة ٥٦٩ حتى سنة ٥٨٢ م .

النعمان بن المنذر . وكان حكمه من سنة ٥٨٢ حتى سنة ٥٨٣ م .

الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر

الحارث الأعرج بن الحارث الأصغر

أبو حجر النعمان — بين سنة ٥٨٣ وسنة ٦١٤

عمرو

حجر بن النعمان

؟ ؟ ؟

جبلة بن الأيهم ، حوالي سنة ٦٣٥ م .

وأشهر قائمة ذكرها الأخباريون لملوك غسان ، القائمة التي ذكرها حمزة الأصبهاني وتتألف من :

١ ـ جفنة بن عمرو المعروف بمزيقياء .

٢ ـ عمرو بن جفنة .

٣ ـ ثعلبة بن عمرو .

٤ ـ الحارث بن ثعلبة .

٥ ـ جبلة بن الحارث .

٦ ـ الحارث بن جبلة .

٧ ـ المنذر بن الحارث .

٨ ـ النعمان بن الحارث .

٩ ـ المنذر بن الحارث .

١٠ ـ جبلة بن الحارث .

١١ ـ الأيهم بن الحارث .

١٢ ـ عمرو بن الحارث .

١٣ ـ جفنة بن المنذر الأكبر .

١٤ ـ النعمان بن المنذر الأكبر .

١٥ ـ النعمان بن عمرو .

١٦ ـ جبلة بن النعمان .

١٧ ـ النعمان بن الأيهم .

١٨ ـ الحارث بن الأيهم .

١٩ ـ النعمان بن الحارث .

٢٠ ـ المنذر بن النعمان .

٢١ ـ عمرو بن النعمان .

٢٢ ـ حجر بن النعمان .

٢٣ ـ الحارث بن حجر .

٢٤ ـ جبلة بن الحارث .

٢٥ ـ الحارث بن جبلة (ابن أبي شمر) .

٢٦ ـ النعمان بن الحارث (أبو كرب) .

٢٧ ـ الأيهم بن جبلة بن الحارث .

٢٨ ـ المنذر بن جبلة .

٢٩ ـ شراحيل بن جبلة .

٣٠ ـ عمرو بن جبلة .

٣١ ـ جبلة بن الحارث .

٣٢ ـ جبلة بن الأيهم(١) .

وقد ذهب البطليوسي مذهب حمزة في موضع من شرحه لديوان النابغة فى أسماء الملوك « الغساسنة » وفى مدة حكمهم ، وذكرهم فى موضع آخر على النحو الآتي :

(١) ماء السماء غسان بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن أزد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن عبد شمس بن يعرب بن قحطان .

(٢) عمرو بن ماء السماء .

(٣) جفنة بن عمرو .

(٤) عمرو بن جفنة .

(٥) ثعلبة بن عمرو .

(٦) الحارث بن ثعلبة .

(٧) جبلة بن الحارث .

(٨) الحارث بن جبلة .

---

(١) حمزة ص (٧٦ ـ ٨١) .

(٩) أيهم بن الحارث .

(١٠) الحارث بن أيهم .

(١١) النعمان بن الحارث ، وهو الذى مدحه النابغة[١] .

وأما المسعودي ، فيرى أن عدة من ملكوا من آل غسان أحد عشر ملكا ، ذكر منهم :

١ ـ الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن ماس بن غسان بن الأزد بن الغوث .

٢ ـ الحارث بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة . وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم ابن ثعلبة بن جفنة بن عمرو .

٣ ـ النعمان بن الحارث بن ثعلبة بن جبلة بن جفنة بن عمرو .

٤ ـ عوف بن أبي شمر ، وكان ملكه حين بعث رسول الله صلى عليه وسلم .

٥ ـ جبلة بن الأيهم بن الحارث بن ثعلبة بن مازن .

٦ ـ الحارث بن أبى شمر الغسانى[٢] .

ولم يتوسع مؤلف كتاب « البدء والتأريخ » فى ذكر أسماء ملوك آل غسان . وقد دعاهم بولد جفنة آل العنقاء وبآل محرق ! كذلك لم يتوسع فى ذكر ملوك الحيرة[٣] . وذكر لبني سليح أسلاف آل غسان ثلاثة ملوك ، هم :

(١) النعمان بن عمرو بن مالك .

(٢) مالك بن النعمان .

(٣) عمرو بن مالك .

أما آل غسان من نسل جفنة ، وهو عنده عمرو بن عامر مزيقياء ، فقد ذكر منهم :

---

(١) البطليوسي (ص ٦٣) . (٢) المروج (٢/٣٠ وما بعدها) .

(٣) البدء والتأريخ للمطهر بن طاهر المقدسي ، المنسوب الى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي ، بتحقيق كليمان هوار ، « طبع في مدينة شالون سنة ١٩٠٣ م » (٣/١٩٥ وما بعدها) .

(١) الحارث بن عمرو الغساني ، وهو الحارث الأكبر .

(٢) الحارث بن أبي شمر ، وهو الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات القرطين .

(٣) الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الآخر .

ثم ذكر أن جبلة بن الأيهم هو آخر من حكم من هؤلاء الملوك ، وأنه أسلم في عهد عُمَر بن الخطّاب [١] .

وقد نقل ابن خلدون من جملة كتب ألف منها الفصل الذي كتبه عن تأريخ آل غسان ، وكذلك الفصل الذي دونه عن تأريخ الحيرة . أما الموارد التي نقل منها فصل آل غسان ، فتواريخ ابن سعيد والمسعودي وابن الكلبي والجرجاني . وأما الموارد التى نقل ابن خلدون منها مادة فصله عن تأريخ الحيرة ، فتواريخ السهيلي وأبي عبيدة والطبري وابن اسحاق والمسعودي وابن سعيد والجرجاني والبيهقي [٢] . وأكثر اعتماده في النقل على الطبري .

وقد اكتفى ابن خلدون بالنبذ التي أخذها من هذه الموارد ولم يُبْدِ رأيه فيها ولم يرتبها ترتيباً زمنياً مع ذكر أهم الأعمال التي قام بها كل ملك من أولئك الملوك كما فعل حمزة مثلاً ، فأورد أسماء ملوك الغساسنة ، كما ذكرتها الموارد التي أخذ منها ، أونقلها في شيء من الاختصار ، فنقل قائمة المسعودي ، والمسعودي نفسه لا يتقيد بالترتيب والتدقيق ، ونقل قائمة الجرجاني وتبدأ بثعلبة بن عمرو شقيق جذع بن عمرو قاتل ملك سليح . وتنتقل بالملك من ثعلبة الى ابنه الحارث بن ثعلبة ، وهو ابن مارية عند بعضهم ، يليه ابنه المنذر ، ثم ابنه النعمان ، ثم أبي بشر ابن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة على رواية بعض النسابين أو أبي بشر بن عوف بن الحارث بن عوف بن عمرو بن عديّ بن عمرو بن مازن ، ثم الحارث الأعرج ، ثم ابن أبي شمر ، ثم عمرو بن الحارث الأعرج ، ثم المنذر بن الحارث الأعرج ، ثم الأيهم بن جبلة بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم ابنه جبلة [٣] .

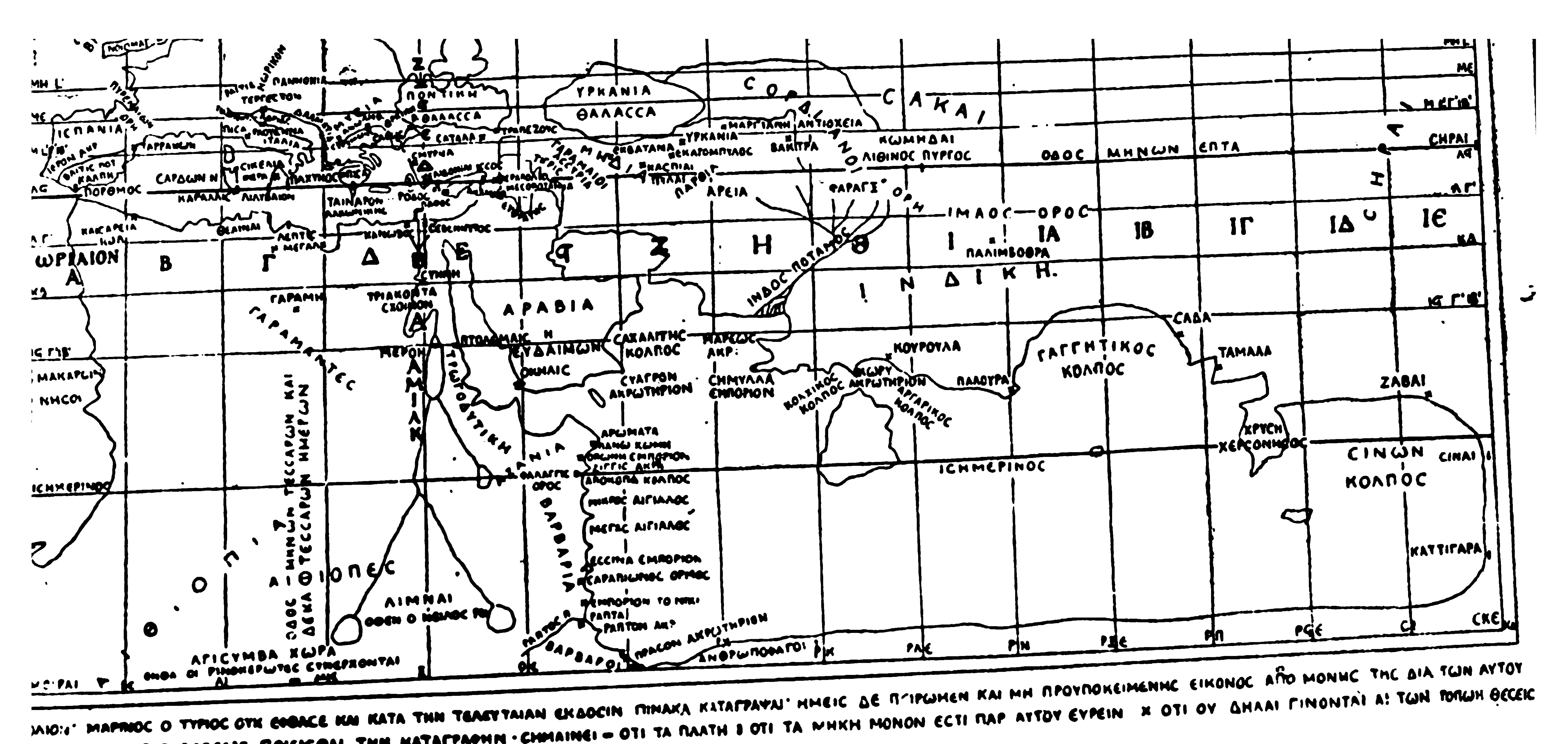
---

(١) (٣/٢٠٨) (٢) ابن خلدون (٢/٢٥٩ وما بعدها).

(٣) ابن خلدون (٢/٢٨٠) .

وقد ناقش نولدكه فى كتابه عن آل غسان كما ذكرت آنفاً هذه القوائم التي نقلها ابن خلدون ، كما ناقش غيرها من القوائم التي وجدها فى التواريخ المخطوطة أو المطبوعة التي تمكن من الحصول عليها ، وأظهر ما فيها من خلل ونقص فى نهاية ذلك البحث [1] . وعلى هذا المؤلف المعوّل حتى الآن فى معرفة تأريخ آل غسان .

(١) (ص ٥٨ وما بعدها) من النص العربي ، وصفحة (٥٣) من النص الألماني .



ΜΑΡΙΝΟΣ Ο ΤΥΡΙΟΣ ΟΥΚ ΕΦΘΑΣΕ ΚΑΙ ΚΑΤΑ ΤΗΝ ΤΕΛΕΥΤΑΙΑΝ ΕΚΔΟΣΙΝ ΠΙΝΑΚΑ ΚΑΤΑΓΡΑΨΑΙ· ΗΜΕΙΣ ΔΕ ΠΟΡΙΖΟΜΕΝ ΚΑΙ ΜΗ ΠΡΟΥΠΟΚΕΙΜΕΝΗΣ ΕΙΚΟΝΟΣ ΑΠΟ ΜΟΝΗΣ ΤΗΣ ΔΙΑ ΤΩΝ ΑΥΤΟΥ ΥΠΟΜΝΗΜΑΤΩΝ ΠΑΡΑΔΟΣΕΩΣ ΠΟΙΗΣΑΣΘΑΙ ΤΗΝ ΚΑΤΑΓΡΑΦΗΝ · ΣΗΜΑΙΝΕΙ = ΟΤΙ ΤΑ ΠΛΑΤΗ ‖ ΟΤΙ ΤΑ ΜΗΚΗ ΜΟΝΟΝ ΕΣΤΙ ΠΑΡ ΑΥΤΟΥ ΕΥΡΕΙΝ × ΟΤΙ ΟΥ ΔΗΛΑΙ ΓΙΝΟΝΤΑΙ ΑΙ ΤΩΝ ΤΟΠΩΝ ΘΕΣΕΙΣ

ΠΙΝΑΞ ΤΗΣ ΟΙΚΟΥΜΕΝΗΣ
ΚΑΤΑ
ΜΑΡΙΝΟΝ ΤΟΝ ΤΥΡΙΟΝ

صورة الأرض لـ « مارينوس »
عن موسوعة « باوليس – ويزوفا » جـ ٢٨/١ سنة ١٩٣٠ اللوح ١٧٨٥ – ١٧٨٦

الفصل الثالث

العربية الغربية

تحدثت عن اليمن من أول عهودها الى استيلاء الحبش عليها ، ثم طرد الفرس وأهل اليمن لهم ، وتحدثت عَرَضاً عن الإمارات والعشائر التي سكنت فى بقية العربية الغربية . وأريد في هذا الفصل أن أعود الى الحديث عن هذه المنطقة وعن قبائلها المهمة ومدنها الى ظهور الاسلام .

والحديث عن هذه المنطقة على جانب كبير من الخطورة ، إذْ كان فيها شريان رئيس من شرايين التجارة العالمية ، تتفرع منه شرايين تتجه صوب الشرق والشمال الشرقي . وفى موازاته شريان رئيس آخر كان له خطره فى عالم تجارة ذلك الزمن . واذا كان الشريان الأول قد تقلص وضاق جداً ، فإن الثاني هو عرق نابض تسير فيه الدماء بقوة وغزارة ، وهو من عروق السياسة العالمية الحساسة ، نسميه نحن بالبحر الأحمر .

وهذه المنطقة خطيرة أيضاً بالقياس الى من يُعنَوْنَ بتأريخ جزيرة العرب ، فإن فى جبالها وفى صخورها ما يبعث فينا الأمل في العثور على كتابات ونقوش قد تنير أمامنا السبل لمعرفة شيْ من تأريخ هذه المنطيقة ، كما أن فيها ظهر الإسلام . ولا بدَّ لفهم تأريخ الاسلام من معرفة تأريخ ما قبل الاسلام والزمان المتصل به . فلا بد لنا إذن من توجيه الأنظار اليها وحمل العلماء والسياح على التفكير فى أهميتها والبحث عن الحقائق التي نرجو أن تمزق الأستار الكثيفة المحيطة بها وبسائر الجزيرة لتفتح لنا مجالات واسعة من العلم بتأريخ هذه البقاع .

ثم ان في هذه المنطقة تلاقت الوثنية واليهودية والنصرانية ، وقد عاشت هـذه المعتقدات المتناقضة جنباً الى جنب فى مواضع معينـة ، ولدراسة أثر أهلها بعضهم فى بعض أهمية كبيرة لا تنكر ، وردت اليهودية والنصرانية من الشمال ، ووردت بعض الأصنام والطقوس الوثنية من الشمال كذلك كما يحدثنا بذلك الاخباريون . ويحدثنا الاخباريون عن قرى ومواضع تغلبت فيها اليهودية ، وعن قبائل دخلت فى دين يهود . وحـدثونا عن أمراء كانوا على دين النصرانيـة ذكروهم في أخبار الغزوات والفتوح . وحـدثونا عن كتب كانت متداولة فى هذه المنطقة قبل الاسلام ، وعن كتاتيب ومجالس للبحث والتدريس . وقد طمست آثار تلك الكتب ، ولم يبق منها شيء . ولو بقي شيء منها ، أو بقى وصف لغة بعضها ، ووصف ما اشتملت عليه من فصول وأبحاث ، لاستفدنا من ذلك فائدة كبيرة . اذن ، فلهذه المنطقة أهمية خطيرة من ناحية دراسـة التأريخ الثقافى لجزيرة العرب قبل الاسلام ، وفى الاسلام .

وقد أشرت سابقاً الى تنويه « الكلاسيكيين » بوجود معابد فى العربية الغربية قالوا إن العرب كانوا يقصدونها للتعبد فيها وللتقرب الى أوثانهم ، ومنهـا معبد كان في أرض « Banizomaneis » « Bizomeni » ذكر ديودورس الصقلي أنه كان ذا حرمة وشهرة عند العرب [١] ، ومعابد ثلاثة أخرى ذكر المؤرخ نفسه أنها على تل خصصت بعبـادة آلهة لم يصل خبرها الى اليونان ، غير أنهـا كانت معروفة عند الناس هناك مشهورة ، تقع بين موضع « Charmothas » وموضع « Chabinus » [٢] .

واشتهر معبـد « دوشري » « Duasre » « Dusara » فى أرض النبط . وذكر اصطيفـان البيزنطي المتوفى حوالي سـنة ٦٠٠ بعد الميلاد أنه كان معبود العرب ومعبود قبيـلة « Dacharenoi » [٣] ، وهو من آلهة النبط الكبرى . ويمثله صنم على هيأة حجر مستطيل أسـود .

---

(١) (٢/٤٠٦ وما بعدها) . (٢) تاريخ العرب قبل الاسلام (٢/٤٠٩ وما بعدها) .

(٣) Stephen of Byzantium , Ethnica , (Meineke) , P . 237 , Musil , Hegaz , P . 48 ,

(٤) Hitti , P . 72 .

وأشرت الى أسماء أصنام النبط الأخرى ، ومنها « الت » أى « اللات » ، و « منوتن » أي « مناة » ، و « هبلو » أي « هبـل » ، و « العزي » . ونوهت بأهميـة جملة : « العـزّى ومارة بيتا » أي « العـزّى ورب البيت » ذات المعنى الخطير من ناحية دراسة المتقدات الدينية عند العرب قبل الاسلام ، ويحج الناس في موسم خاص من السنة الى معبـد « ذي الشرى » فى « بطرا » « Petra »[1] .

ولم يترك النبط لنا (وشأنهم في ذلك شـأن عرب الجاهلية الآخرين) كتابـة تشرح لنا عقائدم وطقوسهم الدينية ، وصلواتهم أو مناجاتهم لآلهتهم . نعم ، لقد كتبوا أسماء أصنامهم ، وفى الأسماء فائدة لا تنكر ، ولـكنها لن تغني وحدها فى فهم رأي القوم فى تلك الأصنام .

واذا كان الحظ قد أسعدنا بالحصول على كتابات تعود الى أيام ما قبل الاسلام في هذه المنطقة ، مدونة بلهجات متعددة ، فإنه لم يسعدنا حتى الآن بالحصول على كتابات فيها مدونة باللهجة التي نزل بها القرآن الـكريم ، أو بلهجة قريبة من لهجته ، وهذا مما يحزن كثيراً . فإن للعثور على كتابات بهذه اللهجة أهمية بالغة فى تثبيت افق اللهجة التي نزل بها الوحي ومداه ، وفي دراسة لغة الأدب عند العرب قبل الاسلام وعند ظهوره ، وفي وضع رأي علمي عن هذا الشعر المسمى بالشعر الجاهلي المنسوب الى شعراء عاشوا قبل الاسلام ، ثم فى تحديد كثير من الآراء التي هي من هذا القبيل .

لذلك فان اعتمادنا الآن فى تدوين تأريخ هذه المنطقة الجاهلي القريب من الإسلام ، هو على ما وصل الينا من كتابات مدونة بلهجات عربية أخرى ، وعلى ما ذكره « الـكلاسيكيون » عرضاً ، وعلى ما دونه الأخباريون من روايات قيلت لهم ، أو وضعت لهم ، أو وضعوها هم أنفسهم حين عجزوا عن الحصول على مادة ، إذ الطلب شديد والسوق رائجة . وقد تحدثت في مواضع متعددة من هذا الـكتاب عن طبيعة روايات الأخباريين .

ولهذه المنطقة أهمية كبيرة من الناحية العسكرية والاقتصادية ، لـكونها جسراً يصل بين

---

(١) (٤٨/٣ وما بعدها) .

بلاد الشام وحوض البحر المتوسط واليمن والمحيط الهندي وما يقع على سواحله من أرضين كلها غنية بمحصولاتها الثمينة ؛ ولذلك صارت أرضها طريقاً للتجار والتجارات ، وصارت مرافئها مناخات للبحارة وملاجىء لسفنهم الموسقة بالأموال .

ولم يكن هؤلاء التجار من أهل هذه البقاع بالضرورة ، بل كانوا عرباً وعجماً . وقد ازداد عدد التجار العجم بعد دخول مصر وبلاد الشام في حكم البيزنطيين والرومان ، وكان اتصالهم بسكان الساحل أقوى وأمتن من اتصالهم بأهل القرى والمدن ، ذلك لأنهم بنوا لهم أساطيل تجارية حمتها أساطيلهم الحربية التي هيأتها لهم قواتهم التي استولت على مصر . فصارت هذه السفن ترد موانىء الحجاز وعسير واليمن للامتيار ، وبحكم الضرورات التي تقتضيها طبيعة الملاحة البحرية في تلك الأوقات . وقد نزلت جاليات منهم فى مواضع من هذا الساحل الطويل ، وسكنت فيها ، ذكر « الكلاسيكيون » أسماء عدد منها قامت بتموين السفن بما تحتاج اليه ، وبتقديم وسائل الراحة لأهلها . وقد أوجدت هذه الجاليات بين العرب صلة فكرية ، وان كان أثرها غير معروف لدينا معرفة تامة ، لقلة ما لدينا من موارد نستمد اليها في استخراج مادة تأريخية تساعدنا في تدوين هذا الباب ، غير أننا لا نستطيع نكران وجوده أبداً . وفى الكلمات اليونانية واللاطينية التي عربها الجاهليون واستعملوها شاهد واضح على وجود هذا الأثر ، كما أن لعثور السياح على خرائب وآثار تشير بوضوح الى أثر القوم في هذه الأماكن دليلاً علمياً يكفي لاثبات هذه الصلة . وقد ترك القوم أثراً فى دماء من حولهم بالتصاهر معهم ، ثم باختلاطهم جملة بهم بعد تعربهم وتوطنهم فى هذه البلاد ، وانقطاع صلتهم بأممهم ، ونسيانهم أصلهم بمرور السنين ، وادعائهم بأنهم من أصل عربي من قحطان أو عدنان . وآية ذلك أشكال وأوصاف لعدد كبير من رجال عرب ما قبل الاسلام ، وهي أوصاف تشير الى أن أصحابها أناس ترجع أرومتهم الى أروبه أهل الشمال . وأيد هذا الرأي عثور السياح والمستشرقين الذين زاروا هذه المواضع على جماجم وعظام ، ظهر من فحصها أنها لأناس لابد أن يكونوا من أهل حوض البحر المتوسط . ومن يدري ؟ فقد يكون من بينهم من هم من الجرمان ومن أهل أوربة الشماليين .

وإذ تعرضت لأثر دماء التجار والبحارة الشماليين في دماء أهل الجزيرة ، أرى من المستحسن أن أبحث في أثر مورد آخر كان له كذلك أثر في دماء أهل الجزيرة وأعني به « السبي » . والسبي تجارة نافقة في تلك الأيام تدر على متعاطيه أرباحاً عظيمة وثروة كبيرة . وقد كانت الجزيرة من أهم الأسواق المستوردة لهذه البضاعة على اختلاف ألوانها من أبيض أو أسود أو وسط بين الاثنين ومن كلا الجنسين . وقد كانت الدولتان الكبيرتان ، دولتا الروم والفرس ، تبيعان ما يفيض على حاجتها من أسرى حرب الفريق المغلوب في الأسواق ، أو ترسل هذه البضاعة الغالية على أيدي العملاء الى أسواق الجزيرة لبيعها هناك ، وقد تهب آلافاً من الأسرى للمشايخ استرضاءً لهم ، وهؤلاء يبيعون هديتهم هذه للراغبين في الشراء ، وترسل المبيعات الى مختلف أنحاء الجزيرة للقيام بالخدمات التي تناط بها ، وقد ذكرت التواريخ الكنيسية أمثلة عديدة لأسرى من النصارى أرسلوا الى أسواق الجزيرة لبيعهم هناك . وقد تركت هذه التجارة أثراً في الحياة الروحية للعرب في تلك الأيام ، ومن هؤلاء من نال حريته فيما بعـــد ، وقام بالتبشير وباعمال مهمة في الزراعة أو الصناعة وما شابه ذلك .

لقد كانت العربية الغربية كما تبين لنا من الكتابات التي عثر عليها في أعالي الحجاز ، وهي تعود الى ما قبل الميلاد ، تابعة للمعينيين ، ثم خضعت من بعدهم للسبئيين . ويظهر من كتب « الكلاسيكيين » أنها كانت تابعة قبل الميلاد وبعده لـ « Homeritae » أي الحميريين ، نسبة الى حمير الذين اشتهر اسمهم عند « الكلاسيكيين » حتى تغلب على سائر من باليمن من قبائل .

وقد حاول اليونان والرومان مراراً الاستيلاء على الحجاز ، ليتمكنوا بذلك من الوصول الى اليمن ، غير أن محاولاتهم هـــذه لم تنجح . فلما أيسوا من ذلك ، وضعوا مشروعاً حربياً آخر مما كساً ، هو احتلال الحجاز من الجنوب ، والاتصال بذلك بالروم بعد احتلال الحبشة بتحريض من الروم لليمن . فسار « أبرهة » مع جيش كبير لاحتلال الكعبة ، بحيث يتسنى له السير من هناك نحو الشمال للاتصال بحلفائه الروم ، غير أن الحملة أخفقت ، فأخفق هـــذا المشروع الحربي الخطير .

وقد بقي نفوذ الرومان والروم مقتصراً على فلسطين ، غير أنهم كانوا يحالفون رؤساء القبائل العربية ، ويؤدون لهم إتاوة سنوية ، ليعترفوا بسلطان الانبراطور عليهم . وبذلك يتوسع نفوذهم تبعاً لقدرة الشيخ ونفوذه . فاذا قطعوا هذه الإعانة عن الشيوخ ، يرتحلون عن الحدود ، ثم يأخذون في شن الغارات حتى تستجيب لهم الدولة ، فتدفع لهم ما تعهدت بدفعه لهم ، أو تنتصر عليهم ، أو تعين مشايخ آخرين من المنافسين لهم في محلهم ، تسترضيهم بالمال لحماية الحدود ، وتستهويهم بالألقاب .

ولما قضى « تراجان » سنة « ١٠٥ » على حكومة النبط ، أضاف « العربية الصخرية » الى « الكورة العربية » ، وانقطع منذ ذلك العهد حكم النبط ، وتشتت شملهم واندمجوا في غيرهم من القبائل ، فحملوا أسماء الذين اندمجوا بهم ولا شك .

وقد ورث أرضهم عرب آخرون على السنة القاضية ببقاء الأرض وزوال أصحابها وانتقالها من أيد الى أخرى . فنجد في مواضعهم قبائل جديدة ، ووجوهاً غير تلك الوجوه . ثم نجد معابدهم خراباً وديارهم مهجورة عند ظهور الإسلام ، مع أنها مناطق غنية ذات خصب ومياه . والظاهر أن زوال هيبة الحكومة وعدم قيام حكومة قوية في هذه المنطقة وفي المناطق التي تقع الى جنوبها ، قد شجع القبائل على إظهار رأسها والتحكم فيها . وتحكم القبائل مما لا يساعد بالطبع على الركود والاستقرار . ولذلك ترك أكثر سكان القرى والمزارع والمدن مواضعهم ، وارتحلوا الى مواضع أخرى يكون الأمن فيها مستتباً ، فهاجر كثير منهم الى بلاد الشام والى العراق .

أما الذين بقوا في أماكنهم ولم يرحلوا عنها ، لوجود مصلحة عزيزة في نفوسهم ، فاحتموا بحصون وآطام وأسوار لحماية أنفسهم ومزارعهم وأموالهم من غزو القبائل ومن تعرضهم لهم ، وتحالفوا معها لقاء دفع الأذى عنهم وعدم التعرض لهم . وكانت حياتهم على ما يقتاتون به من حاصل الأرض وعلى ما ينفقه أصحاب القوافل في أثناء اقامتهم بينهم ، مكونين مجتمعات حكومية صغيرة منتشرة هنا وهناك ، هي حكومات قبيلية وحكومات مدن يحكمها الرؤساء والمشايخ .

وحكومات صغيرة كهذه الحكومات لا تستطيع الوقوف أمام القبائل الفتية القادمة من البادية تبتغي الربح السهل والغنائم الدسمة بطريق الغزو ، لذلك صارت حياتها في أيدي القبائل ، وهي حياة لا تنتظر لها ولأمثالها التقدم والازدهار. ثم ان هذه القبائل كانت تفرط في أخذ الإتاوات وفي جباية الضرائب التي تفرضها فرضاً على القوافل لقاء حمايتها والسماح لها بالمرور في الأرضين التي تحكمت فيها . وقد أثر هذا الافراط في التجار وفي الأسعار ، فانتقلت التجارة بالتدريج من البر الى البحر. ولم يبق في استطاعة التجار العرب منافسة التجار الروم وحلفاء الروم في الأسواق ، بسبب الفرق في الأسعار ، وكثرة التكاليف التي كان على التاجر العربي وجوب دفعها للقبائل لقاء الحماية وحق المرور . وقد أثر هذا التحول في سكان قرى العربية الغربية التي كانت تتعيش من اولئك التجار ، فضاقت الحياة عندهم ، وقلّت العناية ــ بسبب ذلك ــ بالأرض وبمواردها ، وتحولت المناطق الخصبة الى بوادٍ توسعت رقعتها بتوسع الاهمال .

ودليل ذلك تلك المواضع العديدة الخصبة التي أشار اليها « الكلاسيكيون » ، فاذا هي خرائب أو مواضع مهجورة أو مجرد أسماء لا نعرف من أمرها اليوم شيئاً . وقد زالت معالم كثير منها قبل الاسلام ، ومرد ذلك الى اضطراب الأمن وتحين القبائل الفرص للاغارة على تلك المواضع ، وتحول التجارة وانتقالها من البر الى البحر ، وهي مواضع لو كانت تحت اشراف حكومة قوية ذات حول وطول ، لما حلّ بها هذا الدمار . وهي على كل من الأماكن التي يمكن إصلاحها في الزمن الحاضر وفي المستقبل بالسيطرة على ينابيع الماء فيها وبحفر الآبار .

وقد تحدثت عن عدد من تلك المواضع أو القبائل التي ورد اسمها في مؤلفات « الكلاسيكيين » ، ومن تلك « ثمود » التي كانت منازلها في « حسمى » في أيام « بطلميوس » أي في القرن الثاني للميلاد [1] . فلما هلكت وتشتت شملهم ، انتقل ملكهم الى قوم آخرين ، آخر من نعرف منهم « جذام » الذين كانوا ينزلون في « حسمى » عند ظهور الاسلام [2] . وهم في زعم الأخباريين أبناء « جذام » شقيق « عاملة » و « لخم » أبناء « عديّ بن الحارث بن

---

(١) Musil , Hegas , p. 312 شمال الحجاز (ص ١٢٩) . (٢) البلدان (٣/٢٧٦) .

مرة بن كهلان » . واسم « جذام » الحقيقي في رأيهم « عمرو » [١] .

ويرجع بعض النسابين نسب جذام الى اليمن ، ويرجعها بعض آخر الى مضر ، وتوسط قوم فقالوا إنهم كانوا من مضر فى الأصل ، ثم غادروا ديار مضر ، فذهبوا الى اليمن ، وعاشوا بين قبائل قحطان ، فنسوا أصلهم بتقادم العهد ، وعُـدّوا في القحطانيين . ويظهر أن هذا الرأي هو محاولة للتوفيق بين الرأيين السابقين . أما الذي عليه غالبية جذام ، فهو أنها من قبائل قحطان[٢].

وكانت مواطنها عند ظهور الإسلام فى منطقة مهمة جداً تقع بين الحجاز و بلاد الشام ومصر، فتمتد من منازل « كلب » في الشمال حتى منطقة المدينــة . وكانت بطونهــا منتشرة فى « وادي القُـرَى » وحول « تَـبُـوك » وعند « أيلة » وفى طور سيناء ولمرور طريق القوافل منها ، تولى رجالها حراستها وجباية رسوم المرور منها . ولما رأى بعض المستشرقين أنهــا تقطن منطقة كان يسكنها « أهل مدين » وكذلك النبط ، ذهبوا الى أنها من نسل « مدين » أو من بقايا « النبط » [٣] .

ومن المستشرقين من يرى أن « بني النضير » هم فرع من جذام ، دخلوا في دين يهود ، ودليلهم على ذلك انتشار اليهودية بين بعض بطون جذام التى تقع منازلها على مقربة من « يثرب » . ولـكن النصرانية كانت أيضاً قد وجدت لها سبيلا بين جذام ، وذلك باتصالهــا ببلاد الشام ومصر . وقد كانت مع « المستعربة » أي النصارى العرب ، تحارب المســلمين مع الروم في حروب التحرير . وقد أخبر أحد أبناء جذام « أبا سفيان » بتربّـص المسلمين له حين عودته من ديار الشام [٤] .

أما « كلب » التي كانت ديارها تتاخم ديار جذام من الشمال ، فينسبها النسابون الى « كلب بن وبرة » ، وهي من القبائل التي كانت تنزل ديار الشام عند ظهور الاسلام . غير أننا لا نعرف

---

(١) الاشتقاق (ص ٢٢٥) ، المعارف (ص ٥٥) .

(٢) Ency., I, p. 1058

(٣) Ency., I, p. 1058

(٤) Ency., I, p. 1058. f.

PTOLEMAEUS
KARTE VON
ARABIA FELIX

SINUS PERSICUS

MARE RUBRUM

SINUS ARABICUS

SINUS ABULICUS

AEGYPTUS

صورة جزيرة العرب لـ « بطليموس »

من تأريخها شيئاً يذكر قبل الاسلام (١) .

ويرجع نسب « كلب » في عرف النسابين الى قبائل « قضاعة » . ومن « كلب » الأسبع : وهي بطون ثعلب وفهد ودُب والسيد والسرحان وبرك . ومن قبائلها : ثور وكلب ورفيدة وعوذى وعرينة وقبائل أخرى يذكرها النسابون (٢) .

وينسب الى هذه القبيلة « زهير بن جَناب » ، وهو في جملة من يذكرهم الأخباريون من المُعمَّرينَ . ويذكرون أنه كان رئيساً من رؤساء هذه القبيلة ، وأنه كان شاعراً ، وأن من نسله الشاعر « المسيب بن رفل بن حارثة » الذى قتله « يزيد بن المهلب » في سنة ١١٢ للهجرة (٣) . ويذكر الأخباريون أن زهيراً كان في أيام كليب وائل والمهلل ، ومعنى ذلك أنه عاش في القرن السادس للميلاد (٤) . وما يرويه الأخباريون عنه هو من قبيل القصص المألوف الذي لا يمكن الاعتماد عليه .

وقد انتشرت النصرانية بين كلب ، كما انتشرت بين اكثر القبائل النازلة بديار الشام . والظاهر أنها كانت على مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة « Monophysitics » (٥) ، ويظهر أنها لم تتخذ موقفاً معادياً للاسلام . ومنها كان زيد بن حارثة ودحية بن خليفة الكلبي من أصحاب الرسول .

وفى جوار « الحجر » وفى شرق « حَرَّةِ ليلى » ، أقامت بنو عذرة ، وهي من قبائل قضاعة ، وتنسب الى عُذْرَةَ بن سعد هُذَيْم بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاعة (٦) . ولا نعلم من تأريخ هذه القبيلة فى الجاهلية شيئاً يذكر . ولم يرد اسمها كثيراً فى الأيام ، والظاهر أن ذلك لقلة شعرائها ، فان شعر الشعراء هو الذي خلد أسماء القبائل عند الأخباريين .

---

(١) Ency., II, P. 688.

(٢) الاشتقاق (ص ٣١٤ وما بعدها) « طبعة وستنفلد » .

(٣) الأغاني (٢١/٩٣ وما بعدها) ، المفضليات (١١٧) .

(٤) Ency., IV, p. 1237.

(٥) Ency., II, p. 689.

(٦) Ency., II, p. 989.

ويظن « شبرنكر Sprenger » أنها قبيلة « Adritai » « Adraetai » التي ذكرها « بطلميوس » .[1]

أما ديار هذه القبيلة ، فكانت في وادي القُرَى و تَبُوك . ولكنها امتدت حتى بلغت قرب أيلة . ويذكر الأخباريون أن هذه القبيلة هاجرت مع من هاجر من قبائل قُضاعَة بعد حربها مع حِمْيَر ، فنزلت في هذه الديار[2] . وتعاهدت مع قوم من يهود على مجاورتهم ، وألا تتحرش بهم وبنخيلهم وبساتينهم . وتجاور ديار عذرة ديار قبائل أخرى من قضاعة مثل نهد وجهينة و بَلِيّ وكلب ، كما جاورت من الشمال قبيلة غَطَفان[3] .

ولعذرة حلف مع عدد من بطون سعد هذيم ، مثل بني ضنة ، ويعدهم النسابون بطناً من عُذْرَةَ ، وكذلك مع بني سلامان . وقد عرفوا بصحار . وكان لهم حلف مع جُهينة ، ويرجع الأخباريون عهد هذا الحلف الى أيام حرب قضاعة ، وهي الحرب المسماة بـ « حرب القريض »[4] .

وهنالك جملة قبائل ذكر الأخباريون أربعة أو خمسة قالوا انها كانت تعرف بـ « عذرة »[5] . وقد سبب تعدد هذه الأسماء للنسابين بعض التشويش .

ويظهر من روايات الأخباريين أنه كان لهذه القبيلة صلة بقريش ، فزعموا أن أم « قصيّ » تزوجت رجلاً من بني عذرة ، وأن أخاه من أمه رزاح بن ربيعة بن حرام اشترك مع قريش في الدفاع عن الكعبة وفي طرد خزاعة عنها . ورووا أيضاً أنه كان لها صلة بالأوس والخزرج كذلك ؛ لأن أم القبيلتين ، وهي « قيلة بنت كاهل أو بنت هالك » ، كانت من هذه القبيلة[6] .

وقد ذكر الأخباريون أسماء رجال برزوا في الجاهلية ، ينتمون الى بطون هذه القبيلة ، منهم

---

(1) Sprenger, Geographie, S. 205, 333.

(2) البكري : معجم (ص ١٨ ، ٢٢ ، ٢٧) ، الأغاني (١٦/١٦١) .

(3) Ency., IV, p., 988.

(4) البلدان (٣/٣٦٨) ، وهم أبناء « صحار » ، ابن دريد : الاشتقاق (ص ٣٢٠) .
Ency., IV, 988.

(5) محمد بن حبيب : مختلف القبائل (ص ٣٧) « طبعة وستنفلد » ، Ency., IV, p. 989.

(6) Ency., IV, p., 989. Wustenfeld, Geneal., I, 24.

« هوذة بن عمرو » ، نعتوه بـ « ربّ الحجاز »[1] ، وهذا النعت يدل على منزلة الرجل ومكانته التي كان عليها قبل الاسلام . وقد مدحه النابغة الذبياني . وقد نسب الأخباريون هوذة الى « عص أو عيثر بن لبيد » ، وهو فى زعمهم من المُـعَمَّـرِين فى الجاهلية[2] .

ولعذرة عدة بطون ، منها : بنو الجلحاء ، وبنو جلهمة ، وبنو زقزقة ، وبنو ضنة ، وبنو حردش ، وبنو حن ، وبنو مدلج[3] . ويظهر من أبيات للشاعر النابغة أن النعمان همّ بغزو بني حن فى موضعهم ببرقة صادر ، غير أنه نهاه عن ذلك[4] .

وأما غَـطَفان ، فاسم قبيلتين : قبيلة تنتسب الى غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام وقبيلة تنتسب الى غطفان بن سعد بن قيس عيلان . وتقع مواطن هذه القبيلة فى شرق خيبر ، وتمتد الى أجأ وسلمى جبَـلَي طيء ، وتمتد كذلك الى شمال خيبر[5] .

وتنقسم غطفان فى عرف النسابين الى « ريث » وأشجع ، وتسكن الأرضين المجاورة ليثرب ، وبغيض وتقع منازلها فى أرضين تقع عند شربة والربذة ، ويجاورهم خصافة بن قيس عيلان ، وسليم الذين تقع ديارهم فى جنوبهم ، ثم هوازن . ومن بغيض ذبيان وعبس وأنمار[6] .

واشتهر من رجال عَبْـس زهير بن جذيمة ، وكان ملكا على ما يزعمه الأخباريون . يجبي الإتاوة من القبائل ، ومنها قبيلة هوازن[7] . ولـكنه كان عاتياً تكرهه هوازن وتحقد عليه . وهو والد قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء ، تزوج اليه ملك الحيرة النعمان بن امرىء القيس جدّ النعمان بن المنذر لشرفه وسؤدده . فكانت له بهذا الزواج صلة بملوك الحيرة . وأراد ملك الحيرة إكرام زهير ، فطلب اليه أن يرسل أحد أولاده يستزيره ، فأرسل اليه ابنه شأساً ،

---

(١) ابن دريد : الاشتقاق (ص ٣٢٠) . (٢) Ency., IV., p. 989.

(٣) ابن دريد : الاشتقاق (ص ٣٢٠) ، Ency., IV, p., 989.

(٤) الاشتقاق (ص ٣٢٠) ، البلدان (٢/١٤٣) .

(٥) Ency., II, p. 144. (٦) الاشتقاق (١٦٧ وما بعدها) .

(٧) Ency., II, p. 144.

وهو أصغر ولده ، فبقي عنده أمداً . ولما همّ على ما يقول الأخباريون بالرجوع ، كساه الملك حللاً ، وأعطاه مالاً طيبا . فلما صار في مياه غني بن أعصر ، طمع فيـه رباح بن الأشل الغَـنَوِيّ ، فقتله ، وانتهب ما كان معه وهو لا يعرفه . فلما سمع بذلك زهير ، وتجسس الخبر ، أغار على غني ، وقتل منها رجالاً . عندئذ دافعت عنها بنو عامر بن صعصعة ، ووقعت الحرب من أجل ذلك بين عبس وعامر بن صعصعة .

وتأثر خالد بن جعفر بن كلاب من اعتداء زهير على أخواله غني ، وأضمر في نفسه له شراً . فلما خرج زهير الى عكاظ في الشهر الحرام ليتسلم الإتاوة على عادته من هوازن ، سبق خالد بن جعفر الى هوازن لجمع اليه قومه ، وندبهم لقتال زهير ، فأجابوه وخرجوا معه حتى التقوا بزهير على أطراف بلاد هوازن . فتصدى له خالد بن جعفر ومن معه من هوازن ، واقتتلوا ، فقتل زهير ، ورجع أبناؤه بجسده ليواروه التراب في أرضه . أما هوازن ، فرجعت الى ديارها ، وتخلصت بذلك من الإتاوة التي كانت تدفعها لسادة عبس[1] .

وقد نعت زهير في شعر منسوب الى خالد بن جعفر يمنّ به على هوازن لقتله زهيراً بـ « رب هوازن »[2] . وهذا النعت معروف ، وقد نعت به عدد من المشايخ الكبار ، كان معروفاً في الجاهلية ثم أبطل استعماله في الإسلام .

وصارت الزعامة على هوازن لخالد بن جعفر بن كلاب ، غير أن خالداً خشي من انتقام غطفان منه لقتله سيدها زهيراً ، وزهير اذ ذاك سيد قبائل غطفان . فذهب الى الحيرة ليستجير بالنعمان بن امرىء القيس ومعه أخوه عروة ، فأجاره النعمان ، وضرب له « قبة » ، ولا تضرب القبة إلا لملك أو رجل كبير زعيم في قومه . فصار في حمى الملك ورعايته وضيافته ، وعزمت غطفان عندئذ على الانتقام من هوازن . وتدخل « الحارث بن ظالم المرّي » في الأمر ، وهو فاتك فارس

---

(١) ابن الأثير (١/٢٢٩ وما بعدها) .

(٢) وقتلت ربهم زهيراً بعدما ... جدع الأنوف وأكثر الأوتارا
ابن الأثير (١/٢٣١) .

معروف ، طالباً من غطفان ترك الأمر اليه وهو كفيل بقتل خالد بن جعفر . فوافقت غطفان على ذلك . وسار الحارث الى الحيرة لتنفيذ الخطة ، وفي قصر النعمان التقى بخالد بن جعفر وبأخيه عروة ، وفى حضرة الملك اغاظ خالدٌ الحارثَ بكلام ناب قارص ، فأنبه أخوه على ما صدر منه ، وحذّره مغبة فتك الحارث به . وهو كما يعلم فاتك جسور معروف ، لايخاف الغدر . فلما كان الليل وجنّ الأخوانَ الى القبة ، قطع الحارث شرج القبة ودخلها . فلما رآه عروة وكان جالساً عند رأس أخيه يحرسه ، هدده بالقتل إن نطق بكلام ، ثم أجهز على خالد فقتله وخرج .

وقتل رجل فى حماية رجل من سائر الناس وفي جواره جريمة في عرف العرب لا تغتفر . فكيف بقتل رجل كبير هو في حماية ملك ، وفي قبته ؟ لذلك أوعز النعمان الى رجاله وحلفائه بالتفتيش عن الحارث بن ظالم والقبض عليه وقتله . وقامت هوازن تبحث عنه لقتله سيدها خالداً ، وعلم الحارث بحراجة مواقفه وبفداحة العمل الذى قام به ، فسار الى « تميم » ، ولحق بضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، فأجاره على النعمان وهوازن . وهذا مما غاظ النعمان بالطبع ، وجعله يقرر غزو بني دارم ، فأرسل عليهم جيشاً جعل عليه ابن الخمس التغلبي ، وكان يطلب الحارث بدم أبيه ، لأنه كان قتله وانضمت بنو عامر تحت زعامة الأحوص بن جعفر الى عسكر النعمان على بني دارم وسيدها فى هــــذا الوقت زرارة بن عدس . فلما سمعت دارم بخبر العسكر ، أرسلت أثقالها وأموالها الى ديار بغيض واستعدت لمقابلة المهاجمين . فلما تبين قوم النعمان اقتتلوا قتالاً شديداً أدى الى مقتل ابن الخمس التغلبي رئيس جيش النعمان ، وأسر معبد بن زرارة ، أسرته بنو عامر ، وانهزم جيش النعمان وعاد الى بلاده تاركا معبد بن زرارة أسيراً في أيدي المتجاسرين على النعمان [1] .

وقد عرضت سابقاً لهذا الحادث فى موضعه من تأريخ الحيرة . وللأخباريين عن الحارث قصص . ومن جملة ما ذكروه أن الحارث كان قد دخل الحيرة خلسة ليغيظ النعمان ويوجعه ، فرأى ابنه غضبان ، فضرب رأسه بالسيف فقتله . وقال فى ذلك شعراً من جملة ما ورد فيه قوله :

فإن تك أذواداً أصبت ونسوة ... فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم

---

(١) ابن الأثير (١/٢٢٢ وما بعدها) .

علوت بذي الحيّات مفرق رأسه ولا يركب المكروه إلاّ الأكارم
فتكت به كما فتكت بخالد وكان سلاحي تحتوبه الجماجم
بدأت بتلك واثنيت بهذه وثالثة تبيض منها القادم
حسبت أبا قابوس أنك مخفري ولما تذق ثكلاً وأنفك راغم [1]

واذا صح أن هذا الشعر هو من شعر الحارث بن ظالم ، وأنه من نظمه جميعه حقاً ، كان هذا دليلاً على أن الحادث قد وقع فى أيام النعمان أبي قابوس لا النعمان بن امرىء القيس جدّ النعمان ابن المنذر كما يزعم الأخباريون . وغريب أمر هؤلاء الأخباريين ، فانهم يذكرون الحادث على أنه من الحوادث التي وقعت فى أيام النعمان بن امرىء القيس ، ثم يلحقون بالقصة تلك الأبيات التي تنطق نطقاً لا غموض فيه أن الحادث هو فى أيام النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس وبابن سلمى كما رأيت [2] . ثم تراهم يسكتون عن هذا التناقض الغريب ولا يشيرون اليه !

وهناك أمثلة أخرى على هذا النمط ، تشير الى الخلط الذي وقع فيه الأخباريون في رواية أخبارهم عن ملوك الحيرة وعن غيرهم . ومردّ بعضه الى تشابه الأسماء كما فى الخبر التقدم ، حيث يصعب عليهم التمييز بين الأشخاص بمرور الزمان ، وهم إذْ يتحدثون فانما يتحدثون عن حفظ ذاكرة لا عن قراءة كتاب .

وقد أشرت سابقاً الى رواية أخرى جعلت الحادث فى أيام الأسود بن المنذر ، وجعلت المقتول ابناً من أبنائه هو « شرحبيل » . وأشرت أيضاً الى التناقض البين الذي وقع أيضاً فيه رواة هذه الرواية حيث خلطت فى عرضها للحادث بين الأسود بن المنذر وبين النعمان [3] .

وفى جنوب شرق « حسمى » أقامت بطون « فزارة » [4] ، وتنسب الى « فَزارة بن ذبْيان بن بَغِيض بن غيث بن غَطفان » . وقد اشتركت فى حرب داحس والغبراء بين عبْس وذبيان ، وفي معارك أخرى ، وتعاونت مع يهود خيبر ضد الرسول [5] .

و « تبوك » هي من جملة مواضع بني عذرة ، وهي موضع « Thapaua » الذي ذكره

---

(١) ابن الأثير (١/٢٢٣) .. (٢) ابن الأثير (١/٢٣٣) .
(٣) ابن الأثير (١/٢٣٣) . (٤) Musil , Hegaz , P . 315 .
(٥) Ency . , II , P , 93 .

بطلميوس [١] ، ولا نعرف من أمرها قبل الاسلام شيئاً يذكر . وقد ذكرت في الفتوح ، إذ وصل الرسول اليها ، وصالح أهلها على الجزية ، مما يدل على أن سكانها كانوا من أهل الكتاب [٢]. ولوجود المياه بوفرة فيها ، ولخصب أرضها ، ولورود اسمها في جغرافيا بطلميوس ، نستطيع أن نقول إنها لابد أن تكون من المواضع التي كان لها شأن يذكر قبل الاسلام . وقد يُعْثَرُ فيها على كتابات مطمورة في جوف الأرض .

و « جهينة » بطن مثل « بليّ » و « بهراء » و « كلب » و « تنوخ » من بطون « قضاعة » ، كانت ديارها في نجد ، ثم هاجرت الى الحجاز ، فسكنت على مقربة من يثرب في المنطقة التي بين البحر الأحمر ووادي القرى ، عند ظهور الاسلام . وقد دخلت في الاسلام في حياة الرسول ولم تشترك مع من اشترك في الردّة بعد وفاته [٣] . وينسب النسابون جهينة الى محار والد جهينة ، ومن بطونها بنو حميس [٤] .

وبليّ هي من قبائل قضاعة كذلك ، وتنسب الى بليّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وتقع ديارها على مقربة من تيماء بين ديار جهينة وديار « جذام » ، وهي مثل أكثر قبائل قضاعة ، لا نعرف من تأريخها في الجاهلية شيئاً يذكر . أما في أول ظهور الاسلام ، فقد اشتركت مع القبائل النصرانية في جانب الروم ضد المسلمين [٥] .

وقد دخل دينَ يَهُودَ فرعٌ من بلي ينسب الى حشنة بن اكارمة ، وسكن على مقربة من تيماء مع يهود ، وظل في هذا الدين وفي هذه الديار الى أن أمر بجلائهم عنها في الاسلام [٦] .

---

(١) ptolemy . Geography . VI . 7 . 27 .

(٢) البلدان (١/٨٢٤) « طبعة وستنفلد » ، ابن هشام (ص ٩٠٢) ، الطبري (١/١٦٩٢) غزوة تبوك ، فتوح البلدان (ص ٥٩) « طبعة ذي غويه » ،
Ency . . IV . p . 989 . Musil . Hegaz . pp . 318 .
شمال الحجاز : تأليف ا . موسل ترجمة : الدكتور عبد المحسن الحسيني سنة ١٩٥٢ (ص ١٤٠ وما بعدها) .

(٣) Ency . . I . p. 1060. (٤) الاشتقاق (ص ٣١٩ — ٣٢١) .

(٥) الطبري (١/١٦٠٤ ، ١٦١٠ وما بعدها) ، ابن هشام (ص ٧٩٢) ، الاشتقاق (ص ٣٢٢) .
Ency . . I . p. 618 . Caussin de perceval . Essai . III . 212 . Blau . in ZDMC . XXII . 664 . XXIII . 573 .

(٦) Ency . . I . p. 618.

ومن قبائل هذه المنطقة الشهيرة المعروفة ، قبيلة غَطَفان المؤلفة من عشائر عديدة ، ترجع نسبها الى فرعين كبيرين : أشجع ، وبغيض . وتقع منـازل أشجع في جوار يثرب . أما بغيض المؤلفة من عبس وذبيان ، فتقع منازلها عند شربة والرَّبَـذة [١] . وتجاور غَطَفان من القبائل : بطون من خصافة بن قيس عيلان ، وبنو سليم ، وبطون هوازن . أما نسبها ، فإلى غَطَفان بن سعد بن قيس عيلان .

ولا نعرف من تأريخ غطفان قبل القرن السادس للميلاد شيئاً يذكر . وقد اشتهر من رجالها زهير بن جذيمة ، وهو من عَبْس . وكان يجبي الإتاوة من هوازن ، ثم قتل ، فوقعت من أجل ذلك حروب سأتحدث عنها في الفصل الذي سأعقده عن قبائل القحطانيين والعدنانيين .

وعلى السنة الجارية بين القبائل ، تشتت عشائر غطفان بسبب الحروب التي نشبت بينها من جهة ، وبينها وبين بطون خصافة من جهة أخرى . ونعني بخصافة هَوازنَ وسُلَيْماً . وقد استمر التنافس بين عشائر غطفان وعشائر خصـافة الى ظهور الاسلام ، وتميز بحوادث الفتك والاغتيالات ، وبرز في هذا النزاع اسم دريد بن الصمـّة ، وهو من هوازن ، ومعاويـة وصخر أخوي الخنساء وهما من سُلَيْم [٢] .

ولما قدم الرسول المدينة وأظهر دعوته فيهـا ، تحالفت سليم وغطفان على الاسـلام ، فاضطر الرسول الى ارسال السرايا لتأديبهم . ولما انتقل الرسول الى جوار ربه ، ارتد كثير من غطفان ، وأيد بعضهم طليحة ، ولم يرجعوا الى الإسلام إلاّ بعد انتصاره على المرتدين .

ويرجع نسب بني سليم الى قيس عيلان ، وتقع منازلها في مواطن حراد ذات مياه ومعادن عرفت بمعدن سليم . وكانوا يجاورون عشائر غطفان وهوازن وهلال . ولخيرات أرضهم ووقوعها في منطقة مهمة تهيمن على طرق التجارة ، صارت بنو سليم من القبائل الغنية . وكانت صلاتها حسنة بيهود يثرب ، كما كانت صلاتها وثيقة بقريش . وقد تحالف عدد كبير من رجالات مكة مع بني سليم ، واشتغلوا معهم في الاستفادة من المعادن والثروة الموجودة في أرض سليم [٣] .

---

(١) Ency., II, P. 146.

(٢) Ency., II, p. 145.

(٣) Ency., IV, p. 518. البلدان (٨/ ٩٤) .



من الكتابات العربية الشمالية ، المتأثرة بالمسند

وبنو سليم أيضاً قبائل ، منهـا : بنو ذكوان ، وبنو بهثة ، وبنو سمّال ، وبنو بهز ، وبنو مطرود ، وبنو الشريد ، وبنو قنفـذ ، وبنو عصيّـة ، وبنو ظفر [١] . وقد نجلت هـذه القبائل رجالاً عرفوا فى الجاهلية والاسلام ، منهم : العباس بن مرداس الشاعر الشهير ممن شـهدوا معركة حنين مع الرسول ، ومجاشع بن مسعود ممن قاد الجيوش وهو من المهاجرين ، والعباس بن أنس الأصم من فرسان الجاهلية ، ورجال آخرون . ولسليم شقيق فى عرف النسابين اسمه مازن . أما أبوهما فهو « منصور » [٢] .

و « تيماء » من المواضع التى عثر على اسمها فى الـكتابات التى تعود الى ما قبل الميلاد . وقد ورد اسمها في العهد القديم كذلك [٣] . وكانت محطة مهمة لنزول القوافل فيها ، وقد سكنها يهود وقوم من العرب دخلوا في دين يهود ، وذكرت في شعر « امرىء القيس » ، وفيها كان حصن السموأل بن عادياء المذكور فى قصص امرىء القيس .

وقد عثر الرحالة « أويتنك Euting » على كتابة مدونة بقلم بني إرم تعود الى عهد كان الفرس قد استولوا فيه على هذا المـكان ، تتحدث عن أهمية تيماء ورقيها فى هـذا العهد [٤] . ولا يستبعد العثور على كتابات عديدة اذا ما قام العلماء بالتنقيب عنهـا في باطن الأرض ، فان موضعاً مثل هذا الموضع لابد أن يكون غنياً بالـكتابات والآثار . وقد وجد « أويتنك » آثار معبد قديم ، وآثار مواضع عتيقـة أخرى ترجع الى ما قبل الإسـلام [٥] . ووجـد « جوسن Jaussen » و « سـافينه Savignac » آثار مقـابر على تلال من النوع الذي يطلق عليـه الآثاريون اسم « تُولى Tumuli » ، ومرقاة مدرجة تؤدي الى بناء مربع [٦] لعله معبد من معابد القوم بُـنِيَ على هذا التل .

---

(١) الاشتقاق (١٨٧ وما بعدها) .

(٢) الاشتقاق (ص ١٨٩) ، الصفة (ص ١٣٢ ، ١٥٤ ، ١٧٠) .

(٣) اشعياء : ٢١ الآية ١٤ ، ارمياء : ٢٥ الآية ٢٣ ، أيوب : ٦ الآية ١٩ .

(٤) Ency . , IV , p . 622

(٥) Euting , Tagebuch einer Reise in innerarabien , II , 148 , 199 .

(٦) Jaussen and Savignac , Mission archeologique , II , p . 133 - 163 .

وقد سكن اليهود في وادي القرى كذلك ، وهو وادٍ خصب ، فيه مياه غزيرة ، وبه يمر طريق التجارة القديم الذي يصل بلاد الشام باليمن . وقسم من هؤلاء اليهود هم من اليهود الذين هاجروا من فلسطين ، وقسم آخر منهم هم من العرب المتهودة . وفي هذا الوادي مواضع قديمة منها « العلا » ، وتقع على مقربة منها خرائب « ديدان » « ددان » التي كانت مقر المعينيين في الشمال . والتي أشير اليها في العهد القديم [1] . وقد عثر في هذا الموضع وفي مواضع أخرى على كتابات معينية ونبطية وثمودية وغيرها ، غير أن العلماء لم ينقبوا فيه ولا في بقية الأماكن الأخرى التي تقع في هذه المنطقة وفي معظم مناطق الجزيرة حتى الآن . والتنقيب في هذه المنطقة خاصةً ، ذو أهمية كبيرة ؛ لأنها منطقة التقت فيها الحضارات القديمة ، ولأنها سبيل القوافل القديم ولها صلة بالتوراة .

ولم تتجاوز الأرضون التي حل بها اليهود في الحجاز جنوب منطقة « يثرب » ، فلم يشر أهل الأخبار الى وجود جاليات يهودية في مكة أو الطائف مثلا أو المواضع الأخرى في جنوب المدينة . أما في اليمن ، فقد تمكنت اليهودية ان تمشّش فيها ، وأن تهوّد بعض أهل اليمن ، ومنهم ذو نواس الذى اضطهد نصارى نجران كما رأيت . أما في المناطق الأخرى من الجزيرة ، فلا نعلم من أمر اليهودية فيها شيئاً ، فقد سكت الأخباريون عنها ، ولم يشيروا الى وجودها فيها . والظاهر أن اتصال العربية الغربية بفلسطين ووجود أرضين خصبة ذات مياه ومجال للعمل بين القبائل التي تأنف من الأعمال اليدوية . كل هذه الأمور جلبت اليهود الى هذه المنطقة ، وحببت اليها السكنى فيها بعد أن صعبت عليهم الإقامة في فلسطين .

ومعارفنا عن اليهود في جزيرة العرب ضحلة ، ولم يخلف اليهود لنا كتابات تذكر تتحدث عن حياتهم في هذه البلاد ، كما أن كتاب اليهود الذين ألفوا في خارج الجزيرة لم يتحدثوا عنهم ، ويظهر أنهم كانوا يعيشون في مجتمعات متفرقة . وذكر بعض الأخباريين أنهم كانوا بطونا

(١) التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٧ ، الاصحاح الخامس والعشرون : الآية ٣ .

تنيف على العشرين عاشوا في آطام وحصون[1] ، منها : بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، وبنو عكرمة ، وبنو ثعلبة ، وبنو محمر ، وبنو زعورا ، وبنو زيد ، وبنو عوف ، وبنو القصيص . وقد خالطهم وساكنهم أحياء من العرب وبطون ، مثل : بنى الحرمان وهم حي من اليمن ، وبنو مرثد وهم من بلي ، وبنو نيف وهم من بلي كذلك ، وبنو معاوية وهم من بنى سليم ثم من بنى الحارث بن بهثة وبنى الشظية وهم من غسان[2] .

وقد تعاطى اليهود الزراعة فى المواضع التى نزلوا بها من العربية الغربية ، والزراعة من الصناعات المبتذلة فى نظر الأعراب ، كذلك احترفوا الصياغة والحدادة والنجارة وما شاكل ذلك ، وهي حرف مبتذلة في نظر العربي ، فعاشوا عليها وجمعوا ثروة طائلة منها ومن الربا الفاحش الذى كانوا يتعاطونه مع القبائل . وبتسليفهم المشايخ أموالاً بربا فاحش ، بسطوا نفوذهم عليهم ، وخضعوا لهم كالذى نراه حتى اليوم . وقد أشير الى تعاطيهم الربا الفاحش فى القرآن الكريم[3] .

واشتهر بنو قينُقاع خاصة بالصياغة . وكان لهم في يثرب سوق خاصة بهم يقال لها سوق بنى قينقاع ، يمارسون فيها هذه الصناعة[4] .

وعرف اليهود بالحدادة كذلك ، فكانوا يصنعون أدوات الزراعة . كما صنعوا الدروع والسيوف[5] . ولعلهم هم الذين نشروا بين عرب الجاهلية أساطير السيوف والدروع القوية المنسوبة الى داوود .

وتعاطوا التجارة كذلك ، ولا سيما تجارة الحبوب ، فكانوا يتاجرون بين الشام والحجاز . وقد كان الأعراب يقترضون منهم الشعير برهن يضعونه لديهم . وذكر أن الرسول رهن درعاً بالمدينة عند يهودي لحاجته الى شعير أخذه لأهله[6] . وقد كان أبو رافع الخيبرى من كبار تجار زمانه يرسل تجارته بواسطة القوافل الى الشام[7] .

(١) السمهودي : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (ص ٨٠) .
(٢) الأغاني (١٩/٩٥) ، ولفنسون : تأريخ اليهود في بلاد العرب (ص ١٤) .
(٣) النساء : ١٥٨ ، ١٦١ . (٤) الأغاني (٢١/٦٢) ، البلدان (٧/١٩٩ وما بعدها) .
(٥) الواقدي : المغازي (ص ٢٧٢) ، ولفنسون (ص ١٩) .
(٦) البخاري (٢/١٦ ، ٤٥) . (٧) ولفنسون (ص ١٨) .

وتعد خيبر من أهم مواطن اليهود عند ظهور الاسلام ، وهي منطقة خصبة جداً ذات مياه غزيرة . ذكر ياقوت أنها كانت تشتمل على سبعة حصون ، هي : حصن ناعم ، والقموص وهو حصن أبي الحقيّق ، وحصن الشقّ ، وحصن النطاة ، وحصن السلالم ، وحصن الوطيح ، وحصن الكتيبة « الكتيبة »[1]. وأقدم اشارة كتابية ورد فيها اسم « خيبر » نصّ « حرّان اللجاة » ويرجع تأريخه الى سنة أربعمئة وثلاث وستين من الاندقطية الأولى وتقابل سنة ٥٦٨ للميلاد . وقد ورد فيه جملة « بعد مفســد خيبر بعم »[2]. ولـكن ذلك لا يعنى أن خيبر من المواضع الحديثة التي سكنت بعد الميلاد ، إذ وجدت فى منطقته كتابات بحروف المسند وكتابات نبطية أقدم عهـداً من نص « حران » ، يفهم منها سكن فى هذه الأرض أقوام عاش بعضها قبل الميلاد . ولم يقم العلماء فى هذه المنطقة شأنهم في المناطق الأخرى من جزيرة العرب بحفريات علمية منتظمة . وليس بمستبعد أن يُعـثَرَ فيها على كتابات تكشف عن تأريخ هذه البقعة .

ولا نعرف من تأريخ خيبر غير هذا الذي قصّـه علينا الأخباريون عنها ، وهو مما له علاقة بالإسلام وبغزو الرسول لها وسقوطها في يده ، فتحدثوا عن وجود اليهود فيها وعن معارضتهم للرسول . والظاهر أنهم كانوا ذوي عدد فيها ، وكانوا قد استغلوا خيرات هذه الأرض فاشتغلوا بالزراعة والتجارة ، وكانت لهم فيها أموال ، ولحماية أنفسهم من غزو القبائل ، تحالفوا مع القبائل القوية للدفاع عنهم حين يدنو منهم خطر .

أما اليهود المسمون ببني قينقاع ، فكانوا يسكنون يثرب فى حيّ خاص بهم فى إطامين يقمان فى القسم الجنوبي الغربي من المدينة ، وسوق عرفت بالصياغة[3] ، فكانوا اذن فى بيأة عربيـة وأحياء عربية تألفت منها مدينة يثرب ، وكانوا أثرياء أغنياء ، محالفين للخزرج . وقدكانت بينهم وبين اخوانهم فى الدين من بني النضير وبني قريضة خصومات . وظلوا فى حيّهم هـذا يعيشون

(١) البلدان (٣/٤٩٥ وما بعدها) . Ency., II, p. 869. f., Caetani, annali, II/I, 8-33.
(٢) تحدثت عنها في الجزء الأول من هذا الـكتاب (١/١٧ وما بعدها) .
(٣) Ency., II, p. 645

بين المسلمين كما كانوا يعيشون بين المشركين الى أن حاصرهم الرسول ثم أمر باجلاءهم من المدينة بسبب ما أظهروه من عداوة للإسلام ، واتفاقهم مع المنافقين خاصة عبد الله بن أبي . فذهبوا الى وادي القرى حيث أقاموا بين أبناء دينهم ، ثم ارتحلوا الى أذرعات بالشأم (١) .

وبنو قريضة هم من يهود يثرب كذلك ، وكانوا يسكنون فى الأقسام الجنوبية من المدينة ، ويحالفون الأوس ، وقد اشتركوا معهم فى القتال فى يوم بعاث (٢) . وكانوا يشتغلون بالزراعة والتجارة ، فجمعوا منها ثروة طائلة ، وصار لهم فى المدينة شأن كبير .

وكان ليثرب مكان مهم فى هذه المنطقة عند ظهور الاسلام ، وفيها وفي أطرافها سكنت جاليات من يهود . ويثرب من المواضع التي يرجع تأريخها الى ما قبل الميلاد . وهى « يثرب » فى الكتابات المعينية (٣) . وكانت من المواضع التى سكنتها جاليات من معين ، ثم صارت الى السبئيين بعد زوال مملكة معين ، وعرفت بـ « Jathripa » فى جغرافيا « بطلميوس » وعند « اصطيفان البيزنطي » (٤) ، وعرفت بـ « المدينة » كذلك من كلمة « مدينتا Medinta » الارمية التى تعني « الحى » أي مدينة . على رأي المستشرقين . أما كلمة « المدينة » على أنها اختصار من « مدينة الرسول » ، فيرون أنه رأي متأخر قال به العلماء ، وأن اليهود المتأثرين بالثقافة الارمية ، أو بعض المتهودة من بني إرم الذين نزلوا فى يثرب دعوها « مدينتا » ، ومنها جاءت المدينة وهي تقابل كلمة « هكر » فى العربية اليمانية و « هجر » في العربية الشمالية ، ويراد بها « مدينة » . ولكن كلمة « مدينة » تغلبت على لفظة « هجر » ، وانتزعت مكانها (٥) .

وللأخباريين كعادتهم آراء فى الاسم ، قالوا إنها إنما سميت يثرب نسبة الى « يثرب بن قانيا بن مهلائيل

---

(١) ابن هشام (٢/٣٣٤) ، الواقدي (٩٤) ، السيرة الحلبية (٢/٢٧٣) ، ولفنسون (ص ١٣٠) .
(٢) Ency. , II, p. 1127.
(٣) الجزء الثالث من هذا الكتاب (ص ٣٩٥) .
Hartmann , Die Arabische frage , S . , 253 , Ency. , III , p. 83.
(٤) Ency. , III , p. 83 , A. Muller , Der Islam in morgen und Abendland , 1 , 29.
(٥) Ency., III , p. 83.

ابن إرم بن عبيل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح » ، وكان أول من نزلها فدعيت باسمه . وقالوا : بل قيل لها « يثرب » من التثريب ، وزعموا أن الرسول لما نزلها كره أن يسميها «يثرب» فدعاها « طيبة » و « طابة » (١) . وذكروا لها تسعاً وعشرين اسماً (٢) ، غير أن كلمة « المدينة » طغت على كل تلك الأسماء .

وتأريخ المدينة مثل سائر تواريخ هذه الأماكن التى نتحدث عنها ، مجهول لا نعرف من أمره شيئاً يذكر ، وأما ما يذكره الأخباريون عن وجود العماليق وجرهم بها ، فأمر ، وإن قالوه (٣) ، لا يستند الى دليل ، وحكمه حكم الأخبار الأخرى التى يروونها والتى عرفنا نوع أكثرها وطبيعته . ولكن الشيء الذي نعرفه يقيناً أن أهل المدينة كانوا ينتسبون عند ظهور الإسلام الى يمن وكانوا يقسمون أنفسهم فرقتين : الأوس ، والخزرج . وبين الفرقتين صلة قربى على كل حال . ثم يذكرون أنه كان بينهم يهود ، وهم على زعمهم من قدماء سكان يثرب .

وليس للذي يرويه الأخباريون عن مجيء اليهود الى يثرب فى أيام « موسى » سند . أما ما رواه بعض يهود الحجاز عن مجيء اليهود الى المدينة عند ظهور ملك الروم على اسرائيل ، ففيه شيء من الحق . ولم يعين أولئك الرواة اسم القيصر الذي في أيامه اضطر بعض اليهود الى الهجرة الى يثرب وأماكن أخرى من الحجاز . ويظهر من جملة « وذكر بعض علماء الحجاز من اليهود » (٤) التى استخدمها الأخباريون فى معرض كلامهم عن مجيء اليهود الى الحجاز ، أن اليهود أنفسهم كانوا المورد الذي موّن أولئك الأخباريين بتلك الأخبار .

وسكن اليهود كما يروى الأخباريون فى حصون ومواضع منيعة للدفاع عن أنفسهم عرفت بـ « الآطام » . وقد كان لهم منها فى يثرب وفي مواضع من وادي القرى (٥) . وهم فرق وجماعات ، منهم : قريظة ، والنضير ، وبنو قينقاع ، وبنو ماسلة وزعورا (٦) .

---

(١) البلدان (٨/٤٩٨ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٢٨٦) .
(٢) البلدان (٧/٤٢٥) .
(٣) البلدان (٧/٤٢٧ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٢٨٦ وما بعدها) .
(٤) البلدان (٧/٤٢٧) . (٥) Ency., II, p. 938. (٦) الكامل (١/٢٧٥) .

ويرجع الأخباريون مجيء الأوس والخزرج الى المدينة الى حادث سيل العرم ، ويقولون إنهم لما جاؤوا الى يثرب وجدوا اليهود وقد تمكنوا منها ، فنزلوا في ضنك وشدة ، ودخلوا في حكم ملوك يهود الى أيام ملكهم المسمى « الفيطوان » أو « الفيطون » « الفطيون » ، وكان رجلاً شديداً فظاً يعتدي على نساء الأوس والخزرج ، فقتله رجل منهم اسمه مالك بن العجلان ، وفر الى الشام الى ملك من ملوك الغساسنة اسمه أبو جبيلة . وفي رواية أنه فر الى « تبع الأصغر بن حسان » وتذكر الرواية أن أبا جبيلة سار الى المدينة ونزل بذي حرض ، ثم كتب الى اليهود يتودد اليهم ، فلما جاؤوا اليه قتلهم . فتغلبت من يومئذ الأوس والخزرج ، وصار لهم الأموال والآطام . ثم رجع أبو جبيلة الى الشام . وصارت اليهود تلعن مالك بن عجلان . وهم يروون في ذلك أبياتاً ينسبونها الى شاعر اسمه « الرمق بن زيد الخزرجي »[1] . ويذكر الأخباريون أن اليهود صورت مالك بن عجلان في كنائسهم وبيعهم ليراه الناس فيلعنوه[2] .

وأبو جبيلة عند بعض الأخباريين ، هو عبيد بن سالم بن مالك بن سالم أحد بني غضب ابن جُشَم بن الخزرج . فهو على هذه الرواية رجل من الخزرج ذهب الى ديار الشام ، فملك على غسان . وذهب بعض آخر من الأخباريين الى أنه لم يكن ملكاً ، وإنما كان عظيماً ومقرباً عند ملك غسان[3] .

وفي الرواية عن ملك اليهود وقدرتهم مبالغة على ما يظهر ، لا يستبعد أن تكون من صنع يهود يثرب . وعلى كل حال ان هؤلاء اليهود لم يكونوا كلهم من أصل يهودي ، بل كان منهم من هم من أصل عربي متهود . واذا فرضنا أن هذه الرواية صحيحة ، وأن شخصاً ساعد الأوس والخزرج على اليهود اسمه أبو جبيلة أو أحد تبابعة اليمن ، وأن ذلك كان في أيام سدّ مأرب ، فان هذا يعني أن هذا الحادث وقع حوالي سنة « ٥٤٢ م » في أيام أبرهة حاكم الحبشة على اليمن ، وفي أيام « الحارث بن جبلة الغسانيّ » . فهل قصد الرواة بأبي جبيلة « الحارث بن جبلة ؟

(١) البلدان (٤٢٨/٧ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) ، الكامل (٢٧٥/١) .
(٢) ابن خلدون (٢٨٧/٢) .
(٣) الكامل (٢٧٦/١) ، ابن خلدون (٢٨٦/٢ وما بعدها) .

ويظهر أن كلمة الأوس هي اختصار لجملة « أوس مناة » ، و « مناة » كما نعلم صنم من أصنام الجاهلية . وهو فى عرف النسابين أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبد الله بن الأزد[1] . ويلاحظ أن الأوس والخزرج لا يدعون أنفسهم بأبناء حارثة ، وإنما يدعون أنفسهم ببنى قيلة . ويقصدون بـ « قيلة » : قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة ، أو قيلة بنت هالك بن عذرة من قضاعة ، أوقيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة[2] . ولا بد ان يكون لهذه الامرأة التى ينتسبون اليها شهرة فى الجاهلية حملتهم على الانتساب اليها .

وينقسم الأوس الى بطون ، منهم : عوف ، والنبيت ، وجشم ، ومرّة ، وامرؤ القيس . وقد عرف « بنو مرة » بالجمادرة كذلك[3] . واتفقت جشم ومرّة وامرؤ القيس وكونت حلفا عرف بـ « أوس اللاة » . وبـ « أوس » كذلك . وانقسمت هذه الكتلة الى أربعة أقسام ، هي : ختمة وهى « جشم » في الأصل ، وأمية ، ووائل وهي مرة ، وواقف وهي امرؤ القيس . وانقسمت هذه البطون الى افخاذ عديدة ، حدثت بينها منازعات وحروب[4] .

وأما الخزرج ، فإنهم إخوة الأوس في عرف النسابين . فالخزرج ؛ وهو جد الخزرج ، هو شقيق أوس . وقد جاؤوا كما جاء الأوس من اليمن بعد حادث سيل العرم ، وسكنوا منطقة يثرب والى الشمال منها حتى « خيبر » و « تيماء » . وتأريخهم مثل تأريخ الأوس فى رأي الأخباريين بدأ بالاتصال باليهود وبالعيش معهم وبينهم الى أن تمكنوا منهم بعد الحادث الذى ذكرته وبعد مجيء أبي جبيلة لنصرتهم .

والخزرج أيضاً بطون ، أشهرها : بنو النجار وينتسبون الى تيم الله بن ثعلبة ، والحارث ،

---

(١) البلدان (٧/٤٢٨) ، « أوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان » ابن الأثير ، الكامل (١/٢٧٥) ابن خلدون (٢/٢٨٨) .

(٢) البلدان (٧/٤٢٨) ، الكامل (١/٢٧٥) .

(٣) الاشتقاق (ص ٢٥٩) .

(٤) Ency., I, p. 523.

وجشم، وعوف، وكعب[1]. ويلاحظ أن جُشَماً وعوفاً هما اسما بطنين أيضاً من بطون الأوس.

ويذكر الأخباريون أنه كان للخزرج رئيس منهم، هو عمرو بن الاطنابة، وقد ملك الحجاز. وكان ملكه على رأيهم في أيام النعمان بن المنذر[2] قتله الحارث بن ظالم قاتل خالد بن جعفر بن كلاب.

وبالرغم من صلة الرحم القريبة التي كانت بين الأوس والخزرج، فقد وقعت بينهما حروب هلك فيهـا من الطرفين خلق كثير. وأول حرب وقعت بين الأوس والخزرج هي على رواية الأخباريين حرب سمير. و «سمير» في روايتهم رجل من الأوس من بنى عمرو بن عوف، شتم رجلاً اسمه كعب بن العجلان، وهو من بنى ثعلبة من سعد بن ذبيان، نزل على مالك بن العجلان رئيس الخزرج وحالفه وأقام معه، ثم قتله. فثارت الثائرة بين الأوس والخزرج بسبب هذا القتل وبسبب دفع دية القتيل، ثم وقعت الحرب، فظفرت الأوس. ثم اتفقوا على أن يضعوا حكماً بينهم يفصل فى الأمر، فوقع اختيارهم على المنذر بن حرام النجّاري الخزرجي. وهو جدّ حسان بن ثابت، فحكم بينهم بأن يؤدوا لكعب دية الصريح، ثم يعودون الى سنتهم القديمة، وهي دفع نصف الدية عن الحليف. فرضوا وتفرقوا، ولكن بعد أن تمكنت العداوة والبغضاء فى نفوس الطرفين[3].

ولا أستبعد أن يكون مالك بن العجلان هذا الذى اتحدث عنه، هو مالك بن عجلان المذكور فى قصة تغلب الأوس والخزرج على اليهود بمعونة أبي جبيلة الغسّاني.

واشتعلت نيران حرب أخرى بين الأوس والخزرج بسبب امرأة من بنى سالم. وقد كانت الحرب في هذه المرة بين بنى جحجبا من الأوس وبنى مازن بن النجار من الخزرج. وقد وقعت فى موضع الرحابة انهزمت فيه بنو جحجبا[4].

---

(١) الاشتقاق (ص ٢٦٦).
(٢) ابن خلدون (٢/٢٨٩)، الأغاني (١١/١٢١ وما بعدها).
(٣) الكامل (١/٢٧٧)، الأغاني (٣/١٨ وما بعدها)، المفضليات (ص ١٣٥).
(٤) الكامل (١/٢٧٧) وما بعدها.

ثم تجددت الحرب بين بني عمرو بن عوف من الأوس وبني الحارث من الخزرج بسبب مقتل رجل من بني عمرو . وقد عرفت هذه الحرب باسم يوم السرارة . وكان على الأوس حضير بن سماك وهو والد أسيد بن حضير ، وكان على الخزرج عبد الله بن سلول المعروف برأس المنافقين . وقد انتهت بانصراف الأوس الى دورها ، فمدّت الخزرج ذلك نصراً لها (١) .

ووقعت حروب أخرى لأسباب تافهة كهذه الأسباب ، وما كانت لتقع لو لا هذه العصبية الضيقة يثيرها في الغالب أفراد لا منازل كبيرة لهم فى المجتمع ، ومنهم من هو من الصعاليك والمغمورين ، يقومون بأمور سخيفة ، فاذا وقع على أحدهم اعتداء نادى قومه للأخذ بثاره ، فتثور الحرب . ومن هذه الحروب ، حرب بني وائل بن زيد الأوسيين ، وبني مازن بن النجار الخزرجيين ، وحرب بني ظفر من الأوس وبني مالك من الخزرج ، وحرب فارع ، وحرب حاطب ، ويوم الربيع ، وحرب الفجار الأولى وهي غير حرب « الفجار » التي وقعت بين قيس وكنانة ، ثم حرب معبس ومضرس ، وحرب الفجار الثانية ، ثم يوم بعاث . وكان هذا اليوم آخر الأيام المشهورة التي وقعت بين الأوس والخزرج (٢) .

ويعد يوم بعاث من أشهر الأيام التي وقعت بين الأوس والخزرج . وكان رئيس الخزرج فى هذا اليوم عمرو بن النعمان بن صلاءة بن عمرو بن أميّة بن عامر بن بياضة . أما رئيس الأوس ، فكان حضير الكتائب بن سماك بن عتيك بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل . وقد ساعد الخزرج فى هذا اليوم أشجع من غَطَفان ، وجُهينة من قضاعة . وساعد الأوس مزينة من أحياء طلحة بن إياس ، وقريضة والنضير . وقد قتل فيه عمرو بن النعمان رئيس الخزرج ، فانهزم الخزرج ، وانتصرت الأوس (٣) .

وقد تخلل أخبار هذه الأيام كالعادة شعر ، ذكر أن شعراء الطرفين المتخاصمين قالوه على الطريقة المألوفة فى الفخر ، وفى انتقاص الخصم ، وفى إثارة النخوة لتصطلم الحرب ويستميت

---

(١) الكامل (١/٢٧٨ وما بعدها) . (٢) الكامل (١/٢٨٠ وما بعدها)

(٣) ابن خلدون (٢/٢٨٩ وما بعدها) ، ابن هشام (ص ٣٨٥) « طبعة وستنفلد » .
Ency., I, P. 768, Wustenfeld, I, S. 670.

أصحاب الشاعر في القتال. وقد كان المحلّق في هذه الأيام حسان بن ثابت الشاعر الشهير ، شاعر الرسول . وهو لسان الخزرج والمدافع عنهم ، و « قيس بن الخطيم » وهو من الأوس ، ثم جماعة ممن اشتركوا في المعارك ، مثل : عامر بن الإطنابة ، والربيع بن أبي الحقيق اليهودي ، وعبدالله بن رواحة ، وآخرين .

والإسلام هو الذى قضى على خصومات الأوس والخزرج ، فآخى بين الطرفين ، وشملتهم كلمة الأنصار ، ومن أهداف الإسلام الاتفاق والوحدة .

وقد ذكر الأخباريون أسماء جملة رجال من أهل يثرب ، قالوا إنهم كانوا يقرؤون ويكتبون ، مثل : سعيد بن زرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأبيّ بن وهب ، وغيرهم ، وذكروا أيضاً أن يهودياً كان يعلم الصبيان بها الكتابة [1] ، وأن من كان شجاعاً وشاعراً وكاتباً قيل له (الكامل) . وممن حمل هذا اللقب سويد بن صامت الأوسى [2] . ولكنهم لم يشيروا الى نوع الخط الذي كانوا يكتبون به ، ولا الى اللهجة التي كانوا يكتبون بها ، كما أنهم لم يعينوا نوع الخط الذي كان يكتب به يهود الحجاز ، ولعلهم أرادوا به قلم بني إرم الذي كان شائعاً فى الشرق الادنى فى ذلك العهد ، وكتب به اليهود فى جملة من كتب به .

وكما كانت المنافسة شديدة بين الخزرج والأوس ، كذلك كانت المنافسة عنيفة بين يثربَ مدينة الأوس والخزرج وبين مكة مدينة قريش قبل الإسلام وعند ظهور الإسلام . وقد تمثلت هذه المنافسة فى النسب أيضاً ، فأهل يثرب هم من اليمن كما رأينا ، فهم طارئون على هذه الأرض مهاجرون اليها . أما أهل مكة ، فهم عدنانيون من نسل اسماعيل ، وسكان البلد الحرام ، فهم من عدنان لا من قحطان . ولم يكن لقحطان شرف الإنتماء الى اسماعيل .

ومكة بلد في وادٍ غير ذي زرع ، تشرف عليها جبال جرد ، فتزيد فى قساوة مناخها . أما يثرب ، فبلد فى أرض خصبة ذات مياه غزيرة ، وبها زرع وضرع ؛ لذلك كان عماد حياة أهلها على الزراعة . وكان عماد حياة أهل مكة على التجارة ، وعلى الجباية التي تؤخذ من القوافل القادمة

---

(١) أبو عبد الله الزنجاني : تأريخ القرآن (ص ٥) . (٢) الأغاني (٣/٢٥) .

من الشام الى اليمن والصاعدة من اليمن الى الشام ، وعلى ما يصرفه الحجيج القادمون في المواسم المقدسة للتقرب الى الأصنام . وهناك مورد آخر درّ على أثرياء هذه المدينة المقدسة ربحاً كبيراً ، هو الربا الذي يتقاضونه من إيداع أموالهم الى المحتاجين اليها من رجال القبائل .

وهذه الفروق لا بد أن تحدث تبايناً في طراز معيشة أهل المدينتين وفى حياتهم الاقتصادية وطباعهم ، وهذا ما نجده واضحاً بيناً فى الأخبار التي دونها لنا الأخباريون عن أهل المدينتين .

ومكة بلد قديم ، وهي مدينة « مكربا Macoraba » التى ذكرت فى جغرافية بطلميوس[1] . ولا بد أن تكون أقدم عهداً من هذا الجغرافي الذي عاش في القرن الثاني بعد الميلاد . ومما يؤسف عليه أننا لم نعثر فيها حتى الآن على كتابات جاهلية تفصح لنا عن اسم هذه المدينة القديم وعن تأريخها قبل الإسلام . وإذا صحت تسمية بطلميوس لهذه المدينة ، وكانت قليلة التحريف قريبة من الأصل ، فإنها تعيد الى أذهاننا كلمة « مكرب » السبئية التي تحدثت عنها فى أثناء كلامي على السبئيين ، وقلت إنها تقابل كلمة « باتيسي » عند البابليين ، وإنها كانت اللقب الذى حمله الكهنة الحكام فى سبأ وفى بابل قبل دور الملوك ، وإن حاملها كان كاهناً وحاكماً . ومن الجائز أن نفسرها بـ « مقرب » في لهجتنا ، من التقريب الى الأصنام ، وأن « مكربا » هي « مقربة » أو شيء آخر قريب منه ؛ لأنها مدينة مقدسة تقرب الى الأصنام . ومما يؤسف عليه أن بطلميوس لم يتحدث عنها بشيء يفصح عن قدسية المدينة وعن مكانتها عند العرب فى أيامه ، وعن الأصنام التي كانت فيها ، وكذلك لم يرد لها خبر في النصوص العربية الجنوبية .

ولم يشر الأخباريون ولا من كتب في تأريخ « مكة » الى هذا الاسم الذى ذكره بطلميوس ، ولا الى اسم آخر قريب منه ، وإنما اشاروا الى اسم آخر هو « بكة » ، وقد ذكر هذا الاسم فى القرآن الكريم[2] . قالوا : إنه اسم مكة ، أبدلت فيه الميم باء ، وقال بعض الأخباريين : إنه بطن مكة ، وتشدد بعضهم وتزمت ، فقال : بكة موضع البيت ، ومكة ما وراءه ، وقال آخرون : لا . والصحيح البيت مكة وما والاه بكة . واحتاجوا الى إيجاد أجوبة فى معنى اسم مكة وبكة ،

(1) Ptolemy, Geography, VI, 7, 32.

(٢) آل عمران : ٦٩

فأوجدوا للاسمين معاني وتفاسير عديدة تجدها في كتب اللغة والبلدان وأخبار مكة [1] . وليست بكة في نظري الا لهجة من لهجات هذه القبائل التي تبدل الميم باء ، وتصرفات القبائل في بعض الأحرف معروفة حتى اليوم ، فلا حاجة الى دليل .

ولا نعرف اليوم من تأريخ مكة قبل الميلاد شيئاً . أما ما بعد الميلاد ، فلا نعرف من أمره غير ما كان ملاصقاً للإسلام ، وفي هذا الذى نعرفه كثير من الزيف . وقد زعم الأخباريون أن أقدم من حكم مكة والحجاز ، هم العمالقة ، ثم جاءتهم جرهم ونزلت على قطورا ، وكان على قطورا يومئذ « السميدع بن هوثر » ، ثم لحق بجرهم بقية من قومهم باليمن وعليهم مضاض بن عمرو بن الرقيب بن هانيء بن نبت بن جرهم ، فنزلوا بقعيقعان . وكانت قطورا بأسفل مكة ، وكان مضاض يعشر من دخل مكة من أعلاها ، والسميدع من أسفلها . ثم حـــدث تنافس بين الزعيمين ، فاقتتلا ، فغلب المضاض ، وقتل السميدع .

ومن جرهم تزوج اسماعيل على رواية الأخباريين ، وبلغتهم تكلم . تزوج امرأة أولى قالوا إن اسمها « حرا » وهي بنت سعد بن عوف بن هنيء بن نبت بن جرهم ، ثم طلقها بناءً على وصية أبيه ابراهيم له ، فتزوج امرأة أخرى هي السيدة بنت الحارث بن مضاض بن عمرو بن جرهم . وعاش نسله في جرهم ، والأمر على البيت لجرهم الى أن تغلبت عليهم بنو حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر ، وهم خزاعة في رأي بعض الأخباريين [2] .

وطبقت خزاعة على جرهم قانون الغالب ، فانتزعت منها الملك ، وزحزحتها عن مكة ، وأقامت عمرو بن لحيّ ـ وهو منها ـ ملكا عليها وكان دخول خزاعة مكة على أثر خروجها من اليمن بسبب تنبّؤ الكاهن بقرب انفجار السدّ في قصة يذكرها الأخباريون . وظلت خزاعة صاحبة مكة الى أن كانت أيام عمرو بن الحارث وهو أبو غبشان « غبشان » ، فانتزع قُصَيٌّ منه الملك ، وأخذه من خزاعة لقريش [3] .

(١) البلدان (٢/٢٥٦ وما بعدها) . (٢) ابن خلدون (٢/٣٣١ وما بعدها) .

(٣) ابن خلدون (٢/٣٣٢ وما بعـــدها) ، الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (١/٤٦ وما بعـــدها) « طبعة المطبعة الماجدية بمكة المـكرمـة » . (ص ٥١ وما بعدهـا) « طبعة وستنفلد لايبزك ١٨٥٨ م .

ويشير الأخباريون الى احترام التبابعة لمكة ، فيذكرون مثلاً أن التبع « أسعد أبو كرب » الحميري وضع الكسوة على البيت الحرام ، وصنع له باباً ، ومنذ ذلك الحين جرت العادة بإكساء البيت (١) . أما نحن فلم يصل الى علمنا شيء من هذا الذي يرويه الأخباريون ، مدوناً بالمسند ، كما أننا لا نعلم أن أصنام أهل اليمن كانت في مكة حتى يتعبد لها التبابعة . وقد أوجد الأخباريون ولا شك هذا القصص وأمثاله لتصورهم إن مثل هذا القصص سيرفع من شأن المدينة المقدسة في القدم ، ويجعلها كعبة العرب جميعاً قبل الاسلام .

وذكر الأخباريون أيضاً أن قريشاً كانت ترافد في كسوة الكعبة ، فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصي بن كلاب ، حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان من المثرين ، حصل على ثروته باختلافه الى اليمن ، والاتجار بها . فقام هو بإكساء الكعبة سنة ، وقريش جميعها سنة أخرى ، فعل ذلك حتى مات . وهناك رواية أخرى تزعم أن أول من كسا الكعبة هو اسماعيل ، ورواية اخرى أيضاً تزعم أن الكاسي الأول هو عدنان (٢) . وهي على كل حال روايات من هذا النوع المألوف وروده من الأخباريين . والشيء الوحيد الذي يمكن أن نطمئن اليه ، هو أن اكساء البيت كان معروفاً قبل الإسلام .

هذا مجمل تأريخ مكة على رواية الأخباريين منذ أيام العمالقة الى أن انتقلت السلطة الى قصيّ زعيم قريش .

لقد أشار القرآن الكريم الى نشاط أهل مكة في التجارة ، ومتاجرتهم مع الشام واليمن : « لإيلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » (٣) . قال المفسرون : إن رحلة الشتاء كانت الى اليمن ، أما رحلة الصيف فكانت الى الشام ، وإنهم كانوا يجمعون ثروة طائلة من الرحلتين تدر على قريش أرباحاً طائلة تعوضهم عن فقر بلادهم . ويظهر أن أهل هذه المدينة كانوا يساهمون

---

(١) وقد نسبت الى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بضعة أحاديث في هذا المعنى أعتقد أنها من الأحاديث المنسوبة اليه . الأزرقي (١/١٦٥) .
(٢) الأزرقي (١/١٦٦ وما بعدها) .
(٣) سورة قريش الآية الأولى .

جميعاً فى الاتجار ، فيقدم كل ما يتمكن تقديمه من مال ليستغله ويأتي له برزق يعيش عليه . ولذلك تعد عودة القافلة الى البلد آمنة مطمئنة بشرى وسروراً للجميع . ولهذا كان انتقال النبي من مكة الى المدينة ، وتحرش المسلمين بقوافلها سهم أصاب العضو الخطر في جسم قريش .

ولجهلنا بتأريخ مكة البعيد عن الاسلام ، لا نتمكن بالطبع أن نتحدث عن الزمن الذى ظهر فيه نشاط هذه المدينة في التجارة ، ولا عن الأعمال التي أدتها فى هذه المنطقة من الجزيرة . أما حديث الأخباريين عنها ، فلا يرتقي عهده عن الاسلام بكثير ، وقد جمع من أفواه أناس لم يكونوا بعيدي عهد عن الاسلام ، وكذلك من أفواه المخضرمين ، وليس لنا من أمل فى الحصول على معارف تأريخية بعيدة عن الاسلام إلا بالاعتماد على معاول علماء الآثار وتنقيباتهم ، لعلها تجد فى بطون أرضها ما يفصح عن أيامهم الخالية قبل الإسلام .

وقد استفادت مكة ولا شك كثيراً من التدهور السياسي الذى حلّ باليمن ، ومن تقلص سلطان التبابعة ، وظهور ملوك وامراء متنافسين ، اذ أبعد هذا الوضع خطر الحكومات اليمانية الكبيرة عنها ، وكانت تطمع فيها وفى الحجاز ، وأعطاها فرصة مناسبة لأخذ مكان تجار اليمن الذين تأثرت تجارتهم بتدهور الأوضاع السياسية وعدم الاستقرار ، واستفادوا كذلك بعد استيلاء الحبشة على اليمن ، والحبش حلفاء الروم . وقد كانت صلات تجار مكة بالروم وبالغساسنة حسنة جداً ، كما كانت صلاتهم حسنة بالحبشة كذلك (١) . وهكذا أفادت المصائب السياسية التي حلت بالعربية الجنوبية تجار مكة ، و « مصائب قوم عند قوم فوائد » .

وكانت قريش هي الظاهرة ، وفي يدها زعامة مكة عند ظهور الاسلام . وللغويين آراء في اشتقاق قريش وفي معناها (٢) . وتنتسب بطون قريش كلها الى « فهر » والى « النضر » والى « قريش » . و « قريش » فى عرف النسابين بطن من بطون « كنانة » ، و « كنانة » من « مضر » .

---

(١) W. Montgomery Watt, Muhammad at Meeca, London 1953, p. 13.

(٢) القاموس المحيط (٢/٢٨٣) .

وينسب النسابون « كنانة » الى « خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر »(١) . ويقولون إنها من قبائل تهامة ، وإنه كان لكنانة جملة أولاد ، ذكر ابن الكلبي منهم: النضر ، والنضير ، ومالكاً ، وملكان ، وعامراً ، وعمراً ، والحارث ، وعروان (عزوان) ، وسعداً وعوفاً ، وغنماً ، ومخرمة ، وجرولاً . وهم من زوجته « برة بنت مر » أخت « تميم بن مر » . ولهذا رأى النسابون وجود صلة بين أبناء هؤلاء الأولاد وقبيلة « تميم » . وأما « عبد مناة » ، فانه ابن كنانة من زوجته الأخرى ، وهي « الذفراء بنت هانىء بن بلي » من قضاعة . ولذلك عد أبناؤه من « قضاعة » .

وتفرع من « النضر » قريش ، ومن « مالك » ثعلبة بن الحارث بن مالك ، ومنهم : فراس بن غنم بن ثعلبة ، ومخدج بن عامر بن ثعلبة ، وفقيم بن عدي بن عامر . وتفرع من « عامر » القين ، ومن « عبد مناة » غفار ، وبكر ، وبلحارث ، ومُدلج ، وضمرة بن بكر ، وليث بن بكر ، والدئل بن بكر (٢) . وكل من ذكرناهم على رأي الأخباريين آباء وأجداد لقبائل كثر أتباعها ، وكانت تنتمي الى مجموعة « كنانة » عند ظهور الاسلام .

و « قصي » رئيس قريش ، هو الذي ثبت الملك في عقبه ، ونظم شؤون المدينة ، وقسم الوظائف والواجبات على أولاده حين شعر بدنو أجله . فلما أشرق الاسلام ، كانت أمور مكة في يد قريش .

وهو في عرف النسابين « قصي بن كلاب بن مُرَّةَ بن كعب بن لؤي بن فِهْر »(٣) . وأما أمه ، فهي « فاطمة بنت سعد بن سيل » . توفي أبوه وهو صغير ، وتزوجت أمه بعد وفاة « كلاب » أبيه من رجل من بني عُذْرَةَ هو ربيعة بن حرام . ولصغر سن قصي ، أخذته أمه

---

(١) الاشتقاق (ص ١٨ ، ١٠٤ وما بعدها) .

(٢) نهاية الأرب (٢/٣٥٠) ، القلقشندي ، صبح الأعشى (١/٣٥٠) الاشتقاق (١٠٥ وما بعدها) . Ency., II, PP. 1017.

(٣) واسمه « زيد » وكنيته « أبو المغيرة » ، وانما سمى « قصي » قصياً لبعده عن دار قومه . ابن الأثير (٢/٧ وما بعدها) .

معها الى أرض زوجها في بني عذرة ، على مقربة من تبوك ، وتركت أخاه الأكبر « زهرة » فى أهله بمكة . ولما شب قصيّ وترعرع ، وعرف من أمه أصله وعشيرته ، رجع الى قومه ، فنزل بمكة ، وتعرف على متولي البيت اذ ذاك واسمه « حليل بن حبشية » ، وهو من خزاعة ، وتزوج بنته ، فولدت له عبد الدار وعبد منافٍ وعبد العزّى وعبد قصيّ . فلما توفي « حليل » ، رأى قصيّ أنه أولى من خزاعة بولاية البيت . ولما نازعوه في ذلك ، استنفر رجال قريش ، وكتب الى أخيه رزاح فى عذرة يستنصره ، فحدثت بينه وبين خزاعة مناوشات انتهت بانتصاره عليهم . فقسم مكة بين قومه ، وأسكنهم إياها ، وزال بذلك ملك خزاعة عن هذا البلد (١) .

وفى رواية أخرى أنه اشترى ولاية البيت من « أبي غبشان » — وهو من خزاعة — بزّق خمر وبعود . فلما سمعت خزاعة ذلك ، تجمعت على قصي ، فوقعت الحرب . ويذكرون هذه القصة تفسيراً للمثل الذي يروونه وهو « أخسر صفقة من أبي غبشان » (٢) . ويذكر الأخباريون أن هذا الشراء كان فى أيام المنذر بن النعمان ملك الحيرة (٣) ، وعلى ذلك يكون انتقال الحكم من خزاعة الى قريش على مكة فى هذا العهد .

وهناك رواية تذكر أن القتال حينما اشتد بين قصيّ وخزاعة ، واحتدم القتل ، تداعوا الى الصلح على أن يحكم بينهم عمرو بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، فوافق . فكان حكمه أن قصيّاً أولى بالبيت ومكةَ من خزاعة ، وأن كل دم أصابه من خزاعة موضوع ، فيشدخه تحت قدميه ، وأن كل دم أصابت خزاعة وبنو بكر حلفاؤهم من قريش وبني كنانة ، ففى ذلك الدّية مؤداةً . وبذلك انتصر قصيّ على خصومه . ويقولون إن « عمراً » سمي منذ ذلك الحين الشدّاخ ، بما شدخ من الدماء (٤) .

وفي حديث الأخباريين عن مكة أن « صوفة » ، وهي قبيلة من جرهم ، كانت تصيب بمكة من يلي الإجازة بالناس من عرفة . ثم أخذتها منها خزاعة وأجازوا مدة . ثم عدا عليهم بنو عدوان بن عمرو بن قيس ، فأخذوها منهم ، حتى صارت الى رجل منهم يقال له أبو سيارة أحد بني سعد ، وكان يتقدم الناس وهو على حماره ، ثم يخطبهم ، فمتى انتهى من خطبته يقول :

---

(١) ابن الأثير (٢/٧ وما بعدها) ، الأزرقي (ص ٥٥ وما بعدها) « طبعة الماجدية » ، « ص ٦٥ وما بعدها » « طبعة وستنفلد » .

(٢) ابن الأثير (٢/٨) . (٣) بلوغ الأرب (١/٢٤٦ ومابعدها) . (٤) ابن الأثير (٢/٨) .

« أشرق ثبـير ، كيما نُغير » ، ثم ينفر ويتبعه الناس . وكان أبو سيارة في أيام قصيّ . فلما قوي أمر قصيّ ، أتى أبا سيّارة وقومه فمنعه من الإجازة ، وقاتلوا عليها ، فهزمهم قصيّ وصار البيت الحرام الى قصيّ »(١) .

ويزيد الأخباريون أن قصيّاً بعد أن تمت له الغلبة جمع قومه من الشعاب والأودية والجبال الى مكة ، فسُمّي لذلك مجمّعاً ، وأنه حكم منذ ذلك الحين فيهم ، وملك عليهم . فكان أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكاً ، وأطاعه قومه به ؛ وأنه قسم مكة أرباعاً بين قومه ، فبنوا المساكن ، واستأذنوه بقطع الشجر ، فمنعهم ، فبنوا والشجر في منازلهم ، ثم إنهم قطعوه بعد وفاته ، وأن قريشاً تيمنت به ، فكانت لا تعقد أمراً ، ولا تفعل فعلاً إلا في داره ، وأنه اتخذ داراً هي « دار الندوة » وبابها الى المسجد ، وفيها كانت قريش تقضي أمورها . وكان أمره مطاعاً لا يرد . ولما مات دفن بالحَجُونِ(٢) .

و « دار الندوة » هي مثل « المزود » عند اليمانين ، دار مشورة في أمور السلم وفي أمور الحرب ، ومجلس المدينة التي عرف رؤساؤها كيف يحصلون على الثروة وكيف يستعيضون عن فقر أرضهم بتجارة تدر عليهم أرباحاً عظيمة وبخدمة يقدمونها الى عابدي الأصنام ، جاءت اليهم بأموال وافرة من الحجيج . في هذه الدار يجتمع الرؤساء وأعيان البلد للتشاور في الأمور والبت فيها . وفي هذه الدار أيضاً تجرى عقود الزواج ، وتعقد المعاملات ، فهي دار مشورة ودار حكومة في آن واحد ، يديرها « المَلأ » ، وهم مثل أعضاء مجلس شيوخ « أثينا » الذين كانوا يجتمعون في « المجلس Ekklesia » للنظر في الأمور(٣) . يمثلون زعماء الأسر ورؤساء الأحياء . وأصحاب الرأي والمشورة للبت فيما يعرض عليهم من مشكلات(٤) .

ويذكر أن قصيّاً بعد أن تمكن من مكة ، حفر بها بئراً اسماها « العجول » ، وهي أول بئر حفرتها قريش(٥) .

وقد أنكر بعض المستشرقين وجود « قصيّ » ، وعدّوه شخصية خرافية من شخصيات الأساطير ، واستدلوا على ذلك بالأقاويل التي رواها ابن الكلبي وابن اسحاق وابن جريج عنه ، وهي ذات طابع قصصي(٦) . غير أن هذه المرويّات لا يمكن أن تكون دليلاً قويّاً وسنداً

---

(١) بلوغ الأرب (٢٤٨/١) . (٢) ابن الأثير (٩/٢) . (٣) Watt, P. 9.
(٤) O'leary, P. 183. (٥) ابن الأثير (٩/٢) . (٦) Ency., Vol., II, PP. 1158.

يستند اليه في إنكار وجود رجل اسمه قصيّ . وإذا كان ما قيل عنه خرافة ، فلن تكون هذه الخرافة سبباً لإنكار وجود شخص قيلت عنه .

ولم نعثر في نصوص المسند على اسم رجل يدعى قصيّ ، إنما ورد في النصوص النبطية اسم علم لأشخاص . وهذا الإسم هو اسم صنم في الأصل ، بدليل ورود عبد قصيّ . أما حديث الأخباريين عن أصله وفصله ، فهو مما لا قيمة له . وقد ابتدعته مخيلتهم على الطريقة المألوفة في اختراع تفاسير لأسباب التسميات . والظاهر أن هذا الاسم من الأسماء التي كان يستعملها العرب النازلون في أعالي الحجاز وربما في بلاد الشام .

وذكر الأخباريون أن الذين سكنوا في ظاهر مكة من قريش (وهم : بنو بغيض بن عامر بن لؤي ، وبنو الأدرم بن غالب بن فهر ، وبنو محارب بن فهر) هم جماعة من بني الحارث بن فهر ، عرفوا بقريش الظواهر ، وكانت تغير وتغزو . وأما الذين سكنوا مكة حول البيت ، فعرفوا بقريش البطاح ، وعرفوا أيضاً بقريش الضبّ للزومهم الحرم [1] .

ويظهر من هذا التقسيم الذى جرى عليه الأخباريون ، أن قريش الظواهر كانت متبدية ، أو شبه مستقرة ، ولم تكن حالتها المالية حسنة ؛ أما قريش البطاح ، فقد استقرت واتخذت التجارة ورعاية البيت الحرام مورداً تتعيش منه ، وحصلت بذلك على مال عظيم .

ولما أسنّ قصيّ جعل لابنه « عبد الدار » على حد رواية الأخباريين « دار الندوة » و « الحجابة » أي حجابة الكعبة و « اللواء » ، فكان يعقد لقريش ألويتهم ، و « السقاية » وهي سقاية الحاج و « الرفادة » وهي خرج تخرجه قريش في كل موسم من أموالها الى قصيّ ليصنع به طعاماً للحاج يأكله الفقراء ، وكان قد قال لقومه : « إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإن الحاج ضيف الله وزوّار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج » . ففعلوا ، فكانوا يخرجون من أموالهم ، فيصنع به الطعام أيام منى ؛ ويذكر الأخباريون في تعليل إعطاء عبد الدار هذه الامتيازات أن عبد الدار كان ضعيفاً ، وأن عبد مناف شقيقه كان قد ساد في حياة أبيه ، فأراد قصيّ بذلك تقويته بهذه الامتيازات [2] .

---

(١) ابن الأثير (٢/٨) .

(٢) ابن الأثير (٢/٩) ، راجع عن ولد « قصي » : كتاب نسب قريش لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري ، تحقيق « ليفي بروفنسال » « القاهرة ١٩٥٣ » (ص ١٤) .

ويذكر الأخباريون أن بني عبد مناف أجمعوا على أن يأخذوا من بني عبد الدار « الرفادة » و « السقاية » ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد الدار ، وطائفة مع بني عبد مناف . وتحالف كل قوم حلفاً مؤكداً ، وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً ، فوضعوها عند الكعبة ، وتحالفوا ، وجعلوا أيديهم في الطيب ، فسموا المطيبين . وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم ، وتحالفوا ، فسموا الأحلاف ، وتعبوا للقتال ، ثم تداعوا الى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة ، فرضوا بذلك ، وتحاجز الناس عن الحرب . واقترعوا عليها ، فصارت لهاشم بن عبد مناف (١) .

واسم « هاشم » على رواية الأخباريين « عمرو » ، وهو أكبر أولاد عبد مناف ، وقد ولي من أبيه السقاية والرفادة . ويظهر من وصف الأخباريين له أنه كان تاجراً ، له تجارة مع بلاد الشام ، وأنه كان على صلة حسنة بالروم وبالغساسنة ، وأنه تُوُفِّيَ بغزة ، بفلسطين .

ويتبين من روايات الأخباريين عن زعماء قريش أنهم كانوا تجاراً ماهرين ، وأنهم كانوا يسافرون الى الخارج للتجارة ، وكانت لهم صلات بالسلطات الأجنبية ، وأن بعضاً منهم توفوا في سفرهم من الحجاز ، كمثل « هاشم » الذى أشرت اليه ، ومثل « نوفل » وهو شقيق هاشم كذلك ، وقد توفي بـ « سلمان » من طريق العراق ، ومثل « عبد المطلب » وقد توفي بـ « ردمان » من أرض العراق كذلك (٢) .

ويذكرون أيضاً أن هاشماً وإخوته كانوا على صلات بحكومات ذلك الزمن كالروم والفرس وتبابعة اليمن والحبشة ، وأنهم نالوا عطاياها (٣) . ورواية الأخباريين هذه تدل على النشاط الذي أبداه أهل مكة في التجارة ، وعلى رغبتهم في الاتصال بجميع الحكومات للحصول على مغانم وأرباح .

ومن ولد هاشم « عبد المطلب » ، وأمه من أهل يثرب من بني النجار ، فهي خزرجية تدعى سلمى بنت عمرو بن زيد . تزوجها هاشم في أثناء رحلة من رحلاته التي كان يقوم بها الى الشأم للإتجار . ولما مات هاشم بغزة ولدت سلمى « عبد المطلب » ، ومكث عند أخواله سبع سنين ،

(١) ابن الأثير (٢/ ٩) . (٢) ابن الأثير (٢/ ٧) . (٣) ابن الأثير (٢/ ٧) .

ثم عاد الى قومه بمكة ، عاد به عمه « المطلب » . ولما كبر تولى « السقاية » و « الرفادة » ، وتزعم قومه ، وحفر لهم بئر « زمزم » . وهي بئر يذكرون أنها بئر اسماعيل ، وأن « جرهماً » دفنتها ، وأنها تقع بين « إساف » و « نائلة » في موضع كانت قريش تنحر فيه . فلما حفرت ، أقبل عليها الحجاج ، وتركوا سائر الآبار [1] .

وفي أيام عبد المطلب كانت حملة « ابرهـة » على مكة . حدثت في السنة التي عرفت بـ « عام الفيل » ، وهي السنة التي ولد فيها الرسول ، وتوافق سنة « ٥٧٠ م » . وقد ذكر « بروكوبيوس » أن الروم ، وهم حلفاء الأحباش ، حرضوا « أبرهة » على مهاجمة الفرس ، فلم يهاجمهم إلا بعد لأي ، ثم أوقف هجومه وتراجع . ولم يشر هذا المؤرخ الى المواضع التي هاجمها والأماكن التي كان الفرس فيها ، فهل أراد بذلك مسير أبرهة لفتح مكة وبقية مدن الحجاز ليهاجم من هناك العراق وحدود انبراطورية الفرس ، وليمهد بذلك الطريق الى الاتصال بالروم ، أو أنه عنى مهاجمة الفرس من مواضع أخرى تقع في العربية الجنوبية أو سواحل الخليج ؟

وينسب الأخباريون حملة أبرهة على مكة الى تدنيس رجلين من كنانة (القُلَّيْس) التي بناها أبرهة في اليمن ، لتكون محجة للناس . فلما بلغ أبرهةَ خبرُ التدنيس كما يقولون ، عزم على السير الى مكة لهدم الكعبة ، فسار ومعه جيش كبير من الحبش وأهل اليمن . فلما وصل الى الطائف ، أعطته ثقيف دليلاً هو « أبو رغال » ، ليرشد الحملة في طريقها الى مكة . فلما بلغ أبو رغال موضع المغمس ، مات ، ودفن هناك . وأخذ الناس يرجمون قبره ، لخيانته ، وصار سبة للناس [2] .

واستمرت حملة أبرهة على مكة ، فلما كانت على الأبواب تتهيأ للزحف ، أصيبت بمرض تفشى فيها ، أجبر أبرهة على الرجوع بسرعة ، تاركاً البيت وشأنه . وقد أشير الى هذا الحادث في القرآن الكريم في سورة الفيل [3] .

---

(١) ابن الأثير (٢/٥ وما بعدها) . (٢) الأزرقي (ص ٨٥ وما بعدها) « طبعة الماجدية » .

(٣) ١ ، ك ١٠٥

وقد كانت بمكة جالية كبيرة تنتسب الى الجنس الذى ينتمي اليه أبرهة ، عرفت بين أهلها باسم « الأحابيش » . وهم سود البشرة من أصل إفريقي ، اشتراهم أثرياء مكة للعمل لهم فى مختلف الأعمال ولخدمتهم . والرقيق اذ ذاك وفى عصر لم تكن الآلات « الميكانيكية » فيه معروفة ، بضاعة ضرورية لابد منها لأهل المال ، تدر عليهم ارباحاً عظيمة . انهم آلات ذلك الزمن ، ومصدر من مصادر الاستغلال للحصول على الثروة ، كما أنهم سلاح يستخدم للدفاع عن السادة الأثرياء فى أيام السلم وفى أيام الحرب . ومكة وهى بلد الأثرياء والتجار لابد لها من استيراد هذه الآلات البشرية للاستعانة بها في تمشية الأعمال ، وفي توسيع التجارة وزيادة رؤوس المال(١) . كما كانت بين الحبشة وساحل إفريقيه الشرقي وبين مكة صلات تجارية وأعمال ، وكان كبار مكة يقصدون تلك الأماكن قبل الاسلام لشراء ما يحتاجون اليه من أموال لبيعها في أسواق بلاد الشام ، ولبيع ما جاؤوا به من بضاعة من العراق ومن بلاد الشام ، والاتجار بالرقيق كذلك . ولما ظهر الإسلام ، كانت حكومة الحبشة على النصرانية ، ولذلك أوعز الرسول الى المسلمين الأولين بالهجرة الى الحبشة ، لأنهم كانوا أصحاب دين ، فهم أقرب الى الإسلام من عبدة الأصنام .

وقامت بخدمة قريش طائفة أخرى من الآلات الحيّة ، هى أدق عملا وأحسن خدمة وأرق في الانتاج ، استوردت من الشمال من بلاد الشام والعراق(٢) ، هى الأسرى البيض الذين كانوا يقعون في أيدي الفرس أو الروم أو القبائل المغيرة على الحدود ، فيباعون فى أسواق النخاسة ، ومنها ينقلون الى مختلف أنحاء الجزيرة للقيام بمختلف الأعمال . يضاف الى هؤلاء ، الرقيق المستورد من أسواق أوربة ، لبيعه فى أسواق الشرق . وأسعار هذه البضاعة وان كانت أغلى ثمناً من أسعار البضاعة المستوردة من إفريقية ، إلا ان الجودة فى الانتاج والتفنن فيه ، والبراعة فى

---

(١) راجع مقال الأب لامانس في مجلة المشرق ، السنة الرابعة والثلاثين (١٩٣٦) (ص ١ وما بعدها) (ص ٥٢٧ وما بعدها) ، وعنوانه « الأحابيش والنظام العسكري في مكة » .

(٢) ابن الأثير (١٠٣/٢) .

الصناعات التي لا تعرفها بضاعة الجنوب تعوض عن هذا الفرق .

ومن جملة ما وُكِلَ الى موالي العراق وبلاد الشام والروم وغيرهم من ذوي البشرة البيضاء من أعمال ، ادارة المبيعات ، والقيام بالحرف التي تحتاج الى خبرة ومهارة وفن ، وهي من اختصاص أهل المدن والمستقرين ، مثل أعمال البناء والنجارة الدقيقة . وقد أشار أهل السير الى عامل رومي استخدم في بناء الكعبة فى الحادث الذى وضع فيه الرسول بيده الحجر الأسود ، كما استعان الخلفاء بقياصرة الروم لامدادهم بالبنائين الحاذقين .

وهذه البضاعة التى استوردتها قريش من الخارج ، وإن كانت تابعة ، تؤمر فتفعل ، وتكلف فتستجيب . غير أنها كانت بضاعة حيّة ، لها قلب نابض ، ودماغ يعمل ، ولحم ودم ، ولبعضها علم وفهم ومعرفة تفوق معرفة أصحابها المالكين لها . فبضاعة هذا شأنها لابد أن تترك أثراً فى البيأة التى استوردت اليها . والأخباريون الذين هم مرجعنا الوحيد في رواية أيام الجاهلية قبيل الإسلام ، وان لم يحدثونا عن أثر هؤلاء القوم فى نفوس أسيادهم والذين اختلطوا بهم ، نستطيع بالاعتماد على نقد بعض النتف من رواياتهم أن نصل الى هذه النتيجة التى هى شيء طبيعي وأمر ليس بغريب ، نتيجة تقول إن هـذه البضاعة تركت في نفوس أهل مكة وفي نفوس العرب الآخرين ممن كان لهم رقيق ، أثراً ليس الى انكاره من سبيل ، وان بعض المصطلحات الفارسية والرومية والحبشية التى كانت معروفة عند العرب قبيل ظهور الإسلام ، والتى اكدوا ، أنفسهم أنها لم تكن عربية ، ولا سيما ما كان يتعلق منها بالصناعات والأعمال التى يأنف العربي من الاشتغال بها ، إنما دخلت لغتهم وشاعت بينهم من طريق هؤلاء(١) .

ولم يشر الأخباريون الى الديانة التى كان عليها أحابيش مكة ، ولكن الذى نعرفه أن الديانة الرسمية لحكومة الحبشة فى ذلك العهد كانت النصرانية . غير أن هذا لا يعني أن الحبش كانوا كلهم على هذا الدين ، فقد كانت الوثنية منتشرة بين سواد الناس ، ثم إن هؤلاء الأحابيش لم

---

(١) مسلم : الصحيح (٢/١٨٩) ، أسد الغابة (٥/٥٧٩) المشرق : السنة الخامسة والثلاثين (١٩٣٧) (ص ٨٢) .

يكونوا جميعاً من الحبشة ، بل كانوا من نواحيَ متعددة من الساحل الإفريقي الشرقي ، ومن أرَضين لم تكن النصرانية منتشرةً بينها . لذلك لا نستطيع الجزم بأن أحابيش مكة وسودان الجزيرة كانوا كلهم نصارى ، بل كان بينهم من يتعبد للأوثان .

أما الروم ، فقد كانوا على النصرانية . وقد ذكر الأخباريون أسماء بعضهم من نزلاء مكة تشير بوضوح الى تنصرهم . ومنهم من كان يشرح للناس أصول هذا الدين ، ولا يستبعد ان يكون بينهم جماعة من المبشرين ، فقد كان المبشرون يطوفون أنحاء الجزيرة للدعوة الى النصرانية، وقد شجعت حكومة الروم هذا التبشير ، وأرسلت مبشرين منها لمآرب سياسية بعيدة الأهداف ولكسبهم اليهم ولمحاربة أعدائهم الفرس بهذا السلاح . وفى القرآن الكريم آيات تشير الى وجود نصارى في مكة كانوا يتباحثون فى أمور الدين « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ . لسان الذى يلحدون اليه أعجميٌ ، وهذا لسانٌ عربيٌّ مبين »[1] . « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قومٌ آخرون . فقد جاؤوا ظلماً وزورا »[2] . « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا »[3] .

ومن هؤلاء النصارى كما يفهم من القرآن الكريم من لم يكن يفقه العربية ، وإنما كان يتكلم بلسان أعجمي أو بعربية ركيكة . ومنهم هذا الذى أشارت الآية اليه « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ . لسان الذى يلحدون اليه أعجميٌّ وهذا لسان عربيٌ مبين » وقد ذكر المفسرون اسمه فى صور مختلفة ، وقال ابن هشام فى شرحها : « وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما بلغني ، كثيراً ما يجلس عند المروة الى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر ، عبد لبني الحضرمي . وكانوا يقولون : والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلاّ جبر النصراني ، غلام بني الحضرمي . فأنزل الله عز وجلّ فى ذلك من قولهم : ولقد نعلم »[4] . وهناك أشخاص آخرون

---

(١) النحل : (١٦/١٠٤ وما بعدها) . (٢) الفرقان : (٢٥/٥) .

(٣) الفرقان (٢٥/٦) . (٤) ابن هشام : السيرة (ص ٢٦٠) .

كانوا موالي لا يحسنون العربية ولا يجيدون النطق بها [1] .

وفي جملة من أشار اليهم أهل السير من النصارى الذين كانوا بمكة ، رجل اسمه « نسطاس » ، وكان من موالي صفوان بن أمية [2] ، ونسطور الرومي ، ويوحنا مولى صُهَيب الرومي ، وصهيب الرومي نفسه وهو من الصحابة جاء من بلاد الشام ، ونزل بمكة وتشارك مع مثري قريش عبد الله بن جُدْعان ، ثم استقل عنه ، وصار ثرياً من أثرياء مكة . ثم دخل في الإسلام [3] . ومنهم مولى يوناني تزوج سمية أم بلال [4] . وقد بقي نفر من النصارى محتفظين بدينهم بمكة في أيام الرسول [5] .

وفي حديث الأخباريين عن بناء الكعبة أن قريشاً استعانت بعامل من الروم أو من الأقباط اسمه باقوم ، كان نجاراً مقيماً بمكة في تسقيف البيت . وفي حديث آخر لهم أن هذا الرجل كان في سفينة جهزها قيصر الروم لبناء كنيسة ، وقد شحنها بالرخام والخشب والحديد ، فجنحت عند « الشعيبة » ، فاستعانت قريش بما تبقى من أخشابها وبخبرة هذا الرومي في تسقيف البيت [6] .

وفي كتب السير وكتب تراجم الصحابة أسماء جوار يونانيات أو من بلاد الشام أو من العراق ، وقد تزوجن في مكة وتَنَسَّلْنَ ذرية كانوا فيها قبل الإسلام . وقد كان منهن في مواضع أخرى من الجزيرة بالطبع .

ولا يستبعد « أوليري » أن يكون من بين تجار الروم في مكة من كان عيناً للبيزنطيين على العرب ، يتجسس لهم ، ويتسقط أخبارهم ويكتب لهم عن صلاتهم بالفرس ، وعن أنباء الفرس في الجزيرة واتصالهم بالقبائل ، لشدة حاجة الروم الى تلك الأخبار لإفساد خطط الفرس وابعادهم

---

(1) الواحدي : (أسباب النزول (٢١٢) ، أسد الغابة (٣/١٣١) (٥/١٩٤ ، ٦٦٢) .

(2) الأغاني (٤/٤٢) ، ابن هشام : السيرة (٦٤٠) ، الواقدي (٢٥٣) ، أسد الغابة (٢/٢٣٠) ، المشرق : الجزء المذكور (ص ٨٨) .

(3) ابن هشام (٣٢١) .

(4) المشرق : الجزء المذكور (ص ٨٩) .

(5) « ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصراني بمكة ديناراً كل سنة » ، كتاب الخراج : ليحي بن آدم (٥٣) ، ابن سعد : الطبقات (١/٣٩) ، المشرق : العدد المذكور (ص ٩٥) .

(6) الطبري (٢/٢٠٠) ، السيرة الحلبية (١/١٤٣) Ency., III, P. 584.

عن الجزيرة[١] ، والعالم يومئذٍ معسكران متخاصمان : معسكر للروم ، ومعسكر للفرس .

ويعود قسط كبير من وجود الكلمات الحبشية والرومية والفارسية فى العربية الى الرقيق الأسود والأبيض . وهذه الكلمات هي مسميّات لأمور غريبة عن العربية دخلت اليها من الخارج فاستعملت كما وردت ، أو صقلت حتى لاءمت اللسان العربي ، كما حدث ويحدث فى اللغات الأخرى ، وعربت وصارت من ألفاظ العربية . وقد تلاحق قسماً منها علماء اللغة ، فوضعوا فيها كتباً بحثت في تلك المعرّبات ، وفي القرآن الكريم طائفة منها لم يغفل عنها أرباب اللغة والمفسرون . ولكن قسماً منهم قد بالغ فى الحكم على كلم عربى أصيل لم يعرفوا أصله ، فجعلوه في المعربات المنقولة عن الفارسيه أو الرومية أو الحبشية أو السريانية ، مثل كلمة : تأريخ ، وهي كلمة عربية قديمة استعملت فى نصوص العربية الجنوبية ، فقالوا : إنها فارسية وإنها من أصل كذا وكذا ... ودراسة هذه الكلمات تحتاج الى بحوث لغوية مقارنة ، والى رجوع الى نصوص وأمور أخرى لم تتهيأ لأولئك العلماء الماضين ولا لعلمائنا الحاضرين من العرب والمستشرقين ، نرجو أن تتوفر فى المستقبل ، لتكون لنا دراسات علمية مبنية على قواعد متينة سليمة للحكم .

ولمركز مكة ونشاطها فى التجارة ، توافد عليها أيضاً تجار من الخارج من بلاد الشام مثلاً ومن الروم والفرس وغيرهم . ساكنوا المكيين وتحالفوا مع أثريائهم ، ومنهم من أقام فيها فى مقابل دفع جزية لحمايته ولحفظ أمواله وتجارته . وكان تجار بلاد الشام خاصة يجلبون القمح والزيوت والخمور الجيدة الى تجار مكة . وقد اتخذوا مستودعات فيها لخزن بضاعتهم هذه ولتصريفها . وقد ورد فى كتب السير والرجال أسماء بعض من هؤلاء ممن كانوا من بلاد الشام في الأصل ثم سكنوا بمكة ودخلوا فى الإسلام ، من أمثال تميم الداري[٢] وكَيْسان[٣] .

وقد أدى نشاط بعض أسر مكة فى التجارة الى حصولها على ثروات كبيرة طائلة . وقد ساهم رجل واحد من أهل هذه المدينة هو « أبو أُحَيْحَة » بثلاثين ألف دينار في رأس مال القافلة

---

(١) O'leary . P. 184.

(٢) أسد الغابة (١٤٥/٥) ، الأزرقي (٣٧٥) .
المشرق : الجزء المذكور (ص ٩٢) .

(٣) أسد الغابة (٢٥٩/٤) .

التي تولى قيادتها أبو سفيان . ومبلغ مثل هذا ليس بشيء قليل بالنسبة الى الوضع المالي فى تلك الأيام ، كذلك كان عبد الله بن جدعان والوليد بن المغيرة المخزومي من أثرياء مكة . وقد اشتهرت بنو مخزوم بالثروة والمال[1] .

وكان اتصال تجار مكة بالعراق اتصالاً وثيقاً كذلك ، كالذى يبدو من روايات الأخباريين عن وفاة رجال من أشراف قريش وتجارها في أثناء ذهابهم الى الحيرة أو فى أثناء عودتهم منها ، وكالذى ذكروه من وجود صلات بين ملوك الحيرة ومكة[2] ، وكالذى رووه من أخذ أهل مكة الخطّ من أهل الحيرة : تعلمه كما يقولون أناس منهم ذهبوا الى الحيرة ، فلما عادوا ، نقلوه فى جملة ما نقلوه من تلك المدينة الى مكة .

والواقع أننا لا نستطيع أن نقول إن الخطّ الذى نكتب به الآن أخذ عن أهل اليمن الذين كانوا يستعملون المسند فى كتاباتهم الرسمية على الأقل كالذى رأيناه فى نصّ أبرهة المدون على سدّ مأرب ، الذى لا يبعد كثيراً عن الإسلام . فبين المسند والقلم الأول الذى كتب به كتاب قريش وأهل المدينة فرق كبير بيّن ظاهر ، يتبين في هذا الذي وصل الينا مدوناً في أقدم الكتابات العربية الاسلامية من أحجار قبور أو مكتوبات على الصخور أو على الرق وما شاكل ذلك من مواد . ولعل ـ لانتشار القلم النبطي المتأخر المشتق من قلم بني إرم فى العراق وفي بلاد الشام وسهولته وارتباط حروفه بعضها ببعض ارتباطاً تتألف منه الكلمات التي تميز بوضوح بعضها عن بعض ـ دخلاً في أخذ كتاب قريش قلمهم من هذا القلم ، وصقله صقلا تولد منه القلم الذى دوّن به القرآن الكريم وأحجار القبور والمدونات الأخرى .

وكانت « الشعيبة » ميناء مكة ، اليها ترد السفن قبلَ جُدَّةَ ، ثم أخذت جدة موضعها فى أيام الخليفة عثمان بن عفان[3] .

ويظهر من روايات الأخباريين عن اتصال أهل مكة بالحبشة وبإفريقية ، أن تجار قريش

---

(١) Ency. , III, P. 440. (٢) ابن الأثير (٢/٧) .

(٣) البلدان (٥/٢٧٦) ، Ency. , III, P. 440.

كانوا يستعملون هذا المرفأ والمرافيء الأخرى القريبة منهم للاتصال بالحبشة وبالموانيء الإفريقية المقابلة لهم ، فلا يدفعون ضرائب المرور من أرضين تقع في اليمن وهي منافسة لهم ، ولا يحتاجون الى وضع حماية قوية على القوافل لمرورها بين قبائل عديدة اذا استعملوا موانىء اليمن ، فتكلفهم أسعاراً مرتفعة . ثم إن اليمن كانت في حكم حاكم فارسي بعد طرد الحبشة عنها . ولا بد أن تتأثر تجارة اليمن بالحبشة بهذا التغير في الحكم ، ولا بد أن يؤثر ذلك في الموانئ اليمانية ، وهي أبواب التجارة مع إفريقية . أما أهل مكة ، فكانوا تجاراً محايدين ، علاقاتهم حسنة مع الروم ومع الفرس . وكان من مصلحتهم الوقوف على الحياد ، ولهذا كان من مصلحتهم الاستفادة من موانئهم القريبة منهم في التجارة مع الحبش ، ولا يستبعد استخدام أهل اليمن هذه الموانىء أيضاً لحيادها ولبعدها عن النزاع السياسي الذي كان بين الفرس وبين الحبشة وحلفائهم الروم .

لقد أشار « الكلاسيكيون » الى وجود مواضع عدّة في العربية الغربية ، وذكروا أنها كانت ذات حرمة وقدسية في أنظار العرب ، إذ كانوا يقصدونها من أماكن بعيدة للتبرك بها ، ولم يدونوا أسماءها ويا للأسف . ولا يستبعد أن تكون مكة في جملة الأماكن التي قصدها أولئك الكتاب . وقد ذهب « أوغست ميلر August Muller » الى أن المعبد الذى قال عنه ديودورس الصقلي إنه معبد مشهور بين العرب ، وإنه ذو منزلة مقدسة محترمة عندهم جميعاً ، وذلك في أثناء كلامه على العربية الغربية ، هو مكة[1] . أما ديودورس ، فلم يشر الى اسم الموضع .

ويتبين من روايات الأخباريين عن أصنام الكعبة عند ظهور الاسلام أنها كانت تضم عدة أصنام ورد اسمها في القرآن الكريم ، كما ضمت عشرات من الأصنام التى كانت تتعبد لها بعض القبائل . وقد أوصلت الروايات عدة أصنام الكعبة عام الفتح الى « ٣٦٠ » صنماً ، كان بعضها منحوتاً من الحجارة ، وبعضها معمولاً من النحاس ، وبعضها قوارير ، وكان صنم خزاعة من قوارير صفر . ولما دخل الرسول مكة ، أمر بها فأزيلت وحطمت ، فلم يبق من يومئذ بها صنم[2] .

ووضعت مع الأصنام في الكعبة صورٌ زعم بعض الأخباريين أنها صور الأنبياء ، منها :

(١) A. Muller, Der Islam, I, S. 30. (٢) السيرة الحلبية (١/١٤٤) ، ابن الأثير (٢/١٠٥) .

صورة ابراهيم وقد صور شيخاً يستقسم بالأزلام ، وصورة إسماعيل في يده الأزلام يستقسم بها ، وصور للملائكة ، وصورة لمريم ، وصورة حمامة [1] . ويظهر أنهـــا كانت في غاية من الصنعة والاتقان . قد تكون من مصورات بلاد الشام أو البيزنطيين . أو من صنع الموالي النصارى الذين عاشوا بمكة قبل الاسلام وعند ظهوره ، اشتريت أو رسمت لتوضع في الكعبة . وهي من وحي القصص الديني النصراني ، حشرت مع الأصنام للزينة في الكعبة دون أن يعرف المتعبدون الوثنيون شيئاً عنها وعن أصلها [2] . وقد محيت وطمست آثارها في عام الفتح بأمر من الرسول [3] .

هذه هي مجموعة الأصنام التي حشرت في الكعبة ، غير أن ذلك لا يعني أنها كانت الموضع الوحيد لعبادة الأصنام ، إذ ذكر الأخباريون أن الأحياء كانت لها أصنامها أيضاً ، تتعبد لها ، وتطوف حولها كما تطوف حول الكعبة ، وتقدم لها كما تقدم للكعبة ، كما كانت لكل قبيـــلة أصنامها ، تحملها معها في رحلها ، أو تثبتها في بيوتها في استقرارها . وقد حطم الإسلام جملة من الأصنام كانت في مواضع متعددة من الحجاز وبقية الجزيرة . فحطم خالد بن الوليد « العُزّى » ، وكان صنم « بني شيبان » من « سليم » بـ « بطن نخلة » في السنة الثامنة من الهجرة . وكانت كنانة ومضر تعظمه وتتعبد له [4] وحطم عمرو بن العاص « سواعاً » ، وكان برهاط لهذيل ، وكان حجراً . وهدم سعد بن زيد الأشهلي « مناة » ، وكان بـ « المشلل » ، وهو للاوس والخزرج [5] .

وعند « ولهوزن » أن « الحجر الأسود » هو حجر تعبد له ، ثم حشرت معه أحجار أخرى وضعت في الكعبة ، والعرب هم عبّاد أحجار ، كانوا يضعون هـــذه الأحجار في « الكعبات » . و « الكعبة » غرفة مكعبة توضع فيها الأصنام ، فتكون موضع عبادة . وقد ذكر الأخباريون أسماء عدد من « الكعبات » مثل « الكعبة اليمانية » ، وهي : كعبة « ذي

---

(١) السيرة الحلبية (٣/٨٧) . (٢) Ency., III, P. 534

(٣) ابن الأثير (٢/١٠٥) ، السيرة الحلبية (٣/٨٧) .

(٤) الطبري (٣/١٢٣) ، السيرة الحلبية (٣/١٩٦) .

(٥) الطبري (٣/١٢٣) ، السيرة الحلبية (٣/١٩٦) .

الخلصة » لـ « بني خثعم » ، و « ذو الكعبات » بـ « سنداد » فى العراق موضع عبادة « بكر بن وائل » و « إياد » [1] ، وكانت العرب تحج اليه [2] .

ووردت فى بيت شعر للأعشى هذه الجملة : « لعمر الذي حجت قريش ... الخ » . ومعناها وإنى أقسم بالذي تحج قريش اليه [3] ، ويقصد به الكعبة بالطبع وبها الأصنام . ولكن لِمَ خص هذا الشاعر قريشاً دون غيرها بالحج ونحن نعلم من روايات الأخباريين أن العرب الآخرين كانوا يحجون اليها كذلك ؟ ألِأنَّها صاحبة البيت ، وأقرب الناس اليه ؟ أنا لا أستطيع أن أجزم أن هذه القصيدة هي من قصائده ، فقد تبين لنا أن كثيراً مما لا يشك فى صحته الرواة ، هو فى الواقع موضع ريبة وشك .

ويتهم الأخباريون عَمْرَو بنَ لُحَىٍّ ، وهو فى نظرهم « ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر » رئيس خزاعة ، بأنه هو الذي نصب الأصنام حول الكعبة ، وجاء بهُبَل من « هيت » ، فنصبه في بطن الكعبة ، فكانت قريش والعرب تستقسم عنده بالأزلام ؛ وأنه هو أول من غيَّرَ الحنيفيةَ دين ابراهيم ، وأمر بنشر الشرك فى البلد الحرام ، وتملك مكة وانتقل الملك الى أولاده وحفَدته من بعده وقد حكموا جميعاً خمس مئة عام [4] . فعمرو بن لحي اذن هو ناشر دين الشرك في مكة ، وطامس دين ابراهيم ، والمستورد للأصنام ، وسانٌ طقوس الشرك ، وهو على رأس المشركين ولا شك فى النار [5] . أما لم استورد عمرو بن لحي الصنم هبل من هيت دون غيرها من المدن مع أنه من أهل اليمن ، ولا صلة له بالعراق ، فسؤال لا يستطيع الأخباريون الاجابة عنه . وزعمهم هذا إن دلّ على شيء ، فإنما يدل على الصلات الوثيقة الكائنة بين مكة والعراق .

ولطبيعة أهل مكة المستقرين التجار ، ولكونها مدينة دينية ، لزم الابتعاد عن الحروب

---

(١) الهمداني : الصفة (ص ١٧١ ، ٢٣٠) ، Ency. , III , P. 584.

(٢) البلدان (١٠٠/٥) .

(٣) ديوان الأعشى (١٧:٢٨) (ص ١٩٠) « طبعة م . محمد حسين » .

(٤) الأزرقي : تأريخ مكة (٥٤/١ وما بعدها) « طبعة الماجدية » .

(٥) ابن خلدون (٣٣٢/٢) .

وعن خلق المشكلات ، وحلّ كل معضلة بالمفاوضات أولاً وبالسلم . كما سمت للاتفاق مع القبائل المجاورة على محالفتها ومهادنتها . وقد أفادت هذه السياسة قريشاً كثيراً ، فظهرت زعامة مكة على القبائل بعد تدهور ملك حمير فى السياسة وفى الدين والاقتصاد . ولارتفاع مستوى مكة الثقافى ، ولزعامتها الدينيَة على العرب ، ولاتصالهم بالعالم الخارجى ، ولوجود جاليات أجنبية فيها طورت حياتها الاقتصادية والصناعية مما جعل القبائل تعترف لها بالتفوق عليها ، وتسير فى ركابها ، وتتبع تقويمها ، وتحضر فى مواسمها ، صارت مكة عند ظهور الاسلام القائدة للعربية الغربية والزعيمة لها ، ولذلك كانت رمز مقاومة الاسلام ، والحصن العنيد المقاوم له . فلما دك هذا الحصن ، دكت المقاومة دكاً ، واستسلمت المواضع والقبائل للاسلام دون مقاومة تذكر [١].

وقد تكون هذه الزعامة وهذه المكانة التي اكتسبتها مكة في مدة قصيرة ، هى التى باعدت بينها وبين « يثرب » . ويثرب — كما قلت مدينة قديمة ورد اسمها كما ورد اسم مكة في مؤلفات « الكلاسيكيين » — سكانها حضر مستقرون بوجه عام ، ولكنهم مزارعون ، شغلوا أنفسهم باستغلال أرضهم ، وببيع ما تجود به عليهم من غلات . والظاهر أن خصب أرض المدينة وسهولة الحصول على وسائل العيش فيها ، جعل أهلها أقل حرصاً على الجهاد في سبيل الحصول على القوت من أهل مكة النازلين بواد غير ذي زرع ، فتفوق سكان الوادي على سكان الحرة ، وكسبوا من المال والنفوذ ما لم يكسبه أهل يثرب ، وظهر مقابل ذلك حسد بين أهل المدينتين ، وتولدت أحقاد تأصلت واستقرت فى النفوس .

وبلد مثل مكة فيه تجار وتجارة ورقيق وغنى وفقر وراحة وأصنام وعبادة وحجاج يأتون للتقرب الى الأصنام ، لابد أن يضع أهله لهم وللقادمين اليه أنظمة وقوانين لتنظيم الحياة ، وتأمين الأمن وحفظ الحقوق وحماية من يفد اليه من الأذى لدوام مجيء الحاج اليه على الأقل . فالكعبة ، وهي بيت الأصنام ، أرض حرام ، لايجوز البغى فيها ، ولا المعاصى واقتراف الآثام . والمدينة ،

---

(١) Wellhausen , Reste , S. 92.

وهى في جوار البيت ، ذات حرمة وقدسية . ودار الندوة دار مشورة كما قلت . وسكان البلد الحرام هم في حمى البيت وفي جواره ، فلا بد من إنصافهم واحقاق حقهم . ولانصافهم ودفع الأذى عن فقيرهم ، عقد حلف الفضول ، وهو حلف حضره الرسول ، صلى الله عليه وسلم[1] ، مما يدل على أنه عقد في أواخر القرن السادس للميلاد .

ولسنا على يقين من تأريخ وضع الأشهر الحرم وهى أشهر لايجوز فيها القتال عند العرب . وقد اكتسبت صفة دينية لتكون لها حرمة خاصة ، فلا يخرج على حرمتها انسان . وقد أفادت هذه الحرمة مكة ولا شك ، ففى هذه الأشهر يفد الحجاج اليها للتقرب الى الأصنام ، وبقدومهم يحدث نشاط اقتصادى من بيع وشراء . ولا بد أن يكون لأهل مكة تنظيمات أخرى من شأنها الترفيه عن القادمين ، وتأمين راحتهم ، وضبط الأمن في البلد . ولكن أكثر ما يتحدث به الأخباريون الينا من الأخبار التي تخص هذا الموضوع هو من أواخر القرن السادس للميلاد ، أي من أيام ازدهار مكة بعد تدهور الحالة السياسية في اليمن بتدخل الحبشة ثم الفرس في شؤونها ، ولذلك لا نعرف شيئاً عن نشاط أهل مكة قبل القرن السادس الميلاد .

ويظهر من القرآن الكريم أن أهل مكة كانوا على معرفة بالتطورات السياسية لعالم ذلك الزمن ، وأنهم كانوا على وقوف بالنزاع الذي كان بين المعسكرين الكبيرين . وأنهم لم يكونوا كما تصور الأخباريون في عزلة عن العالم ، وفى جهل بما كان يجري في خارج الجزيرة . وبلد أهله تجار ، لهم تجارات مع الروم والحبشة والفرس ، ولهم صلات بالغساسنة وبالمناذرة ، ولهم الكعبة لابد أن يكونوا على ثقافة واسعة وعلم بما يجري في العالم الخارج عنهم من أمور .

ولبعض المستشرقين بحوث عن مكة وقريش ويثرب تغلبت فيها العاطفة على العلم ، ولا سيما في بحوث الأب « لامانس » الذي اتبع طريقة مناقشة الأخبار والروايات وتمحيصها ما فى ذلك شك ، ولكنه آثر فى نقده لوناً واحداً من الروايات ، واستند الى أخبار آحاد ضعيفة في نظر الناقدين ، فسار بذلك على طريقة الأخذ بما يلائم هواه وان كان ضعيفاً أو مشكوكاً فى أمره ،

---

(١) الأغاني (٦٣/١ وما بعدها) ، ابن هشام (ص ٨٥) . . Wellhausen , Reste . S . 92 .

للتوصل بواسطتها الى أحكام علقت في ذهنه قبل البدء بالبحث . وهي طريقة توقع صاحبها في خطأ كثير فظيع، وتبعده عن جادة العلم. وفي جملة ما استند اليه في بحوثه هذه أخبار المنافرات التي كانت بين قريش وخصومها وما قيل في الهجاء. والمنافرات والهجاء هي من أضعف الحجج، وآخر ما يمكن أن يستشهد به؛ لأن الخصمين لا يتورعان من الافتراء ومن افتئات بعضهما على بعض للتغلب والتفوق واسكات الخصم وقهره، وأكثر ما ذكر في المثالب هو من هذا القبيل. وليس هذا القول دفاعاً عن قريش، ورداً لما قيل فيها أو لما قالته هي في غيرها من الناس، وإنما هو حكم عام ينطبق على قريش وعلى غير قريش. فالهجاء والمنافرات وذكر المثالب، عاطفة، والعاطفة لا تعرف الحق ولا تراعي جانب العقل، إنما تريد إرضاء غريزتها وكفى، بالاسلوب الذي تراه، وبالكلام الذي يؤثر في عواطف الناس.

ولا بد لنا من الحديث عن موضع آخر ما زال معروفاً قائماً حتى الآن هو «الطائف»، ويقع على مسافة خمس وسبعين ميلاً تقريباً الى الجنوب الشرقي من مكة. وهو على عكس مكة أرض مرتفعة ذات جو طيب في الصيف فيه زرع وضرع، وغنى جادت الطبيعة به على أهله. وقد كان وما زال مصيفاً طيباً يقصده أهل مكة فراراً من وهج الشمس.

وقد ذهب المفسرون الى أن كلمة «القريتين» الواردة في القرآن الكريم، تعني مكة والطائف [1]. فالطائف إذن قرية كانت ذات شهرة من حيث المناخ والحاصلات، ولها صلة وثيقة بمكة بلد قريش.

وعند ظهور الاسلام كانت غالبية سكان هذا الموضع تنتسب الى قبيلة «ثقيف»، وترجع هذه القبيلة نسبها مثل القبائل الأخرى الى جد أعلى يقولون إن اسمه «قسيّ بن منبّه»، ويقول الأخباريون انه إنما دعي «قسياً» لأنه قتل رجلاً، فقيل قسا عليه، وكان غليظاً قاسياً [2]. والنسّابون يختلفون في نسبه، فمنهم من ينسبه الى «اياد» فيجعله «قسيّ بن نبت ابن منبه بن منصور بن مقدم بن أقصى بن دُعميّ بن إياد» من «معد»، ومنهم من يجعلهم

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن (٥/٤٦). (٢) الاشتقاق (ص ١٨٣).

من « هوازن » فيقول : « قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان »[1] .

ورأيي أن معظم هذه الروايات التي يرويها الأخباريون عن ثقيف إنما وضعت في الإسلام ، وذلك بغضاً للحجاج الذي عرف بقسوته وبشدته ، فصيروا ثقيفاً عبداً لأبي رغال ، وجعلوا أصله من قوم نجوا من ثمود[2] . وأبو رغال نفسه ، جاسوس خائن في نظر الأخباريين حاول ارشاد أبرهة الى مكة ، فكيف يكون اذن حال رجل كان من قوم فسقة كفرة ، ثم صار عبداً لجاسوس لئيم .

وصيروا ثقيفاً في رواية أخرى ابناً لأبي رغال ، ثم رفعوا نسب الابن والأب الى قوم ثمود ، وجعله « حماد الراوية » ملكا ظالماً على الطائف ، لا يرحم أحداً ، مرّ في سنة مجدبة بامرأة ترضع صبياً يتيماً بلبن عنز لها ، فأخذها منها فبقي الصبي بلا مرضعة ، فمات ، فرماه الله بقارعة فأهلكه ، فرجمت العرب قبره ، وصار رجم قبره سنة للناس[3] . فهل تجد رجلاً ألأم من هذا الرجل على هذا الوصف ؟ .

وبين مكة والمدينة وفي منطقة عرفت باسم « سراة هذيل » ، كانت مواطن قبيلة معروفة من قبائل العربية الغربية هي قبيلة « هذيل » ، وتنسب الى هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر[4] . وهي أخت قبيلة « خزيمة »[5] ، وكانت تجاور قبيلة بني سُلَيمْ وكنانة . وقد اشتهرت بشعرائها وبصفاء لغتها ، ولذلك احتج بكلامهم اللغويون . وقد جمع العلماء شعرهم واعتنوا بجمعه في ديوان ، وممن عني به ابن جني العالم اللغوي المشهور[6] .

ولا يعرف من تأريخ هذيل قبل الإسلام شيء يذكر ، وكل ما نعرفه أنها كانت مع قريش

---

(١) ابن الأثير (١/٢٨٨) .Ency . . IV . p. 734 الأغاني (٤/٧٤) .
(٢) الأغاني (٤/٧٤ وما بعدها) . (٣) الأغاني (٤/٧٤) .
(٤) الاشتقاق (ص ١٠٨ وما بعدها) . (٥) الاشتقاق (ص ١٩ وما بعدها) .
(٦) الخصائص (١/١٣٠) G. Rabin . Ancient West Arabian . P. 79.

فى أثناء حملة ابرهة على مكة ، وأنها كانت تتعبد للصنم سواع وكان بموضع رهاط [1]، ولمناة وكان له موضع في القديد [2] .

ومن أشهر بطون هذيل : بنو لحيان ، وبنو دهمان ، وبنو عادية ، وبنو طاعنة ، وبنو خناعة [3] .

وكنانة من قبائل العربية الغربية المعروفة كذلك ، ومن كنانة قريش . وهى تنتسب فى عرف النسابين الى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر [4] ، وكانت منازلها عند ظهور الاسلام بين هذيل وأسد خزيمة [5] .

وأما القبائل الأخرى ، التي سكنت فى هذه المنطقة وفي بقية أرض جزيرة العرب ، فسأتحدث عنها فى أثناء كلامي على تقسيم العرب للقبائل الى مجموعتين : قحطانية ، وعدنانية . وهو التقسيم الذي سار عليه الأخباريون والنسابون ، وما زال متعارفاً عليه حتى اليوم .

---

(١) البلدان (٣٤١/٤) (٢) Ency., II, P. 329.
(٣) الاشتقاق (ص ١٠٩) . (٤) Ency., II, P. 1017. (٥) Ency., II, P. 1017.

الفصل الرابع

أساس النظام السياسي

قام النظام السياسي في جزيرة العرب على العصبية ، التي تبلغ ذروتها في العصبية للقبيلة . والعصبية للقبيلة ، هي القومية بالقياس الى العرف البدوي . وتتوسع هذه العصبية أو القومية في الأحلاف ، فتشمل القبائل والعشائر المتحالفة بالنسب أو بالجوار والداخلة في « الحلف » . والحلف كما قلت في الجزء الأول من هذا الكتاب ، مجتمع قبيلي كبير ، ولكنه لا يستقيم لأمد طويل ، فقبائل تدخل ، وقبائل تخرج ، وأحلاف تولد ، وأخرى تموت ككل كائن حي .

وتقوم العصبية على عصبيتين : عصبية رحم ، وعصبية قبلية . وكلتاهما تستند في عرفهم الى روابط دموية قريبة أو بعيدة ، تصل الى نسب قريب في العصبية الأولى ، ونسب بعيد في العصبية الثانية . فالنسب البعيد أو النسب القريب هو الرابط بين أصحاب العصبيات .

أما العصبية الأولى فنواتها العصبية لذوي القربى من الدرجة الأولى ، ثم تتوسع الى العصبية للقرابة من الدرجات التالية بحسب التسلسل ، والرابط بين هذه العصبية هو « الدم » ، الدم القريب أو الدم البعيد ، ويتمثل في الآباء والأجداد والأمهات الذين ينتمي اليهم الأبناء والحفدة والذراري .

وأما العصبية الثانية ، فتقوم على فكرة الانحدار من صلب جدّ واحد أو أب مشترك من نسله تكونت القبيلة أو القبائل المنتسبة اليه . ولهؤلاء الآباء والأجداد ، آباء وأجداد هم أقدم

عهداً منهم ، يقل عددهم كلما ارتقينا على سلّم الزمن حتى نصل في النهاية على رأي النسابين الى جدّين من صلبهما انحدر جميع العرب ، هما : قحطان ، وعدنان . فالعرب الباقون هم على رأيهم إما قحطانيون وإما عدنانيون . وأما العرب الأوائل ، وهم من عاشوا قبل قحطان وعدنان ، فقد بادوا وهلكوا ، وهم : العرب البائدة . وأما أنسابهم ، فقد بادت معهم ، ولكن أهل الانساب والأخبار يقولون إنهم يعرفونها وانها على نحو ما ذكرت في الجزء الأول من هذا الكتاب ، وأمرها ما قلت ، فلا حاجة الى التكرار .

وليست هذه النظرة في النسب بدعة انفرد بها العرب ، إنما هي رأي كان عند غيرهم من الأمم الأخرى ، وتجدها مدونة في التوراة في شجرة أنساب الأمم . حيث نسبت الشعوب فيها الى آباء . ونجدها عند اليونانيين حيث انتسبوا أيضاً الى أجداد ، ثم أرجعوا أولئك الأجداد الى جدّين كبيرين ، هما : « هيلين Hellen » ، و « أكسوتس Xuthus» . ونجدها عند الرومان وعند العبرانيين والهنود وشعوب أوربة وغيرها (١) .

وليست الأسماء أسماء أعيان بالضرورة ، فإن منها ما هو أسماء « طواطم » ، نسيت فصارت اسم جدّ لقبيلة أو شعب ، ومنها ما هو أسماء مواضع ، أخذ المنتسبون اليها اسمهم منها ، ثم صيروه اسم شخص جعلوه جداً للقبيلة . وقد أدرك ذلك النسابون والأخباريون الذين تعودوا اعتبار أن الآباء والأجداد هم أعيان حقاً . ونجد بين الأسماء التي يذكرها الرواة أسماء كثيرة هي أسماء مواضع. أما الأسماء التي هي أسماء حيوان أو نبات في الأصل ، فالغالب أنها كانت « طواطم ». ومنها ما هو أسماء أصنام وأبطال وشخصيات تأريخية أو وهمية انتسب اليها لشهرتها ، فصارت جداً لقبيلة أو لعدة قبائل ، التحقت بها بالجوار أو بالحلف أو بالمصاهرة ، فالتحمت أنسابها بهذه الأسباب .

ومجتمع هذا شأنه مبني على أساس العصبيات المتعددة ، لا يمكن أن تظهر فيه نزعة قومية ، أو فكرة إنسانية أممية ، لأن الوعي السياسي فيه ضيق محدود لا تتجاوز حدوده حدود القبيلة

---

(١) Hastings , P . 285.

في الغالب أو حدود القبائل المنتمية الى الجدّ . فقوميتها قومية ضيقة . وجنسيتها جنسية النسب . من انتمى اليها بنسب كان منها ، ومن لم يمتّ الى نسبها عدّ غريباً عنها فلا تشمله تلك العصبية.

وأما وطنها ، فهو الأرض التي تنزل القبيلة فيها ، هو وطنها ما دامت القبيلة نازلة فيها . فإن ارتحلت عنه صارت وطناً لمن ينزل فيه . وحدّه نفوذ القبيلة أوالقبائل الضاربة فيه . أما الأرضون التي لا تدخل في نفوذها ولا في حمايتها ، فهي ليست من أوطانها ، وحكمها حكم الأرضين الأجنبية . ولهذا كان وطن أهل الوبر وطناً متنقلاً متبدلاً ، يتنقل ويتبدل بتنقل القبيلة ، فاذا استقرت فى مكان ، صار المكان وطناً لها ما دامت مقيمة فيه .

وضيق أسباب المعيشة فى جزيرة العرب ، أوجد فى الجزيرة حركة مستمرة نحو الماء والمرعى ، وكون تسابقاً بين القبائل للاستيلاء على هذه الأماكن ، وأوجد فيها هجوماً ودفاعاً بين المتسابقين : هذا يهاجم لانتزاع الأرض من قوم نزلوا فيها قبلا ، وهذا يدافع عنها لأنه حازها بالسيف ، والاكتساب بالسيف حق لا ينازع فيه . أما الكلمة فللسيف ، فمن كان سيفه أمضى وأقوى ، كانت له الكلمة ، وكان له الحق . وعلى المغلوب وزر ضعفه ، وقانون البادية هو قانون الغاب : « الحق هو القوة » .

وهكذا نجد فى الجزيرة حركة مستمرة ، نسمع بقبيلة وطنها اليمن أو حضرموت أو مكانٌ ما في نجد ، ثم نجدها تظهر فجأة فى أرض أخرى . ونجد قبيلة أخرى تأخذ محلها. أو نجد بطوناً منها أو بطناً يترك أمه ، ليرتحل الى موضع بعيد عن مكان أمه كالشام أو العراق ، وقد أوجدت هذه الحركة للأخباريين وللمؤرخين ولنا مشكلات جمة فى ضبط أسماء الأماكن القديمة التي كانت تنزل بها القبائل ، وفى حفظ أنسابها على طريقة النسابين في رواية الأنساب . فالحركة من أرض الى أرض ، تفصم عرى نسب قديم ، وتوجد نسباً جديداً .

وليست هذه العصبية الا ضرورة خلقتها للقبائل الظروف التي تحيا فيها ، والوضع الطبيعي الذي تعيش فيه ، فبهذه العصبية تدافع عن نفسها ، أي عن كيانها ووجودها ، وبهذه العصبية تحصل على رزق جديد بهجومها على قبائل تحس أنها أضعف منها ، لتنتزع منها ما بيدها

من أرض ومال وقوت . فحياة البادية اذن صراع ، والصراع دفاع وهجوم ، والدفاع والهجوم يتطلبان التكتل ، فالتكتل قوة . ولهذا تكتلت القبائل فى كتل عظيمة ، هى الأحلاف . وبهذه الأحلاف تحافظ القبائل على أمنها وسلامتها وحياتها ، وبالقبيلة يحصل الفرد على حقه ، ويدافع عن نفسه ، وعن الظلم الذى قد يقع عليه . وبهذه الأحلاف أيضاً يضبط الأمن ، وتقاوم الحروب ، ويردع المعتدون . وعلى الحلف الدفاع عن حقوق المشتركين فيه والمنضمين اليه ، ظالين كانوا أو مظلومين . والمصلحة المشتركة هى دعامة الأحلاف . فاذا زالت ، أو وجدت المصلحة فى حلف آخر ، تعرض بنيان الحلف للصدع والإنهيار ، ثم كان أثراً من الآثار .

وللزعماء فى هذه المجتمعات القبيلية الضيقة أثر خطير فى الحياة . إنهم رجال السياسة فى عالم البادية . بحنكتهم السياسية ، وبحكمتهم وكفايتهم تقرر الأمور ، ورب كلمة من زعيم أو هفوة تصدر منه ، تثير حرباً ، أو تسبب كارثة له أو لقبيلته أو للحلف الذى يتزعمه . ذلك أن أعصاب رجال البادية مرهفة حساسة ، تثيرها الكلمات ، ولا سيما اذا كانت تتعلق بالشرف والجاه .

وزعامة القبيلة أو الحلف ، ليست أمراً سهلاً ، فعلى الزعيم أن يكون قوى الشخصية حكيما قوياً حليماً بغير خوف ، كريماً جريئاً لا يهاب الموت ، والا عرّض نفسه للمكاره . ثم عليه مداراة إخوته وذوي رحمه وقرباه ، ولا سيما اذا كان فيهم من هو أقوى شخصية ومقدرة منه وكان طموحاً ومن أم أخرى ، فغلطة واحدة قد تؤدي الى حدوث شقاق بين الأخوة والى حدوث تصدع فى القبيلة قد يؤدي الى حرب .

وشيخ القبيلة اذا كان ضعيفاً أثر ضعفه فى قبليته ، واذا كان قوياً أثرت قوته في القبيلة . وقد تقوم الزعامة بما تعجز عنه الكثرة ، وبما ينؤ به عدد القبيلة ، ولهذا تكون مكانة القبيلة أو الحلف بمكانة الرئيس ، ولهذا أيضاً نجد قبيلة تظهر فجأة فتجتاح القبائل الأخرى وتتزعمها ، ونجد قبيلة تتضاءل وتنهار فتتجزأ وتذوب أو تذبل ، لأن زعيمها ضعيف الشخصية خائر القوى ، فسبب ضعفه ضعف القبيلة ، وسبب عجزه طمع إخوته أو المنافسين له فيه ، ولا بد للقبيلة في هذه الحالة من أن تتضعضع وتتصدع وقد تعود أيضاً اذا ظفرت بزعيم جديد قوي .

وعلى رؤساء القبائل ،مصانعة ذوي النفوذ والرأي ممن هم دونهم درجة ، ومراعاة منازل الناس ، ولهذه المنازل أهمية كبيرة في عرف القوم خاصة فى قصور الملوك ، وعلى الملك وحاشيته مراعاتها مراعاة دقيقة ، فاهمالها يؤدي الى حدوث مشكلات خطيرة قد تتولد عنها حروب وسفك دماء ، وقد سجل الأخباريون حوادث عديدة نشأت من هذا الإهمال .

فلن يرضى شريف القوم أو كبير القبيلة أن يكون فى آخر المجلس بعيداً عن الملك أو الرئيس الأكبر أو صاحب المجلس ، يتقدمه من هو دونه منزلة ودرجة ، فأرفع الناس شأناً أقربهم الى يمين الملك أو يساره ، أو المترأس للحلف أولمشيخة القبيلة ، أو صاحب الندوة والمجلس ، ثم تليهم بقية الناس بحسب الدرجات .

ومن مقومات الرئاسة الكرم ، فالرئيس البخيل يجلب عليه بخله تقول الناس عليه ، وسخريتهم منه ، وقد يؤدي بخله هذا اذا تجاوز حدّه الى حدوث مكاره خطيرة له . وقد ترك الشعراء لنا شعراً وافراً فى هجاء بعض الملوك والأمراء . وهجاء الناس والسخرية منهم ، ليس من الأمور التي يمكن التساهل فيها عند العرب ، فان للكرامة عندهم مقاماً وشأناً . وقد تلحق سبة موجعة قالها شاعر فى حق شخص أو قوم أذى لا تمحوه الأجيال . وقد يرفع مدح شاعر ذكر شخص أو قوم ، فيتذا كره الناس جيلاً بعد جيل .

والشاعر هو اذاعة ذلك الزمن ، وجريدة تلك الأيام ، ولذلك كانت تفرح القبيلة اذا نبغ فيها شاعر ، وتعتز به ، وتحفظ شعره . والشعر ديوان العرب ، فشاعرها هو الدافع عنها بلسانه ، وسلاحه هذا أمضى من سلاح السيف ، وأفتك فى الخصم من السهام ، فهو الذي يرد عنها ، ويطعن فى المنافس . وبفضل شعر الشعراء حفظت أكثر الأخبار التي يرويها الرواة عن الجاهلية ، ولذلك كانت تخشاه الملوك كما يخشى لسانه الناس . وقد ترك لنا الشعراء كما ذكرت شعراً فى ذم بعض ملوك لخم مثل « عمرو بن هند » و « النعمان » الأبرش وغيرهما . ومن الشعر وشرحه استخرجنا أخبار بعض الملوك والقبائل والناس ، ولولاه لما كان لدينا شيء عنهم .

وقد كان بين الشعراء نفر يحسنون القراءة والكتابة على ما يذكر الأخباريون . واذا صح

هذا القول ، فلا يستبعد أن يكون من بينهم من كان يكتب شعره . وقد ذكر الأخباريون أن الرجل اذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً دعي « الكامل » ، ولذلك عرف سويد بن الصامت « صامت » الأوسي بـ « الكامل » ، لوجود هذه الخصال فيه [١]. ولكن هل يستنتج من ذلك أنه كان لأولئك الشعراء قراطيس أو دواوين جمعت شعرهم أو جزءاً منه ؟ وهل أخذ رواة الشعر والأخباريون من هذه ان كانت ؟ هذان سؤالان تحتاج الاجابة عنهما الى أدلة خطية مقنعة ، وليست لدى أحد حجج متقدمة مقبولة فى هذا الشأن حتى الآن .

أما شعر الجاهلية ، ومقدار صدقه وباطله ، وما قاله العلماء فيه ، فليس موضعه فى هذا الفصل أو فى هذا الجزء ، وسيكون له مكان فى غير هذا المكان .

لقد حالت هذه العصبية الضيقة دون تكوين مجتمع واحد كبير تصهر فيه جميع العصبيات ، وأعني به مجتمعاً عربياً كبيراً . فغاية ما فكر فيه العربي الجاهلي من الناحية السياسية أنه انسان ينتمي الى يمن أو نزار أو قحطان وعدنان ، وذلك اذا تساهلنا وقلنا ان مصطلحي « قحطان » و « عدنان » ظهرا قبيل الاسلام . بل حتى فى صدر الاسلام ، كانت هذه النظرة الجاهلية الضيقة التي حاربها الاسلام لا تزال مستحوذة على عقلية أكثر الناس . وقد عمل بها حتى رجال الدولة الذين كان من واجبهم محاربتها ومقاومتها ، لصد التيار القاوم للعربية ، وكان من نتائجها إضعاف القومية العربية واستغلال خلاف قحطان وعدنان لاسقاط القحطانيين والعدنانيين على السواء .

ولم تكن الغاية من تكوين الأحلاف غاية قومية بعيدة ، انما كانت كما قلت لمنافع ومصالح ذات أهداف ضيقة .

والمنافسات بين الزعماء حالت فى الغالب دون تكوين المجتمعات الكبرى ، وكانت فى الوقت نفسه من عوامل الحروب وعدم الاستقرار . وقد عرفت الدول الكبرى هذ الضعف ، فاستغلته واستأجرت الرؤساء فى سبيل حماية مصالحها وفى القتال عنها ، وأودعت الى كبار المشايخ أمر مساعدتها فى حفظ الأمن وحراسة الحدود ، ومهاجمة حدود خصومها كالذي فعله الفرس

---

(١) الأغاني (٣/٢٥) .

والروم ، وكالذي فعله الأشوريون والبابليون قبلهم ، وسمت جهدها دون تكوين محالفات كبيرة تكون نواة لحكومات كبيرة ، ولذلك كان من مصلحتها ظهور المنافسة بين المشايخ ، ووجود عدة مشايخ كبار يتنافسون بينهم ، فيكون من السهل على هذه الدول اثارة زعيم على آخر ، وضرب شيخ بشيخ ، وبذلك يتسنى لها التغلب عليهم وحفظ مصالحها بسهولة .

وقد رأينا كيف راقبت تلك الدول مشايخ القبائل مراقبة شديدة بتعيين ممثلين عنها معهم ، ليوجهوا أولئك المشايخ الوجهة التي تريدها تلك الحكومات ، وليكتبوا اليها عن ميولهم واتجاهاتهم خشية الانتفاضة أو الاتفاق مع الاعداء ، حتى اذا ما بدر من أحدهم شيء لا يرضي تلك الدول أو يدل على رغبته في الاستقلال بعمله ضربوه قبل أن يوجه ضربته اليهم . ورأينا كذلك كيف وضعوا حاميات منهم في المراكز الحساسة وتحت إمرة المشايخ والملوك كالذي فعله الفرس مع ملوك الحيرة مثلاً ، لتقوم بعملين: السيطرة على الشيخ نفسه وعلى أرضه وأفراد قبيلته وتأمين سلامة الحدود من غارات الأعراب وهجوم الأعداء من جهة . وللدفاع عن الشيخ الصديق الحليف من جهة أخرى اذا ما ثار عليه شيخ آخر أو هاجمه شيخ قبيلة طامعة . ولهذا وضعوا مسالح على الحدود ، وحاميات أفرادها من أفراد تلك الدول ، يقودها ضباط من تلك الدول غايتها حماية التخوم ، وهي على النهايات النائية للدولة وفي المنافذ المهمة من البادية التي تؤدي أبوابها الى تلك الممالك .

وكان من مصلحة الدول الكبرى الاعتماد على كبار المشايخ من ذوي النفوذ القوي في ضبط الحدود والدفاع عنها والسيطرة على أفراد القبائل واخضاع المشايخ الآخرين ، تعتمد عليهم ما داموا في خدمة تلك الدول ومعها ، فإذا ما شكّت في اخلاصهم وفي سلامة أعمالهم ، أسرعت الى التخلص منه بخلعه ، أو باثارة المشايخ المنافسين له عليه ، أو بقطع الإعانة السنوية التي كانت تدفع له . وللمنافسات التي بين الرؤساء وبين أفراد الأسرة الواحدة ، صار من الصعب على الشيخ التفكير في الثورة على حلفائه والاستقلال عنهم ، لا لمجرد الخوف من قوتهم ، أو من منع أتباعه من الامتيار والاتجار مع أرض حلفائه ، إنما خوفاً من ذوي قرابته ومن المنافسين له الطامعين

في المشيخة ، والذين لا يتورّعون عن القيام بعمل ما لتحقيق ما يصبون اليه .

وقد كان دفاع تلك الدول عن شيخهم المحالف لهم بقدر ، فإذا ظهر له خصم قوي ، وتبين لها أن هـذا الخصم أقوى منه وأكثر عدداً ، وأن من صالحها الاتفاق معه ، اتفقت معه ، وانقلبت على حليفها القديم . وينطبق ذلك على عشيرة الشيخ وقبيلته بالطبع . فالعشيرة الجديدة تأخذ مكان عشيرة الشيخ المخذول ، وقبيلة الشيخ الجديد تحل محل قبيلة الشيخ القديم ؛ ولهذا كان عمر المشيخات قصيراً في الغالب ، وهو على العموم يطول أو يقصر تبعاً لقوة الرئيس ولشخصيته ، فإذا ما تبين الضعف عليه أو على عشيرته أو قبيلته ، نازعه من هو أعظم كفايةً منه ، ليأخذ محله ، ونازعت قبيلته قبيلة أخرى أقوى منها لتحل محلها . واتجاه القبائل هو من البادية ، فى البادية تتربص القبائل الفتية القوية للفرص ، لتنازل القبائل التي بدا عليها الضعف والهزال في الأماكن الخصبة ، لتنتزع ما في يدها من نفوذ وسلطان ، وما لديها من مال وملك . ثم تأخذ مكانها ما شاء الله الى أن تطمع فيها قافلة جديدة فتية من أبناء البادية ، فتأخذ مكانهـا على سنة قانون القوة ، فتعيش متمكنة حاكمة ما شاء الله كذلك الى أن تحل محلها قافلة جديدة ، وهكذا كانت الحياة السياسية فى الجزيرة .

لهذا كان عمر المشيخات والإمارات والممالك قصيراً اذا قيس بعمر المؤسسات السياسـية فى البلاد الأخرى ، وهذا من مواطن الضعف ولا شك ، فالهدف فى السياسة لم يكن لإقامة دولة وادامتها ، وإنما لتثبيت أسرة ، وتوسيع نفوذ عشيرة وقبيلة . ونظام سياسي هذا شأنه لا يمكن أن تعيش فيه مؤسسات سياسية كبيرة لأمد طويل ، كما تعيش في المجتمعات الكبيرة التي تسمو فيها الفكرة القومية على الفكرة القبلية الضيقة ، والمصلحة العامة العليا على المصلحة الخاصة للرئيس . وفى مجتمع سياسي ضيق ، القبيلة فيه هي أعلى قوة سياسية ، والرئيس فيها هو الحاكم ، لا بد أن تحدث فيه منافسات واشتباكات وثورات وحروب .

وقد أدت هذه المنافسات بين رؤساء القبائل على الزعامة خدمات كبرى لتلك الدول ، إذ سهلت لها أمر ضبط الأعراب ، والسيطرة عليهم بالخدمات التي قدمها الأمراء ورؤساء القبائل

لها ، فاقتصدت فى استخدام القوّات النظامية التي لم يكن من الهيّن عليها ولوج البادية ومحاربة أبنائها ، ووفرت لها مهمة تعقيب البدو بقيام الشيخ المتنفذ حليف تلك الدول نفسه بهذا العمل بجُعل سنوي زهيد يقدم اليه . ولم يكن أمر ضبط الحدود عسيراً على أولئك المشايخ ، لما كان لهم من صلات وثيقة برؤساء الأعراب بالمصاهرة أو بمداراة الرؤساء وبتقديم الهدايا والاعطيات السنوية لهم وبالمناسبات ، وبالتحالف مع تلك القبائل .

ومجتمع سياسي هذا شأنه ، يصعب ظهور دولة قوية كبيرة فيه ، فإن هذه النظرة القبيلية الضيقة كفيلة بتقويض بنيان الدول الكبيرة من الداخل ومن الخارج . من الداخل بمنافسة المشايخ والرؤساء للحكام ، وقيامهم عليهم حال شعورهم بضعف أصحاب الحلّ والعقد . وحوادث اليمن خير شاهد على ذلك ، فلم يترك الأقيال والأذواء للملوك فرصة للعمل والإنتاج ، بل شغلوهم فى كثير من الاحيان بإخماد الثورات الداخلية ، وبالقضاء على الفتن التي تثيرها أحقادهم بينهم ، حتى صارت الدولة دول طوائف ، لا شغل لها إلا الحروب .

وأما من الخارج ، فبمهاجمة الأعراب لحدود تلك الدول ، طمعاً فى كسب الرزق السهل بالغزو ، فصار من المتحتم على حكام هذه الممالك والمشيخات مصانعة الأعراب ومداهنتهم لتأمين سلامة أرضهم ، ووضع قوّات لصدهم حين لا تنفع معهم المصانعة والمداهنـــــة ، والقيام بغزو الأعراب أيضاً لإيقاع الرعب فى نفوسهم ؛ فإن السكوت عنهم ، والتساهل معهم ، معناه فى عرفهم ضعف ولين ، والضعف من موجبات الاستخفاف والغزو .

وقد حفظت لنا كتب الأخباريين أسماء حروب عديدة وقعت بين القبائل قبل الإســلام ، تعود عواملها الى ما قلناه من كلام ، عرفت عند الأخبــاريين بالحروب وبالأيام ، وعرفت عند المستشرقين بـ « أيام العرب » . ويذكر في العادة بعد كلمة يوم اسم المعركة ، فيقال مثلاً : « يوم بعاث » و « يوم حليمة » ، وهكذا . واستعمال كلمة يوم في نظري هي لتوريخ الحادث .

وليست كل هذه الحروب أو الأيام ، حروباً بالمعنى المفهوم من الحرب . تشتبك فيها جيوش ، وتسقط فيها مئات من القتلى . أو يصطدم فيها جميع أفراد القبيلة مع جميع أفراد القبيلة المعادية .

وتستخدم فيها طرق الحرب وأسلحتها التي تستخدم بين الجيوش . فان من هذه الأيام والحروب ما كانت مجرد مناوشات واشتباكات بين أسر أو بطون . قد تستعمل فيها الحجارة والعصي وما شاكل ذلك من مواد . وان منها ما لم يزد فيها عدد القتلى على بضعة أفراد . والغالب في أسمائها أن تكون أسماء مواضع وقعت فيها أو على مقربة منها تلك المعارك والمناوشات .

وتخلل هذه الحروب والأيام شعر حماسي يقوله صاحبه مفتخراً بنفسه وبعشيرته وقد يتغزل فيه . ولا يكاد يوم من هذه الأيام يخلو من شعر . بل إن بقاء بعض الأيام يعود سببه الى ما قيل فيها من الشعر . وقد اكتسبت معظم الأيام ثوباً روائياً ، يلعب فيها الأبطال دوراً كبيراً . وقد اتخذ من بعضها موضوعات لأصحاب القصص ، يقصونها على الناس خاصة فى أيام الشتاء .

وموردنا الوحيد عن أيام العرب وحروبها ، هو روايات الأخباريين . وهي روايات غير منسقة ولا مرتبة ترتيباً زمنياً ، تحدثنا عن طابعها وطبيعتها مراراً . ولهذا لا نستطيع أن نطمئن الى تواريخ وقوعها ولا الى تسلسل الحوادث فيها ولا الى ربطها بعضها ببعض . ما دامت هذه الأخبار هي معوّلنا فى كتابة تأريخ تلك الحروب والأيام .

وقد كانت أخبار أيام العرب من الموضوعات الشائقة التي جلبت اليها عناية الأخباريين ، فألفت قسماً مهماً من رواياتهم عن « أخبار العرب » . وطابعها القصصي وأسلوبها فى الرواية والسرد ، وما ورد فيها من شعر ، كل هذه أمور مغرية فى نظر أهل الأخبار . وقد حفظت لنا كتبهم أسماء بعض مؤلفات وضعها العلماء في هذا الباب مثل أبي عبيدة وأبي الفرج الاصبهاني وآخرين . ولكن مؤلفاتهم عن الأيام لم تصل الينا حتى الآن ، إنما وصلت رواياتهم فى ضمن فصول دونت عنها بالمناسبة فى كتب الأدب والأخبار[1] .

وشعر الأيام من الموارد التي يجب أن يأخذها المؤرخ بحذر ، فقسم كبير منه موضوع ، وضع على ألسنة الأبطال والزعماء ولا سيما القدماء منهم ، ثم إن الباقي منه ، إن صح ، لا يخلو من العاطفة الجامحة التي تزيد وتنقص وتكيل المدح أو الهجاء بغير حساب .

---

(١) Ency., I, P. 218

وأخبار الأيام والحروب من القصص الطريف الذي يشنف أسماع أبناء البادية ولا شك ، يرويه المسنون والمُعَمَّرونَ بطريقتهم الخاصة للشبان حتى اليوم ، ويتأنق المتحدثون بهذا القصص في كلامهم ، ويبالغون في الغالب فيه . ولما كان مداره الرواية والمشافهة ، فإنه يبعد عن الأصل كلما بعد في الزمن حتى ينتقل من باب التأريخ الى باب القصص ، ولذلك نجد الحقائق التأريخية في الروايات التي يذكرها الأخباريون عن هذه الأيام ضعيفةً للمبالغات التي فيها .

وليست الأيام الا نتيجة لخصومة قديمة تتجمع أسبابها بمرور الأيام حتى تؤدي الى وقوع الاشتباك بين المتخاصمين ، أو لنزاع على كلأ أو ماء أو ما شابه ذلك . وتنتهي الأيام عادة بتحكيم أناس من قبائل محايدة للفصل فى الديات ، وفى تسوية خسائر الحرب . فإذا تراضى الطرفان بالحكَم ، سويت القضية ، وإلا فقد تتولد من هذا اليوم جملة أيام ، وينتقل الحقد من الآباء الى الأبناء حتى يؤخذ بالثارات .

ويصنف الأخباريون الأيام عادة الى أصناف بحسب وقوعها بين المتخاصمين ، فهناك أيام بين القبائل القحطانية وحدها ، وأيام بين العدنانية وحدها ، وأيام بين قبائل القحطانيين وقبائل العدنانيين ، كما أن هناك أياماً وقعت بين العرب وغيرهم مثل الفرس ، كمثل يوم الصفقة ويوم ذي قار . وقد ذكرت فى الفصول السابقة أسماء بعض هذه الأيام ، ومنها أسماء الأيام التي وقعت بين المناذرة والغساسنة وهم من القحطانيين في عرف النسابين ، وأسماء الأيام التي وقعت بين الخزرج والأوس ، وأسماء بعض أيام وقعت بين القحطانيين والعدنانيين .

والحرب متى انتهت وتوقفت برضى الطرفين ، وبحكم محكّم ، سويت قضية قتلى الطرفين . وتسوى فى العادة بدفع الدية . وتختلف هذه الدية باختلاف منازل القتلى والقبائل ، والغالب أن تقدر بالإبل ، تدفع لآل القتيل ، وتبلغ هذه الدية ألف بعير فى دية الملوك [1] .

وقد تتوقف الحرب ، ويقف القتال من غير صلح ، وعندئذ تبقى الأحقاد كامنة فى النفوس وتتأصل العداوة عند المتخاصمين حتى تنفجر ، لتأخذ بالثأر . ولذلك نجد الأخباريين يتحدثون

---

(١) بلوغ الأرب (٣/٢٢ وما بعدها) .

عن حروب طالت أعواماً ، ولا يعني قولهم هذا استمرار الحرب طوال هذه السنين . بل قد تتوقف أمداً ثم تتجدد ، أو تتخذ شكل مناوشـــات حتى تنفرج عن صلح وتراض وتسوية وعندئذ يعلن انتهاء تلك الحرب .

وكما يحرص الفرد على الأخذ بثأره ، كذلك تحرص القبائل على الأخذ بثأرها ، فهي لاتسكت ولا تقعد حتى تنتقم وتشفي غليلها . وإذا كانت القبيلة ضعيفة قليلة العدد ، التجأت الى القبائل الكبرى تلتمس منها العون والمساعدة ، وتفتق ذهنها عن كل ما عندها من ذكاء لجر القبائل التي لها صلة بها الى هذه الحرب لتشفى بذلك غليلها في الانتقام ، وتأخذ بثأرها ممن اعتدى عليها ، وإلا صارت سُبّةً للناس .

وقد تحرجت قبائل الجاهلية القريبة من الاسلام من الحرب فى أشهر معينة كما يقول ذلك الأخباريون . أما أصحاب الجاهلية البعيدة عن الاسلام ، فلا علم لنا بذلك عنهم ، لعدم ورود نصوص مدونة الينا تحكي ذلك عنهم . وتعرف هذه الأشهر بالأشهر الحرم ، والظاهر أنها كانت ذات صـــلة بشعائر الدين وبالوثنية . وهي ضرورة على ما يظهر ، أملتها عليهم طبيعة البادية ، لينصرف فيها الناس الى الامتيار وتيسير الحاجات ، وتمشية الأعمال وحضور المواسـم التي تعقد فيها الأسواق ، فيكون فيها بيع وشراء وتبادل في السلع وتجارة . غير أن القبائل كانت تتحلل من حرمة هذه الأشهر أحياناً ، فتهاجم فيهـا وتغزو على أن تعوض عن الشهر الحرام بشهر آخر من السنة [1] . وهكذا وجدت لها مخرجاً لتستفيد فيه من اكتساب النصر والحصول على غنائم الغزو ، تفعله القبائل القوية المعتمدة على نفسها ولا شك .

وطالما خرجت هذه الأسواق عن واجباتها الرسمية ووظائفها الأصلية التي يفهمهـا الانسان من السوق ، وهي البيع والشراء ، إلى أمور اخرى لاعلاقة لها بالسوق هي المفاخرات والمباهاة والسابقات فى قول الشعر وافتداء الأسرى والصلح بين القبائل والتحـكيم . فهي مجتمعـات

---

(١) بلوغ الأرب (٧٦/٣ وما بعدها) .

سياسية ذات أهمية ، ومؤتمرات تقرر فيها كثير من الأمور التي لها صلة بسياسة القبائل وبصلاتها بعضها ببعض .

وقد ذكر الأخباريون أسماء عدد من هذه الأسواق كانت معروفة في نواحي متفرقة من الجزيرة قبيل الإسلام ، أشهرها وأعرفها في روايتهم (سوقُ عكاظٍ) وهي سوق تجارة وسوق سياسة وسوق أدب ، تعقد على ما يفهم من الروايات في الأشهر الحرم [1] ، وتباع فيها مختلف التجارات والسلع الثمينة حتى الأولاد المسروقة ، ولذلك وفد اليها من سُرِقَ منهم أو انتهبوا للبحث عن بضاعتهم المنهوبة المفقودة . وقد عثروا فيها فعلاً على ما فقدوه ليباع الى الناس [2] . وأدى عثور أصحاب هذه الأموال المسروقة على بضاعتهم الى نزاع والى حروب ، بسبب الدماء التي سبقت سرقة المال وسلب القتيل ، ومعرفة أهل القتيل من هذا المال المسروق بالقاتل السالب .

وفي هذه السوق تعلن القبائل تبرؤها ممن تخلعهم لجرائر ارتكبوها وأعمال أتوها لم ترض عنها ، ليعرف الناس ذلك فلا يؤاخذوها على جرائر يقترفها هؤلاء الخلعاء . والتبرؤ من الخليع معناه سحب جنسية ذلك الشخص في مصطلح هذا الزمن ، فليس له بين أبناء عشيرته وفي أرضه التي ولد فيها وترعرع مقام ، وعليه التفتيش عن وطن جديد وعن قبيلة أخرى تؤويه وتساعده في الحياة . والغالب أنه يتنقل من مكان الى مكان ، ومن قبيلة الى أخرى ، لصعوبة حمايته اذا كان من المشاغبين الأشرار الذين لا يستطيعون المعيشة بهدوء كسائر الناس .

وقد يتكتل هؤلاء الخلعاء ويجتمعون مع الصعاليك فيؤلفون عصابات خطيرة تعيش على السلب والنهب وقطع الطرق لكسب الرزق ، فتلقي الرعب في النفوس ، وتنعم بما يقع في يديها من مال حرام تبدده وتبذره على عادة الشذاذ من الناس ومن يحصل على قوته بهذه الطرق . ولعدم مبالاة هؤلاء وشجاعتهم وعدم اهتمامهم بالحياة ، استخدم بعضهم في أعمال انتقامية مثل الفتك بالخصوم

---

(١) الأغاني (١٩/١٠٥ وما بعدها) ، راجع عن تحقيق موضع عكاظ رسالة بعنوان موقع عكاظ . تحقيق للدكتور عبد الوهاب عزام مع ملحقين للشيخ محمد بن بليهد و الشيخ حمد الجاسر . طبع دار المعارف بالقاهرة .

(٢) الأغاني (١٩/١٠٥) .

بقتلهم ، أو بتهديد الناس واسكاتهم ، كما كانوا آلات في أيدي بعض السياسيين انتفعوا بهم بالقضاء على معارضيهم ومنافسيهم ، ولهؤلاء قصص لم يُغْفِلْ حكايتها أهل الأخبار .

وموضع مثل هذا لا بد أن يكون مطمعاً للخلعاء والصعاليك يأتون اليه يلتمسون الرزق السهل ، وذلك بسلب الناس والاعتداء عليهم عند قدومهم الى عكاظ ، أو ارتحالهم عنه . ومنهم من كان يَجْرُؤُ على السلب والنهب حتى في عكاظ ، فالفرص هنا سهلة مناسبة لا يتركها الخلعاء تفلت من أيديهم ، فيذهب منهم المال . وممن حضر سوق عكاظ من الخلعاء رباح بن عمرو بن ربيعة بن عقيل . قيل إنه سمي بـ « الخليع » لتخلعه على الملوك ، فكان لا يعطيهم الطاعة[1] .

وفي هذه السوق تحمل الديون والإتاوات الى أصحابها ، فيذكرون مثلاً أن هوازن كانت تحمل إتاوتها الى عكاظ لتدفعه الى زهير بن جَذِيمَةَ العبسي[2] ، وأن حياً من الأزد كان يحمل إتاوته الى عبد الله بن جعدة . وعبد الله بن جعدة هو أول من صنع دبّابة استعملت في حصار الحصون على ما ذكر أصحاب الأخبار[3] .

ويذكر أهل الأخبار أن الحكومة بين الناس في هذه السوق كانت في أيدي أناس من تميم ، ومنهم الأقرع بن حابس وطريف بن تميم العنبري وآخرون[4] ، ولا بد أن تكون هنالك ميزة خاصة جعلت التحكيم في هذه القبيلة .

ولم ينجو موضع عكاظ من الحروب ، فوقعت فيه عدة أيام . ولا يمكن أن ينجو هذا المكان من الفتن والمعارك ، وهو محل يجتمع فيه الناس من مختلف القبائل والعشائر ، وبينهم الخصوم والأعداء ، والقتلة والسفاكون . وقد علمت ما علمت من رأيهم في الأخذ بالثأر ، وأن روح القتيل لا تستقر على رأيهم حتى يؤخذ بثأرها من القاتل . فكيف يهدأ ابن المقتول أو إخوته أو ذوو قرابته وهم يرون القاتل يتبختر مختالاً في أرض عكاظ ، وهم يفتشون عنه في

---

(١) الأغاني (٤/١٣٥) . (٢) الأغاني (١٠/١١) . (٣) الأغاني (٤/١٣٥) .

(٤) قال طريف بن تميم العنبري :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الي عريفهم يتوسم

بلوغ الأرب (١/٢٦٧ وما بعدها) .

سائر الأيام فلا يجدونه ، لذلك لم تمنع حرمة الأشهر الحرم ولا مكانة عكاظ الآخذين بالثأر أو الطامعين بالثروة من الأخذ بالثأر ومن الاستيلاء على الأموال . وتجر هذه الأحداث بالطبع الى معارك وأيام ، ذُكِر منها يوم شمطة ويوم العبلاء ويوم شرب ويوم الحريرة (١) .

ومن الأسواق (سوق دومة الجندل) ، وتعقد في شهر ربيع الأول ، فيأتيها الناس للبيع والشراء . وعرف البيع فيها بـ « بيع الحصاة » ، وهو نوع من أنواع المقامرة أبطله الإسلام (٢) . و (سوق صنعاء) و (سوق حضرموت) و (سوق ذي المجاز) و (سوق مَجَنَّةَ) و (سوق هَجَر) و (سوق عثر) و (سوق عُمان) و (سوق المُشَقَّر) و (سوق عدَنَ أَبْيَنَ) و (سوق صحار) ، وأسواق محلية أخرى تأتيها القبائل والعشائر للامتيار .

وقد كانت الإتاوات التي يجبيها كبار المشايخ من القبائل الصغيرة الخاضعة لهم مصدر من مصادر التذمر والحروب . اذ اشتط بعضهم في جمعها ، وشدد فى دفعها كاملة غير منقوصة حتى فى الأوقات الصعبة ، ولهذا كانت تلك القبائل تدفعها مكرهة مقهورة ، لأنها لا تستطيع غير ذلك . فإذا سنحت لها فرصة ، أو وجدت ظروفاً تساعدها في التخلص من هذه الإتاوة ، انتهزتها ولو على سبيل الاغتيال والقتل . ولدى الأخباريين أمثلة على هذه الحوادث التي ترينا مبلغ تذمر القبائل من تلك الإتاوات .

ولفقر البادية ، وضآلة مواردها ، واضطرار الأعرابى الى الاكتفاء بالقوت القليل وبالمورد الضئيل ، اضطر الى التفتيش عن رزقه بالغزو . ولهذا لاقت القرى والمواضع الخصبة خاصة عنتاً من الأعراب شديداً . وقد لفتت الأرضون التي في المناطق القريبة من البادية والتابعة للفرس والروم أنظار رجال البادية اليها ، لما فيها من ثروة وغنى ، وموارد غير متوافرة عند الأعراب ، فصارت المناطق المختارة للغزو ، تغزوها القبائل عند سنوح كل فرصة مناسبة ، كحدوث فتن تشغل الحكومة عن حماية الحدود ، أو حدوث حرب بين الدولتين وما شاكل ذلك . ولهذا اضطرت الدول الكبرى ــ كما ذكرت ــ الى مداهنة القبائل بشراء رؤسائها بالمال وبالأعطيات

---

(١) بلوغ الأرب (١/٢٦٨) . (٢) بلوغ الأرب (١/٢٦٤ وما بعدها) .

السنوية وبالهدايا تقدم اليهم فى المناسبات وباختيار الرؤساء الكبار من القبائل الكبيرة التى تسلم القبائل بزعامتها لقوتها ولبأسها فتسلم اليها مهمات اخضاع القبائل واسكاتها وتهدئتها ودفع أذاها ومنعها من التعرض للحدود .

ولكن هذا الغزو لم يكن موجهاً الى حدود الأرضين الخصبة وحدها ، بل كان بين القبائل نفسها كذلك كما كان موجهاً الى أهل المدر . ولدفع هذا الأذى اضطر أهل القرى والمتحضرون الى مصانعتها بدفع الإتاوة لها مقابل عدم التحرش بهم وحمايتهم ممن قد يطمع فيهم من رجال القبائل الأخرى الطامعة فى الربح السهل عن طريق الغزو . ولعدم وجود حكومات كبيرة تدفع هذا الأذى عن المتحضرين ، وتكبح جماحهم ، وتضع لهم خططاً للاستقرار والاستيطان ، تأثرت الحياة المدنية في العربية كثيراً ، وأثر ذلك في النظام السياسي فى جزيرة العرب أثراً خطيراً ، وتأثرت العربية الغربية خاصة بعد زوال نفوذ حكومة الحميريين عنها ، بسبب الأحداث الداخلية والحروب والفتن التي وقعت فى داخل تلك الحكومة وظهور مشيخات نازعت الحكومة المركزية على سلطتها ، واستقلت كل مشيخة فى أرضها ، فمكن هذا الوضع الأحباش مراراً كما رأينا من التدخل فى شؤون اليمن الداخلية ، ثم مكن الفرس من بعدهم بفرض نفوذهم على تلك البقعة الخصيبة من الجزيرة .

وما كان في وسع الحبش ولا الفرس الاستيلاء على العربية السعيدة لولا هذا الانقسام الداخلي المؤسف والنزاع بين الرؤساء . فليس من المعقول فتح اليمن بجيش لا يعد شيئاً بالقياس الى أهل البلاد لو لم يكن ذلك الانقسام والتصدع فى وحدة الحكومة وصفوف الناس . وقد زعم الأخباريون أن جيش وهرز الذي استولى على الحبشة لم يبلغ عدده الألف عداً [1] . ومهما قيل فى العدد ، وفى عدد جيش الحبش ، فما كان فى امكان الحبش أوالفرس احتلال هذا القطرلو كانت البلاد وحدة متراصة حول حكومتها تدافع عنها ، ولكنها فرقة وانقسام وتنافس ، ولا يكون النصر في مثل هذه الأحوال .

---

(١) الطبري (٢/١١٨ وما بعدها) .

ومن طبيعة الأعرابي التمتع بالحرية المطلقة الى أقصى حدّ ، والنفرة من القيود . وهو ينفر من الحضر لطراز معيشتهم التي لا تأتلف وطبعه ، ويكره الاستقرار فى مكان واحد ويملّ منه ، ولا سيما اذا كان من الرُحَّل الذين يتنقلون مع الـكلأ والماء . وطبيعي أن تؤثر هذه الطبيعة فى نظرته الى السياسة وفي طريقة حربه ، فهو على عكس الجندي النظامي ، لا يستطيع المكوث فى الحرب صابراً حتى تنجلي عن نتيجة ، ولا يظهر تعاونه مع بقية المحاربين على ما تقضتيه قوانين الجندية ونظمها ، ثم إنه لا يبالي بتركه موقعه في المعركة متى شاء ومتى ظن أن النصر قد تحقق ولو كان ذلك خلاف الأوامر الصادرة اليه من المشايخ . ولما كان النظام العسكري يتطلب تدريباً خاصاً ، ومعيشة فى ثكنة أو معسكرات وقتية للتدريب والتعليم أمداً ، والتثقف فى كيفية استعمال الأسلحة ، وهي أمور لا يميل الأعرابي اليها ، صار الأعرابى أقصر باعاً من الجندي النظامي فى الحروب ، وأقل حيلة منه ، كما أنَّ عدم احتماله صبر الحرب ، وعدم تقيده بأوامر رؤسائه اليه ، جعله يخسر بعد نصر ويفرّ بعد هجوم ، ولدينا أمثلة عديدة على ذلك من تأريخ الجاهلية والإسلام .

وفى كتب « الـكلاسيكيين » إنكار لاقتـدار الأعراب على القتال مع الجيوش النظاميـة ، وإنكار لقدرتهم على استعمال الأسلحة وأنها ناقصة لديهم ، وذكرٌ لعدم اعتماد اليونان والرومان عليهم فى الحروب ووضعهم فى مؤخرة الجيوش خلف الجنود النظاميين فى القتال وعدم استخدامهم في الحرب مع الفرس ، إلا في قتال القبائل العربية المشتركة مع أعـــدائهم أو في الهجوم على الأرضين العربية حيث يصعب على الجيش النظامي القتال فى البادية .

ولم يكن لدى القبائل جنود نظاميون مدربون ، إنما كان كل فرد منها متمكناً وذو قدرة على القتال ، جنديّاً محارباً عليه تلبية النـداء حين يرتفع للدفاع عن قبيلته أو لغزو قبيلة أخرى . أما المشيخات والامارات ، فقد كانت تعتمد فى الدفاع أو الهجوم على قبائلها . وقد كان على القبائل ، كما فى العربية الجنوبية ، أن تقدم الى الملك عدداً معيناً من الرجال للخدمة العسكرية ، ومن هؤلاء يتألف الجيش النظامي للدولة . وهو جيش دائمٌ يستخدم في السلم والحرب ، أما فى أيام الحرب ، فتشترك القبائل المحالفة والمؤيدة للدولة كلها في تلك الحرب ، وقد ألف ملوك الحيرة كتائب دائمة

ذوات أسماء أشرت اليها في الفصل المختص ، وصفهـا الأخباريون بالشدة والبطش ، كما كانت تحت إمرة الملوك كتائب فارسية لحفظ الأمن وللدفاع عن الحدود . ويعود سبب اشتهار تلك الكتائب الى حسن تدريبها وتنظيمها على وفق الأساليب الفنية العسكرية المعروفة فى ذلك الزمن والى تزويدها بالمعدات الحربية التي لم تتيسر للأعراب .

ونظام الحكم عند أكثر العرب نظام وراثي ، ينتقل من الآباء الى الأبناء ، تستوي فى ذلك الملكية والمشيخة . فإذا تُوُفّي الملك أو الشيخ ، انتقلت الملكية أو المشيخة الى أكبر أولاده سنّاً . ويلاحظ من الكتابات اليمانية وجود رجال عدة كانوا يحملون لقب ملك فى آن واحد ، وذلك كأن يحمل هذا اللقب أب وأولاده أو إخوة أو إخوة مع أبنائهم . أما عن طريقة الحكم في اليمن ، فليس فى استطاعتنا التحدث عنها ، لعدم عثورنا على كتاباتٍ تدل على كيفية الحكم وعلى صلاحيات الملوك والموظفين فى تلك البلاد . فمن الجائز أن يكون هذا اللقب لقب اعتبارياً ليس غير ، كما أن من الجائز أن يكون الحكم موزعاً بين حملة هذا اللقب بأمر الملك الشرعي الذي انتقل الملك اليه من أبيه وبرضاه ، أو أنه كان مشتركاً فى أمر الملك المتوفى وبحسب وصيته .

أما عن المملكات العربية خارج العربية الجنوبية ، أي اليمن وحضرموت — وموردنا الوحيد عنهم كتب الكلاسيكيين وروايات الأخباريين — فلا نعرف عن حمل عدة رجال للقب ملك في المملكة الواحدة حتى الآن . إنما كانوا يحكمون على الطريقة المألوفة المعروفة فى الحكم ، فلا يحمل هذا اللقب غير الملك الحاكم .

وقد رأينا فيما سبق حكم بضعة نساء لمملكات عربية ، مثل شمس وزبيبة والزبّاء وغيرهنّ . قرأنا ذلك مدوناً في النصوص الآثورية وفى النصوص النبطية . أما النصوص اليمانية ، فلم نعثر فيها على اسم ملكة حتى الآن . ولم يشر أهل الأخبار الى أسماء ملكات حكمن الجزيرة أو بعض أجزائها فى الجاهلية القريبة من الإسلام .

ويلاحظ أن بعض المدن والقرى ، ولا سيما في العربية الغربية مثل مكة ، لم يكن عليها ملك ،

إنما يحكمها عدة رجال، قسمت الأعمال بينهم، ولا يلقب زعيمهم والمتنفذ فيهم بلقب ملك. و «الملأ»، وهم أصحاب الحل والعقد في البلد، الحكم في الناس على وفق العادات والأعراف والقوانين الموروثة. ويكون لهم في البلد مجتمع خاص يكون ناديهم ومقرهم ودار حكمهم، عرف بـ «دار الندوة» بمكة و بـ «المزوّد» عند أهل اليمن، يمكن أن نقول إنه مجلس ذلك الزمن و «برلمان» ذلك العهد. وان طريقة الحكم في أمثال هذه المدن هو ما يقال له بـ «حكومات المدن» عند المؤرخين الغربيين.

أما «يثرب» حيث تنازع السلطان فيها الأوس والخزرج، فقد أراد كل فريق منهما أن يكون الحكم في رجاله، وبعد جدل وحروب استقروا على أن يكون الحكم بينهما بالمناوبة، فيحكم في كل عام زعيم من زعماء الحيّ الواحد، يليه في العام الثاني زعيم من الحيّ الثاني. وشاؤوا أن يكون «ملك» لقب الحاكم عندهم، وبذلك يكونوا قد وضعوا لهم نظام التناوب في الحكم، فيكون لهذه المدينة ملك في كل عام.

وأما بقية مدن العربية، فقد رأينا أن بعضها كان يحكمها عند ظهور الإسلام حكّام يلقبون أنفسهم ملوكا، وهم في الواقع مشايخ مدن أو مشايخ مقاطعات. وكذلك كان يحكم العربية الجنوبية مثل حضرموت عدة مشايخ تلقبوا بألقاب الملك.

والزواج، من الروابط التي كان لها شأن كبير في العلاقات السياسية بين القبائل. فالمصاهرة بين القبائل والعشائر تؤدي الى تقاربها وتآلفها، والى ربط مصيرها بعضها ببعض، ولهذا كان كان الملوك والمشايخ يعنون عناية خاصة باختيار زوجاتهم من الأسر المتنفذة الكبيرة ومن القبائل الكبرى ليحصلوا بذلك على سند قوي، ومادة مهمة يعتمد عليها في الكيان السياسي. وطبيعي أن يترك اختلاف الملوك والمشايخ مع زوجاتهم أثراً كبيراً في وضعهم السياسي. وقد يؤدي الاختلاف الى غزو وحروب، ويكون للقبيلة التي يكون أم الملك أو الأمير منها منزلة تسمو على منازل القبائل الأخرى، ويكون رؤساؤها أقرب من الرؤساء الآخرين اليه، ولهذه المنازل أثر كبير في العرف السياسي، لذلك تراعى بكل عناية في مجلس الملك وفي ترتيب جلوس الرؤساء في حضرته.

ومن الدرجات الرفيعة « الردافة » ، وهي تشبه الوزارة في الاسـلام . وقد كانت معروفة مشهورة عند ملوك الحيرة ، إذا جلس الملك جلس الردف الى يمينه ، واذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس ، وإذا غزا الملك قعد الردف فى موضعه ، وكان خليفته على الناس حتى يعود ، واذا عادت كتيبة الملك أخذ الردف ربع الغنيمة (١) . ويظهر من بعض الروايات أن الردافة كانت خاصة برجال قبائل معينة ، فإذا أراد الملوك نقلها الى قبائل أخرى ، أدّى نقلها الى نزاع وحروب .

ويعرف القّيم بأمر القبيـلة والمحلة بـ « العريف » ، وبه يتعرف الملك أو الأمير أحوال القبيلة (٢) . أما « الرائد » ، فهو الذي يتقدم الناس لطلب الماء والكلأ للنزول عليه (٣) . و « النقيب » من الدرجات الرفيعة في الناس كذلك ، فالنقيب شاهد القوم وضمينهم ، ويظهر أنها ترادف كلمة « عريف » (٤).

يظهر من الكتابات العربية الجنوبية ومن أخبار الأخباريين أن الملك وان كان هو الرئيس الأعلى للدولة بيده الأمر والنهي وباسمه تصدر القوانين ، إلا أنه كان المشايخ والرؤساء أيضاً نفوذ على أتباعهم وقبائلهم ، فهم الذين يأمرون بجباية الإتاوة لتقدم الى الحكومة ، ويأمرون بالنفير ، ويقدمون المحاربين الى الدولة . وكان الملوك يسترهنون فى قصورهم عدداً من أبناء المشايخ المتنفذين خوفاً من انتفاض آبائهم عليهم ، ويردعوهم بذلك عن التفكير فى الثورة أو احداث انقلاب ، ومع ذلك فإن أمثال هذه الاحتياطات لم تمنع المشايخ من الثورة على ملوكهم الشرعيين .

إن أفق السياسة عند القبائل ، وإن كان ضيقاً محدوداً ، غير أن العربي بصورة عامة واسع النظرة ، يرغب فى توسيع مجاله ، وفى المساهمة فى الأحداث العالمية والخروج من محيطه الضيق . فهو ذو نظرة عالمية في الوقت نفسه ، وآية ذلك هذه الانتفاضات التي نراها عند المشايخ الذين لم يقبلوا بالسيادة على قبائلهم حسب ، أو على الحلف الذي تزعموه بل رغبوا في أكثر من ذلك ،

(١) بلوغ الأرب (٢/١٨٤ وما بعدها) .
(٢) بلوغ الأرب (٢/١٨٥ وما بعدها) القاموس (٣/١٧٤) .
(٣) بلوغ الأرب (٢/١٨٥) .
(٤) القاموس (١/١٣٤) ، (٣/١٧٤) .

رغبوا فى تأسيس حكومة كبيرة ، وفي التخلص من النفوذ الأجنبي . وقد نجح بعضهم فى ذلك. ولكن عمر حكومات هؤلاء لم يكن طويلا ، وقد قضى على ملك بعضهم فى أيامهم نفسها. والسبب فى ذلك هو النظرة القبيلية الضيقة التي تحدثت عنها ، والتي تقوم على أساس القومية القبيلية المحدودة ، وعلى الأنانية السياسية للرؤساء والمشايخ . فلا يرضى المشايخ بخضوعهم لرئيس منهم ، واذا خضعوا فرهبة وخوفاً أو طمعاً ومصلحة . وعند سنوح أول فرصة مناسبة وزوال المصالح الخاصة ، ينفض المشايخ أيديهم من المتزعم عليهم أو من أبنائه بعد وفاته ولا سيما اذا كانوا ضعافاً ، وكثيراً ما يحدث ذلك فينهار البنيان ، وتتقوض أركان ما شيده الرئيس القوي . وتتجزأ المملكة الى مشيخات كالذي رأيناه فى اليمن وعند عرب الشام وعرب العراق .

وقد أدرك الاسلام ما فى الأعرابية من خطر ، وما فيها من ضرر ، فحاربها وحارب آراءها وأفكارها ، وحارب العصبية الجاهلية ، وأحل الوحدة محل الفرقة ، وصهر القبائل في بودقة واحدة . وعدّ الأعرابية بعد الإسلام ردة . وعندئذ ظهرت النزعة الثانية الكامنة فى نفس العربي ، النزعة العالمية ، نزعة توسيع الأفق ، فكان الفتح وانتشار الإسلام وهذا العالم الإسلامي الواسع .

وليس هذا الضعف فى النظام السياسي للجزيرة طبع أصيل لا يمكن اجتنابه ومخالفته . انما هو حاصل حياة أملتها ظروف ومؤثرات . واذا كانت النزعة الأعرابية لا تزال قائمة حتى الآن . فإن بالامكان تجنبها بالتهذيب والتوجيه . وتوسيع الأفق ، وافهام الناس بأنهم جزء من كل ، وأنهم بعض من مجموع . وأن القبيلة أو القطر جزء من أرض أوسع . هي أرض من يتكلم بهذه اللغة . هي فوق قحطان وعدنان وعراق وشأم وحجاز وما أشبه من ذلك من مسميات .

الفصل الخامس

أنساب القبائل العربية

تحدثت فى مواضع متعددة من هذا الكتاب عن تقسيم القبائل العربية المألوف عند الأخباريين . أما الحديث فى هذا الفصل ، فهو عن أشهر القبائل العربية فى الجاهلية المتصلة بالإسلام . وبعبارة أخرى القبائل العربية التي كانت فى القرن السادس للميلاد . ويضيق بنا هذا الفصل لو أردنا الكلام على جميع القبائل وبطونها وأفخاذها وعمائرها ، لذلك سأكتفي فى هذا الفصل بذكر القبائل الكبرى وبالاشارة الى بطونها إن كانت مهمة . وفى كتب الأخباريين والمؤلفات المدونة فى الأنساب الكفاية لمن طلب المزيد .

والتصنيف المألوف للقبائل هو حاصل عرف جرى عليه النسابون ، ولا نعرف تدويناً لأهل الجاهلية للأنساب ، انما نعرف ان أول تدوين رسمي كان هو التدوين الذي تم فى زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، حيث ظهرت الحاجة الى التسجيل ، فسجلت . ولم تصل ويا للأسف سجلات ذلك الديوان الينا ، ولم يصرح أحد من النسابين أنه أخذ مادة أنسابه من تلك السجلات . وإنما الذي بين أيدينا هو خلاصة وجهة نظر النسابين فى أنساب القبائل ، وعلى هذا التقسيم اعتمد المعنيون بهذا الموضوع .

واذا غضضنا الطرف عن التصنيف المتبع فى حصر أنساب العرب كلها في أصلين أساسين :

قحطان وعدنان ، فإننا نرى القبائل كما يفهم من روايات الأخباريين كتلا ، ترجع كل كتلة منها نسبها الى جدّ قديم تزعم أن قبائلها انحدرت من صلبه . وقد تحدثت مراراً عن طبيعة هؤلاء الأجداد .

ومن هذه الكتل التي كانت عند ظهور الإسلام ، كتلة حمير ، وكتلة كهلان ، وكتلة قضاعة ، وكتلة مضر ، وكتلة ربيعة . وكل كتلة مجموعة قبائل كبيرة ، ترجع فى عصبيتها الى تلك الكتلة .

أما حمير ، فقد تحدثت عنها سابقاً ، وأشرت الى ورود اسمها لدى بعض الكتبة الكلاسيكيين مثل « سترابون » والمؤرخ « بلينيوس » وذلك في أثناء كلامه على حملة « أوليوس غالوس » حيث عدّها من أشهر القبائل العربية التي كانت فى اليمن اذ ذاك (١) ، كما أشرت الى ورود اسمها فى نصوص المسند التي يعود تأريخها الى ما بعد الميلاد (٢) ، وهو اسم أرض معينة واسم شعب . أما الذي نفهمه من الأخباريين ، فهو أن حمير اسم واسع يشمل قبائل عديدة ، حتى كاد يشمل أكثر اليمن وأكثر قبائل قحطان عند ظهور الإسلام (٣) . وقد يكون مرد ذلك الى ظهور هذه القبيلة فى هذا الزمن وبروزها فى هذا العهد فى اليمن ، فانتمى اليها كثير من القبائل على العادة الجارية في الانتماء الى المشاهير .

ويرجع النسابون نسب حمير الى حمير بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب ، ويقولون إن اسمه « العرنج » (٤) « العرنجج » (٥) ، وهو فى نظرهم والد جملة أولاد ، جعلهم بعضهم تسمة ،

---

(١) Pliny, V1, 161.   (٢) (٣/١٣٧ وما بعدها) .

(٣) Rabin, Ancient west Arabian, p. 42.

(٤) منتخبات (ص ٢٨ ، ٧٠) ، المبرد ، نسب عدنان وقحطان (ص ١٨) ، « العرفج » شرح قصيدة ابن عبدون (ص ٨٤) .

(٥) « والعرنجج ، اسم حمير بن سبأ . قاله السهيلي في الروض وابن هشام وابن اسحاق في سيرتها » ، تاج العروس (٢/٧٣) ، لسان العرب (٣/١٤٧) ، « وحمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، أبو قبيلة . وذكر ابن الكلبي أنه كان يلبس حللا حمراً . وليس ذلك بقوى . قال الجوهري : ومنهم كانت الملوك في الدهر الأول . واسم حمير العرنجج . قال الهمداني : حمير في قحطان ثلاثة : الأكبر والأصغر =

هم : الهميسع ، ومالك ، وزيد ، وعريب ، ووائل ، و« مشروح » مسروح [1] ، ومعد يكرب ، وأوس ، ومرّة [2] . وجعلهم بعض آخر أقل من ذلك ، أو أكثر عدداً [3] .

وهم أنفسهم أجداد قبائل حمير . ومن نسل هؤلاء : بنو مرة ، وهم في حضرموت ، والاملوك ، وبنو خيران ، وذو رعين ، وبنو هوزن ، والأوزاع [4] ، وبنو شعبان [5] ، وبنو عبد شمس ، وبنو شرعب ، وزيد الجمهور . وبنو الصوّار ، وأكثر قبائل حمير منهم . وقد كان الملك فيهم ، وبقيَ الى مبعث الرسول . ومنهم الحارث الرائش الذي غزا ـ على زعم الأخباريين ـ الأعاجم والروم ، وعرف بـ « ملك الأملاك » ، وحملت اليه الهدايا من أرض الصين وبلاد الترك والهند ، وملك الأرض بأسرها ، وأدت اليه جميع الناس الخراج [6] . وقد جعلوا مدة حكمه خمساً وعشرين ومئة سنة ، وهي مدة لا أدري كيف اكتفى بها أصحاب الأخبار الذين اعتادوا منح العمر الطويل لملوك هم أقل شأناً ودرجة بكثير من هذا الملك المظفر السعيد .

ويظهر لنا من تدقيق منازل القبائل والبطون المنسوبة الى حمير ، أنها كانت في العربية الجنوبية ، وأنها بقيت في مواضعها على الغالب في الإسلام . بينما نجد قبائل « كهلان » وبطونها ، وهي فرع سبأ الثاني وقد سكنت في مواضع بعيدة عن اليمن . وهي قبائل ضخمة . أضخم من قبائل حمير . ثم أنها كانت تتكلم بلهجة قريبة من لهجة القرآن الكريم في الإسلام . أما

= والأدنى . فالأدنى : حمير بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة . وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث بن حذار بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج وهو حمير الأكبر ابن سبأ الأكبر بن يشجب » ، تاج العروس (٣/١٥٨) ، « وزرعة هو حمير الأصغر » ، الاشتقاق (ص ٣١١ ، حاشية) .

(١) « مسروح » ابن حزم : جمهرة (ص ٤٠٦) « تحقيق ليفي بروفنسال » .

(٢) ابن خلدون (٢/٢٤٢ وما بعدها) « والهميسع أحد قبيلي حمير ، وهما الهميسع ومالك إبنا حمير الأكبر » . منتخبات (ص ١١٠) .

(٣) سبائك الذهب ، (ص ١٨) . Wustenfeld , Taf. , 1 .

(٤) ابن حزم (ص ٤٠٦ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٢٤٢ وما بعدها) .

(٥) خلاصة الكلام (ص ٥٢) ، منتخبات (ص ٥٦) . سبائك الذهب ، (ص ١٨) .

(٦) طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب (ص ٤٣ وما بعدها) .

بطون حمير ، فقد كانت تتكلم بلغة ركيكة رديئة غير فصيحة بعيدة عن العربية على حد تعبير الأخباريين ، ويظهر أن هذا التباين كان عاملا مهما في تمييز حمير عن غيرها وفي حشر البطون في جذم حمير . فمن حافظ على لهجته القديمة ، وبقي يستعملها ، عدّ في هذا الجذم . ولم يحافظ على هذه اللهجات إلا الذين بقوا في أماكنهم وفي مواضعهم ، ولم يختلطوا بالقبائل الأخرى التي تأثرت لهجتها بلهجة القرآن الكريم .

وحمير عند الأخباريين أبو الملوك التبابعة والأذواء والأقيال ، وهو شقيق كهلان أبي الملوك من الأزد ومن بني جفنة ومن لخم [1] . ويلاحظ أنهم قد حصروا حكم اليمن والقبائل القحطانية القيمة بها في حمير ، على حين جعلوا الملك على عرب الشأم وعرب العراق ويثرب في أيدي المنتسبين الى كهلان ، أي أنهم خصوا الحكم في خارج اليمن بأيدي إخوة حمير ، فوزعوا الملك في اليمن وفي خارجها بين الأخوين . وحمير في عرفهم هو ابن الأكبر لسبأ ، فلعل هذا الكبر هو الذي شفع له أن يكون الوارث لليمن ، والحاكم على قبائل قحطان وعدنان فيها . وأخذ مكانة الأب بعد موته ، والجلوس على عرشه ، ميزة لا ينالها الا الابن البكر ، وقد ملك حمير بعد أبيه على حد قولهم أكثر من مئة عام [2] .

ويذكر قوم من الأخباريين أن حكم حمير كان للملوك منها ، ثم للأقيال . والقيل هو الذي يخلف الملك في مجلسه ، فيجلس في مكانه ، ويحكم فلا يرد حكمه . ومن هؤلاء الأقيال على زعمهم الثامنة ، « وهم ثمانية رجال كانوا من حمير ، وكانوا ملوكاً على قومهم ، وهم من تحت أيدي ملوك حمير ، وأولادهم قبائل من حمير ، ويسمون الثامنة . وكان من شأنهم لا يتملك ملك من حمير إلا بارادتهم ، وإن اجتمعوا على عزله عزلوه . وهم : يزن ، وسحر ، وثعلبان الأكبر ، ومرّة ذو شكلان . هؤلاء من أولاد سبأ الأصغر . ومقار بن مالك من أولاد حمير الأصغر ، وذو حزفر من أولاد حمير الأصغر ، وعلقمة ذو جدن ، وذو صرواح » [3] .

---

(١) طرفة الأصحاب (ص ٤٣) . (٢) المصدر نفسه .

(٣) طرفة الأصحاب (ص ٤٨ وما بعدها) ، « ثمانية أملاك من ولد حمير الأصغر بن سبأ الأصغر ، يسمون الثامنة ، جعلوا ذلك اسماً علماً لهم للفرق بينه وبين ثمانية العدد النكرة . قال رجل من العتيك بن =

ويلي الأقيال في الحكم الأذواء ، وهم كثيرون . منهم: ذو فيفان ، وذو يهر ، وذويزن ، وذو أصبح ، وذو الشعبين ، وذو حوال ، وذو مناخ ، وذو يحضب ، وذو قينان (١) .

ولما أعاد « عمر بن يوسف بن رسول » مؤلف كتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» المتوفى سنة ست وتسعين وستمائه ، وهو نفسه ملك من ملوك اليمن ، الحديث عن الثامنة ، ذكر أنهم ثمانية أقيال استقاموا بعد سيف بن ذي يزن ، وهم : آل ذي مناخ ، وآل ذي يزن ، وآل ذي خليل ، وآل ذي مقار ، وآل ذي عشكلان ، وآل ذي ثعلبان ، وآل ذي معافر ، وآل ذي جدن . وأعظمهم آل ذي يزن لخؤولة أسعد الكامل (٢) . وهكذا نجده يرجع تأريخ ظهورهم الى ما بعد أيام سيف بن ذي يزن ، ثم يرجعها الى ما قبل ذلك ، ويغير في الأسماء ويبدل . ولكن علينا أن نعلم أن الأخباريين لا يعرفون التواريخ على وجه صحيح مضبوط ، ثم إنهم يخلقون من الرجل جملة رجال ، نخلقوا من أبرهة مثلاً ، وقد عرفنا زمانه ، جملة أبرهات ، وزعوا أيامها في أزمان تبدأ عندهم قبل أيام سليمان بن داوود وتنتهي بأبرهة الحقيقي حاكم اليمن بعد الميلاد . فلا غرابة ان ذكروا أكثر من سيف بن ذي يزن ورجعوا بتأريخ أيامه الى الوراء .

وكثير من أسماء البطون والقبائل التي يرجع النسابون نسبها الى حمير ، هي أسماء وردت في

= أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، لرجل من بني يربوع :

تطول علي بالأنساب حتى ... كأنك من مثامنة الملوك
من آل مرائد أو ذي خليل ... وذي جدن بنى القبل المليك
وذي صرواح أو ذي ثعلبان ... ومن ذي حزفر عالي السموك
ومن ذي عشكلان وذي مقار ... ذوي العلياء والمجد العتيك
أولئك خير أملاك البرايا ... وأرباب الفخار بلا شريك

فأجابه اليربوعي :

تفاخرني بقوم لست منهم ... فما سبب الملوك الى العتيك
شهدت بما شهدت به فابلغ ... بصدق شهادتي لهم الوكي
ولكن لي عليك قديم مجد ... وعالي مفخر صعب السلوك
بيربوع وغلب من بنيه ... لهم كانت ردافات الملوك

منتخبات (ص ١٦) .

(١) طرفة الأصحاب (ص ٥٠ وما بعدها) . (٢) طرفة الأصحاب (ص ٥٥) .

نصوص المسند ، ومنها أسماء قبائل وبطون حقاً ، ولكنها ليست بالطبع على الشكل الذي يراه الأخباريون ، ولا من حمير بالضرورة . هي أسماء أقوام ولكنها خالية من الآباء والأجداد . أما الآباء والأجداد ، فهي من مولدات المتأخرين منهم ، وأغلب ظني أنها من المستحدثات التي ظهرت في الجاهلية المتصلة بالإسلام وفي الإسلام. وقد ذكر الأخباريون أسماء عدد كبير من البطون والقبائل المنتسبة الى حمير ، كان لها شأن كبير في تأريخ اليمن في الاسلام . أما في خارجها ، فقد أعطى الأخباريون الأدوار الكبرى لأبناء كهلان .

وأما « قضاعة » ، فللنسابين في أصلها آراء ، منهم من أرجع نسبها الى حمير ، فجعل نسبها قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير (١) . ومنهم من نسبها الى معد ، فجعل قضاعة الابن البكر لمعد (٢) ، ومنهم من صيرها جذماً مستقلاً مثل جذم قحطان وعدنان . ومردّ هذا الاختلاف الى عوامل سياسية أثرت تأثيراً كبيراً في تصنيف الأنساب ، ولا سيما في أيام معاوية وابنه يزيد اللذين بذلا أموالاً جسيمة لرؤساء قضاعة في سبيل حملهم على الإنتفاء من اليمن والانتساب الى معد ، لكونها قوة كبيرة في بلاد الشأم في ذلك العهد ، ولا سيما أن منهم بني كلب ، فذكر أن زعماءها وافقوا تجاه هذه المغريات على الانتساب الى معد ، غير أن الأكثرية رفضت ذلك ، وأبت إلا الانتساب الى قحطان (٣) . ويرى بعض النسابين والمستشرقين أن انتساب قضاعة الى يمن غير قديم (٤) . « قال أبو جعفر بن حبيب النسّابة : لم تزل قضاعة

---

(١) منتخبات (ص ٨٧) ، ابن خلدون (٢/٢٤٧) ، المبرد (ص٢٣) ، ابن حزم : جمهرة (ص ٤١١ وما بعدها) ، « عمرو بن مالك بن حمير » ، القاموس (٣/٦٩) ، الاشتقاق (ص ٣١٣) ، خلاصة الكلام ، (ص ٤٩) ، سبائك الذهب (ص ١٩ ، ٢٣) .
Lammans , le Califat de Yazid , I , P. 274 , Wustenfeld , Register , S. 137 , Genea. , Taf . ,2 , Ency. , vol . , II , P. 1093 , wellhausen , Das Arabische Reich , S. 113 .

(٢) ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواه (ص ٥٩ ، ١٢١) ، « وتزعم نساب مضر ، أنه قضاعة ابن معد بن عدنان ، والصواب هو الأول » تاج العروس (٥/٤٧٠) ، اللسان (١٠/١٤٧) .

(٣) منتخبات (ص ٨٧) ، وتجد القصة في شكل آخر في كتاب : الانباه على قبائل الرواه لابن عبد البر (ص ٦٠ وما بعدها) . ولكنها لا تغفل العامل السياسي في هذا الباب . الجاحظ : كتاب الحيوان (٤/١٠٧) ، الأغاني (٧/٧٧ وما بعدها) .

(٤) Wellhausen , Das Arabische Reich , S. 113 , Ency II. , P. ,1093

فى الجاهلية والاسلام، تعرف بمعد حتى كانت الفتنة بالشأم بين كلب وقيس عيلان أيام مروان ابن الحكم. فمالت كلب يومئذ الى اليمن، وانتمت الى حمير، استظهاراً منهم بهم الى قيس. وذكر ابن الأثير في الأنساب هذا الاختلاف، ثم قال: ولهذا قال محمد بن سلام البصري النسابة لما سئل أنزار أكثر أم اليمن؟. فقال: إن تمعددت قضاعة، فنزار أكثر، وان تيمنت، فاليمن»[1]. والظاهر أن اختلاط قبائل قضاعة بقبائل قحطان وبقبائل عدنان هو الذي أحدث هذا الارتباك بين أهل الأنساب، فجعلهم ينسبونها تارة الى قحطان، وأخرى الى عدنان. تضاف الى ذلك العوامل السياسية التي لم يغفل عن إدراكها أهل الأخبار.

ولا أستبعد كون قضاعة كتلة من القبائل كانت قائمة بنفسها قبل الاسلام. ربما كانت حلفاً كبيراً فى الأصل، ثم تجزأت وتشتّتت، فلتحق قسم منها بمعد، وقسم منها باليمن.

وقد صرح بعض النسابين المعروفين أن العرب ثلاث جراثيم: نزار، واليمن، وقضاعة[2]. فجعل قضاعة جذماً قائماً بذاته مما يشير الى أهميتها قبل الاسلام وفي الاسلام، خاصة اذا ما تذكرنا مكانة القبائل المنتمية اليها وأثرها الكبير فى السياسة فى الجاهلية وبعدها. ولما للنسب من أثر خطير فى الميزان السياسى لذلك العهد، خاصة فى أيام معاوية وفى دور الفتن التي وقعت فى صدر دولة الأمويين، ولثقل هذه الكتلة، كان من المهم لمعاوية اجتذابها اليه، وضمها الى معد وهو منها، لتقوية هذا الحزب.

وكان قضاعة جدّ القضاعيين الأكبر على رواية أهل الأخبار، مثل سائر أبناء سبأ، مقيماً فى اليمن أرض آبائه وأجداده. ولكنه تشاجر مع وائل بن حمير، وتخاصم معه، وآثر الهجرة الى الشَّحر، فذهب اليها، وأقام فى هذه الأرض مع أبنائه، وصار ملكاً عليها الى أن تُوُفي بها، فقبر هناك. فصار الملك لابنه «الحاف» «الحافى»[3]، وهو فى زعم الأخباريين والد ثلاثة أولاد، هم: عمرو، وعمران، وأسلم. ومن نسل هؤلاء تفرعت قبائل قضاعة[4]. وأما أمهم، فبنت

(١) تاج العروس (٥/٤٧٠). (٢) الإنباه (ص ٦٣).

(٣) «والحافي بن قضاعة والد عمران، معروف» تاج العروس، (١٠/٩٤).

(٤) ابن خلدون (٢/٢٤٧)، طرفة الأصحاب (ص ٥٦)، سبائك الذهب، (ص ٢٣)، «ولد الحاف رجلين: عمران بن الحاف، وعمرو بن الحاف. هذا ما لم يختلف فيه»، الانباه (ص ١٢١).

غافق بن الشاهد بن عك[١]. فكان من صلب عمرو : حيدان ، وبَلِيُّ ، وبهراء . وكان من عمران ابنه حلوان[٢] ، وأمه ضرية بنت ربيعة بن نزار بن معد . فولد حلوان : تغلب ، وربان[٣] ، ومزاحاً وعمراً وهو سليح ، وعابداً وعائذاً وقد دخلا في غســـان ، وتزيد وقد دخل نسله في تنوخ[٤]. وكان من نسل أسلم : سعد هذيم ، وجهينة[٥] ، ونهد[٦] .

وجعل من رَجَّعَ نسبَ قضاعة الى معد ، الأرض التي أقام فيها قضاعة وأبناؤه جُدَّةَ

---

(١) ابن حزم ، جمهرة (ص ٤١٢) .

(٢) « وحلوان بالضم ابن عمران بن الحاف بن قضاعة » القاموس (٣١٩/٤) ، « وحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة من ذريته صحابيون . وهو باني حلوان بالعراق » ، تاج العروس (٩٦/١٠)

(٣) « وربان ، ككتاب ، اسم شخص من جرم . وليس في العرب ربان بالراء غيره . ومن ســـواه بالزاي . قلت : الذي صرح به أئمة النسب : أنه ربان ، كشداد . وهو : ابن حلوان . وهو والد جرم من قضاعة . ينسب اليه جماعة من الصحابة وغيرهم . وهكذا ضبطه الحافظ الذهبي وابن حجر وابن الجواني النسابة . وقوله : اسم شخص من جرم غلط أيضاً . فتأمل ! » ، تاج العروس (٢١١/٩) ، القاموس (٢٢٦/٤) .

(٤) الاشتقاق (ص ٣١٤) ، ابن حزم ، جمهرة (٤٢١) ، « وتزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة . هكذا بالمثناة الفوقية . وفي نســـختنا بالفوقية والتحتية . أبو قبيلة . ومنه البرود التزيدية . وقال علقمة :

ردّ القيان جمال الحي فاحتملوا فكلها بالتزيديات معكوم

وهي برود ، فيها خطوط حمر . يشبه بها طرائق الدم . قال أبو ذؤيب :

يعثرن في حد الظباة كأنما كسيت برود بني تزيد الأذرع

قال أبو سعيد السكري : العامة تقول بني تزيد . ولم أسمعها. هكذا قال شيخنا . قيل وصوابه : تزيد بن حيدان كما نبه عليه العسكري في التصحيف في لحن الخاصة . وفي كتاب الإيناس للوزير المغربي في قضاعة : تزيد بن حلوان . وفي الأنصار : تزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة . وسائر العرب غير هذين فبالياء المنقوطة من أسفل . وقال الســـهيلي في الروض . إن في بني سلمة من الأنصار شاردة بن تزيد بن جشم بالفوقية . ولا يعرف في العرب إلا هذا وتزيد بن الحاف بن قضاعة . وهم الذين تنسب اليهم الثياب التزيدية » ، تاج العروس (٣٦٨/٢) .

(٥) ابن خلدون (٢٤٧/٢) ، « وجهينة : قبيلة من قضاعة . وهو ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . وقضاعة من ريف العراق . وسبب نزول جهينة في الحجاز قرب المدينة ، مذكور في الروض . » تاج العروس (١٦٩/٩) .

(٦) ابن حزم ، جمهرة (٤١٥) ، « ونهد ، قبيلة باليمن . وهم : بنو نهد بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . وفي همدان : نهـــد بن مرهبة بن دعام بن مالك بن معاوية بن صعب » ، تاج العروس (٥١٩/٢) ، « وفي قضاعة سعد هذيم » ، تاج العروس (٣٧٧/٢) .

وما دونها الى منتهى ذات عرق ، الى حيز الحرم ، من السهل والجبل . وبجدة ولد جُدّة بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وبها سمّي على قول أصحاب الأخبار [١] .

أما حيدان [٢] ، فتنسب الى حيدان بن عمرو بن الحاف ، والد مهرة فى نظر النسابين [٣] ، فهو جد قبيلة عربية جنوبية على هذا الرأي [٤] ، وما زال اسم مهرة معروفاً حتى الآن . ولمهرة لغة خاصة ، عني بدراستها المستشرقون . وهم من القبائل العربية القديمة التي ورد ذكرها فى مؤلفات « الكلاسيكيين » [٥] . وقد علل بعض العلماء القدماء بعد لغة مهرة عن العربية بقوله : « ومهرة انقطعوا بالشحر ، فبقيت لغتهم الأولى الحميرية لهم ، يتكلمون بها الى هذا اليوم » [٦] . وذكر ابن حزم لحيدان أولاداً آخرين ، هم : يزيد ، وعُريب ، وعربد ، وجنادة [٧] .

ويظهر من روايات النسابين أن بطون حيدان لم تكن كثيرة ، وأن مواطنها لم تتجاوزالعربية الجنوبية ، وأنها كانت تتكلم بلهجات العربية الجنوبية القديمة ، وحافظت عليها فى الاسلام . فهي مثل بطون حمير ، تختلف فى لهجاتها أو لهجتها عن القبائل الأخرى التي تكلمت بلهجة مقاربة من اللهجة العربية الفصحى . إذن فما الرابط الذي جعل النسابين يرجعون نسب قبائل حيدان الى قضاعة مع هذا الاختلاف البين فى اللهجات ؟ ومع سكناها فى محل قاص ناء عند الساحل الجنوبي للجزيرة ؟ اللهم إلا أن تكون كل فروع قضاعة على هذا الطراز من اللهجات ،

---

(١) البكري (١/١٧) ، « وبجدة ولد جدة بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، فسمى جدة باسم الموضع » البلدان (٣/٦٧ وما بعدها) .

(٢) « وبنو حيدان . قال ابن الكلبي : هو أبو مهرة بن حيدان » ، تاج العروس (٢/٣٤٢) . « وحيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، أبو مهرة بن حيدان » ، منتخبات (ص ٣٠) .

(٣) منتخبات (ص ٣٠) ، ابن خلدون (٢/٢٤٧) . القاموس (٣/١٣٧) ، « ومهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بالفتح ، أبو قبيلة . وهم حي عظيم واليها يرجع كل مهري . » ، تاج العروس (٣/٥٥١) .

(٤) منتخبات (ص ١٠٠)

(٥) Ency., III, PP. 138.

(٦) الاشتقاق (٣٢٣) .

(٧) جمهرة (ص ٤١٢) .

وهذا أمر لم يتحدث عنه الأخباريون ولم يعرفوه .

وأما بَلِيّ [١]، فقد كانت مواطنهم عند ظهور الإسـلام على مقربة من تيماء بين مواطن جُهَينَة وجُذام ، أي في المنطقة التي كانت لثمود في جغرافية « بطلميوس » [٢] . ومن بليّ ، بنو فرّان [٣] وهني [٤] .

ولم يذكر الأخباريون بطوناً ضخمة عـديدة لبهراء [٥] ، ويظهر أنها لم تكن من القبائل الكثيرة العدد . ومن بطونها : قاسط ، وعبدة ، وأهود « أهوذ » ، ومبشر ، و بنو هِنب بن القين [٦] ، وبنو فائش « بنو قاس » [٧] وشبيب ابني دريم ، ومطرود ، وثمامة ، وعكرمة ، وثعلبة ، ودهر ، وسعد .

وأما عمران بن الحاف « الحافي » فولد حلوان ، وقد ولد هذا جملة أولادهم : تغلب ، وربان وهو علاف ، ومراح ، وعمرو ، وهو سليح [٨] ، وعابد ، وعائذ . وتزيد وهم أجداد ، قبائل ،

---

(١) « بلي . فعيل ، بلي قبيلة من اليمن من قضاعة والنسبة اليهم بلوي . وهم ولد بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . قال المثلم بن قرط البلوي :

ألم تر أن الحي كانوا بغبطة ... بمأرب اذ كانوا يحلونها معاً

بلي وبهراء وخولات إخوة ... لعمرو بن حاف فرع من قد تفرعا

منتخبات (ص ٩)

(٢) Ency.., vol.., I, P. 618. (٣) الاشتقاق (ص ٣٢٢) ، القاموس (٤/٢٠٥).

(٤) ابن حزم ، الجمهرة (ص ٤١٣) .

(٥) « بهراء : قبيلة من اليمن ، وهم ولد بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، والنسبه اليهم بهراني بنون على غير قياس » ، منتخبات (ص ١٠) . Wustenfeld, Genea.., Taf., 1

(٦) ابن حزم : جمهرة (ص ٤١٢ وما بعدها) ، « وهنب اسم رجل . وهو أبو قبيلة . وهو هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد . وهو أخو عبد القيس وأبو عمرو وقاسط . قاله ابن قتيبة . ولا عجب في تفسـير المصنف ؛ كما توهمه شيخنا . وقبيلة أخرى ، تعرف بهنب بن القين بن أهوذ بن بهراء بن عمرو بن الحافي بن قضاعة . ذكره الصاغاني . » . تاج العروس (١/٥١٨) .

(٧) « بنو فائش » Wustenfeld, Genea., Tafe.., 2. « بنو قاس » هكذا ضبطه ليفي بروفنسال ، وهو خطأ ، ابن حزم (ص ٤١٣) .

(٨) « سليح كجريح ، قبيلة باليمن . هو سليح بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . قلت : واسمه عمرو . وهو أبو قبيلة . واخوته أربع قبائل : تغلب الغلباء ، وغشم « غنم » ، وربان ، وتزيد بني حلوان بن عمرو » ، تاج العروس (٢/١٦٥) ، سبائك الذهب (ص ٢٣) .

كما ذكرت ذلك آنفاً .

ومن بني سليح[(١)] : حماطة[(٢)] ، وهو ضجعم بن سعد بن سليح ، وهم الضجاعمة الذين ملكوا بالشأم قبل غسان . وبنو سليح هم أسلاف الغساسنة كذلك ، وهم في نظر النسابين أبناء : سليح بن حلوان بن عمران ابن الحاف[(٣)] . ونسبت الى سليح بطون أخرى منها : أشجع وعمرو والأبصر والعبيد[(٤)] .

ومن نسل « ربان » « زبان »[(٥)] ، قبيلة « جرم » ، ومن ولد جرم : قدامة ، وملكان ، وناجية ، وجدة[(٦)] . ومن جرم كان « عصام » حاجب النعمان[(٧)] . ومن بطون جرم الأخرى : بنو راسب ، وبنو شمخ[(٨)] .

أما تغلب بن حلوان ، فولد وبرة ، وولد وبرة : أسداً ، والنمر ، وكلباً . وهي قبائل ضخمة ، والبرك ، والثعلب ، وهما بطنان ضخمان[(٩)] . وولد أسد : تيم الله ، وشيع اللات . فولد تيم الله بن أسد : فهم ، وهم من تنوخ ؛ وقسم ، وهم بالجزيرة ، حلفاء لبني تغلب ؛ ومن فهم : مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة . وعليه تنخت تنوخ وعلى عمّ أبيه مالك بن فهم ، فتنوخ على ثلاثة أبطن : بطن اسمه فهم ، وهم هؤلاء . وبطن اسمه نزار ، وهم لوث ،

---

(١) « وعمرو ، وهو سليم » ، « وهؤلاء بنو سليم ، وهو عمرو بن حلوان » ، ابن حزم : جمهرة (ص ٤٢١) ، « تحقيق ليفي بروفنسال » ، « بنو سليم » ، هكذا ضبط « ليفي بروفنسال » الاسم ، وهو خطأ ، وصوابه : سليح ، سبائك الذهب (ص ٢٣) ، راجع كتب الأنساب الأخرى ، Wustenfeld, Genea. , Taf. , 2

(٢) جمهرة (ص ٤٢١) . (٣) الإنباه (ص ١٢٣) . (٤) سبائك الذهب (ص ٢٤) .

(٥) الإنباه (ص ١٢١) ، منتخبات (ص ٢٠) ، الاشتقاق (٣١٤ ، ٣١٨) ، « جرم بن زبان » ، تاج العروس (٢٢٦/٨) ، اللسان (٣٦٢/١٤) . راجع ملاحظة رقم (٣) من صفحة ٢٤٠ .

(٦) ابن حزم : الجمهرة (٤٢١) .

(٧) الاشتقاق (ص ٣١٨) ، ابن خلدون (٢٤٧/٢) ، « وجرم بن زبان بن حلوان بن عمران ابن الحافي بطن في قضاعة » ، تاج العروس (٢٢٦/٨) ، « وجرم بطان ، بطن في قضاعة . وهو جرم ابن زبان ، والآخر في طيء » ، اللسان (٣٦٢/١٤) .

(٨) ابن حزم : الجمهرة (ص ٤٢٢) .

(٩) ابن حزم : الجمهرة (ص ٤٢٣ وما بعدها) ، سبائك الذهب (ص ٢٤) .

ليس نزار لهم بوالد ولا أُم . ولكنهم من بطون قضاعة كلها ، من بني العجلان بن الثعلب ، ومن بني تيم الله بن أسد بن وبرة ، ومن غيرهم ؛ وبطن ثالث يقال له الأحلاف ، وهم من جميع القبائل كلها ، من كندة ولخم وجذام وعبد القيس [1] .

ومن نسل شيع اللات : بنو القين . وهو النعمان بن جسر بن شيع اللات بن أسد ابن وبرة[2]. ومن بطون بني القين ، جسم [3] ، وزعيزعة ، وأنس ، وثعلبة ، وفالج ، بنو مالك بن كعب بن القين . وكعب ، وكنانة ، ومالك ، ومعاوية . وبطون أخرى ذكرها « وستنفلد » [4] وكان للقين جمع عظيم وثروة في أكناف الشأم ، فكانوا يناهضون كلب بن وبرة ، ثم ضعف أمرهم ووهن حتى ما يكاد أن يعرفوا [5] .

ومن نسل النمر بن وبرة بن تغلب : التيم ، وجعشمة ، ووائل وهو خُشَيْن ، وقتبة ، وغاضرة ، و « عاينة » عاتية ، وبطون أخرى دخلت في قبائل عديدة ، فعدت منها [6] ، مما يدل على أنها لم تكن ذات عدة وعدد ، لذلك كان لابد لها من الدخول في القبائل الأخرى والاندماج فيها ، لحماية نفسها من تعديات القبائل والبطون القوية عليها .

---

(١) ابن حزم ، الجمهرة (ص ٤٢٣) .

(٢) ابن حزم ، الجمهرة (ص ٤٢٤) . « القين هذا الذي نسبوا اليه اسمه : النعمان بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن ثعلب ؟ « تغلب » بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة . وقال ابن الكلبي : النعمان حضنه عبد يقال له القين ، فغلب عليه . ووهم ابن التين . فقال : بنو القين قبيلة من تميم » ، تاج العروس (٩/٣١٦) . « شيع الله » هكذا ضبطه « ليفي بروفنسال » ، والأصح « شيع اللات » الإنباه (ص ١٢٣) « بنو القين بن جسر بن شيع اللات بن أسد بن وبرة » ، « القين بن جسر » ، الاشتقاق (ص ٣١٧) .

(٣) « جسم » هكذا حققه « ليفي بروفنسال » ، جمهرة (ص ٤٢٤) ، والصحيح « جشم » ، Wustenfeld , Genea . , Taf . . 2 .

(٤) Wustenfeld . Genea . . Taf . . 2 .

(٥) الانباه (ص ١٢١) .

(٦) ابن حزم ، جمهرة (ص ٤٢٤) ؛ « وخشين بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان في قضاعة . واسمه وائل بن النمر » ، تاج العروج العروس (٩/١٩١) ، « وفي قضاعة تيم بن النمر بن وبرة . منهم الأفلج الشاعر الفارس » ، تاج العروس (٨/٢١٦) ، « وجعشمة بالضم ، اسم . وقال أبو نصر : حي من هذيل ، أو حي من أزد السراة . قاله الأزهري . وفي شرح الديوان من أزد شنوءة أو من اليمن » ، تاج العروس (٨/٢٣٠) .

وكلب من قبائل قضاعة الشهيرة . وتنسب الى هذه المجموعة ، مجموعة : تغلب بن حلوان ، نجدها في عرف النسابين كلب بن وبرة بن تغلب[1] بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وكانوا ينزلون في الجاهلية دومة الجندل وتبوك وأطراف الشأم[2] . وقدكانت لهم لهجة خاصة لم يستعملها أحد من الشعراء الجاهليين[3] . ولعل ذلك بسبب اتصال هذهالقبيلة بالنبط ، أي ببقية بني إرم وبغيرهم ممن لم تكن لهم لهجة عربية نقية ، فتأثرت لهجتها بهذا الاختلاط .

واشتهر من رجال هذه القبيلة زهير بن جناب ، وهو ممن يدخله الأخباريون في المعمرين الجاهليين[4] ، جعلوا عمره أربع مئة وعشرين سنة ، ونسبوا اليه مئتي وقعة ، وجعلوه سيد قومه وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم وكاهنهم وفارسهم ، ونسبوا اليه الأمثال والشعر ، وذكروا أن من شعره قوله :

ونادمت الملوك من آل عمرو وبعدهم بني ماء السماء[5]

وأنه قاله وقد بلغ من العمر مئتي عام ، فجعلوه بذلك معاصراً للمناذرة ملوك الحيرة ، فيكون على قولهم هذا قد عاش طويلاً في الاسلام . وقد أدرك هشام بن الكلبي هذا التناقض في إحدى رواياته ، فصحح عمر زهير واقتصر على مئتي عام[6] ، وهو عمر كاف ولا شك يشتاق أن يبلغه كل إنسان . ولكنه عمر استقله الأشياخ الكلبيون الذين لا يرضيهم هذا التنقيص في السن . ولم يكن زهير رئيساً لكلب خاصة ، بل كان على رأي الرواة الكلبيين رئيساً على كل قضاعة .

---

(١) الانباه (ص ١٢١) ، خلاصة الكلام (ص ٤٩) ، سبائك الذهب (ص ٣٠) ، ابن حزم : جمهرة (ص٤٢٥) ، « وكلب ، وبنو كلب ، وبنو أكلب ، وبنو كلبة ، وبنو كلاب . قبائل من العرب . قال الحافظ ابن حجر في الاصابة : حيثما أطلق الكلبي ، فهو من بني كلب ابن وبرة . قال شيخنا : هو أخو نمر وتنوخ ، كما في معارف ابن قتيبة . وقال العيني : في طيء كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف ابن قضاعة . وأما تغلب بن وائل فعدناني ، وهذا قحطاني . » ، تاج العروس (١/٤٦١) ، « وكلب : حي من قضاعة . » ، اللسان (٢/٢٢٢) .

(٢) خلاصة الكلام (ص ٤٩) . (٣) Ency . II . P . 688 .

(٤) السجستاني : كتاب المعمرين (٢٧ وما بعدها) . (٥) السجستاني (ص ٢٨) .

(٦) السجستاني (ص ٢٨) .

ويذكر الأخباريون أن قضاعة لم تجمع على إطاعة رئيس إلا زهيراً وإلا رزاح بن ربيعة ، وهو من عذرة . وكان رزاح هذا أخا قصي بن كلاب لأمه[1]. وقد جعل الأخباريون زهيراً معاصراً لكليب بن وائل . ويفهم من شعر منسوب الى المسيب بن الرفل ، وهو من ولد زهير بن جناب قاله مفتخراً بزهير متبجحاً به : أن أبرهة كان قد اصطفى آل زهير ، وسوسها على الناس ، وأعطاه الإمرة عليهم ، وجعله أميراً على حيّيْ معدّ وعلى ابني وائل حيث أهانها وأذلها[2] . ومعنى ذلك أن زهيراً كان في أيام أبرهة ، أي في النصف الأول من القرن السادس للميلاد ، وأنه على ذلك كان معاصراً لقصي زعيم قريش .

ولم يقنع الرواة الكلبيون بكل ما ذكروه عن حياة زهير ، بل أرادوا أن تكون خاتمة زهير خاتمة غريبة كذلك كغرابة حياته ، فذكروا أنه كبر حتى خرف وحتى استخفت به نساؤه ، وأنه لم يتمكن من الأكل بنفسه ، فصارت معزبته تطعمه بنفسها ، الى أن مل الحياة على هذا النمط ، فأخذ يشرب الخمر صِرْفاً أياماً حتى مات . وذكروا أن أحداً من العرب لم يفعل هذا الفعل غير زهير وغير أبي براء عامر بن مالك بن جعفر ، والشاعر عمرو بن كلثوم[3] .

ومن حروب زهير حربه مع بكر وتغلب ابني وائل ، ويروي الأخباريون في ذلك أن أبرهة حين طلع على نجد أتاه زهير فأكرمه وفضله على من أتاه من العرب ، ثم أقره على بكر وتغلب ابني وائل ، فوليهم . وصار يجبي لهم الخراج ، وحدث أن أصابتهم سنة شديدة لم يتمكنوا فيها من دفع ما عليهم اليه . فلما طالبهم بها ، اعتذروا عن الدفع ، فاشتد عليهم ، ومنعهم من النجعة حتى يؤدوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تهلك . فلما رأى ذلك « ابن زيابة » أحد بني تيم الله ابن ثعلبة ، وكان فاتكاً معروفاً ، أتى زهيراً وهو نائم ، فأغمد السيف في بطنه ، ثم فرّ هارباً ظاناً أنه قد أهلكه . ولما أفاق زهير ، أخذه من كان معه من قومه حتى وصلوا به الى قبيلته ، فجمع عندئذ جموعه ومن قدر عليه من أهل اليمن ، وغزا بهم بكراً وتغلب ، وقاتلهم قتالاً

---

(١) السجستاني (ص ٢٨) . (٢) السجستاني (ص ٢٩) .

(٣) السجستاني (ص ٢٨) .

شديداً انهزمت به بكر ، وقاتلت تغلب بعدها ، فانهزمت أيضاً ، وأسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة ، وأخذت الأموال ، وكثرت القتلى فى بني تغلب ، وأسرت جماعة من فرسانهم ووجوههم ، وانتصر زهير نصراً عظيما (١) .

ونسبت اليه حرب أخرى مع غطفان ، قالوا إن سببها أن بنى بغيض بن رَيْث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم ، فتعرضت لهم صداء ، وهي قبيلة من مذحج ، فقاتلوهم ، وبنو بغيض سائرون بأهليهم وأموالهم ، فقاتلوهم عن حريمهم فظهروا على صداء وفتكوا فيهم ، فعَزَّت بغيضٌ بذلك ، وأَثْرَتْ ، وكَثُرَتْ أموالها فلما رأت ذلك ، قالت : والله لنتخذن حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه » ، فبنوا حرماً ، ووليه « بنو مرة بن عوف » . فلما بلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب ، أبى ذلك ، وقرر منع غطفان من اتخاذ هذا الحرم ، فسار اليها بجموع كبيرة ، فظفر بها ، وأصاب حاجته منها ، وأخذ فارساً منهم فى حرمهم فقتله ، وعطّل ذلك الحرم (٢) .

وروى الأخباريون أنه حارب بنى القين بن جسر . وكانت له أخت متزوجة فيهم ، فأرسلت من أخبره بعزم بنى القين على محاربته ، فاستعد لها ، فقاتلها ، وقتل رئيسها وانصرفت خائبة عنه (٣) .

يظهر من غربلة روايات الأخباريين عن زهير بن جناب ، أن بطل كلب هذا كان من رجال القرن الخامس للميلاد ، وأنه لم يكن بعيد عهد عن الإسلام ، وأنه كان معاصراً لأبرهة ، ولعله كان قد تحالف معه ، فترك حلفه معه أثراً فى ذاكرة الأخباريين . والظاهر أنه كان ذا شخصية قوية ، محارباً ، حارب جملة قبائل فأخضعها ، وبذلك بسط نفوذه عليها ، ورفع اسم قبيلته على القبائل الأخرى . ولعل اتصاله بأبرهة وباليمن هو الذي أوجد رابطة نسب قبائل قضاعة بحمير . وقد سبق ان قلت إن المحالفات كانت تؤدي فى الغالب الى الالتحام فى الأنساب.

---

(١) ابن الأثير (١/٢٠٥) . (٢) ابن الأثير (١/٢٠٥) .
(٣) ابن الأثير (١/٢٠٦) .

أما ما أورده الأخباريون بشأن زمانه وعمره ، فهو مما لا قيمة له . فمن عادة القصاص ، رفع من كانوا يتحدثون عنهم من الشخصيات البارزة التي كان لها شأن وخطر في القدم ، واضافة السنين الطويلة الى أعمارهم ، والمبالغات والاغراب الى قصصهم ليكون ذلك أوقع في نفوس السامعين وفي مخيلة المعجبين بهذا النوع من الحكايات . ولهذا الإغراب جعل بعض المستشرقين زهيراً شخصية خرافية ، وبطلا خيالياً أوجدته على رأيهم مخيلة الأخباريين(١). ولكن الإغراب في القصص مهما بولغ فيه لا يكون حجّة قاطعة في كون من قيل فيه شخصية خرافية لا وجود لها . فقد أغرب الأخباريون في أبرهة معاصر زهير ، وبالغوا في الذي رووه عنه ، ورفعوا أيامه الى أيام داوود وأيام سليمان ، وجعلوا له أياماً أخرى . ولكن أبرهة فنّد أقاصيصهم عنه وبيّن في كتابته التي دونها على سدّ مأرب أنه من رجال القرن السادس للميلاد .

ومعظم من روى عنهم الأخباريون هـذا النوع من القصص ، هم رجال مثلنا ، عاشوا وماتوا ، وكانت أيامهم في الغالب في القرن السادس للميلاد ، أي في عهد لم يكن بعيداً جداً عن الإسلام لم تتمكن ذاكرة الرواة وحفظة الأخبار من حفظ شيء عنهم ، الا هذا النوع من القصص المحبوب ، المطلوب من الناس ، يقصه القصاصون في الليالي المقمرة الجميلة ويقصه المعمرون من رجال القبيلة ليكون فخراً لقبيلتهم . وهذا النوع من القصص هو نوع بدائي من أنواع حفظ التاريخ ، وأكثر من حفظ وروى أخبار زهير بن جناب الشرقي بن القطامي ، وهشام بن الكلبي ، وأبوه محمد ، وجماعة آخرون من المشايخ الكلبيين(٢) كانوا يروون هذا النوع من القصص عن رجال كلب ، حملهم على ذلك تعصبهم لقبيلتهم كلب .

وأكثر ما روى عن كلب ، هو من اخراج تلك الأيدي الكلبية ، نشرته وأذاعته بين الناس ، ومن حسن حظ كلب أن شيوخ الأخباريين الذين ذكرتهم كانوا منها ، فكان لقصصهم هذه صداه البعيد عند جمهرة الأخباريين .

وكلب في حد ذاتها جملة قبائل وبطون ضخمة ، منها : رفيدة ، وعُرَيْنة ، وصحب ، وبنو

---

(١) Ency . II . P. 638

(٢) Ency . . II . P . 688 .

كنانة ، وهي قبيلة ضخمة من بطونها : بنو عديّ ، وبنو زهير ، وبنو عليم ، وبنو جناب (١) .

وذكر بعض الأخباريين أن كلباً كانت تحكم دومة الجندل ، وأن أول من حكمها منهم هو دجانة بن قنافة بن عدي بن زهير بن جناب . وذكروا أيضاً أن الملك على دومة الجندل وتبوك ، كان لهم الى أن ظهر الاسلام ، وأنهم كانوا يتداولونه مع السكون من كندة . فلما ظهر الاسلام ، كان على دومة الجندل الأكيدرُ بن عبد الملك بن السكون (٢) .

وأظهر قبائل مجموعة أسلم ، جهينة ، وسعد هذيم ، ونهد . أبناء : زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . أما جهينة ، فقدكانت منازلها فى نجد فى الأصل ، وعند ظهور الاسلام كانت تقيم فى الحجاز على مقربة من المدينة بين ساحل البحر الأحمر ووادي القرى (٣) .

ومن جهينة : قيس ومودعة . فولد قيس : غطفان وغيّان . ويعرفون برشدان كذلك . عرفوا بذلك في أيام الرسول (٤) .

وأما نهد ، فقد سكنت أكثر بطونها فى منطقة نجران . وقد دخلت بطون منها فى قبائل أخرى واندمجت فيها . وأما سعد هذيم (٥) ، فأشهر قبائلها : بنو عذرة ، وبنو ضنة (٦) .

---

(١) الجمهرة (ص ٤٢٦) . سبائك الذهب (ص ٢٩) . (٢) ابن خلدون (٢/٢٤٩) .

(٣) Ency., Vol., I, P. 1060. Caetani, Annali, II, 376.

(٤) الجمهرة (ص ٤١٥ وما بعدها) ، الانباه (ص ١٢٣) .

(٥) الجمهرة (ص٤١٨ وما بعدها) . « وسعد بن هذيم كزبير ، باثبات الألف بين سعد وهذيم . أبو قبيلة . وهو ابن زيد بن ليث بن سود . لكن حضنه عبد حبشي أسود ، اسمه هذيم ، فغلبه عليه . ونسب اليه . ومن سعد هذيم هذا ، بنو عذرة بن سعد اليه يرجع كل عذري ، ما خلا ابن عذرة بن زيد اللات في كلب . قاله ابن الجواني النسابة . » ، تاج العروس (٩/١٠١) .

(٦) « وضنة بالكسر . خمس قبائل من العرب . وقول الجوهري : قبيلة قصور . قال شيخنا : إذا قصد من قبيلة جنس القبيلة ، فيصدق بكل قبيلة ، فلا قصور ، على ان الجوهري لم يلتزم ذكر كل شيء كالمصنف حتى يلزمه القصور . بل يلزمه أن يذكر ما يصح عنده . ضنة بن سعد هذيم في قضاعة ، وضنة بن عبد الله . كذا في النسخ والصواب : ضنة بن عبد بن كبير في عذرة بن سعد هذيم ، فهم أشرافهم الى اليوم. من ذريته : رداح بن ربيعة بن حزام بن ضنة أخو قصي بن كلاب . وضنة بن الحلاف في أسد بن خزيمة ، وضنة بن العاص بن عمرو في الأزد . وضنة بن الحرث في بني نمير بن عامر بن صعصعة . أخي خويلمة بن عبد الله بن الحرث بطن أيضاً . » ، تاج العروس (٩/٢٦٦) .

وتقع منازل بني عذرة في أعالي الحجاز في جوار عدد من القبائل المنتمية الى مجموعة قضاعة ، وهي : نهد ، وجهينة ، و كلب ، وبلي . وتقع أرضها في جوار غطفان ، ومن مواضعها : وادي القرى ، وتبوك حتى أيلة . ويذكر الأخباريون أن بني عذرة حينما وفدوا الى وادي القرى من مواطنهم الأصلية على أثر الحروب التي وقعت بين قبائل قضاعة وحمير ، وجدوا اليهود في هذه الديار ، فتحالفوا معهم ، وعاشوا في هذا الوادي وفي المواضع المجاورة له [١] .

وقد ذهب شبرنكر الى أن « عذرة » هي « أدريته Adrithae » القبيلة التي ذكرها « بطلميوس » [٢] . أما تأريخ « عذرة » البعيد عن الاسلام فلا نعرف عنه شيئاً يذكر . وما نعرفه منه يخص الأيام القريبة من الاسلام . والى صلاتها الوثيقة وحلفها مع قبائل سعد هذيم ، خاصة بني ضنة وبنو سلامان ، يعود نشوء هذا النسب الذي ربط فيما بين فروع هذه الكتلة ، وكذلك كتلة بني أسلم ومنها جهينة التي كانت ذات صلات حسنة ببني عذرة . ولهذا السبب أطلق النسابون على هذه الجماعة « صحار » [٣] .

وكان لبني عذرة صلات بقبيلة قريش تتجلى فى خبر الأخباريين عن مساعدة رزاح ، وهو منهم لأخيه من أمه قصيّ زعيم قريش فى نزاعه مع خزاعة كما أشرت اليه في أثناء كلامي على مكة . كذلك كانت لهم صلات بالأوس والخزرج حيث يذكر الأخباريون أن والدة الأوس والخزرج كانت من تلك القبيلة ، فهي - فى عرفهم - قيلة بنت كاهل « هالك » بن عذرة . وهكذا نجد لبنى عذرة علاقات بأهل المدينتين المتنافستين : يثرب ، ومكة [٤] . والزواج بين القبائل من الأمور التي تقرب بينها وتصل أنسابها بعضها ببعض .

ومن بطون هذه القبيلة . بنو ضنة ، وبنو جلهمة ، وبنو زقزقة ، وبنو الجلحاء ، وبنو

(١) الأغاني (١٤/١٦١) ،
Wustenfeld, Die wohnsitze und wanderungen der Arabischen stamme, S. 25, 31, 37, 41, Ency., Vol., V1, p. 988.
(٢) Sprenger, Die. alte Geographie Arabiens, S., 205.
(٣) Ency., Vol., VI, p. 988.
(٤) Ency., Vol., V1, p. 989.

حردش ، وبنو حن ، وبنو مدلج على رأي بعض النسابين [1] ، وبنو رفاعة ، وبنو كثر ، وبنو صرمة ، وبنو حرام ، وبنو نصر ، وبطون أخرى يذكرها أهل الأنساب [2] .

وتنتسب قبائل كثيرة من اليمن الى كهلان بن سبأ ، وكهلان هو شقيق حمير ، فهناك إذن صلة بين قبائل حمير وقبائل كهلان . ويذكر النسابون أن بني كهلان وبني حمير كانوا يتداولون الملك في بادىء الأمر بينهم ، ثم انفرد به بنو حمير ، وبقيت بطون كهلان في حكمهم في اليمن . فلما تقلص ملك حمير ، صارت الرياسة على العرب البادية لبني كهلان ، لما كانوا بادين لم يأخذ ترف الحضارة منهم . وهكذا نجد النسابين يقسمون أبناء سبأ الى قسمين حضر ، وهم في رأيهم أبناء حمير ، وأهل وبر أو متزعمون لأهل الوبر وهم من نسل كهلان . والابن الذي ذكره الأخباريون لكهلان ، هو زيد ، ومن ظهره تسلسلت قبائل كهلان [3] .

وقد نَجَلَ زيد ، على حد قول النسابين ، ولدين ، هما : مالك وعريب . وأضاف الهمداني الى هذين الولدين ولداً ثالثاً سماه غالباً . ومن صلب هؤلاء الأبناء انحدرت قبائل كهلان [4] .

ونَجَلَ مالك من الولدِ الخيار ونبتاً ، فولد نبتُ النوثَ وولد النوثُ أُدَدَ ، وهو الأزد ، وعَمْراً . ومن ولد عمرو خثعم [5] وبجيلة [6] . ونَجَلَ عمراً وقدار ومقطمان « مقطما » على رواية

---

(١) الاشتقاق (ص ٣٢٠) . Ency . , vol . , VI . p. 989.

(٢) سبائك الذهب (ص ٢٨) .

(٣) منتخبات (ص٩٤) ، الاكليل (١/١٠ وما بعدها) . الهمداني : مشتبه « تحقيق أوسكار لوفكرين Oscar Lofgren » « سنة ١٩٥٣ » (ص ١٦) ، جمهرة النسب الكبير لابن الكلبي . رواية محمد بن حبيب : مخطوطة المجمع العلمي العراقي مصورة (ورقة ٢٤٧) . وسيكون رمزها : جمهرة النسب .

(٤) الاكليل ، (١/١٠ وما بعدها) . سبائك الذهب (ص ٣٢ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢١٨).

(٥) « وخثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث من اليمن . واسمه أفتل . أبو قبيلة . وخثعم لقبه . قال الجوهري . ويقال : هم من معد بن عدنان ، وصاروا من اليمن . وقيل : خثعم ، جمل نحروه ، نسمى به أبو القبيلة » ، تاج العروس (٢٦٨/٨) .

(٦) ابن حزم : جمهرة (ص ٣١٠ وما بعدها) . « وبجيلة ، كسفينة : حي باليمن من معد . والنسبة اليه بجلي . محركة . قال ابن الكلبي في جمهرة نسب بجيلة : ولد عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، أراشا ، فولد أراش ، أنمارا ، فولد أنمار ، أفتل ، وهو خثعم. وأمه هند بنت مالك بن الغافق بن =

للهمداني [1] .

أما الخيار فقد ولد ربيعة ، وولد ربيعة أوسلة ، وولد أوسلة زيد بن أوسلة ، وولد زيد بن أوسلة مالكاً وسبيعاً وساعاً الأكبر على رأي [2] . ومالكا وتبع ، وعبداً ، على رواية ابن حزم [3] . وقد دخل تبع وعبد فى هَمْدان . وولد مالك بن زيد من الولد همدان [4] والهان . وقد ولد همدان نوفا « نوفل ؟ » بن همدان [5] على رأي . وجملة أولاد آخرين على روايات أخرى [6] . ومن نسل نوف [7] تفرعت قبائل همدان : حاشد [8] ، وبكيل [9] أبنا جشم بن خيران بن نوف .

أما عريب ، فولد يشجب على رواية ابن حزم [10] ، وعَمْراً على رواية الهمداني [11] ،

= الشاهد بن عك . وعبقرا ، والغوث ، وصهيبة ، وخزيمة ، . دخل في الأزد ، ووادعة : بطن مع بني عمرو ابن يشكر ، وأشهل وشهلا ، وطريفاً ، وسمية رجل ، والحرث ، وخدعة ، وأمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة . بها يعرفون . قال : وقد اختلف أئمة النسب في بجيلة ، فمنهم من جعلها من اليمن . وهو قول ابن الكلبي الذي تقدم . وهو الأكثر . وقيل : هم من نزار بن معد . قاله مصعب بن الزبير . كأن المصنف جمع بين القوابين . وفيه نظر لا يخفى » ، تاج العروس (٧/٢٢٢) .

(١) الاكليل (١٠/٥) . « مقطعا » ، جمهرة النسب (ورقة ٢٤٧) .

(٢) الاكليل (١٠/٦) . (٣) جمهرة (ص ٣٦٩) .

(٤) ابن حزم : جمهرة (ص ٣٧٤ وما بعدها) ، سبائك الذهب (ص ٣٣) .

(٥) « وهمدان : بفتح فسكون . قبيلة باليمن من حمير ، واسمه أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعه ابن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ » ، تاج العروس (٣/٥٤٧) .

(٦) الاكليل (١٠/١١) ، سبائك الذهب (ص ٧٨) ، « ولد همدان ، نوفاً ، وخيران ، فنهم بنو حاشد ، وبنو بكيل » ، الاشتقاق (ص ٢٥٠) .

(٧) « نوفل » هكذا ضبطه « ليفي بروفنسال » ، جمهرة (ص ٣٦٩) ، وهو خطأ وصوابه : نوف ، ابن خلدون (٢/٢٥٢) الاشتقاق (ص ٢٥٠) ، « فأولد همدان بن مالك : نوفاً وفيه العدد والعز . وعمراً وفيه الشرف والملك . ورقاش زوج عدي بن الحارث » ، الاكليل (١٠/١١) . « وبنو نوف : بطن من همدان » ، القاموس (٣/٢٠٣) .

(٨) « وحاشد : حي من همدان . يذكر مع بكيل ، ومعظمهم في اليمن » ، تاج العروس (٢/٣٣٦) .

(٩) « وبكيل : كأمير حي من همدان . وهو : بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان » ، تاج العروس (٧/٢٣٢) .

(١٠) ابن حزم : جمهرة (ص ٣٧٤) . (١١) الاكليل (١٠/١) .

فولد يشجب أو عمرو زيد بن يشجب أو زيد بن عمرو على اختلاف الروايتين . والهميسع وهو ذو القرنين السيّار ويكنى بالصعب على رواية ذكرها الهمداني [1]. ونَجَل زيد أدد بن زيد، فولد أدد مرة، ونبتاً، وهو الأشعر؛ وجلهمة وهو طيء، ومالكا، وهو مذحج. وقد تفرعت من هؤلاء قبائل وبطون.

والأزد قبائل عديدة تنتمي كما قلت الى الأزد، وهو الغوث. وينسب الأخباريون بيتاً من الشعر الى حسان بن ثابت، يقولون: إنه قاله في نسب الأزد، هو:

ونحن بنو الغوث بن نبت بن مالكٍ ... بن زيد بن كهلانٍ وأهل المفاخر [2]

يذكرون أنه قاله مفتخراً بهذا النسب، وهو منهم. وهو شعر قد يكون وضعه النسابون وأهل الأخبار على لسانه، وهو ما أظنه، ليكون دليلاً لهم على صحة دعواهم في نسب الأزد، وهم يعلمون ما كان عليه الشاعر من تعصب لليمن. وقد ذكر الأخباريون أيضاً أن حمير تقول إن الأزد منهم، وإنه هو الأزد بن الغوث الأكبر بن الهميسع بن حمير الأكبر، ولم يكفهم ذلك، بل أرادوا أن يثبتوا هذا القول ويؤيدوه بشعر. والشعر في نظرهم سند قوي لاثبات رأي، ولا سيما اذا كان من شعر مُعَمَّرٍ أو ملك من الملوك القدماء. وقد قرأت في كتبهم ولا شك ما كتبوه من الأشعار على لسان آدم وهابيل وقابيل وعاد وثمود، وأمثال ذلك من شعر زعموا أنهم نظموه بهذه العربية الجميلة التي نكتب اليوم بها، فكيف لا يأتون بشعر لإثبات رأيهم في هذا الباب ينسب إلى التبابعة، وهم من خلص العرب وملوكها المعروفين البارزين؟ فرووا شعراً للتبع أسعد تبع، قالوا إنه ذكر فيه الأزد، وكانوا معه، فهم من حمير اذن، وهو:

ومعي مَقاولُ حميرٍ وملوكُها ... والأزدُ أزدُ شنوءةٍ وعُمان [3]

وهكذا أضافوا الى حمير الأزد بجملتها.

وأسعد تبع من التبابعة الذين لهم حظ سعيد عند الأخباريين، فهو مؤمن في نظرهم، وهو ذو القرنين. وهو من أعظم التبابعة، وأفصح شعراء العرب. ولم يكتفوا بما أغدقوا عليه من نعوت، بل أرادوا أكثر من ذلك وأبعد، فقالوا إنه كان نبياً مرسلاً الى نفسه، وانه تنبأ

(١) الاكليل (١٠/١). (٢) منتخبات (ص ٣). (٣) منتخبات (ص ٣).

بظهور الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قبل ظهوره بسبع مئة سنة ، وانه قال شعراً في ذلك حفظه الناس طوال هذه السنين الطويلة عنه ، وأنه لذلك نهى النبي عليه الصلاه والسلام عن سبّه [1].

فهو اذن من المؤمنين الصالحين ومن رجال الجنة ولا شك ، وهو قصص روّجه ولا شك الحميريون والقحطانيون المتعصبون فى الاسلام ، ليسكتوا بذلك خصومهم السياسيين . وهم في نظرهم العدنانيون الذين شرفتهم النبوة ورفعت مقامهم فى الاسلام ، فافتخروا بها على القحطانيين ، ولم يكن القحطانيون أقل باعاً في توليد القصص في الفخر من منافسيهم القحطانيين ، فأوجدوا هذه الحكايات عن تبابعتهم ، وأوجدوا لهم الفتوحات العظيمة ، ثم لم يكفهم ذلك كله ، فقالوا : إن النبوة اذا كانت فى العدنانيين، فانها كانت أيضاً فى القحطانيين ، بل هي أقدم عهداً فيهم منهم، فمنهم كان عدة أنبياء . وهكذا سدّوا الثغرة التي كان يهاجمهم منها العدنانيون .

وقد ولد الأزد عدة أولاد ، منهم : مازن ، ونصر ، وعمرو ، وعبد الله ، ووقدان ، والأهبوب [2] . ومن ولد مازن عمرو ، وعديّ ، وكعب ، وثعلبة . ومن ولد ثعلبة : عامر ، وامرؤ القيس ، وهو البطريق ، وكرز . فولد امرؤ القيس حارثة ، وهو الغطريف ، وولد حارثة هذا عامراً المعروف بماء السماء ، والتوأم ، وهو عامر وعدياً [3] .

وولد عامر ماء السماء عمرانَ الكاهن ، وعمراً مزيقياء « مزيقيا » ، فولد عمرو مزيقياء ذُهْل ابن عمرو ، وهو وائل ، وقد سكن نسله بنجران . وعمران بن عمرو ، وحارثة بن عمرو ، وجفنة ابن عمرو ، وثعلبة العنقاء بن عمرو ، وأبو حارثة بن عمرو ومالك بن عمرو وكعب بن عمرو . وقد نزل بعض هؤلاء الولد على موضع ماء اسمه غسان ، فشربوا منه ، فسمّوا به . وهم بنو الحارث ، وجفنة ، ومالك ، وكعب [4] .

---

(١) منتخبات (ص ١٢ وما بعدها) .

(٢) جمهرة (ص ٣١١) ، تاج العروس (٢٨٩/٢) ، سبائك الذهب (ص ٤٥) ، جمهرة النسب (ورقة ٢٤٧) . Wustenfeld . Genea. Taf. . . 10.

(٣) جمهرة (ص ٣١١) . Wustenfe d, a . 11. ، جمهرة النسب (ورقة ٢٤٧) .

(٤) جمهرة (ص ٣١٢) . منتخبات (ص ٨٠) ، البلدان (٢٩٢/٦) .

ويظهر من فحص روايات الأخباريين عن الأزد أنها كانت مجموعة ضخمة من القبائل ، ودليل ذلك عدّ النسابين إياها جرثومة من جراثيم قحطان ، وقد ذكروا أنها كانت سبعاً وعشرين قبيلة [1] ، منها الأوس والخزرج . وهم من نسل حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف [2] ، وأمهم قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء [3] .

ومن ولد عديّ بن حارثة بن عمرو مزيقياء ، سعدٌ ، وهو بارق جد القبيلة المسماة بهذا الاسم [4] . أما من ولد عمران بن عمرو مزيقياء ، فقد ولد الأزد والحجر [5] ، وولد الأزدُ العتيكَ وشهميلاً [6] ، ومن ولد الحجر زهران وزيد مناة ، وسود ومرحوم وعمرو [7] .

وذكر ابن حزم أن الأزد تدعي أن عمرو بن حجر هذا كان نبيّاً [8] ، وبذلك يكون القحطانيون قد أضافوا اليهم نبياً آخر من الأنبياء الذين نسبوهم الى قحطان .

وقد نزلت بارق في أرض تسمى بارقاً ، فنسبت اليها . وقيل وجاء في نسبها أنها من نسل سعد ابن عديّ بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة ابن مازن بن الأزد ، وهم إخوة الأوس والخزرج ، وليسوا من غسان . ولابن الكلبي أخبارٌ عن بارق وعن القبيلة التي نزلت بها [9] . وقد نزل مع سعد بن عديّ ابنا أخيه عمرو بن عديّ

---

(١) الإنباه (ص ١٠٦) .

(٢) « ومزيقياء : لقب عمرو بن عامر ماء السماء . أي حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطاريق ابن ثعلبة البهلول بن مازن السبراح بن الأزد . ملك اليمن ، وهو جد الأنصار ؛ لأنه كان يلبس كل يوم حلتين ويمزقهما بالعشي . يكره العود فيهما ، ويأنف أن يلبسهما غيره . وقيل : إنه كان يمزق كل يوم حلة ، فيخلعها على أصحابه . وقيل لأنه كان يلبس كل يوم ثوباً ، فاذا أمسى مزقه ووهبه والأقوال متقاربة » ، تاج العروس (٦٩/٧) جمهرة النسب (ورقة ٢٤٧) .

(٣) جمهرة (ص ٣١٢) ، جمهرة النسب (ورقة ٢٤٩) .

(٤) منتخبات (ص ٦) ، جمهرة (ص ٣٤٧) .

(٥) سبائك الذهب (ص ٦٥) Wustenfeld , Taf . 11

(٦) جمهرة (ص ٤٧) ، الاشتقاق (ص ٨) .

(٧) منتخبات (ص ٦) ، جمهرة (ص ٣٥١) ، مع بعض الاختلاف في سبائك الذهب (ص ٦٥) .

(٨) جمهرة (ص ٣٥١ وما بعدها) . (٩) البلدان (٣٢/٢ وما بعدها) .

ابن حارثة ، وهما مالك وشبيب ، فسمّوا بارقاً كذلك[1] .

ومن نسل جفنة بن عمرو مزيقياء كان آل حفنة ملوك الشام[2] ، ويقال إن اسم جفنة هو علبة ، ولذلك عرف آله بآل علبة كذلك[3] . وعرف ولد عمرو بن مازن بن الأزد ، وهم عديّ وزيد الله ولوذان ، وامرىء القيس ، والحارث ، وحارثة ومالك وثعلبة وسوادة وعوف والعاصي وخالد والوجيه بغسان كذلك ، وكان منهم بنو شقران وهم بالشأم ، وبنو زمّان بن تيم الله بن حقال ، وهم بالحيرة من العباد . واليهم نسبت بيعة ربيعة بن زِمّان ، ومنهم أيضاً الحارث الأعرج ابن أبي شمر الغساني على رأي بعض النسابين ممن أخرجه من آل جفنة وأدخله في نسل عمرو بن مازن ، ومنهم عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن بقيلة وهو من آل بقيلة ، وكان نصرانياً ، وهو الذي صالح خالد بن الوليد عن أهل الحيرة ، ومنهم ثعلبة بن عمرو بن المجالد رئيس غسان أيام ساروا من بطن مرّ الى الشأم وشقيق جذع ، وكذلك سطيح الكاهن على رأي ابن حزم . ومنهم بنو غافق ، وبنو صوفة وبنو تفلذ . وبطون أخرى أشار اليها النسابون[4] .

وولد عبد الله بن الأزد عدثانَ وقرناً ، وهما قبيلتان ، والحارث ، وعبد الله بنو عبد الله بن الأزد . والى عدثان يرجع بعض النسابين نسب عك ، فيقولون : إنه عك بن عدثان بن عبد الله بن الأزد[5] . وكان من ولد عمرو بن الأزد ماوية وعرمان ، وهما بطنان بعمان ، وألمع وجدجنة وهما أزديون بالحجاز ، وسعد والضيق وقد دخلا في عبد القيس ، وربيعة وامرؤ القيس وهما من غسان[6] .

ومن ولد دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران بن كعب ، منهب وغنم ، فولد غنم فَهْمَ ابن غنم ، وولد فهم مالك بن فهم وأكثرهم بعمان ، وسليم بن فهم ، وطريف بن فهم ، وهم بالحجاز . فولد مالك بن فهم ثوابة وولده بعمان ، وجذيمة الوضاح ملك الحيرة ، وعوفاً وجهضما

---

(١) الانباه (ص ١١٢) . (٢) جمهرة (٣٥١) ، منتخبات (ص ٢١) .
(٣) طرفة الأصحاب (١٩) . (٤) جمهرة (ص ٣٥٤) ، الاشتقاق (٢٨٥) .
(٥) جمهرة (ص ٣٥٤) . (٦) جمهرة (ص ٣٥٤) .

وسلمة ، ومعناً وهناءة وشبابة والحارث وعَمْراً وثعلبة بني مالك بن فهم . وقد دخلت ثعلبة في تنوخ[1] .

ومن قبائل الأزد المعروفة خُزاعة[2] ، وتنسب الى عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو مزيقياء[3] ، أو عمرو بن ربيعة ، وهو لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر[4] ، أو خزاعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن الغطريف[5] ، ويذكر الأخباريون عن عمرو والد خزاعة أنه أول من بحر البحيرة وسيب السايبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي[6] ، وأنها سميت بخزاعة لأنها تخزعت عن بقية قومها وهم الأزد ، أي تخلفت عنهم فلم تذهب معهم ، ثم

---

(١) جمهرة (ص ٣٥٨) . (٢) العقد الفريد (٢/٧٥) ، فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب (ص ٢٣١ وما بعدها) ، البكري (١/٢٩٦) ، الهمداني : صفة (ص ١٢٠ ، ٢١١) ، الأغاني (٣/١٣ ، ١٩/٧٦) ، أبو الفداء (١/١٠٧) ، نهاية الأرب (٢/٣٠١ و ٣٢٥) ، Ency. , II P. 984 ، كحالة (١/٣٣٩) .

(٣) خلاصة الكلام (ص ٥٣) ، « وخزاعة ، حي من الأزد . قال ابن الكلبي : ولد حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ، وهو ماء السماء : ربيعة وهو لحي ، وأفصى ، وعدياً ، وكعباً وهم خزاعة . وأمهم بنت أد بن طابخة بن الياس بن مضر . فولد : ربيعة عمراً . وهو الذي بحر البحيرة ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحامي ، ودعا العرب الى عبادة الأوثان . وهو خزاعة . وأمه فهيرة بنت عامر بن الحرث بن مضاض الجرهمي . ومنه تفرعت خزاعة . وإنما صارت الحجابة الى عمرو بن ربيعة من قبل فهيرة الجرهمية ، وكان أبوها آخر من حجب من جرهم . وقد حجب عمرو . » ، تاج العروس (٥/٣١٧) .

(٤) المبرد : نسب عدنان وقحطان (ص ٢٢) ، « وسميت خزاعة بهذا الإسم ، لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب ، فانتهوا الى مكة ، تخزعوا عنهم ، فأقاموا وسار الآخرون الى الشأم . وقال ابن الكلبي : إنما سموا خزاعة ، لأنهم ، انخزعوا من قومهم حين أقبلوا من مأرب ، فنزلوا ظهر مكة . وقيل خزاعة من الأزد . مشتق من ذلك لتخلفهم عن قومهم . وسموا بذلك لأن الأزد لما خرجت من مكة لتتفرق في البلاد تخلفت عنهم خزاعة وأقامت بها . قال حسان بن ثابت :

فلما هبطنا بطن مر تخزعت خزاعة عنا في حلول كراكر

وهم بنو عمرو بن ربيعة . وهو لحي بن حارثة . فإنه أول من بحر البحائر ، وغير دين ابراهيم . » ، اللسان (٩/٤٢٢) .

(٥) البلدان (٨/٢١) . (٦) اشتقاق (ص ٢٧٦) .

أقامت بمكة [1] .

وروى الأخباريون بيتاً ينسبونه الى الشاعر حسان بن ثابت هو :

ولما هبطنا بطنَ مُرٍّ تخزعت ... خُزاعةُ عنّا في حلول كراكر [2]

ويفهم من هذا البيت أن خزاعة إنما تخلفت عن الأزد بموضع (بطن مرّ) ، وهو موضع من نواحي مكة ، فأقامت به ، ولم تلحق ببقية ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من مأرب يريدون الشأم . وقد نسب « ياقوت الحموي » هذا البيت مع أبيات أخرى الى عون بن أيوب الأنصاريّ الخزرجي [3] .

ولبعض النسابين والأخباريين رأي فى نسب خزاعة ، فهم يرون أنها من معدّ ، أي من العدنانية ، وأنها من نسل خزاعة بن لحيّ بن قمعة بن الياس بن مضر [4] . ولكن الأكثرية بين النسابين ترى أنها من الأزد ، أي من قحطان .

وقد اختارت خزاعة بعد اعتزالها الأزد الذاهبين الى الشأم الإقامة بمكة ، وكانت مكة بأيدي جرهم يومئذ أخذتها فى أيام ملكها مضاض بن عمرو من العماليق أصحابها قبل جرهم ، وساعده فى ذلك « السميدع » ملك قطورا ، وبقيت جرهم فيها الى أن أجلتهم خزاعة عنها ، أجلاهم رئيسها يومئذٍ ، وهو ثعلبة بن عمرو بن عامر مزيقياء بعد حرب ، فانتقل الحكم الى الخزاعيين . وتولاها رجال منهم تلقبوا كسابقيهم بألقاب الملوك .

---

(١) منتخبات (ص ٣٢) ، « وهذه خزاعة . سموا بذلك ، لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب ، فانتهوا الى مكة ، تخزعوا عن قومهم وأقاموا بمكة . وسار الآخرون الى الشأم . وقال ابن الكلبي : لأنهم انخزعوا عن قومهم حين أقبلوا من مأرب ، فنزلوا ظهر مكة . وفي الصحاح ، لأن الأزد لما خرجت من مكة ، لتتفرق في البلاد ، تخلفت عنهم خزاعة ، وأقامت بها . قال الشاعر :

فلما هبطنا بطن مر تخزعت ... خزاعة عنا في حلول كراكر

والبيت لحسان ، كما هو في هوامش الصحاح . وهكذا أنشده له الليث ، والصواب أنه لعدي بن أيوب الأنصاري أحد بني عمرو بن سواد بن غنم كما حققه الصاغاني » ، تاج العروس (٣١٧/٥) . منتخبات (ص٣٣) ، الاشتقاق (ص ٢٧٢) ، الأزرقي (٥٠/١) .

(٢) البلدان (٢٠/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٣/٢) .

(٣) البلدان (٢١/٢) . (٤) الانباه (ص ٩٢) . Ency., II, P. 984.

وانفرد زعيم خزاعة لحيّ بالحكم ، وتزوج فهيرة بنت عامر بن عمرو بن الحارث بن مضاض ابن عمرو الجرهمي ملك جرهم ، فولدت له عَمْراً ، وهو عمرو بن لحيّ على نحو ما ذكرت . ثم انتقل الحكم من بعده الى أولاده ، فكان مجموع ما حكموا خمس مئة عام ، وآخرهم حليل بن حبشية في أيام قصيّ (١) .

وللأخباريين روايات في كيفية استيلاء خزاعة على مكة ، وفي الذي استولى عليها من رؤساء خزاعة ، وهم يبالغون كثيراً في الزمن الذي استولت خزاعة فيه على مكة . وربما لايتجاوز ذلك القرن الخامس للميلاد (٢) . أما تأريخ انتهاء حكمها على مكة وانتقاله الى قريش في أيام قصي ، فقد كان في النصف الأول من القرن السادس الميلاد . ولكن انتقال السلطة منها الى قريش لا يعني أنها أصيبت بما أصيبت جرهم أو غير جرهم به من ضعف واندثار ، فقد بقيت خزاعة معروفة مشهورة ذات بطون عديدة في الاسلام .

فمن جملة خزاعة كعب ومليح وسعد ، ومنهم بنو سلول بن عمرو ، وبنو حليل بن حبشية سادن الكعبة ، وبنو قمير ، وبنو المصطلق الذين غزاهم الرسول (٣) ، وبطون أخرى عديدة يذكرها النسابون (٤) .

وكانت خزاعة محالفة للرسول في نزاعه مع قريش . ولما وقعت حرب بينها وبين بني بكر ، وأعان مشركوا قريش حلفاءهم بني بكر ، ونقضوا بذلك العهد ، نصر الرسول خزاعة ، وأعلن الحرب على قريش ، فكان ذلك سبب فتح مكة (٥) .

ويعد آل الجُلَنْدَى ، وهم ملوك عُمان ، من الأزد كذلك . والجلندى لقب لكل من ملك منهم عُمان . وآخر مَنْ ملك منهم جيفر وعبد أبنا الجلندى ، اسلما مع أهل عمان على يد

---

(١) الأزرقي (١/٤٦ وما بعدها) .

(٢) Ency., Vol., II, P. 984.

(٣) خلاصة الكلام (ص ٥٢) .

(٤) المبرد : نسب عدنان وقحطان (ص ٢٢ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٧٦ وما بعدها) .

(٥) الانباه (ص ٩٥) ، تأريخ أبي الفداء (١/١٠١ وما بعدها) .

عمرو بن العاص [1] ، وقد كان « الجلندي بن المستكبر » يعشر من يقصد سوق « صُحار » ، ومن يقصد ميناء « دبا » من التجار القادمين من الجزيرة أو من الهند والصين وافريقية . ويفعل فى ذلك فعل الملوك [2] . ويرجع نسب « المستكبر » الى « بني نصر بن زهران بن كعب » . وهو في عرف النسابين « المستكبر بن مسعود بن الجرار بن عبدالله بن مغولة بن شمس ابن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران » . أما جيفر ، فهو ابن الجلندي بن كركر بن المستكبر . وكان أخوه عبد الله ، ملك عمان [3] .

وقد جعل بعض علماء الأنساب الأزد ستاً وعشرين قبيلة يجمعها جميعها الأزد ، وهي : جفنة ، وغسان ، والأوس ، والخزرج ، وخزاعة ، ومازن ، وبارق ، وألمع ، والحجر ، والعتيك « العتيق » ، وراسب ، وغامد ، ووالبة ، وثمالة ، ولهب ، وزَهْران ، ودُهمان ، والحُدان ، وشكر ، وعكّ ، ودوس ، وفهم ، والجهاضم ، والأشاقر ، والقسامل ، والفراهيد [4] . وهي أكثر من ذلك ، أو أقل عدداً على حسب مذاهب أهل الأنساب فى ضبط أسماء البطون [5] .

ويصنف النسابون قبائل الأزد جميعها فى أربعة أصناف من الأزد ، هي : أزدعمان ، وأزد السراة وهم الذين أقاموا في سراة اليمن ، وأزد شنوءة أبناء كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله ابن مالك بن نصر بن الأزد وهم من سكنة السراة كذلك ، وأزد غسان وهم من شرب من ماء

---

(١) خلاصة الكلام (ص٥٤) . « وجيفر بن الجلندي الأزدي ، ملك عمان ورئيسها ، أسلم هو وأخوه عبد الله على يد سيدنا عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، رضى الله عنه ، لما وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما ، وهما على عمان . » تاج العروس (٣/١٠٥) ، « وجلنداء : بضم أوله وفتح ثانيه ممدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان » « قال الأعشى :

وجلنداء في عمان مقيماً ثم قيساً في حضرموت المنيف »

تاج العروس (٢/٣٢٣) ، لسان العرب (٤/١٠١) .

(٢) المحبر (٢٦٥ وما بعدها) .

(٣) ابن خلدون (٢/٢٥٣) ، أبو الفداء (١/١٠٢) .

(٤) عمر بن يوسف بن رسول : طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب (ص ٦) « دمشق ١٩٤٩ » . (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) .

(٥) راجع شجرة الأزد في كتاب سبائك الذهب (٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩) ، المبرد : نسب عدنان (ص ٢١ وما بعدها) ، Wustenfeld, Genea, Taf., 10 ، نهاية الأرب (٢/٢٩٦) .

غسان (١) . ويلاحظ أن هذا التصنيف مبني على أسماء مواضع نزلت فيها قبائل الأزد .

ومواطن الأزد القديمة هي مثل مواطن بقية القحطانيين في اليمن ، وقد تركتها على أثر حادث سيل العرم ، فتفرقت مع من تفرق من القحطانيين الى الأماكن المذكورة . وذكر أن أزد السراة حاربت قبيلة خثعم التي كانت نازلة في السراة ، فتغلبت عليها وانتزعت الأرض منها ، وأن « أردشير » الأول أسكن الأزد في عُمان . فبقوا فيها تحت حكم الفرس (٢) .

وكان مناة وذو الخلصة من أصنام الأزد الرئيسة التي تعبدت لها ، كما تعبدت لصنم اسمه العائم كان في السراة (٣) . ولصنم آخر اسمه باجر ، كان للأزد ، ولمن جاورهم من طيء (٤) .

وأما القبائل المتفرعة من عمرو بن الغوث ، فهي أنمار ، وتنسب الى أنمار بن أراش « إراش » (٥) « أراشة » (٦) وأراش هو ابن عمرو ، وقد نسب بعض النسابين أنماراً إلى أنمار بن نزار بن معدّ بن عدنان ، فجعلوها من العدنانيين (٧) ، ويدلّ ذلك على اختلاط هذه القبيلة بالقبائل التي ترجع نسبها الى مجموعة مَعَدّ .

وولد أنمارُ أفتل (٨) ، وهو خثعم ، وأمه هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد بن عكّ ، فهي

---

(١) Ency I , P . 529 ، صبح الأعشى (٣١٩/١) ، كحالة (١٥/١ وما بعدها) .

(٢) Ency . I , P . 530 .

(٣) في Ency . . I , P . 530 . ذو الخبصة وهو خطأ مطبعي ولا شك Wellhausen , Reste , S . 45

(٤) القاموس (٣٦٧/١) ، لسان العرب (١٠٣/٥) . صبح الأعشى (٣٢٩/١) .

(٥) جمهرة (ص ٣٦٥) ، الاشتقاق (ص ٣٠٢) ، « وإراشة بالكسر : أبو قبيلة من بلي ، وهو إراشة بن عامر بن عبيلة بن شميل بن قران بن عمرو بن بلي . وأريش كزبير ، بطن . وقال ابن حبيب : من لخم جدس بن أريش بن إراش بالكسر . واراش هو ابن الحيان بن الغوث . وقيل : اراش هو ابن عمرو بن الغوث . وهو والد أنمار أبو بجيلة من خثعم . واراشة بطن من خثعم ، واراشة ، أيضاً من العماليق . . . وبالضم في أزد وفي قضاعة » ، تاج العروس (٢٨٠/٤) . صبح الأعشى (٣٢٩/١) .

(٦) الاكليل (١٠/٥) ، منتخبات (ص ٣١ ، ١٥٠) .

(٧) « أنمار بن نزار . مضى الى اليمن ، فتناسل بنوه ، ثم حسبوا من العرب اليمانية . » ، تأريخ ابن الوردي (٩٢/١) ، ابن هشام : (ص ٤٩) « طبعة وستنفلد » ، ابن قتيبة : المعارف (ص ٥٠) ، البلخي : كتاب البدء والتأريخ (١٠٧/٤) « تحقيق كليمان هوار » . وسيكون رمزه : البلخي .

(٨) « أقيل » جمهرة (ص ٣٦٥) « أفتل » الاشتقاق (ص ٣٠٤) ، وهو الصحيح . تاج العروس (٣٢١/٣) . الصحاح للجوهري (٢٨٠/٢) ، النووي : تهذيب الأسماء (ص ٢٨٩) ، نهاية الأرب (٣١٠/٢) ، لسان العرب (٢٩٥/٨) ، (٥٦/١٥) تاج العروس (٢١٦/٦) ، الفائق للزمخشري (٦٦/١) ، كحالة (٣٣١/١ وما بعدها) . « أقبل » ، نسب قريش (ص ٧) .

ذات صلة بعك من ناحية الأم . وولد أنمار أيضاً خزيمة وقــد دخلت فى الأزد ، ووادعة ، وعبقراً ، والغوث ، وصهيبة ، وأشهل ، وشهلاً ، وطريفاً ، وسنية ، والحارث ، وخذعة . وأمهم كلهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، وكانوا كلهم متحالفين على ولد أخيهم خثعم [1] . ولهذا يرجع كثير من النسابين قبائل أنمار الى أصلين : خثعم وبجيلة [2] .

وولد خثعم ولداً اسمه حلف أوخلف ، ويعود هذا الاختلاف الى غلط النسّاخ ولا شك ، ومن نسله عفرس ، فولد عفرس ناهساً [3] وشهران [4] وناهباً ونهشاً وكوداً وربيعة أبا اكلب [5] .

ومن بني « ناهش » ناهس حام بن « ناهس » [6] . ناهش [7] ، وهم بطن ، وبنو أجرم وهم بطن أيضاً . ويسمّون ببني معاوية كذلك ، وأوس مناة بن ناهس ، وهو الحنيك ، وهم بطن ، وبنو عُتّة ، وبنو قحافة [8] .

وكانت منازل خثعم فى الهضبة الممتدة من الطائف الى نجران عند طريق القوافل الممتد من اليمن الى الحجاز .

ولا تزال بطون خثعم معروفة حتى الآن . ومنها بطون فى تهامة وفى عسير . منهـا ما هى

---

(١) جمهرة (ص ٣٦٥) .

(٢) البلخي (١٠٧/٤) ، تأريخ ابن الوردي (٩٠/١) .

(٣) « وناهس بن خلف ، بطن من خثعم » ، تاج العروس (٢٦٦/٤) . « عفرس ... أبو حي باليمن . وهو عفرس بن خلف بن أقبل ؟ وهو خثم ؟ بن أنمار » ، تاج العروس (١٩٣/٤) ، العقـد الفريد (٧٨/٢) ، كحالة (٧٩٤/٢) ، « ناهش بن عقرس » ، كحالة (١١٦٩/٣) . « شهران وربيعة وناهش أولاد عقرس بن خلف بن أفتل » ، نهاية الأرب (٢٩٤/٢) .

(٤) جمهرة (ص ٣٦٩) ، « خثعم بن أنمار بن أراشة بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيد بن كهلان ابن سبأ الأكبر . ويقال إنما سمى خثعم بجمل له اسمه خثعم . فكان يقال ارتحل آل « خثعم » ، منتخبات (ص ٣١) ، الاشتقاق (ص ٣٠٤) ، « وشهران بن عفرس بن خلف بن أفتل ، أبو قبيلة من خثعم . وأفتل هو خثعم . » ، تاج العروس (٣٢١/٣) ، نهاية الأرب (٢٩٣/٢) ، العقد الفريد (٧٨/٢) ، كحالة (٦١٧/٢) .

(٥) الاكليل (٥/١٠) .

(٦) جمهرة (٣٦٨) . (٧) Ency., II, P. 924.

(٨) الاشتقاق (ص ٣٠٥) ، « أجرم » القاموس (٨٩/٤) ، تــاج العروس (٢٢٦/٨) ، كحالة (٥/١) . « بنو قحافة » ، لسان العرب (١٨٣/١١) ، القاموس (١٨٣/٣) ، كحالة (٩٣٩/٣).

بادية . ومنها ما هي مستقرة تتكسب قوتها من الزرع[1] .

وذهب « ليفي ديلافيدا » فى « المعلمة الاسلامية » الى أن خثعماً ليست قبيلة فى الأصل إنما هي حلف تألف من قبائل متعددة تحالفت بينها لمصالح مشتركة جمعت بينها ، كما يحدث فى سائر الأحلاف[2] ، والذي أداه إلى هذا الفهم اختلاط هذه القبيلة فى القبائل العدنانية واختلاف النسابين فى نسب خثعم وتفسيرهم معنى كلمة خثعم .

وقد ورد ذكر خثعم في روايات الأخباريين عن حملة أبرهة على مكة ، إذ هم يذكرون أنها عزمت على منعه من الوصول الى مكة ، وأن نفيل بن حبيب الخثعمي رئيس خثعم إذ ذاك ، خرج بقبيلي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، وقاتله حينما بلغ أرض خثعم ، غير أن أبرهة تغلب عليه ، وأسره ، وأبقاه حياً على أن يكون دليله في طريقه الى مكة . وقد سار معه حتى أبلغه الطائف ، وهناك قام بوظيفة إرشاد الحبش إلى مكة أبو رغال الثقفي ، وذلك بأمر من مسعود بن معتب رئيس ثقيف[3] . ويقول الأخباريون أن العرب صارت ترجم قبر أبي رغال بالمُغَمَّس ، وصار سبَّة للناس ، ولست أدري لم خص الأخباريون قبر أبي رغال بالرجم ، ولم يشركوا معه قبر مسعود بن معتب ، وهو الذي كلّف — على حد قولهم — أبا رغال أن يرشد أبرهة إلى مكة .

وقد اشتركت خثعم فى المعركة المعروفة عند الأخباريين باسم يوم فيف الريح ، وهو يوم كان لِمَذْحِج على بني عامر بن صعصعة . اشتركت فيه عدة قبائل أخرى مع المتخاصمين[4] . وقد كانت بطون من مذحج تسكن فى جوار خثعم ، وعند ظهور الاسلام كانت خثعم فى حلف مع مراد ، وقد اشتركت معها فى حربها مع قيس[5] .

وقد تعبدت خثعم مثل بجيلة ودوس وباهله والأزد للصنم المسمى بذي الخلصة الذي هدم في

---

(١) فؤاد حمزة : في بلاد عسير (ص ٦٠) ، « القاهرة ١٩٥١ » .

(٢) Ency . . II . P . 924 .   (٣) الطبري (٢/١١١) ، الاشتقاق (ص ٣٠٦) .

(٤) ابن الأثير (١/٢٦٥) ، الأمثال : للميداني (٢/٣٠٨) ، البلدان (٦/١٣) ، الأغاني (٥/٢١) النقائض (ص ٤٦٩) ، العقد الفريد (٣/٣٥٩) .

(٥) Blau . in . ZDMG . 23 . (1869) . S. 562 .

الاسلام ، هدمه عبد الله بن جرير البَجَلي [1] . وكان لها بيت يدعى كعبة اليمامة به الخلصة . تعبدت اليه [2] .

أما بَجيلة [3] ، فهم بطون عديدة متفرقة ، تفرقت في أحياء العرب منذ يوم حربها مع كلب ابن وبرة بالفجار. وقد أعاد شملها وجمعها جرير بن عبد الله بن جابر البجلي ، وهو الشليل بن مالك ابن نصر بن ثعلبة بن جشم ، صاحب رسول الله [4] . ومن أشهر بطون بجيلة قسر ، وعلقمة ، وبنو أحمس [5] . وقيس كبة ، وبنو عرينة بن نذير ، وبنو دهن بن معاوية . ومن قسر خالد بن عبد الله القَسري [6] .

وأعرف قبائل المجموعة الثانية من قبائل كهلان ، وهي المجموعة التي ترفع نسبها الى الخيار

---

(١) المحبر (ص ٣١٧) ، Ency . . II . P . 924. (٢) كحالة (١/٣٣٢) .

(٣) منتخبات (ص ٥ وما بعدها) ، « بجيلة : امرأة . وهي ابنة صعب بن سعد العشيرة . ولدت لأنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث . وعمرو بن الغوث ، أخو الأزد بن الغوث » ، الإنباه (ص ١٠٠) ، « وبجيلة ، هو عبقر بن أنمار بن أراش . ولد عبقر ، والغوث وصهيبة . أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، فنسبوا اليها ، وعرفوا بها » ، الإنباه (ص ١٠١) ، البلخي (٤/١١٨) ، الاشتقاق (ص ٣٠٢) ، البكري (١/٦٣) ، « وبجيلة كسفينة ، حي باليمن من معد والنسبة اليه بجلي . محركة . قال ابن الكلبي في جمهرة نسب بجيلة : ولد عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان اراشا . فولد أراش أنماراً ، فولد أنمار أفتل وهو خثعم . وأمه هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد بن عك . وعبقراً ، والغوث ، وصهيبة ، وخزيمة . دخل في الأزد ، ووادعة بطن مع بني عمرو بن يشكر ، وأشهل ، وشهلا ، وطريفاً ، وسمية رجل والحارث وخدعة . وأمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة . بها يعرفون . قلت وقد اختلف أئمة النسب في بجيلة ، فمنهم من جعلها من اليمن ، وهو قول ابن الكلبي الذي تقدم وهو الأكثر . وقيل هم من نزار بن معد . قاله مصعب بن الزبير ، كأن المصنف جمع بين القولين . وفيه نظر لايخفى . » تاج العروس (٧/٢٢٢) ، كحالة ، (١/٦٣) .

(٤) جمهرة (ص ٣٦٥ وما بعدها) ، ابن الوردي (١/٩٠) .

(٥) الاشتقاق (ص ٣٠٠) ، المبرد ، نسب عدنان (ص ٢٣) .

(٦) المبرد : نسب عدنان وقحطان (ص ٢٣) ، « وفي بجيلة ، أحمس بن الغوث بن أنمار ، وقيس كبة ابن الغوث بن أنمار بن أراش . بطون . وفي بجيلة بطون غير هؤلاء . ومن بطون بجيلة : دهن بن معاوية بن أسلم ابن أحمس بن الغوث بن أنمار ... وقد مضى دهن في عبد القيس . ومن بطون بجيلة : قسر بن عبقر بطن . وهو رهط خالد بن عبد الله القسري . وعرينة بن نذير بطن . ومنهم : النضر » . الإنباه (ص ١٠٢) ، البلخي (٤/١١٨) . « وبنو دهن بالضم ، حي من بجيلة . وهم بنو دهن بن معاوية بن أسلم بن أحمس بن الغوث . » ، تاج العروس (٩/٢٠٥) لسان العرب ، (١٧/٢٠) ، القاموس (٤/٢٢٤) .

ابن مالك بن زيد بن كهلان ، هي قبيلة هَمْدان . وهي من القبائل المعروفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لها شأن خطير في كلا العهدين .

وقد تحدثت في الجزء الثاني من هذا الكتاب عن همدان استناداً الى كتابات المسند ، وأشرت الى صنمها وهو « تالب ريام » والى نفر من ملوكها ، والى منازل في الأرض التي عرفت ببلد همدان[1] . أما الأخباريون وأهل الأنساب ، فيروون أن هذه القبيلة من نسل جدّ أعلى هو « همدان » ، وكان يسمى تلاد الملك[2] ، وهو في نظرهم والد نوف[3] « نوفل »[4] وعمرو ورقاش زوج عديّ بن الحارث[5] . ويختلف النسابون بعض الاختلاف في سرد أسماء آباء همدان[6] ، وهو اختلاف لا يهمنا نحن كثيراً أو قليلاً بعد أن وقفنا على طبيعة هذه الأنساب .

وأولد نوف بن همدان « حُبران »[7] « خيوان »[8] « خيران »[9] ، ويعود اختلاف هذا الاسم إلى الخطأ الذي وقع فيه النساخ ولا شك . وولد حبران « خيوان » ولداً اسمه جُشَم ، وهو والد حاشد وبكيل . وهما قبيلا هَمْدان العظيمان ، والحارث وقد غبر في قيس ، وزيد وقد دخل في حاشد[10] .

وأولد حاشد جشما ، وعوصاً وقد دخل في كلب . وولد جشم بن حاشد مالكاً ومعد يكرب وعمراً وأسعد وعريباً وزيداً ومرثداً وضماماً ويريم الأكبر وعامراً وربيعة . وأولد يريم بن جشم حاشد الوحش ، وهم بطن بالوحش من أرض الكلاع بين السحول وزبيد ، وعمراً . وأولد عمرو

---

(١) (٢/٢١٤ وما بعدها) . صبح الأعشى (١/٣٢٨) ، كحالة (٣/١٢٢٥ وما بعدها) .

(٢) الاكليل (١٠/١٠) (٣) الاكليل (١٠/١١) .

(٤) « نوفلا » هكذا حققه « ليفي بروفنسال » ، جمهرة (ص ٣٦٩) . وهو خطأ . وصوابه « نوف » ، نهاية الأرب (٢/٣٠٣) .

(٥) الاكليل (١٠/١١) . (٦) طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب (ص ٢٩ وما بعدها) .

(٧) « حبران » هكذا في طبعة الاكليل (١٠/٢٨) ، وفي منتخبات (ص ٢٧) .

(٨) « خيوان » هكذا في طبعة جمهرة ابن حزم (ص ٣٦٩) ، « تحقيق ليفي بروفنسال » . « خيوان » ، سبائك الذهب (ص ٧٨) .

(٩) « خيران » هكذا في الاشتقاق (ص ٢٥٠) . « خيران : هكذا ذكره ابن الجواني النسابة . ولد نوف بن همدان . وقال شيخ الشرف النسابة : هو خيوان بالواو ، فصحف » ، تاج العروس (٣/١٩٥) ، « وخيران ... والد نوف بن همدان » القاموس (٣/٢٥) .

(١٠) الاكليل (١٠/٢٨) ، « حاشد وبكيل قبيلا همدان بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ » ، الهمداني : مشتبه (ص ٤٥) .

زيداً وهو والد تباع جدّ التباعيين ، وتقع منازلهم بالسحول من بلد الكلاع بملقان ووادي النهى (١) .

وإلى حاشد (٢) تنسب مرثد ، وهو مرثد بن جشم بن حاشد في عرف النسابين . وقد سبق أن أشرت الى مرثد ، وهو والد ولد اسمه ربيعة ، وهو ناعط ، وهو بطن ، وولد آخر اسمه الحارث وهو اسم بطن كذلك . وأولد ناعط مرثداً وشراحيل وعامراً وشرحبيل ، فولد شرحبيل أفلح ، وأولد أفلح عميراً ذا مرّان وكان معاصراً للنبي (٣) .

ومن هَمْدانَ بطون عديدة كان لها صيت في الجاهلية وفي الاسلام ، مثل بني عليان وبني حجور وبني قدم وبني فائش وبني شاحذ وبني جحدن وبني ازن وبني شبام . وذي جمران وذي حدّان وبني ناعط وهم في الواقع عدة بطون (٤) ، ومنهم آل ذي المشمار (٥) .

ومن بطون بكيل (٦) بن جشم بن حبران آل ذي لعوة ، وبنو جذلان وثملان ، وبنو دومان ، ومنهم النشقيون ، وبنو صعب بن دومان ، وبنو مرهبة من الصعب ، وبنو أرحب من الصعب كذلك ، وبطون أخرى ذكرها الهمداني في الجزء العاشر من الاكليل (٧) . وهو الجزء الخاص بقبائل همدان .

ويظهر من روايات الأخباريين أن الهَمْدانيين كانوا يتعبدون للصنمين : يغوث ويعوق عند ظهور الاسلام (٨) ، ومعنى ذلك أن تطوراً خطيراً كان قد طرأ على عبادة هذه القبيلة ،

---

(١) الاكليل (١٠/٢٩) . سبائك الذهب (ص ٧٨) ، وفي قائمة الأسماء أخطاء وأوهام .
(٢) « حاشد » الصفة (١١١) ، تاج العروس (٢/٣٣٦ ، ٥٤٧) ، كحالة (١/٢٣٥) ،
(٣) الاكليل (١٠/٣٠) .
(٤) الاشتقاق (ص ٢٥٠ وما بعدها) ، الاكليل (١٠/٩٦ وما بعدها) .
(٥) الاكليل (١٠/٣٦) .
(٦) « بكيل » ، البلدان (١/٧٠٧) ، الاشتقاق (٢٥٠) ، تاج العروس (٢/٢٣٢ ، ٥٤٧) ، الصفة (١١٠ وما بعدها) ، القاموس (٣/٣٣٦) ، لسان العرب (١٣/٦٧) ، نهاية الأرب (٢/٣٠٣) .
(٧) (ص ١٠٨ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٥٦ وما بعدها) ، سبائك الذهب (ص ٧٨ وما بعدها) .
(٨) Ency., II, P. 246. « وكان يعوق لهمدان ، وخولان. وكان في أرحب» ، المحبر (ص ٣١٦).

فابتعدت عن صنمها الخاص بها وحاميها الذي كانت تلجأ اليه فى الملمات ، وهو « تألب » الذي كان معبده بمدينة « ريام » ، ونسيته وتعبدت للصنمين المذكورين اللذين لم يرد اسمها في كتابات المسند ، وهما من الأصنام التي استوردت الى الحجاز ونجد على ما يظن من الشمال .

وقد وقع بين مراد وهمدان والحارث بن كعب يوم عرف بيوم رزم « يوم الرزم » ، وهو موضع فى بلاد مراد (١) ، وقد أخذ فيها الصنم يغوث (٢) .

أما قبائل مجموعة عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، فأشهرها الأشعر ، وطيء ، ومذحج ، وبنو مرّة .

أما الأشعر ، فولد نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهم الأشعريون والأشعرون والأشاعرة ، وتقع منازلهم فى ناحية الشمال من زبيد (٣) .

ومن بطون الأشعر : الجماهر ، وجدّة والأنعم « الأنعم » «الأتعم » والأرغم ووائل وكاهل .

ومن بطونهم : غاسل وناجية والحنيك ، والركب (٤) .

وأما طيء ، فانها من ولد جلهمة بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، ويذكر الأخباريون أنها كانت باليمن ، ثم خرجت على أثر الأزد الى الحجاز ، ونزلوا سميراً وفيداً فى جوار بني أسد ، ثم استولوا على أجأ وسلمى وهما جبلان من بلاد أسد ، فأقاموا فى الجبلين حتى عرفا بجبلي طيء (٥) .

---

(١) البلدان (٤/٢٤٧) . (٢) Blau, in, ZDMG., 23, S. 562.

(٣) جمهرة (ص ٣٧٤) ، ابن خلدون (٢/٢٥٤) ، « الأشعرون . اختلف فيهم . فمنهم من يقول إنهم من ولد الأشعر بن سبأ ... ومنهم من يقول إنهم من ولد الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ . واسم الأشعر : نبت بن أدد » ، الإنباه (ص ١١٥)، طرفة الاصحاب (ص ١٠)، البكري (١/٥٣) ، الصفة (٩٣ ، ١١٩) ، الصحاح (١/٣٤١) ، تاج العروس (٣/٣٠٢) ، لسان العرب (٦/٨٤) ، صبح الأعشى (١/٣٣٥) .

(٤) طرفة الاصحاب (ص ١٠) ، الجمهرة (ص ٣٧٤ وما بعدها) ، Wustenfeld, Taf., 8. ، الاشتقاق (٢٤٨) ، كحالة (١/٣١) .

(٥) ابن خلدون (٢/٢٥٤) ، « وعاش طيء بن أدد ... خمسمائة سنة . وذكر هشام أنه سمع أشياخاً من طيء ، يذكرون ذلك ، وأنه حل من جبله باليمن . وكان يقال له ظريب الى جبلي طيء . وأقام بهما حيناً . وقتل العادى الذي كان بالجبلين » ، كتاب المعمرين من العرب (ص ٦٤) . أبو الفداء =

وتفرقت طيء الى بطون عديدة، يرجع أصولها النسابون كعادتهم الى آباء وأجداد، ومن هؤلاء جديلة، وتيم الله «بنو تيم» وحيش والأسعد، وقد جلا هؤلاء عن الجبلين. وبحتر بن عتود، وبنو نبهان، وبنو هنيء، وبنو ثعل والثعالب. وهم بنو ثعلبة بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد ابن فطرة بن طيء، وهم في طيّ نظير الربائع في بني تميم. ومن بني ثعلبة بن جدعاء تيم بن ثعلبة، وعليهم نزل امرؤ القيس بن حجر، وعمرو بن ثعلبة بن غياث، وكان على مقدمة عمرو بن هند يوم أوارة [1]، وبنو لام بن ثعلبة [2].

ويذكر الأخباريون أن طيئاً بعد أن بلغت جبلي أجأ وسلمى، شاهدت هناك شيخاً كان مع ابنته يمتلكان جبلي أجأ وسلمى، وقد ذكرا لطيء أنهما من بقايا صحار، وذكروا أن لغة طيء هي لغة هذا الشيخ الصحاري [3]. وقد أوجد الأخباريون هذه القصة تفسيراً لبعض المميزات اللغوية التي امتازت بها لهجة طيء، وصحار اسم موضع واسم بطن من قضاعة أيضاً. وقد اخذت بطون قضاعة مواطن طيء في الشمال، واختلطت بعض بطون طيء بقضاعة. فهل عنى الأخباريون بصحار هذا البطن من قضاعة، ولاسيما اذا تذكرنا أن علماء اللغة يذكرون وجود التلتلة في لغة طيء، وقد نسبوا التلتلة الى قضاعة كذلك؟ ولا يستبعد أن يكون لأسطورة الأخباريين عن الشيخ الصحاري، شيء من الواقع، كأن يشير ذلك الى صلة صحار، بطيء.

ويذكر الأخباريون أن الرئاسة في الجاهلية على طيء كانت لبني هنيء بن عمرو بن الغوث بن طيء، وهم رمليون واخوتهم جبليون، ويعنون بذلك أنها كانت تنزل البوادي، لا جبلي طيء.

= (١/١٠٢)، القاموس (١/٦٥، ٤/٦٤، ٢٢٩، ٣٤٨)، لسان العرب (١/١٥، ١٦٠)، صبح الأعشى (١/٣٢٠)، الاشتقاق (٢٢٧ وما بعدها)، ابن صاعد (٤٣)، تاج العروس (١/٩٢، ٥/٢، ٣٦٢، ٦/١٩٧، ٢٨٧، ٧/١٥٠)، الأغاني (١٠/٤٧، ١٨/١٩٣، ١٩/١٢٨)، الميداني، الأمثال (١/١٩٤) النويري، تهذيب الأسماء واللغات قسم أول (٢/٢٨٩)، كحالة (٢/٦٩١).

(١) جمهرة (ص ٣٧٥ وما بعدها). الانباه (ص ١١٦)، «وبحتر من طيء»، الهمداني: مشتبه (ص ٤٧)، طرفة الاصحاب (ص ١٠).

(٢) ابن خلدون (٢/٢٠٤). (٣) البلدان (١/١١٧).

ومن ولده إياس بن قبيصة بن أبي غفر بن النعمان بن حيّة بن سعنة بن الحارث بن الحويرث ابن ربيعة بن مالك بن سفر بن هنيء بن عمرو بن الغوث بن طيء [1] الذي ولي ملك الحيرة بأمر كسرى - كما سبق أن أشرت الى ذلك في الفصل الخاص بتأريخ الحيرة - وكان له شأن يذكر عند الفرس .

وكان لطيء جد هـذه القبيلة من الولد : فطرة ، والغوث والحارث . فأما ولد الحارث ، فدخلوا فى مهرة بن حيدان . وأما ولد فطرة [2] ، فمنهم : جديلة ، وولد خارجة بن سعد بن فطرة ، وتيم الله ، وحيش ، والأسعد . ومن نسل هؤلاء تفرعت سائر بطون طيء [3] .

ومن بنى الغوث بن طيء بنو ثعل [4] ، ومنهم سلامان وجرول [5] . ومن بني سلامان بحتر ، ومعن ، وهما بطنان ضخمان ، وجرول بن ثعل . ومن بني جرول بن ثعل ربيعة بن جرول . وهم بطن ضخم ، ولوذان بن جرول بن ثعل . ومن بنى ربيعة بن جرول أخزم والنجد . ولأخزم بطون عديدة ، ومنها عدي بن أخزم ، ومن رجالها حاتم الطائي المعروف بجوده [6] . وعمرو بن المشيح ، وكان أرمى الناس في زمانه [7] .

وفى استطاعتنا أن نقول عن طيء ، وان كنا لا نعرف شيئاً يذكر من تأريخها فى الجاهلية ، إنها كانت ذات مكانة خطيرة فى تلك الأيام ، بدليل اطلاق اسمها عند بعض الكتبة الكلاسيكيين وعند الفرس والسريان وعند يهود بابل ، على جميع العرب كما أشرت الى ذلك فى الجزء الأول من هذا الكتاب . ولا يعقل اطلاق اسم هـذه القبيلة على جميع العرب لو لم تكن لها منزلة ومكانة فى تلك الأيام ، ولو لم تكن قوية كثيرة العدد ممعنة فى الغزو ومهاجمة الحدود ، حتى

---

(١) الجمهرة (٣٧٧). (٢) نهاية الأرب (٢/٢٩٨) ، كحالة (٣/٩٢٣) .

(٣) الجمهرة (ص ٣٧٥ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٢٨ وما بعدها) ، الانباه (ص ١١٦) . Wustenfeld, Taf., 6, 7.

(٤) « بنو ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء » ، نهاية الأرب (٢/٢٩٩) ، الاشتقاق (٢٣١) ، لسان العرب (١٣/٨٩) كحالة (١/١٤٢) .

(٥) « سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء » ، الاشتقاق (٢٣١) ، صبح الأعشى (١/٣٢١) ، كحالة (١/١٨٤) (٢/٥٣١) .

(٦) الجمهرة (ص ٣٧٨) . (٧) أبو الفداء (١/١٠٢) .

صار فى روع السريان أنها أقوى العرب ، فأطلقوا اسمها عليهم . وبدليل اختيار الفرس لإياس ابن قبيصة ، وهو من طيء ، لتولي الحكم فى الحيرة مرتين ، ولا بد أن يكون لمركز قبيلته سند قوي أسنده فى الحكم . وليس بمستبعد أن تكون قبائل قضاعة قد حلت محل طيء فى الشمال مما اضطر الأخيرة الى التزحزح من أماكنها والدخول فى غيرها والاكتفاء بمنطقتها فى جنوب النفود . أي فى جبلى طيء (١) .

وبالرغم من انتزاع طيء لجزء من أرض بني أسد . وهم من مضر ، وسكناهم فيها . فإن بني أسد وكذلك بني ضبّة التي كانت قد تحولت عن بني تميم الى طيء ، انضموا الى طيء وساعدوها في الحرب التي وقعت بينهم وبين بني يربوع ، وهم من تميم ، تساعدهم بنو سعد . وانتهت بهزيمة بني يربوع فى موضع « رجلة التيس » (٢) . ولكن ذلك لايعني أن العلاقات بين بطون طيء وأسد كانت حسنة دوماً ، وثيقة لم يعكر صفوها ما يقع عادة بين القبائل من حروب . فقد وقعت بين القبيلتين حروب كذلك . منها : الحرب التي وقعت بالخص فى العراق على مقربة من قادسية الكوفة . وقد انتهت هذه الحرب كما تنتهي الحروب الأخرى بتصفية حسابها بدفع الديّات وبعقد صلح (٣) .

وقد وقعت بين عبس وطيء جملة غزوات . قضت احداها على حياة « عنترة بن شداد » ، البطل الأسود الشهير (٤) . أغار عنترة مع قومه على بني نبهان من طيء ، وهو شيخ كبير ، قد عبثت به يد الدهر ، فجعل يرتجز ، وهو يطرد طريدة لطيء . فانهزمت عبس . وأصيب عنترة بجرح قضى عليه (٥) . وهناك رواية أخرى فى مقتل بطل عبس (٦) .

وفى رواية للأخباريين أن ابن هند ملك الحيرة أغار على إبل لطيء ، فحرض زرارة بن عدس ،

---

(١) Rabin , Ancient West - Arabian , P. 193 .

(٢) Ency . , IV , P. 623 . « رجلة التيس » ، البلدان (٢٢٨/٤) ، البكري (٦٤٠/٢) « تحقيق السقا » .

(٣) الأغاني (١٦٣/١٨) ، « الخص : قرية قرب القادسية » ، البلدان (٤٤٤/٣) .

(٤) الأغاني (٢٣٩/٨ ، ٢٤٥) « طبعة دار الكتب المصرية » .

(٥) الأغاني (٢٤٥/٨) « طبعة دار الكتب » ، (١٤٥/٧) « طبعة الساسي » .

(٦) المصدر نفسه .

عمرو بن هند على طيء ، وقال له إنهم يتوعـدونك ، فغزاهم ، فوقعت بسبب ذلك جملة حوادث تسلسلت الى يوم أوارة . وكان عمرو بن هند كما يقول الأخباريون قد عاقد الحي الذي غزاه على أن لا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ، فلما غزا عمرو بن هند اليمامة ، ورجع ، مرّ بطيء ، انتهز زرارة بن عدس ـ وكان كارهاً لطيء مبغظاً لها ـ هذه الفرصة ، وأخذ يحرضه على غزوهـا . ويشجعه عليه . ومازال به على ذلك ، حتى غزاها ، بعد أن بلغه هجاء بعض الشعراء الطائيين له ، لاصابته بعض النسوة من طيء . فتمكن منها وأخذ جملة أسرى ، من بطن « أخزم » ، وهم رهط حاتم الطائي [١] .

وكانت صلة هـذه القبيلة بالفرس حسنة ، ولما أراد الملك النعمان الالتجاء اليهم والدخول فيهم ليمنعوه من الفرس ، لمصاهرته لهم ، وأخذه زوجتين هما فرعة بنت سعد بن حارثة بن لام وزينب بنت أوس بن حارثة بن لام منهم ، لم تقبل طيء جواره ولا مسـاعدته ، وقالت له : « لولا صهرك قاتلناك ، فإنه لا حاجة لنا فى معاداة كسرى » [٢] . وقد جعل كسرى إياس بن قبيصة على الرجال من الفرس والعرب في حرب بكر بن وائل فى معركة ذي قار .

ويظهر من روايات الأخباريين أن رؤساء طيء كانوا يحكمونها ، وكانوا يلقبون بملك . فقد ذكروا أن عديّ بن حاتم الطائي كان رئيس طيء فى أيام الرسول ، وكان ملـكاً عليها يأخذ منها المرباع . فلما جاءت خيل الرسـول اليه بقيادة عليّ بن أبي طالب ، فرّ الى الشـأم ، ثم ترك الشأم ، وذهب الى الرسول فأسلم [٣] .

أما صنم طيء ، فكان « الفلس » ، وكان بنجد ، قريباً من فَـيْـد . وسـدنته من بنى بولان [٤] . هدمه علي بن أبي طـالب بأمر النبي ، وكانت طيء قد قلدت الصنم سـيفين يقال لأحدهما مخذم وللآخر رسوب ، أهداهما اليه الحارث بن أبي شمر ، فأخذهما عليّ بن أبي طالب وتعبدت طيء لصنم آخر هو « رضى » [٥] . كما تعبدت لصنم ثالث هو سهيل [٦] .

---

(١) الأغاني (١٢٧/١٩ وما بعدها) . (٢) الطبري (١٥١/٢ وما بعدها) .
(٣) « ذكر غزوة طيء واسلام عدي بن حاتم » ، ابن الأثير (١١٩/٢) .
(٤) المحبر (ص ٣١٦) . (٥) Ency. , vol. , IV , p. 624.
(٦) كحالة (٦٩١/٢) .

ومذحج من القبائل اليمانية الكبيرة ، وقد تفرعت منها قبائل كبيرة كذلك . وتنتسب الى جدّ أعلا لها ، هو مذحج وهو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، وأبو عدة أولاد ، هم : جلد بن مذحج ، ويحابر وهو مراد ، وزيد وهو عنْس ، وسعد العشيرة[1] ، ولهيس بن مذحج . وأمهم كلهم سلمى بنت منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر[2] . ومن بني عَنْس بن مذحج . عمار بن ياسر الصحابي المعروف ، والأسود العَنْسي المتنبيء[3] .

ولمذحج مثل القبائل الأخرى أيام . منها يوم فيف الريح[4] . ويوم السُّلان . وهو لربيعة على مذحج[5] . وسأتحدث عن أيام مذحج في الفصل الخاص بأيام العرب قبل الاسلام .

ويشير هذا النسب الذي يذكره النسابون الى وجود صلات قديمة وثيقة بين مراد وخثعم ، وبين مجموعة القبائل المعروفة بمذحج . وهم أبناء أخوة على رأي النسابين[6] .

---

(١) الجمهرة (ص ٣٨١) ، ابن خلدون (٢/٢٥٥) . الاشتقاق (ص ٢٣٧ وما بعدها) ، Wustenfeld , Genea , Taf. , 7 , 8. « فولد يحابر مذحج . وولد مذحج مراداً ، وجلداً ، وعنساً ، وسعد العشيرة . وإنما سمي سعد العشيرة ، لأنه شهد الموسم ، ومعه بنوه عشرة ، فقيل له من هؤلاء ؟ فقال : هم العشيرة . وولد سعد العشيرة : جعفن بن سعد ، وحبيب بن سعد ، وصعب بن سعد ، وعائذالله بن سعد » ، البلخي (٤/١١٩ وما بعدها) ، « وأما مذحج ، فكل من انتسب الى مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، فهو مذحجي . ومن لم ينتسب الى مالك بن أدد ، فليس بمذحجي . ومالك ابن أدد ، هو جماع مذحج . وقال ابن اسحاق : مذحج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . ولم يتابع ابن اسحاق في ذلك » ، الانباه (ص ١١٦) ، ابن الوردي (١/٩٠) ، أبو الفداء (١/١٠٢) ، القاموس (١/١٧١) ، لسان العرب (٢/-٤٨) ، (٣/١٠٣) ، الروض الانف (١/١٣٩) ، البكري (١/٢٩٨) ، كحالة (٣/١٠٦٢ وما بعدها) .

(٢) الجمهرة (ص ٣٨١) . (٣) الأغاني (١٨/١٣٥) . ابن الوردي (١/٩٠) ، « عنس ابن مالك وهو مذحج » ، الاشتقاق (٢٤٧) ، نهاية الأرب (٢/٣٠١) صبح الأعشى (١/٣٢٧) ، الصفة (٥٤ ، ١٠٤) ، كحالة (٢/٨٤٧ وما بعدها) .

(٤) نهاية الأرب (١٥/٤١٤) ، العقد الفريد (٢/٨٠) ، الأمالي للقالي (٣/١٤٧) ، البكري (٣/١٠٣٨) « طبعة السقا » .

(٥) « بين معد ومذحج وكلب يومئذ معديون . وشهدها زهير بن جناب الكلبي ... فقال :

شهدت الموقدين على خزاز وفي السلان جمعاً ذا زهاء

البلدان (٥/١٠٤) .

(٦) Ency. , III , P. 82 , Wustenfeld , Genea. , I.

ويذكر الأخباريون أن مواطن مراد القديمة هي في الجوف، في منطقة رملية جرداء. ويظهر أنها كانت متبدية وكان معبودها الصنم يغوث [1] الصنم الذي تعبدت له مذحج كذلك [2]. روي أن الصنم يغوث، كان لمذحج كلها. وكان في أنعم، فقاتلتهم عليه غطيف من مراد، حتى هربوا به الى نجران، فأقروه عند بني النار من الضباب، من بني الحارث بن كعب، واجتمعوا عليه جميعاً [3].

ويذكر الأخباريون أن المنذر بن ماء السماء حينما بغى على أخيه عمرو، هرب عمرو الى مراد، فاحتفلت به، وعينته رئيساً عليها. غير أنه اشتد عليها حينما تمكن وقوي أمره، فغدرت به وقتلته. لذلك غزاها عمرو بن هند، وقتل قتلة عمرو [4].

وكانت بين مراد وهمدان حرب، وقعت في عهد لم يكن بعيداً عن الاسلام. عرفت بيوم الرزم. انتصرت فيها همدان على مراد. وكان رئيس مراد أيام الرسول فروة بن مسيك المرادي. وقد استعمله الرسول على صدقات مراد وزبيد ومذحج. فاستاءت زبيد ومذحج من ذلك. وارتد عمرو بن معد يكرب في مرتدين من زبيد ومذحج. فاستجاش فروة النبي، فوجه اليهم جيشاً، هزم المرتدين [5].

وقبيل الإسلام كان هبيرة بن المكشوح بن عبد يغوث رئيساً بارزاً على مراد، وقد عده الأخباريون من «الجرارين» في اليمن، ويقصد بالجرار من ترأس ألفاً في الجاهلية [6]. وقد كان ابنه قيس من رؤساء مراد البارزين عند ظهور الإسلام [7]. وهو الذي قتل الأسود العنسي [8] وكان هناك رئيس آخر على مراد عند ظهور الإسلام هو فروة بن مسيك، كان كذلك من الجرارين [9].

---

(١) Ency., vol., III, P. 726. (٢) الأصنام (١٠) (٣) المحبر (ص ٣١٧).

(٤) Ency., III, P. 726.

(٥) البكري (٢/٦٤٩ وما بعدها)، الأغاني (١٤/٢٥ وما بعدها).

(٦) المحبر (ص ٢٥٢).

(٧) Ency., vol., III, P. 726. (٨) الاشتقاق (ص ٢٤٧).

(٩) المحبر (ص ٢٥٢). Ency., vol., III. P. 726.

وأشهر أولاد يحابر ، وهومراد ، ناجية وزاهر [1]. ومن ولد ناجية مفرج ، وكنانة ، وعبد الله ومالك ، ويشكر ، وردمان . وقد انتسب ردمان الى حمير . ومن ولد عبد الله غَطِيفٌ ، وهم بطن [2]. ومن نسل ردمان [3] قرن ونابية ، وهما بطنان . ومن بني زاهر قيس بن المكشوح ، وبنو الحصين والربض والصنابح وهما بطنان [4] .

وأولاد سعد العشيرة كثيرون ، تفرعت منهم قبائل وبطون ، ويذكر الأخباريون أن سعد العشيرة كان رجلا كثير الأولاد حتى إنه كان اذا ركب، ركب معه ثلاث مئة فارس من صلبه . والظاهر أنها كانت من القبائل الكبيرة ، وأظن أنها كانت تحتمي بصنم هو « سعد العشيرة »، ثم نسيته ، فتصور أبناؤها أنه إنسان ، وأنهم من صلبه منحدرون ، وليس هذا بأمر غريب ، وقد ذكرت امثلة من هذا القبيل ومنه « تالب » صنم همدان المذكور في المسند ، الذي صيره النسابون جداً من أجداد همدان .

ومن أولاد سعد العشيرة : الحكم [5]، والصعب [6] ، ونمرة ، وجُعفي ، وعائذ الله ، وأوهن الله ، وزيد الله ، وأنس الله ، والحرّ ، ومن البطون المتفرعة من هؤلاء الدئل ، وهم من نسل الحكم ، وقد دخلوا في تغلب [7] . وأسلم . ومن جعفي [8] مرّان وحريم . أما بنو صعب فأشهرهم أود

---

(1) « ويحابر بن مالك ، وهو مراد . وانما سمي مراداً ، لأنه أول من تمرد باليمن » ، الاشتقاق (ص ٢٣٨ ، ٢٤٦) ، نهاية الأرب (٢/٢٨٥) .

(2) « غطيف بن عبد الله بن ناجية بن مراد » ، تاج العروس (٦/٢١٣) ، القاموس (٣/١٨١) ، كحالة (٣/٨٨٩) .

(3) « ردمان بن ناجية » ،الاشتقاق (ص ٢٤٧) ، تاج العروس (٨/٣١٠) .

(4) الجمهرة (ص ٣٨٢ وما بعدها) .

(5) تاج العروس (٨/٢٥٥) ، نهاية الأرب (٢/٣٠١) لسان العرب (١٥/٣٤) ، كحالة (١/٢٨٧) .

(6) « الصعب بن سعد العشيرة بن مالك » ، نهاية الارب (٢/٣٠١) ، كحالة (٢/٦٤١) .

(7) الجمهرة (ص ٣٨٣) .

(8) « جعفي بن سعد العشيرة » ، الاشتقاق (ص ٢٤٢) ، نهاية الارب (٢/٣٠١) ، ابو الفداء (١/١٠٨) ، لسان العرب (١٠/٣٧١) .

ومنبه[١]، ويسمى أيضاً بزبيد . ومن نسل زبيد مازن ، وهم بطن[٢] . ومن قبيلة أود الأفوه الأودي الشاعر المعروف[٣] .

وأبين بطون جلد بن مالك بن أدد ، أي جلد بن مذحج ، بنو عُلة بن جلد . ومن أولاد علة : عمرو ، وعامر ، وحرب تفرعت جملة قبائل أظهرها : النخع بن عمرو بن علة . وبنو الحارث ابن كعب بن عمرو بن علة ، ورهاء وهو ضبة بن الحارث بن علة[٤] ، وصداء وهم من نسل يزيد بن حرب بن علة[٥] .

وقد تحالف منبه والحارث والعلاء « العلى » وسيحان « سبحان » « سنحان » وهفان وشمران ، وهم ولد يزيد بن حرب بن علة بن جلد علي بني أخيهم صـــداء بن يزيد بن حرب ، فسموا جَنْباً ، لأنهم جانبوا عمهم صداء ، وحالفوا بني عمهم بني سعد العشيرة . ومن جنب ، معاوية الخير الجنبي ، صاحب لواء مذحج في حرب بني وائل ، وكان مع تغلب[٦] .

أما صداء ، فحالفت بني الحارث بن كعب . ومن بني منبه ، كان معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد الذي تزوج بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي[٧] .

وتنتسب قبيلة النخع الى النخع وهو جسر بن عمرو[٨] بن علة بن جلد بن مالك ، وهو

---

(١) البكري (١/٥٧) ، تاج العروس (٢/٢٩٢) ، لسان العرب (٤/٤١) ، ابو الفداء (١/١٠٨) ، كحالة (١/٤١) .

(٢) الجمهرة (ص٣٨٥) ، الاشتقاق (ص ٢٤٥) ، نهاية الأرب (٢/٢٨٥) .

(٣) ابن الوردي (١/٩٠) ، الأغاني (١١/٤٤ وما بعدها) ، الجمهرة (ص ٣٨٦) .

(٤) « رهاء بن منبه بن حرب بن علة بن جلد بن مالك » ، تاج العروس (١٠/١٦١) ، لسان العرب (١٩/٦٣) ، الاشتقاق (ص ٢٤٢) ، نهاية الأرب (٢/٢٨٦) ، كحالة (٢/٤٤٨) .

(٥) الانباه (ص ١١٦ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٣٧ ، ٢٤٢) .

(٦) خلاصة الكلام (ص ٥٥) ، ابن الوردي (١/٩٠) ، الاشتقاق (ص ١٣٠) ، صبح الأعشى (١/٣٢٦) ، كحالة (١/٢١٠) . تاج العروس (١/١٩٢) ، ابو الفداء (١/١٠٨) .

(٧) الجمهرة (ص ٣٨٨) ، الاشتقاق (ص ٢٤٢) ، تاج العروس (١/٨٨) ، القاموس (١/٢٠) ، نهاية الأرب (٢/٢٨٦) .

(٨) « ولد عمرو بن علة كعباً ، وعامراً ، وجسراً وهو النخع » الجمهرة (ص ٣٨٩) . وبعد أسطر من هذا النسب ، وفي باب « وهؤلاء بنو جسر أخيه ، وهو النخع بن عامر » جاءت هذه الأسطر « ولد النخع بن عامر بن علة .. الخ » ، فصار والد النخع عامر فى هذا الباب ، بينما هو « عمرو » . ولم يشر « ليفي بروفنسال » الى هذا التناقض الناشيء من تحريف النساخ ، وفي تحقيقه هفوات من هـذا القبيل . الانباه (ص ١١٦) .

مذحج [1] . ومن النخع الأشتر النخعي ، واسمه مالك بن الحارث ، صاحب رسول الله ، ثم علي بن أبي طالب [2] . وللنخع بطون عديدة ، منها : صُهبان ، ووهبيل ، وجسر ، وجذيمة ، وقيس ، وحارثة [3] ، وصلاءة ، ورزام ، والأرت ، ومن الأرت بنو عبد المدان ، وعبد الحجر بن المدّان [4] .

وولد مرة بن أدد رُهماً ، والحارث . ومن رهم كان الأفعى الذي يتحاكم اليه بنجران على رواية ابن حزم [5] ، أو من « رهم » من طيّ على رواية ابن دريد [6] . أما الهمداني ، فذهب الى أنه من رهم بن مرة بن أدد ، أي على نحو ما ذهب ابن حزم اليه [7] .

وبنو مرّة بن أدد ، اخوة طيء ومذحج والأشعريين ، بطون كثيرة تنتهي كلها الى الحارث بن مرة مثل خولان ومعافر ولخم وجذام وعاملة وكندة [8] . أما خولان ، فيرجع نسبها الى خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد . ويسمى النسابون خولان فكلا « أفكلا » كذلك [9] .

والخولانيون هؤلاء هم خولان أدد ، وعرفوا بخولان العالية أيضاً [10] ، وهم غير خولان بن عمرو ابن الحاف « الحافي » بن قضاعة ، أي خولان القضاعية ، وهي قبيلة يمانية كذلك في نظر من جعل قضاعة من اليمانين [11] . وأظن أن هناك صلة بين « فكل » و « أفكل » و « يكلى » أو

---

(١) منتخبات (ص ١٠٢) ، الاشتقاق (ص ٢٣٧) ، ابن خلدون (٢/٢٥٥) ، نهاية الأرب (٢/٣٠٢) ، أبو الفداء (١/١٠٨) ، لسان العرب (١٠/٢٢٦) ، القاموس (٣/٨٧) ، المصباح المنير (٢/١١٤) ، كحالة (٣/١١٧٦) .

(٢) أبو الفداء (١/١٠٣) ، صبح الأعشى (١/٣٢٧) .

(٣) جمهرة (ص ٣٨٩) .

(٤) الاشتقاق (ص ٣٣٧) .

(٥) جمهرة (ص ٣٩٢) .

(٦) الاشتقاق (ص ٢١٨) .

(٧) الاكليل (١٠/٢) ، « مرهم » ، نهاية الأرب (٢/٢٨٦) ، كحالة (٣/١٠٧٧) .

(٨) ابن خلدون (٢/٢٥٦) ، نهاية الأرب (٢/٢٨٦ وما بعدها) .

(٩) جمهرة (ص ٣٩٢) ، الاشتقاق (ص ٢٢٧) ، ابن خلدون (٢/٢٥٦) . نهاية الأرب (٢/٢٨٧) ، تاج العروس (٦/١٥٢ ، ٧/٣١٢) ، القاموس (٢/٢٣٢) ، لسان العرب (١٣/٢٤٠) ، صبح الأعشى (١/٣٢٦) ، القاموس (٣/٢٧٢) ، كحالة (١/٣٦٥ وما بعدها) .

(١٠) الاكليل (١٠/٣ ، ٤٢) .

(١١) منتخبات (ص ٣٥) ، الاكليل (١٠/٢٩٣) ، الانباه (ص ١١٥ ، ١٢٠) .

« ركاى » المذكور عند بعض الأخباريين ، وقد زعم الهمداني أنه شقيق خولان ، وابن الابن الآخر لعمرو بن مالك . وقد نشأت هذه الصور للاسم من تحريف النساخ ، ومن التبلبل الذي يحدثه أمثاله للنسابين والباحثين فى الأنساب . وأما أن يكلى أو فكل هو شقيق خولان ، أو أنه خولان نفسه ، فأمر لا قيمة له .

ورجح نشوان بن سعيد الحميري كون المراد بـ « خولان العالية » خولان قضاعة ، وقد ذكر الرأيين وناقش كل واحد منها ، ثم رجح أن خولان العالية هي خولان قضاعة [1] .

وإسم خولان من الأسماء التي ورد ذكرها فى كتابات المسند . ورد اسماً لأرض ، كما ورد اسماً لقبيلة ، هي قبيلة خولان [2] ويعود تأريخ هذه الكتابات الى ما قبل الميلاد . وتقع ارض خولان فى نفس المكان الذي عرف فى الإسلام بـ « عز خولان » وبأرض خولان [3] . وقد ذهب « شبرنكر » الى أن خولان هى « حويلة » احدى القبائل العربية المذكورة فى التوراة [4] .

وعند ظهور الإسلام ، كانت خولان تتعبد للصنم ، عم أنس « عميأنس » وللصنم يعوق [5] . وفى السنة العاشرة للهجرة ، وصل وفد منها الى الرسول معلناً له الدخول فى الإسلام . وقد اشتركت خولان مع من اشترك من القبائل العربية فى الفتوح . فلعبت دوراً هاماً فيها خاصة فى فتوحات مصر [6] .

وإلى يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة يرجع نسب المعافر [7] . جد المعافريين ، ويسمى بالمعافر الأكبر تمييزاً له عن المعافر الأصغر ، وهو ابن حضرموت [8] . وقد اشتهرت المعافر بنوع من الثياب سميت بأسمهم [9] .

ومن ولد عديّ بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب ، كان الحارث بن عديّ

---

(١) منتخبات (ص ٧٥ وما بعدها) .

(٢) Halevy , 585 , Glaser , 1076 , Glaser 119. (٣) Ency., II, P. 933.

(٤) Ency., II. P. 933. (٥) الأصنام (٤٣) . كحالة (٣٦٦/١) .

(٦) Ency., II, P. 933.

(٧) جمهرة (ص ٣٩٣) ، نهاية الأرب (٢٨٧/٢) ، كحالة (١١١٥/٣) .

(٨) الاكليل (٢/١٠) ، الاشتقاق (ص ٢٢٨) ، ابن خلدون (٢٥٦/٢) ، الانباه (ص ١١٨) .

(٩) « المعافرية » منتخبات (ص ٧٣) .

وهو عاملة ، وعمرو بن عدي وهو جذام ، ومالك بن عدي وهو لخم ، وعفير بن عدي وهو والد كندة [1]. وكلها كما ترى قبائل معروفة شهيرة تنتسب الى القحطانيين. وأما أمهم ، فهي رقاش بنت همدان [2].

وذكر ابن خلدون أن الحارث بن عدي والد عاملة ، سمى عاملة باسم امه عاملة ، وهي من قضاعة . وذكر انها كانت في بادية الشأم [3] .

وقد يستنتج من هذه الصلة بين القبائل الثلاثة ، أنها كانت حلفاً فى الأصل جمع بينها لمصالح مشتركة ولظروف متشابهة ألفت بينهـا على نحو ما رأينا عند قبائل أخرى ، فصارت نسباً بمرور الأيام [4] . وقد كانت هذه الصلة قوية خاصة بين لخم وجذام ، حيث اقترن اسمهما معاً فى الغالب ، ولا سيما فى الاسلام ، مما يدل على اشتراك المصالح بين القبيلتين .

وكانت عاملة حليفة لكلب ، « وغزت معها الى طيء ، فأسر رجل من عاملة ، اسمه قميسيس ، عدي بن حاتم ، فانتزعه منهم شعيب بن مسعود العُليمي من كلب ، وقال له : ما أنت وأسر الأشراف ؟ » ، وأطلقه بغير فداء [5]. ومن عاملة الشاعر عدي بن الرقاع [6].

ويذكر الأخباريون أن بطوناً من عاملة كانت فى الحيرة ، كما أن بعضاً منها كان خاضعاً للزبّاء [7] . واذا صح زعم الأخباريين هذا ، فانه يدل على قدم وجود هذه القبيلة فى بلاد الشأم والعراق ، ولكننا لا نجد لها ذكراً مثل أكثر القبائل الأخرى فى كتب « الكلاسيكيين » .

وكانت منازلها عند ظهور الاسلام فى المنطقة الجنوبية الشرقية للبحر الميت . وقد اشتركت مع القبائل العربية الأخرى التي ساعدت الروم ، وانضمت الى جانب « هرقل Heraclius » ، ولكن اسمها لم يرد كثيراً فى أخبار فتوح المسلمين لبلاد الشأم ، وإنما كان من الأسماء المعروفة

---

(١) جمهرة (ص ٣٩٤) . (٢) الاكليل (١٠/٤) .
(٣) ابن خلدون (٢/٢٥٧) ، « عاملة » ، تاج العروس (٨/٣٥) ، القاموس (٤/٢٢) ، نهاية الأرب (٢/٢٨٧) ، صبح الأعشى (١/٣٣٥ وما بعدها) .
(٤) Ency., Vol. III, P. 11.
(٥) جمهرة (ص ٣٩٤) . (٦) منتخبات (ص ٧٧) ، جمهرة (ص ٣٩٤) .
(٧) Ency., Vol., I, P. 327

فى أيام الأمويين ، وتدُل إقامتها فى هذه البلاد منذ أيام الجاهلية على أن صلتها ببلاد الشام كانت أقوى وأمتن من صلتها بالعراق .

وصنم عاملة هو الأقيصر ، وكان فى مشارف الشام ، يحجون اليه ، ويحلقون رؤوسهم عنده [1] .

وولد جذام ، وهو عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة [2] والد قبيلة جذام الشهيرة من الولد حراماً ، و « جُشَمَ » [3] . ومن بني حرام غطفان وأفصى ، وهما ابنا « سعد بن إياس بن أفصى بن حرام بن جذام » ، وذكر ابن حزم : أن روح بن زنباع، وهو من بني أفصى ، أراد أن يردّ نسب جذام الى مضر ، فيقال جذام بن أسدة أخي كنانة وأسد ابني خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر ، فعارضه فى ذلك ناتل بن قيس [4] .

ومن بطون جذام : « بنو ضبيب ، وبنو مخرمة ، وبنو بعجة ، وبنو نفاثة ، وديارهم حوالي أيلة من أول أعمال الحجاز الى ينبع من أطراف يثرب . وكانت لهم رياسة فى معان وما حولها من أرض الشأم لبنى النافرة من نفاثة ، ثم لفروة بن عمرو بن النافرة . وكان عاملا للروم على قومه وعلى من كان حوالي معان من العرب . وهو الذي بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء وسمع بذلك قيصر ، فأغرى به الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان ، فأخذه وصلبه بفلسطين » [5] .

أما لخم ، الأخ الآخر لعاملة وجذام ، فولد جزيلة ونمارة ، وولد نمارة عدياً ، وهو عمم وحبيب وجذمة ، وهم العباد ، وغيرهم . وولد حبيب، هانئاً ، ومن نسله تميم الداري صاحب رسول الله ، ومن نمارة عمرو بن رزين بن نمارة بن لخم ، ومن ولده قصير الوارد اسمه فى قصة

---

(١) كحالة (٢/٧١٤) .
(٢) منتخبات (ص ١٩) ، ابن خلدون (٢/٢٥٧) . تاج العروس (٨/٢٢٣) ، لسان العرب (١٤/٣٥٦) ، أبو الفداء (١/١٠٩) نهاية الأرب (٢/٣٠٣) ، صبح الأعشى (١/٣٣٠) ، الصحاح (٢/٢٦٩) ، كحالة (١/١٧٤) .
(٣) « جشم » ، جمهرة (ص ٣٩٥) ، وهو في الاشتقاق (ص ٢٢٥) « حشم » .
(٤) جمهرة (ص ٢٩٥ وما بعدها) . Ency. , I, P. 1058. (٥) ابن خلدون (٢/٢٥٧) .

الزباء ، ومن نسل عمم بنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عمم بن نمارة بن لخم ، رهط آل المنذر ملوك الحيرة [1] .

ويظهر أن اللخميين كانوا أقدم جماعة فى هذا الحلف ، وقد كانوا قبل الإسلام فى بلاد الشأم والعراق وفى البادية الفاصلة بينهما وفى مواضع متعددة من فلسطين . ومنهم كما رأينا كان آل لخم ملوك الحيرة . ولا يستبعد أن يكون ظهور هذه القبيلة على أثر تصدع حكومة تدمر . حيث مكّن هذا التصدع رؤساء القبائل الكبرى من الظهور . وقد كان اللخميون على النصرانية مثل الغساسنة فى الشأم [2]

ويدل القصص المروى عن أصل لخم ، وانحدارها من صلب ابراهيم ، على قدم هـذه القبيلة في نظر أهل الأخبار . ومما جاء فى هـذا القصص أن أحد بني لخم هو الذي أخرج يوسف من البئر [3] . وقد لعب اللخميون دوراً هاماً كما رأينا فى سياسة البادية وفى مقـــدرات عرب الشأم والعراق .

وفى الاسلام صارت كلمة « لخم » تطلق على جذام . ويدل ذلك على الصلات الوثيقة التي ربطت بين القبيلتين . ثم قل استعمال كلمة « لخم » ولخمي ، بالقياس الى جذام . حتى صارت لخم تعني فى الغالب الأمراء اللخميين .

وشقيق لخم هو عفير بن عديّ والد ثور ، وهو كندة جدّ قبيلة كندة الشهيرة . وولد كندة معاوية بن كندة وأشرس ، وأمها هي رملة بنت أسـد بن ربيعة بن نزار [4] . ويمثل

---

(١) جهرة (٣٩٦ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٢٥) ، صبح الأعشى (١/٣٣٤ وما بعدها) ، لسان العرب (١٦/١٢) ، تاج العروس (٤/١٢٦) ، الصحاح (٢/٣٣٣) ، كحالة (٣/١٠١٢) .

(٢) Ency. , Vol. , III , P . 11.

(٣) Ency . , III. , P. 11

(٤) جهرة (ص ٣٩٩) ، الاكليل (١٠/٤) . « كندة ، واسمه ثور بن عفير بن عدي بن الحارث ابن مرة بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . هذا قول ابن الكلبي . وقال ابن هشام : كندى ويقال كندة بن ثور بن مرتع ... وقال ابن اسحاق : كندة هو ثور بن مرتع . وقال الزبير : ثور ابن مرتع بن كندة من ولد معاوية الأصغر » الانباه (ص ١١٤) ، الاشتقاق (ص ٢١٨) ، تأريخ ابن خلدون (٢/٢٥٧) ، تاج العروس (١/٤٣ ، ٢/٢٨٧) ، لسان العرب (٤/٣٨٦) ، صبح الأعشى (١/٣٢٨) ، نهاية الأرب (٢/٣٠٣) ، الروض الأنف (٢/٣٤٥) ، كحالة (٣/٩٩٨ وما بعدها) .

هذا النسب صلة كندة بقبائل معد . وقد نسب بعض النسابين كندة الى كندة ، وهو ثور بن مرتع بن معاوية بن كندي بن عفير بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو ابن عريب بن زيد بن كهلان [1] ، وقد ولد هذا النسب من نسب آخر جعل اسم ولد عفير « كندي » ، ثم ساقوا النسب على هذا النحو الى أن وصلوا الى ثور بن مرتع ، فقالوا : إنه هو كندة ، وإنه شقيق مالك وهو الصدف ، وقيس [2] .

ومن بطون كندة معاوية بن كندة ، ومنه الملوك بنو الحارث بن معاوية الأصغر بن ثور ابن مرتع بن معاوية [3] أسلاف الشاعر امرؤ القيس ، وقد حكموا القبائل الأخرى من غير كندة ، ومنها قبائل من عدنان .

ومن ولد أشرس : السكون والسكاسك[4] ، ومن السكون بنو عديّ وبنو سعد وأمها من مذحج اسمها تجيب بنت ثوبان بن سُليم بن رها بن مذحج ، ولذلك عرفوا بـ « تجيب » [5] .

وكان أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل في أيام الرسول من السكون ، وأخوه بشر بن عبـد الملك . يذكرون أنه ذهب الى الحيرة ، وتعلم بها الخط ، ثم رجع الى مكة فتزوج الضهياء بنت حرب أخت أبي سفيان [6] .

وأما الصدف ، فهو عقب مالك بن اشرس على رواية . وقد نسب الى كندة ، كما نسب الى

---

(١) منتخبات (ص ٩٤) . « كندة بن عفير بن الحارث . من ولد زيد بن كهلان » ، خلاصة الكلام (ص ٥٥) وما بعدها .

(٢) الاكليل (٥/١٠) . (٣) ابن خلدون (٢/٢٥٧) .

(٤) الانباه (ص ١١٥) . « السكاسك : نسل حيس السكسك بن أشرس بن ثور . وهو كندة بن عفير . من بطونها : خداش ، صعب ، ضمام ، والأحدر » ، الاشتقاق (٢٢١) ، تاج العروس (٧/١٤١) كحالة (٢/٥٢٧) .

(٥) « تجيب . قال الزبير وغيره : تجيب امرأة . وهي ابنة ثوبان بن سليم بن رها بن مذحج. نسب اليها ولدها . وولدها عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد . وعفير بن عدي ، بنو عم خولان ، يجمعهم الحارث ابن مرة بن أدد . ولدت تجيب في السكون من كنـدة، فهم أشراف السكون » ، الانبـاه (ص ١١٥) . ابن خلدون (٢/٢٥٧) ، نهاية الأرب (٢/٣٠٤) ، الاشتقاق (٢٢١) كحالة (٢/٥٢٨) وما بعدها .

(٦) جمهرة (ص ٤٠٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٢٥٧) .

حضرموت . ونسبه بعض النسابين الى حمير . فمن نسبه الى كندة ، قال : الصدف هو : عمرو بن مالك بن أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور وهو كندة [1] أو عمرو بن مالك بن أشرس أخي السكون بن أشرس . ومن نسبه الى حضرموت . قال : الصدف ، هو : الصدف ابن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر [2] . وقد قال عنه بعض الأخباريين : إنه مالك بن الصباح ، أخو أبرهة بن الصباح [3] . وأبرهة بن الصباح هو عربي في نظر أكثر الأخباريين . ولم يعرفوا أنهم يقصدون به أبرهة الحبشي ، صاحب حملة الفيل . ومن نسبه الى حمير قال : الصدف هم من نسل : الصدف بن عمرو بن ديسع بن السبب بن شرحبيل بن الحارث ابن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر [4] . أو : الصدف بن سهلة بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن هميسع بن حمير [5] .

واختلاف أهل الأنساب ، وأهل الأخبار في نسب الصدف ، دليل على اختلاط هذه القبيلة ببطون كندة وحمير وحضرموت . ودخول بطونها فيها ، وانتسابها الى البطون التي دخلت فيها ، ويؤدي ذلك في الغالب كما رأينا الى اختلاط الانساب .

---

(١) كحالة (٢/٦٣٧) ، نهاية الأرب (٢/٣٠٤) ، لسان العرب (١١/٩٠) .
(٢) الجمهرة (ص ٤٣١) .
(٣) الانباه (ص ١١٤) . نهاية الأرب (٢/٣٠٤) ، لسان العرب (١١/٩٠) ، كحالة (٢/٦٣٧) .
(٤) منتخبات (ص ٥٩) ، « الصدف بن مرتع ، والصدف من حمير هذا قول الهمداني . وغيره يقول : جميع الصدف من حمير » ، الهمداني : مشتبه (ص ٤٠) ، « الصدف بالضم ابن عمرو بن الغوث بن حيدان . الصدف بن ديسع : الصدف بالفتح ، وهو مالك بن مرتع أخو كندة في قول الهمداني . وفي قول غيره : الصدف من حمير » ، الهمداني : مشتبه (ص ٣٢) .
(٥) كحالة (٢/٦٣٧) .

الفصل السادس

القبائل العدنانية

أوجزت الكلام فى الفصل المتقدم على القبائل القحطانية ، أي القبائل التي يرجع نسبها الى اليمن ، وفى هذا الفصل سأحاول الكلام على قبائل القسم الثاني من العرب ، أي قبائل العدنانيين ، مقتصراً فى الغالب على ذكر القبائل الكبرى ، سالكا ما سلكته فى الفصل المتقدم من طريقة أهل الأنساب فى ترتيب القبائل .

وجدّ قبائل هذا الفصل عدنان من سلسلة تنتهي باسماعيل بن ابراهيم الخليل ، جد الاسماعيليين . وهو مثل قحطان شخصية لا نعرف من أمرها شيئاً ، ولا من خبرها غير هذا الذي يقصّه علينا الأخباريون . وهو على حدّ قولهم من معاصري الملك بختنصر ملك بابل « ٦٠٤ - ٥٦١ ق.م » الذي أوحى الله اليه على لسان « برخيا بن أحنيا بن زربابل بن سلتيل » أن يغزو العرب في أيام أبنه معد بن عدنان على حد قول الأخباريين[١] .

ويزعم الأخباريون أنهم وجدوا فى كتب « برخيا » هذا نسب عدنان ، وأنه كان معروفاً عند أهل الكتاب وعلمائهم ، مثبتاً فى أسفارهم . واستشهدوا على نسبه بشعر لأمية بن أبي الصلت[٢] . فمن ذرية عدنان اذن ، تفرعت هذه القبائل التي سأتحدث عنها فى هذا الفصل .

وقد بخل الأخباريون على عدنان ، فلم يمنحوه من الولد غير ولدين ، هما : معد ، والحارث

(١) الطبري (١/٢٩١) . (٢) الانباه (ص ٤٧) .

وهو عك [١] . وأمها : مهاد بنت لهم بن جليد بن طسم [٢] . وقد بخلوا عليه بأسماء نسائه أيضاً على ما يظهر ، إذ لم يذكروا لنا اسم زوجة أخرى له . ولا ندري نحن ، وقد عشنا بعدهم بقرون ، سر هذا البخل الشنيع !

ومن نسـل هذين الولدين تفرعت قبائل عـدنان ، فأولد معد نزاراً [٣] ، وأضاف بعض النسابين قضاعة اليه . وأمها مُعانة بنت جوشم بن جلهمة بن عامر بن عوف بن عديّ بن دُب ابن جرهم [٤] . وقد أشرت الى اختلاف النسابين في نسب قضاعة وارجاع بعضهم اياه الى معد وبعضهم الى قحطان ، والى محاولة كل فريق جرهم اليه ، لعوامل سياسية بحتة وإن اكتسبت صبغة نسب وأصل وحسب ، فالموضوع هو تكتل وتحزب وتنافس . وقضاعة كتلة من القبائل كبيرة ، لذلك كان لاجتذابها الى أحد المعسكرين السياسيين المتطاحنين أهمية عظيمة في سياسة ذلك العهد ، لذلك نجد نسابي كل فريق يحاولون جهدهم إثبات نسب قضاعة في فريقهم ، حريصين على نفي نسبتها الى الفريق المعارض ، واخراجها منها ، وتفنيد حجج الخصوم . هذا أبو عبد الله الزبيري « ١٥٦ ـ ٢٣٦ هـ » وهو قرشي ، ومعدود من مشاهير النسابين ، يذكر نسب قضاعة فيقول : « وقد انتسبت قضاعة الى حمير ، فقالوا : قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ ، وأمه عُكبرة ، امرأة من سبأ ، خلف عليها معد ، فولدت قضاعة على فراش معد ، وزوّروا في ذلك شعراً فقالوا :

يا أيها الداعي أدعنا وأبشر   وكن قضاعياً ولا تَنزَرْ
قضاعة بن مالك بن حِمْيَرْ   النسب المعروف غير المنكرْ

---

(١) وقد منحه ابن الكلبي خمسة أولاد . هم : « معد ، والديث ، وأبي ، والعى ، وعديد . فولد الديث : الحارث ، وهو عك . فولد عك بن الديث : الشاهد وصحاراً . وهو غالب . » جمهرة النسب (ورقة ٣) .

(٢) أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري : كتاب نسب قريش تحقيق « ليفي بروفنسال » (ص ٥) . « وقد قيل : عك بن الديث بن عدنان » ، جمهرة (ص ٨) ، وأمهم « مهدد بنت اللهم بن جلحب من جديس » ، جمهرة النسب (ورقة ٣) .

(٣) طرفة الأصحاب (ص ٥٧) ، سبائك الذهب (ص ٢٠) ، ابن خلدون (٢/٣٠٠) .

(٤) نسب قريش (ص ٥) .

قال : وأشعار قضاعة فى الجاهلية ، وبعد الجاهلية ، تدل على أن نسبهم فى معدّ » [1] .

وجعل ابن حزم لمعد خمسة أولاد ، هم : نزار بن معد ، وإياد بن معد ، وقنص بن معد ، وعبيد الرماح بن معد ، والضحاك بن معد . وذكر أن من الأخباريين من يزعم أن ملوك الحيرة من المناذرة هم من ولد قنص ، وأن عبيد الرماح دخلوا فى بني مالك بن كنانة ، وأن الضحاك ابن معد هو الذي أغار على بني اسرائيل فى أربعين من تهامة [2] . ونسب ابن الكلبي لمعد جملة أولاد آخرين [3] .

ويذكر بعض الأخباريين أن الأمارة بعد معدّ على العرب كانت الى قنص بعد أبيه ، فأراد اخراج أخيه نزار من الحرم ، فأخرجه أهل مكة ، وقدموا عليه نزاراً [4] .

وقد ولد لنزار مضر وإياد ، وأمهما خبيّة بنت عك بن عدنان ، وربيعة وأنمار ، وأمهما حدالة بنت وعلان بن جوشم بن جلهمة بن عامر بن عوف بن عدي بن دُبّ بن جرهم ، فهما ليسا صريحان فى نظر النسابين كمضر وإياد ، لأنهما ليسا مثلهما من أب عدنانى وأم عدنانية . ومن النسابين من قال : إن « ربيعة ومضر الصريحان من ولد اسماعيل » [5] ، فلم يجعل إياداً بذلك من العدنانيين الصريحين .

وفى رواية للأخباريين أن نزاراً حينما شعر بدنوّ أجله قسم ما عنده على أولاده ، فجعل لربيعة الفرس ، ولمضر القبّة الحمراء ، ولأنمار الحمار ، ولإياد الحلة والعصا . ثم تخاصموا بعد ذلك ، واتفقوا على التحكيم ، فحكم بينهم أفعى نجران [6] .

ولم يجزم ابن حزم فى نسبة أنمار الى نزار ، فبعد أن ذكر مضر وربيعه وإياداً ، وهم ولد نزار ، قال : « وقيل : أنمار » ، ثم قال : « وذكروا أن خثعماً وبجيلة من ولد أنمار » [7] . أما أبو

---

(1) نسب قريش (ص ٥) . (2) جمهرة (ص ٨) .
(3) جمهرة النسب (ورقة ٣ وما بعدها) . (4) ابن خلدون (٣٠٠/٢) .
(5) نسب قريش (ص ٦) ، « ولد نزار بن معد مضر وإياداً ، وأمهما سودة بنت عك بن الديث بن عدنان . وربيعة ، وأنماراً ، وأمهما الحدالة بنت وعلان بن جوشم بن جلهمة بن عمرو بن هلينية بن دوة » ، جمهرة النسب (ورقة ٤) ، سبائك الذهب (ص ٢٠) .
(6) ابن خلدون (٣٠٠/٢) ، نهاية الأرب (٣١٠/٢) . (7) جمهرة (ص ٩) .

عبدالله المصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري ، فأثبت نسب أنمار في نزار ، وذكر أن من أنمار بجيلة « انتسبوا الى اليمن ، إلاّ من كان منهم بالشأم والمغرب ، فإنهم على نسبهم الى أنمار بن نزار »[1] .

ويظهر أن نسابي خثعم وبجيلة يأبون انتسابهم الى أنمار ، اذ أنكروا ذلك ، ويرون أن أراش بن عمرو تزوج ابنة أنمار ، وهي سلامة ، فولدت له ولداً سمّي أنمار بن أراش . ويذكر النسابون أنه لم يشتهر أحد من ولد أنمار[2] . ومعنى هذا أن هذه القبيلة ، كان قد ضعف حالها وذابت في غيرها ، لذلك لم يذكر لها النسابون شيئاً من البطون .

وقد نسب « الزبيري » خثعماً الى أقبل « أفتل » بن أنمار بن نزار ؛ وذكر أن خثعماً هو اسم جبل تحالفوا عليه ، « فنسبوا اليه ، وهم بالسّراة على نسبهم الى أنمار بن نزار . واذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبين مضر حرب ، كانت خثعم مع اليمن على مضر » . كذلك نسب خزيمة ، وهو يشكر الى أنمار[3] .

وكان إياد على رواية الأخباريين أكبر أولاد معد[4] ، واليه يرجع نسب كل إيادي . وأولد إيادِ زهراً ودعمياً ونمارة ، ومن نسلهم تفرعت سائر إياد[5] .

وقد ارتحلت إياد عن منازلها الأصلية ، بسبب الحروب ، فذهب قسم كبير منها الى العراق حيث نزلوا في الأنبار وفي عين أباغ وسنداد وتكريت وبطن إياد وباعجة وأماكن أخرى ، وذهب قسم آخر منهم الى البحرين حيث انضموا الى قضاعة ، كما سكن قسم منهم في بلاد الشأم[6] .

ويروى الأخباريون أن إياداً الذين كانوا اختاروا الإقامة في البحرين وهجر بعد تركهم مواطنهم القديمة في تهامة اضطروا الى ترك مواطنهم الثانية والهجرة منها الى العراق على أثر قدوم بني عبد القيس وشن بن أفصى ومن معهم مهاجرين من منازلهم الى هجر والبحرين ، فان هؤلاء القادمين الجدد لما بلغوا هجر والبحرين ضاموا من وجدوهم بها من إياد والأزد ، ثم أجلت عبد القيس إيادا عن تلك البلاد ، فساروا نحو العراق ، وتبعتهم شن بن أفصى ، فعطفت عليهم إياد

---

(١) نسب قريش (ص ٧) . (٢) سبائك الذهب (ص ٢٠) . (٣) نسب قريش (ص ٧) .
(٤) خلاصة (ص ٥٨) .
(٥) جمهرة (ص ٣٠٨) ، نهاية الارب (٢/٣١٠) « طبعة دار الكتب المصرية » ، صبح الأعشى (١/٣٣٦) « طبعة دار الكتب المصرية » .
(٦) الأغاني (١٥/٩٣) ، Ency, Vol., II, P. 565

واقتتلوا معهم حتى كاد القوم يتفانون ، وقد بادت بسبب ذلك قبائل من شن(١) .

أما منازل إياد القديمة ، فكانت تهامة مع أبناء أنمار ما بين حد أرض مضر الى حدّ نجران وما والاها وصاقبها من البلاد (٢) . ثم فارقت أنمار إخوتها ربيعة ومضر وإياداً ، فكثرت إياد وزاد عددها وكثرت قبائلها ، فأخذت تعتدي على أبناء ربيعة ومضر ، فوقعت بينها وبينهم من جراء بغيها هذا حروب ، واجتمعت مضر وربيعة عليها ، ثم تحاربوا في موضع من ديارهم يسمى « خانقاً » وهو لكنانة ، فغلبت إياد ، وظعنت من منازلها ، وافترقت عن إخوتها ، وتفرقت على رأي بعض الأخباريين ثلاث فرق : « فرقة مع أسد بن خزيمة بذي طوى ، وفرقة لحقت بعين أباغ . وأقبل الجمهور حتى نزلوا بناحية سنداد . ثم اتفقوا ، فكانوا يعبدون ذا الكعبات : بيتاً بسنداد ـ وعبدتها بكر بن وائل بعدهم ـ فانتشروا فيما بين سنداد وكاظمة ، والى بارق والخورنق وما يليها ، واستطالوا على الفرات ، حتى خالطوا أرض الجزيرة ، فكان لهم موضع دير الأعور ودير الجماجم ودير قُرّة ، وكثر من بعين أباغ منهم ، حتى صاروا كالليل كثرةً ، وبقيت هناك تُغيرُ على من يليها من أهل البوادي ، وتغزو مع ملوك آل نصر المغازي » (٣) ، وحالها حسن معهم ومع الأكاسرة ، حتى حدث حادث أفسد ما بينهم وبين الفرس ، يرجعه الأخباريون الى اعتداء نفر من إياد على نسوة من أشراف الأعاجم ، وذلك في أيام « أنوشروان بن قباذ » أو « كسرى بن هرمز » ، فسار اليهم الفرس ، فانحازت إياد الى الفرات ، وجعلوا يعبرون إبلهم بالقراقير ، ويجوزون الفرات . فتبعتهم الأعاجم ، وكان على إياد يومئذ « بياضة بن رياح بن طارق الإيادي » . فلما التقى الناس ، ارتجزت « هند بنت بياضة » شعراً مشهوراً معروفاً ، أوله :

نحن بنات طارق نمشي على المفارق (٤)

ثم هجمت إياد على الفرس ، وهزمتها آخر النهار ، وقتلت الجيش الذى كان يتعقبها ، فلم

---

(١) البكري (١/٨٠ وما بعدها) .
(٢) البكري (١/١٨) . (٣) البكري (١/٦٩ وما بعدها)
(٤) وهو من الرجز القديم ، نسب الى نساء أخريات غير هند بنت بياضة ، البكري (١/٧٠ حاشية ٢) شرح الحماسة للتبريزي (٣/٣٥) .

يفلت منه إلا الشريد ، وجمعوا جماجمهم ، فجعلوها كالكوم ، فسمي ذلك الموضع دير الجماجم [1].

هذه رواية من عدة روايات وردت عن الحرب التي وقعت بين الفرس وإياد ، وهي الرواية الوحيدة التي ورد فيها خبر انتصار إياد على الفرس . أما الروايات الأخرى ، فتقول بانتصار الفرس على إياد . فرواية أبي علي القالي مثلاً عن رجاله تنص على غزو أنوشروان لإياد على أثر اعتداء نفر من إياد على نسوة الأعاجم ، وتعقيبه لهم ، وقتله خلقاً منهم ، حتى اضطر بعضهم الى النزول بتكريت ، وبعضهم أرض الموصل والجزيرة ، عندئذ بعث أنوشروان ناساً من بكر بن وائل مع الفرس ، فنفوهم عن تكريت والموصل الى قرية يقال لها الحَرَجِيَّة . ثم التقوا بهم ثانية في هذا الموضع ، فهزمهم الفرس ، وقتلت منهم كثيراً ، ودفنت أجسادهم بها في مقبرة ذكر صاحب الرواية أنها كانت معروفة بها الى يومه . وسارت البقية حتى نزلت بقرى من أرض الروم ، وسار بعضهم الى حمص وأطراف الشأم . وكان الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان فيمن سار اليهم من بكر بن وائل مع الأعاجم ، فأجار ناساً من إياد ، كان فيهم : أبو دواد الإيادي [2].

وفي رواية أخرى أن إياداً كانت مقربة عند الفرس ، حتى إن كسرى بن هرمز كان قد اتخذ جماعة منهم امتازوا بحسن الرماية ، فجعلهم رماة عنده ، وجعلهم مراصد على الطريق فيما بينه وبين الفرات لئلا يعبره أحد عليهم ، الى أن حدثت حادثة الإعتداء على النسوة ، فغضب كسرى على إياد ، وأرسل جيشاً عليهم ، لحقهم وقد عبروا دجلة ، فجثا الإياديون على الركب ، ورموا الفرس رشقاً واحداً . عندئذ أمر كسرى بارسال الخيل عليهم ، وأمر « لقيط بن يعمر ابن خارجة بن عَوْبثان الإيادي » ، وكان كاتبه بالعربية وترجمانه ، وكان محبوساً عنده أن يكتب الى من كان من شداد قومه ، فيما بينه وبين الجزيرة ، أن يقبلوا الى قومهم ، فيجتمعوا ، ليُغير على إياد كلهم ، فيقتلهم . فكتب لقيط الى قومه ينذرهم كسرى ، ويحذرهم إياه في جملة قصائد رواها الأخباريون [3] ، فهربت إياد ، وأمر كسرى الخيل ، فأحدقت بهم وبالذين بقوا من

---

(١) البكري (١/٧٠) . (٢) « جار كجار أبي دواد » ، البكري (١/٧١) .

(٣) منها :

سلام في الصحيفة من لقيط   على من بالجزيرة من إياد

البكري (١/٧٢ وما بعدها) .

خلف الفرات . ثم وضعوا فيهم السيوف ، ومن غرق منهم بالماء أكثر ممن قتل بالسيف . ولما بلغ كسرى شعر لقيط قتله[1] .

أما من هرب من إياد الى الشأم ، ومن كان قد هاجر اليها ، فقد دان للغساسنة ، وتنصر كأكثر عرب الروم ، ولحق أكثرهم بلاد الروم فيمن دخلها مع جبلة بن الأيهم من غسان وقضاعة ولخم وجذام[2] .

ولدينا رواية أخرى في أسباب تسمية موضع دير الجماجم بهذا الاسم، تشير الى حدوث معركة بين الفرس وإياد ، وقتل إياد لقوم من الفرس ، ولكنها حادثة أخرى غير الحادثة المتقدمة على ما يظهر ، يرويها ابن الكلبي ، خلاصتها : أن رجلاً من إياد اسمه بلاد الرماح أو بلال الرّماح ، وهو أنبت بن محرز الايادي ، قتل قوماً من الفرس ، ونصب رؤوسهم عند الدير ، فسمي دير الجماجم . ولم تذكر هذه الرواية زمن حدوث هذا القتل ، وهل كان قبل إجلاء إياد عن العراق أو بعده كما جاء في الروايات السابقة ؟ وهل كان هذا انتقاماً من الفرس بعد ما فعلوه بإياد ؟ غير أن هناك رواية أخرى يرويها ابن الكلبي أيضاً تشير بوضوح الى أن فتك إياد بالفرس في موضع دير الجماجم إنما كان بعد نفي كسرى إياهم الى الشأم وفتكه بهم ، أي أن هذا الفتك كان عملاً انتقامياً من الفرس ، لما فعلوه بإياد . يقول ابن الكلبي : « كان كسرى قد قتل إياداً ، ونفاهم الى الشأم ، فأقبلت ألف فارس منهم حتى نزلوا السواد ، فجاء رجل منهم وأخبر كسرى بخبرهم ، فأنفذ اليهم مقدار ألف وأربع مئة فارس ليقتلوهم ، فقال لهم ذلك الرجل الواشي : إنزلوا قريباً حتى أعلم لكم علمهم . فرجع إلى قومه وأخبرهم ، فأقبلوا حتى وقعوا بالأساورة ، فقتلوهم عن آخرهم ، وجعلوا جماجمهم قبة . وبلغ كسرى خبرهم ، فخرج في أهليهم يبكون . فلما رآهم ، اغتم لهم ، وأمر أن يبنى عليهم دير سمي دير الجماجم »[3]. وهذه الرواية عن فتك إياد بالفرس ، هي أقرب الى المنطق من الرواية الأولى التي ذكرتها عن النزاع بين كسرى وإياد .

---

(١) البكري (٧٣/١) .
(٢) البكري (٧٥/١) ، الأغاني (٢٣/٢ وما بعدها) ، كحالة (٥٣/١) .
(٣) البلدان (١٣١/٤) .

على أن هناك أخباراً أخرى ذكرها الأخباريون في تعليل اسم موضع « دير الجاجم » لا تشير اشارةً ما الى هذا الاصطدام بين الفرس وإياد ، إنما أشار بعضها الى حرب وقعت بين إياد وبين بني نهد في هذا المكان ، قتل فيها خلق من إياد وقضاعة ، ودفنوا هناك ، فسمي الموضع بهذا الاسم ، كما نسبت الحرب الى قبائل أخرى لم يرد بينها إسم إياد [1] .

وفى رواية الاخباريين عن فتك كسرى بإياد ، ونفيه إياهم الى الشأم ، مبالغة كبيرة ولا شك . فاننا نجدهم أنفسهم يذكرون إياداً مع الفرس تحارب في معركة « ذي قار » ، ثم يذكرون أنها اتفقت سراً مع بكر على أن تخذل الفرس يوم اللقاء . وقد خذلتهم بالفعل ، إذ ولت منهزمة ساعة اشتداد القتال فانهزمت الفرس [2] . ثم تراهم يذكرون إياداً في أخبار الفتوح ، فيروون أنها حاربت تحت إمرة « مهران بن بهرام جوبين » المسلمين ، أي أنها كانت تحارب مع الفرس فى العراق [3] . وأن صلاتهم كانت حسنة بهم . وهذا يناقض ما زعموه عن نفي الفرس لهم عن العراق .

ولم تكن إياد من القبائل العربية النصرانية التي مالت الى تأييد المسلمين ، ففي الفتوحات الإسلامية للعراق كانوا مع الفرس على المسلمين وان ساعدهم قسم منهم بالانفاق معهم سراً ، كما حدث في فتح تكريت . وفى الشام انضم قسم منهم الى « هرقل Heraclius » في محاولاته اليائسة التي قام بها للاحتفاظ ببلاد الشأم ولاستخلاص ما استولى عليه المسلمون من تلك البقاع . ولما حلت الهزائم بالروم ، فضّل قسم منهم الهجرة الى بلاد الروم والإقامة فيها . وقد كان ذلك عن عاطفة دينية ولا شك [4] . غير أن هذا لا يعني أن جمهرة إياد كانت كلها مع الروم .

ذكرت أن من المواضع التي كانت لإياد في العراق ، موضع سنداد . ويفهم من روايات الأخباريين عنه ، أنه قصر ونهر ومنازل نزلت بها إياد حين مجيئها الى العراق ، وأنه كان فى الأصل اسم حاكم فارسي كان قد عين على هذه المنطقة ، فأقام بها مدة طويلة ، وبنى أبنية كثيرة

---

(١) البلدان (٤/١٣١) .
(٢) الطبري (٢/٢٥٣) وما بعدها) .
(٣) Ency . , Vol . , II , P . 566 .
(٤) Ency . , Vol . , II . P . 566 .

من جملتها القصر الذي ذكر في شعر ينسب الى الأسود بن يعفر النهشلي ، جاء فيه :

أهل الخورنق والسدير وبارق　　　والقصر ذي الشرفات من سنداد

وأنه أيضاً اسم قصر كانت العرب تحج اليه[1] ، وهو الذي قصده الهمداني بقوله : « وكانوا يعبدون بيتاً يسمى ذا الكعبات ، والكعبات حروف الترابيع »[2] . ويظهر من روايات الأخباريين عن هذا القصر أنه كان من القصور الضخمة المعروفة . يظهر أنه كان مربع الشكل ، أو ذا مربعات ، ولذلك عرف بـ « الكعبات » ، و بـ « ذي الكعبات » . وذكر أيضاً أنه كان لربيعة ، وأنها كانت تطوف حوله حيث قالوا : « والكعبات ، بيت كان لربيعة ، كانوا يطوفون به »[3] .

ويظهر من أقوال الأخباريين وجود عدة بيوت كانت على هيأة كعبات في جزيرة العرب لعبادة الأصنام ، تحج القبائل اليها وتطوف حولها ، سأتحدث عنها في الجزء الخاص بالحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام ، ومنها بيت كان بـ « أحد » على رواية ، أو على مقربة من شداد « سنداد » على رواية ابن دريد ، أوعلى شاطيء الفرات على رواية تنسب الى ابن الكلبي عرف بـ « السعيدة » كانت ربيعة تحجه في الجاهلية[4] ، وأظنهم يقصدون هذا البيت بيت سنداد .

أما مضر[5] ، فولد الياس والناس ، ويعرف أيضاً بعيلان ، وأمها الحنفاء ابنة إياد بن معد[6] ، وسماها ابن حزم « أسمى بنت سود بن أسلم بن الحارث بن قضاعة »[7] ، فهي قضاعية على هذا الرأي . وجعل بعض النسابين أم الياس امرأة دعوها الرباب بنت إياد المعدية[8] ، فهي اذن

---

(١) البلدان (٥/١٤٩ وما بعدها) ، « والبيت ذي الكعبات من سنداد » ، اللسان (٢/٢١٣) ، تاج العروس (١/٤٥٧) ، الأصنام (ص ٤٥) .

(٢) الصفة (ص ١٧١) « طبعة القاهرة ١٩٥٣ ، بعناية محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي » .

(٣) تاج العروس (١/٤٥٧) ، اللسان (٢/٢١٣) ، « وكان لربيعة بيت يطوفون به ، يسمونه الكعبات ، وقيل ذا الكعبات » .

(٤) تاج العروس (٢/٣٧٨) ، لسان العرب (٤/١٩٩) .

(٥) تاج العروس (٣/٥٤٤) ، جمهرة (٩) ، صبح الأعشى (١/٣٣٩) ، منتخبات(ص٣٥ ، ٥٥) .

(٦) نسب قريش (ص ٧) ، سبائك الذهب (ص ٢١) .　　(٧) جمهرة (ص ٩) .

(٨) نهاية الأرب (٢/٣٢٥) .

على هذه النسبة من معد .

ومضر هو شعب فى نظر أهل الأنساب ، والشعب في عرفهم أعظم من القبيلة [1] ، فهو أكبر وحدة اجتماعية سياسية فى اصطلاح النسابين . وهو من أعظم شعوب مجموعة عدنان ، ولم يعثر على هذا الاسم في الكتابات الجاهلية ، ولا في مؤلفات الكلاسيكيين . أما اسم معد ، فقد أشير اليه كما ذكرت سابقاً فى بعض مؤلفات الكلاسيكيين . وأما اسم نزار ، فقد ورد في نص النمارة الذي يرجع عهده الى سنة ٣٢٨ للميلاد . وقد عرف مضر بـ « مضر الحمراء » عند النسابين ، ويقولون إنه انما عرف بذلك ، « لأن أباه أوصى له من ماله بالذهب » . ويظهر أنها كانت قبيلة عظيمة عند ظهور الاسلام ، ثم اندمجت فى غيرها من قبائل هذه المجموعة : مجموعة عدنان . حتى تغلبت على مضر تسمية قيس ، أي تسمية أبناء قيس عيلان « قيس بن عيلان » في الاسلام ، فصارت « قيس » تؤدي معنى العدنانية ، واستعملت في مقابل عرب اليمن قاطبة ، فيقال : قيس ويمن [2] .

وولد لالياس مدركة واسمه عامر ، وعمرو وهو طابخة ، وقمعة واسمه عمير ، وأمهم خندف ، واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وقد نسبوا الى أمهم فقيل لهم خندف [3] . وقد حصر بعض النسابين نسل خندف فى مدركة وطابخة ، ولذلك حصروا قبائل مضر فى أصلين خندف وقيس عيلان [4] .

---

(١) منتخبات (ص ٥٥) .

(٢) صبح الأعشى (١/٣٣٩) ، وهناك جملة تفاسير لـ « مضر الحمراء » ، نهاية الأرب (٢/٣١٠) .

(٣) « خندف : فعلل ، بكسر الفاء واللام » منتخبات (ص ٥٥) ، جمهرة النسب (ورقة ٤) ، وتجد في هذه الورقة تفسير ابن الكلبي على طريقته المألوفة في وضع القصص عن معنى مدركة وطابخة وقمعة وخندف ، نهاية الأرب (٢/٣٣٠) .

(٤) نسب قريش (ص ٧) ، جمهرة (ص ٩) ، طرفة الأصحاب (ص ٥٧) ، تاج العروس (٣/٥٤٤) ، صبح الأعشى (١/٣٣٩) ، كحالة (٣/١١٠٧) . منتخبات (ص ٥٥) .
قال العجاج :

لا قدح إن لم تور ناراً بهجر ذات سني يوقدها من افتخر
من شاهد الأمصار من حي مضر

يعني قيساً وخندف . وقال جرير :

اذا أخذت قيس عليك وخندف بأقطارها لم تدر من حيث تسرح

المبرد (ص ١ وما بعدها) .

أما مدركة[1] ، فولد له خزيمة ، وهذيل. وأمهما سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار[2] ، ونسب بعضهم له ولداً آخر هو غالب[3]. وولد خزيمةُ كنانةَ ، وأمه عوانة بنت قيس بن عيلان[4] ، وأسداً ، وأسدة ، والهون ، وأمهم بـرّة بنت مـرّ بن أد بن طابخة بن اليـاس بن مضر بن نزار ، وهي أخت تميم بن مرّ[5]. وهذيل قبيلة متسمة ، لها بطون كثيرة[6].

وليس النسابون على اتفاق بينهم في تعيين أولاد أسدة ، فجعلهم بعضهم جذاماً ولخماً وعاملة ، ونسب هؤلاء في اليمن كما أشرت الى ذلك في أنساب قبائل قحطان على رأي اكثر النسّابين[7].

وأما نسل الهون[8] ، فهم : عضل[9] ، وديش[10] ، ويعرفون بالقارة[11] ، وهم بنو بيثع ابن مليح بن الهون[12]. وهم على حد قول بعض النسابين وبطنان من خزاعة هما الحيا والمصطلق ، حلفاء لبني الحارث بن عبد مناة بن كنانـة . ويعرفون على حد قولهم بالأحابيش : أحابيش

---

(١) صبح الأعشى (٣٤٨/١) ، ابن خلدون (٣١٩/٢) .

(٢) نسب قريش (ص ٨) ، وهي « سلمى بنت أسلم بن الحاف بن قضاعة » في جمهرة النسب (ورقة ٤) .

(٣) جمهرة (ص ٩) ، وأضاف ابن الـكلبي ، اليهم « غالباً » و « سعداً » و « قيساً » ، وأمهم « ليلى بنت السيد ؟ بن الحاف بن قضاعة » ، جمهرة النسب (ورقة ٤) .

(٤) « ويقال : هند بنت عمرو بن قيس عيلان » ، جمهرة النسب (ورقة ٤) .

(٥) نسب قريش (ص ٨) ، جمهرة (ص ٩) ، « وعبد الله » ، جمهرة النسب (ورقة ٤) .

(٦) صبح الأعشى (٣٤٩/١) .

(٧) نسب قريش (ص ٨ وما بعدها) . « واسدة . فجذام ، تنسب الى أسدة » ، جمهرة (ص ٩) جمهرة النسب (ورقة ٤) .

(٨) « الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر » ، نهاية الأرب (٣٩٤/٢) ، صبح الأعشى ، (٣٤٩/١) ، لسان العرب (٣٣١/١٧) ، كحالة (١٢٣٥/٣) ، ابو الفداء (١٠٧/١) .

(٩) صبح الأعشى (٣٤٩/١) ، لسان العرب (٤٨٠/١٣) ، الصحاح للجوهري (٢١٥/٢) ، كحالة (٧٨٧/٢) .

(١٠) « الديش بن مليح بن الهون » ، صبح الأعشى (٣٤٩/١) ، تاج العروس (٣١٦/٧) ، « الديش بن الهون . وهو أخو عضل . ويقال لهاتين القبيلتين ، وهما : عضل والديش القارة » أبو الفداء (١٠٧/١) .

(١١) جمهرة (ص ١٧٩) ، تاج العروس (٥١٠/٣) ، لسان العرب (٤٣٦/٦) ، الإنباه (ص٧٣) ، كحالة (٩٣٥/٣) .

(١٢) جمهرة (١٧٩) .

قريش . لأن قريشاً حالفت بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة على بكر بن عبد مناة ، فهم وأحلافهم حلفاء قريش[١] .

وأولاد كنانة ، هم : النضر ، وهو أكبر أولاده وبه يكنى ، وملك « مالكاً » ، وملكان ، وملك ، وغزوان ، وعمرو ، وعامر ، وأمهم برة بنت مر أخت تميم بن مر[٢] ، وهي نفسها زوج خزيمة والد كنانة ، تزوجها كنانة بعد وفاة أبيه . وكانت العادة في الجاهلية أن يتزوج الولد البكر زوجة أبيه بعد وفاته إذا لم تكن أمه ، وأن يرث خيار ماله ، وهو زواج منعه الإسلام . ويعرف هذا الزواج بزواج المقت[٣] .

وكانت لكنانة زوج أخرى ، هي هالة بنت سويد بن الغطريف ، ويقصدون بالغطريف حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن النبت ، وقد ولدت له حُدال وسعداً وعوفاً ومجربة . وقد ترك هؤلاء الأولاد ذرية ، فكان من نسل حدان جماعة أقامت بعدن أبين ، وكان من نسل مجربة بنو ساعدة[٤] .

أما زوج كنانة الثالثة ، فكانت الذفراء ، واسمها فكيهة . وهي بنت هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وقد ولدت له ، عبد مناة[٥] .

وولد النضر ، وهو قريش على بعض الآراء[٦] مالكاً على رأي أكثر النسابين ، وأضاف بعضهم اليه ولدين آخرين ، هما : يخلد والصلت ، وأمهم عكرشة بنت عدوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان[٧] . ومن يخلد قريش بن بدر بن يخلد بن النضر ، وكان دليل قريش في التجارة في

---

(١) « فأما الهون بن خزيمة ، فهم عضل ، وديش ، والقارة ، بنو يثيع بن الهون ، وهم ، وبطنان من خزاعة يقال لهما الحيا والمصطلق ، حلفاء ابني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهم كلهم يقال : لهم الأحابيش ، أحابيش قريش » ، نسب قريش (ص ٩) .

(٢) نسب قريش (ص ١٠) ، « وبنو عبد مناة » ، الجمهرة (ص ٤٣٤) ، وأضاف ابن الكلبي اليهم أولاداً آخرين ، جمهرة النسب (ورقة ٥) .

(٣) نسب قريش (ص ١٠) ، جمهرة النسب (ورقة ٥) ، بلوغ الأرب (٢/٥٢ وما بعدها) .

(٤) نسب قريش (ص ١٠) . (٥) نسب قريش (ص ١٠) .

(٦) المبرد (ص ٢) . (٧) نسب قريش (ص ١١) ، جمهرة النسب (ورقة ٥) .

الجاهلية ، وبه سميت قريش على رأي بعض النسابين ، وباسم بدر والده دعي موضع بدر [1] ، والى الصلت بن النضر ينسب بنو مليح [2] « ملح » [3] ، على رأي ، بينما يعدون من خزاعة في رأي آخر [4] .

أما ولد مالك ، فهو فهر ، وهو قريش ، وأمه جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر بن سعد بن الحارث بن عضاض بن جرهم [5] ، فهي جرهمية على هذا النسب . وبه سميت قريش قريشاً على رأي أكثرية أهل الأخبار . ولهذا يقال لهم بنو فهر [6] . وللأخباريين روايات عديدة في معنى قريش [7] .

وولد فهر غالبا والحارث ومحارباً وجندلة ، وأمهم ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة [8] ، وولد غالب بن فهر لؤياً وتيماً وهو الأدرم ، وأمهما عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة [9] ، وقيس بن غالب وقد انقرض نسله [10] .

ومن ولد لؤي كعب وعامر ، وهما البطاح ، وسامة ومن نسله بنو ناجية ، وخزيمة وهم عائذة ، وقد نزلوا في بني أبي ربيعة من شيبان ، والحارث وهو جشم ، وهم في همدان ، وأمهم مارية بنت كعب بن القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة ، وسعد بن لؤي وهم بُنانة ، وقد نزلوا في بني شيبان ، وأمه يسرة بنت

---

(١) الجمهرة (ص ١٠) ، البلدان (٢/٨٨) ، البكري (١/٢٣١) . « تحقيق السقا » .
(٢) نسب قريش (ص ١١) . (٣) الجمهرة (ص ١١) .
(٤) الجمهرة (ص ١١) ، نسب قريش (ص ١١) .
(٥) نسب قريش (ص ١٢) ، الجمرة (ص ١١) ، جمهرة النسب (ورقة ٥) .
(٦) قال الحطيئة :

وإن الذي أعطيتهم أو منعتهم لكالتمر أو أحلى لحلف بني فهر

المبرد (ص ٢) .
(٧) راجع كتب اللغة مادة « قرش » ، نهاية الأرب (٢/٣٣٣) ، القاموس (٢/٢٨٤) ، الصحاح (١/٤٩٥) .
(٨) نسب قريش (ص ١٢ وما بعدها) ، وأضاف ابن الكلبي أولاداً آخرين اليه ، جمهرة النسب (ورقة ٥) .
(٩) نسب قريش (ص ١٢) ، جمهرة النسب (ورقة ٥) (١٠) جمهرة (ص ١١) .

غالب بن الهون بن خزيمة [1] ، وعوف بن لؤي وقد دخل نسله في بني ذبيان بن غطفان بن قيس عيلان ، وهم بنو مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان رهط الحارث بن ظالم المرّي . وقد دخل أكثر هؤلاء الأبناء في غيرهم ، ولذلك أدخلهم النسابون فيمن دخلوا فيهم ، وعدّوا نسل كعب وعامر الصرحاء من ولد لؤي وحده [2] .

وولد كعب مرّة [3] وهصيصاً [4] ، وأمهما وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ، وعدي وأمه حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر [5] . وولد مرّة كلاباً ، وأمه هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ، وسرير والد هند هو أول من نسأ الشهور ، ثم نسأها القلمس ابن أخيه من بعده ، واسمه عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة ، ثم صار النسيء في ولده ، وكان آخرهم جنادة بن عوف . وولد أيضاً تيم بن مرّة ويقظة بن مرّة ، وأمهما بنت سعد ، وهو بارق بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر . جد قبيلة بارق [6] ، ومن عدي بن كعب عمر بن الخطاب وزيد [7] .

أما كلاب ، فكان له من الولد قصيّ وزهرة . ومن نسل قصي : عبد مناف وعبد الدار وعبد العزيّ [8] . وقد تحدثت سابقاً عن قصيّ . منظم قريش .

فولد عبد مناف بن قصيّ : عمراً وهو هاشم ، والمطلب وهو عبد شمس ، ونوفلا . وأم هاشم وعبد شمس والمطلب عاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمية ، وأم نوفل واقدة

---

(١) نسب قريش (ص ١٣) ، ونجد في هذا الكتاب بعض الاختلاف عما ورد في جمهرة النسب ، (ورقة ٥ وما بعدها) .

(٢) جهرة (ص ١١) .

(٣) ابن خلدون (٢/٣٢٦) ، صبح الأعشى (١/٣٥٤) ، القاموس (٢/١٣٣) ، لسان العرب ، (٢/٣٢٦) ، تاج العروس (٣/٥٣٩) .

(٤) نهاية الأرب (٢/٣٥٥) ، كحالة (٣/١٢١٩) .

(٥) نسب قريش (ص ١٣) ، الجمهرة (ص ١٢ وما بعدها) ، جمهرة النسب (ورقة ٦) .

(٦) نسب قريش (ص ١٣ وما بعدها) . (٧) المبرد (ص ٣) .

(٨) نسب قريش (ص ١٤) ، الجمهرة (ص ١٢) ، جمهرة النسب (ورقة ٦) .

من بنى مازن بن صعصعة السلمية ، خلف عليها هاشم بن عبد مناف بعد أبيه ، فولدت له ابنتين خالدة وضعينة [١] .

ومن بطون كلاب بنو زهرة [٢] ، ومن بطون تيم [٣] بن مرّة أبو بكر الصديق ، وعبد الله ابن جدعان سيد قريش فى الجاهلية ، ومن بطون يقظة بن مرّة بنو مخزوم ، ومنهم خالد بن الوليد [٤] .

ومن نسل هصيص بن كعب ، بنو جمح ، وهم ولد جمح بن عمرو بن هصيص [٥] ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص [٦] . ومن بني سهم ، عمرو بن العاص [٧] .

وقد وقعت حرب بين بني جمح وبني محارب بن فهر فى موضع عرف بردم بني جمح بمكة ، قتلت فيه بنو محارب بني جمح أشد القتل ، فعرف ذلك الموضع بالردم ، بما ردم عليه من القتلى يومئذ [٨] . وكان أمية بن خلف على بني جُمَح فى حرب الفجار [٩] .

---

(١) الجمهرة (ص ١٢) .

(٢) « بنو زهرة بن كلاب » ، تاج العروس (٣/٢٤٨) ، أبو الفداء (١/١١٤) ، نهاية الأرب ، (٢/٣٥٧) ، جمهرة (١١٩ وما بعدها) .

(٣) « تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر » ، نهاية الأرب (٢/٣٥٧) ، أبو الفداء (١/١١٣) ، صبح الأعشى (١/٣٥٤) ، كحالة (١/١٣٨) .

(٤) المبرد (ص ٣) ، الاشتقاق (ص ٦١ ، ٨٨) ، « بنو يقظة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر » ، نهاية الأرب (٢/٣٥٦) ، ابن خلدون (٢/٣٢٦) ، أبو الفداء (١/١١٣) ، صبح الأعشى (١/٣٥٤ ، ٣٥٥) ، « بنو مخزوم بن يقظة » جمهرة (١٣١ وما بعدها) ، لسان العرب (١٥/٦٨) ، الاشتقاق (٦٠) ، تاج العروس (٦/٢٦٣) ، (٨/٢٧٦) ، الإنباه (٧١) ، كحالة (٣/١٠٠٨) .

(٥) الجمهرة (ص ١٥٠) ، تاج العروس (٢/١٣٣) ، صبح الأعشى (١/٣٥٣) ، نهاية الأرب (٢/٣٥٦) ، الانباه (ص ٧١) ، كحالة (١/٢٠٢) وما بعدها .

(٦) الجمهرة (ص ١٥٤ وما بعدها) .

(٧) المبرد (ص ٣) ، أبو الفداء (١/١١٣) ، القاموس (٤/١٣٤) ، الانباه (٧١) ، نهاية الأرب (٢/٣٥٦) ، تاج العروس (٨/٣٥٢) ، كحالة (٢/٥٦٠) .

(٨) البكري (٢/٦٤٩) « تحقيق السقا » ، أبو الفداء (١/١١٣) .

(٩) الأغاني (١٩/٧٧) .

أما نســـل ربيعة بن نزار ، فهم أسد وضبيعة [1] ، يضاف اليهما أكلب [2] على بعض الروايات . ومن نسل هؤلاء تفرعت قبائل ربيعة . فمن أسد كانت جديلة وعنزة وعميرة [3]. ومن بني عنزة بنو هزّان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة . وبنو جلّان بن عتيك ابن أسلم بن يذكر بن عنزة . وبنو الحارث بن الدؤل بن صبـاح بن عتيك بن أسلم . كان اذا مصر ثوبيه مصرت عنزة معه . وعرف من بني هزّان آل ضور بن رزاح بن مالك بن سعد بن وائل بن هزّان ، والحارث بن رزاح أخو ضور بن رزاح وهو الذي يقال إنه الحارث بن لؤي بن غالب الذي يسمى جشماً ، وجشم كان عبداً لأبيه ، حضنه فسمي به [4] .

وتعد عنزة [5] من القبائل العربية الكبيرة ، وهي لا تزال من القبائل البارزة في الزمن الحاضر ، ولها بطون عديدة في الحجاز ونجد وبادية الشأم والشأم . أما تأريخها قبل الاسلام ، فهو مثل تواريخ أكثر القبائل الأخرى من حيث الغموض . وقد كانت تتعبد فى الجاهلية لمحرّق ولسعير [6] .

وأما ولد ضبيعـة [7] ، فهم أحمس [8] والحارث . ومن بني أحمس الشـاعر المسيّب ، وهو زهير بن عَلَس ، والحارث الأضجم بن عبـد الله بن ربيعـة بن دوفن سيد ربيعة الذي نشبت

---

(١) ابن خلدون (٢/٣٠٠) ، « نسب ربيعة بن مضر بن عدنان . وهو ربيعة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان » ، طرفة الأصحاب (ص ٦٢) ، سبائك الذهب (ص ٥٣) ، لسان العرب (٩/٤٦٩) ، صبح الأعشى (١/٣٣٧ ، ٣٣٩) ، نهاية الأرب (٢/٣٢٨) ، لسان العرب (٤/٣٩) ، الاشتقاق (١٩٤) ، كحالة (١/٢٢٤ ، ٢/٦٦٣) ، تاج العروس (٥/٤٢٧) .

(٢) جمهرة (ص ٢٧٥) ، نهاية الأرب (٢/٣١٠ ، ٣٢٨) ،

(٣) نهـاية الأرب (٢/٣٢٨) ، الاشـتقاق (١٩٤) .

(٤) جمهرة (ص ٢٧٦ وما بعـدها) .

(٥) ابن خلدون (٢/٣٠٠) ، نهـايه الأرب (٢/٣٢٨) ، الاشتقاق (ص ١٩٤ ، ٢٠٢) ، لسان العرب (٧/٢٠١) ، جمهرة (٢٧٧) ، تاج العروس (٤/٦٢) ، القـاموس (٢/١٨٤) ، كحالة (٢/٨٤٦ وما بعدها) .

(٦) Ency., I, P. 346.

(٧) الاشتقاق (ص ١٩٠) ، ابن خلدون (٢/٣٠٠) ، نهاية الأرب (٢/٣٢٨) صبح الأعشى (١/٣٣٩) ، تاج العروس (٥/٤٢٧) ، كحالة (٢/٦٦٣) .

(٨) الاشتقاق (ص ١٩٠) ، كحالة (١/١٠) .

بسبب مقتله حرب بين بني ربيعة والمتلمس الشاعر . ومن بني أحمس أيضاً بنو الكلبة ، وهم أولاد مرّة بن مازن بن أوس بن زيد بن أحمس بن ضبيعة ، ومنهم الحُليس وابن المسيب [١] .

أما جديلة [٢] ، وهو جدّ جديلة ، فولد دُعمِيّاً [٣] وجِدْياً [٤] . وقد دخل بنوه في بني شيبان ، وجدار « جداناً » [٥] ، وقد دخل نسله في بني زهير بن جشم من بني النمر بن قاسط . وولد غير ذلك في بعض الروايات [٦] . وولد دعمي أفصى [٧] ، وولد أفصى هنباً وعبد القيس وجشماً ودخل بنوه في عبد القيس ، وناشماً ، ودخل بنوه في بني تغلب [٨] .

ومن نسل عبد القيس بن أفصى ، شن [٩] ولكيز [١٠] . ومن ولد لكيز وديعة وهو جدّ بطن ، وصباح ، وهم بطن كذلك ونكرة ، ومن بطون وديعة عمرو وغنم ودهن ، ومن عمرو بن وديعة مالك وثعلبة وعائذة وسعد وعوف والحارث ، ومن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة البراجم ، وهم عبد شمس وعمرو وحيّ بني معاوية بن ثعلبة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن ربيعة ، وهؤلاء البراجم هم غير براجم تميم [١١] ، والجارود وقد كانت له صحبة بالرسول وولي أولاده

---

(١) جهرة (ص ٢٧٥ وما بعدها) .
(٢) الاشتقاق (١٩٦) ، ابن خلدون (٢/ ٣٠٠) ، نهاية الأرب (٢/ ٣١١) كحالة (١/ ١٧٣) ، « جديلة بفتح الجيم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام ، وهاء في الآخر ، والنسبة اليهم جدلى » ، صبح الأعشى (١/ ٣٣٧) .
(٣) « دعمي » ، لسان العرب (١٥/ ٩٢) ، القاموس (٤/ ١١٢) ، تاج العروس (٨/ ٢٩١) ، نهاية الأرب (٢/ ٣١١) .
(٤) جهرة (٢٧٨) .
(٥) « جدار » جهرة (٢٧٨) ، « جدان بن جديلة بن أسد بن ربيعة » ، تاج العروس (٢/ ٣١٦ ، ٩/ ١٦٠) ، كحالة (١/ ١٧٠) ، جهرة (ص ٢٧٨) ، سبائك الذهب (ص ٥٣) ، المبرد (١٨) .
(٦) سبائك الذهب (ص ٥٣) ، Wustenfeld ' Genea . , Taf . A . a
(٧) نهاية الأرب (٢/ ٣٢٩) . (٨) جهرة (ص ٢٧٨) ، سبائك الذهب (٥٣) .
(٩) « شن بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار » ، الاشتقاق (ص ١٩٦) ، تاج العروس (٩/ ٢٥٦) ، لسان العرب (١٧/ ١٠٩) ، الصحاح للجوهري (٢/ ٣٨٧) ، جهرة (٢٨٢) ، سبائك الذهب (ص ٥٤) .
(١٠) سبائك الذهب (ص ٥٤) ، الاشتقاق (١٩٦) ، لسان العرب (٧/ ٢٧٢) .
(١١) الأغاني (١/ ٢٠٩) .

منازل رفيعة في الاسلام [1] .

ومن نسل عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز ، ذهل وذاهل ، ومن بني ذهل ليث وثعلبة ، وهما أبنا حدّاد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو . ومن ليث بن حدّاد ، بنو ذهل بن ليث ، ومنهم جيفر بن عبد عمرو بن خوليّ بن همام بن الفاتك [2] ، ومن نسل عمرو بن وديعة بنو محارب [3] ، ومنهم الحطم بن محارب ، واليه تنسب الدروع الحطمية ، وبنو الدّيل بن عمرو بن وديعة [4] ، ومن نسل وديعة بن لكيز بنو دهن وبنو غنم ، ومنهم الدّيل ومازن [5] .

واشتهر من ولد نكرة بن لكيز ، الشاعر المثقب ، والشاعر الآخر الممزق ، وهو شأس ، والمفضل بن معشر بن أسجم وهو شاعر كذلك [6] .

أما شن بن أفصى ، فكان من نسله يزيد بن شن ، يذكر أهل الأخبار أنه أول من ثقف القنا بالخط ، وعديّ ، والدّيل . ومنهم عمرو بن الجميد بن صبرة بن الديل بن شن بن أفصى بن عبد القيس ، وهو الذي ساق عبد القيس من تهامة الى البحرين ، وعرف بالأفكل [7] ، وكان سيد ربيعة في الجاهلية ، وكان ذا بغي ، فسارت اليه بنو عصر ، فقتلوه . ومن بني عمرو رئاب ابن البرّاء ، وكان على دين المسيح [8] .

ومواطن بني عبد القيس بتهامة في الأصل ، ثم ارتحلت عنها بسبب الحروب التي وقعت بين أبناء ربيعة ، فذهبت الى البحرين ، فتغلبت على من كان قد سكن قبلهم بها من إياد ومن بكر ابن وائل وتميم . واقتسمتها بينهم ، فنزلت جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن

---

(١) الجمهرة (ص ٢٧٨ وما بعدها) ، المبرد (١٨) ، الاصابة (١٠٤٢) ، الاشتقاق (١٩٧) ، المعارف (١١٥) .

(٢) جمهرة (ص ٢٨٠) . (٣) الصفة (١٣٣) ، كحالة (١٠٤٣/٣) .

(٤) الصحاح (١٨٦/٢) ، لسان العرب (٢٤٩/١٣) .

(٥) جمهرة (ص ٢٨٠ وما بعدها) ، سبائك الذهب (ص ٥٤) .

(٦) جمهرة (ص ٢٨٢) ، شيخو : شعراء النصرانية (القسم الثالث : في شعراء بكر بن وائل من بني عدنان (ص ٤٠٠ وما بعدها) .

(٧) جمهرة (ص ٢٨٢) ، الاشتقاق (ص ١٩٧) . (٨) الاشتقاق (١٩٧) .

وديعة بن لكيز الخط وافناءها ، ونزلت شن بن أفصى طرفها وأدناها الى العراق ، ونزلت نكرة ابن لكيز القطيف وما حوله والشفار والظهران الى الرمل وما بين هجر الى قطر وبينونة ، ونزلت عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة والعمور ، وهم بنو الديل بن عمرو ، ومحارب بن عمرو ، وعجل بن عمرو الجوف والعيون والأحساء ، ودخلت قبائل منهم جوف عمان فصاروا شركاء للأزد في بلادهم[1] . وقد بقيت بنو عبد القيس في هذه المواضع محتفظة بها عند ظهور الاسلام .

ويظن أن « Aboukaiun » ، وهو اسم قبيلة وموضع ذكر في جغرافية « بطلميوس » ، هو « عبد القيس »[2] . ولم يتحدث « الكلاسيكيون » شأنهم في أكثر ما كتبوه عن بلاد العرب بشيء عن هذه القبيلة . ولكن الأخباريين يروون أن عرب بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة غزوا السواحل المقابلة لهم من أرض ايران ، وذلك لضيق معاشهم ، وللضنك الذي حلّ بهم في عهد سابور ذي الأكتاف « سابور الثاني » متهزين فرصة اضطراب الأمن في تلك البلاد وضعف الحكومة بسبب صغر سن الملك . فلما كبر الملك واشتد ، جمع جموعه وسار بها على الغازين ، ففتك بهم ، وأسر منهم خلقاً كثيراً ، ثم عبر البحر « فورد الخط واستقرى بلاد البحرين ، يقتل أهلها ، ولا يقبل فداء ، ولا يعرج على غنيمة ، ثم مضى على وجهه ، فورد هجر ، وبها ناس من أعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فأفشى فيهم القتل » « ثم عطف على بلاد عبد القيس ، فأباد أهلها » ثم سار الى اليمامة ، فقتل بها مقتلة كبيرة ، ولم يمر في طريقه بماء إلا غوره ، ولا جب من جبابهم إلاّ طمّه ، حتى وصل قرب المدينة ، فقتل من وجد هناك من العرب ، وأسر . ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشأم ، فقتل من وجد بها من العرب ، وسبى ، وطمّ مياههم ، ثم أسكن من بني تغلب من البحرين دارين واسمها هيج والخط ، ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم هجر ، ومن كان من

---

(١) البكري (١/٨٠ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٣٠٠) ، نهاية الأرب (٢/٣٢٩) ، الاشتقاق (ص ١٩٦) ، صبح الأعشى (١/٣٣٧) ، القاموس (٢/٢٤٤ ، ٣٨٧) ، لسان العرب ، (٨/٧٢ ، ٣٩٨) ، الأغاني (١٣/٥٦ ، ١٤/٤٤ ، ١٠٣ وما بعدها) ، كحالة (٢/٧٢٦ وما بعدها) .

(٢) Ency. ,Vol., I, P, 45.

بكر بن وائل كرمان ، ومن كان منهم من بني حنظلة بالرملية من بلاد الأهواز[1] .

وهم يذكرون أيضاً أن عرب الشأم قد تأثروا بما فعله سابور بهم ، فاتفقوا مع الروم ، وانتقموا منه . ولكن سابور بعد انتصاره على الروم ، عاد فاتبع سياسة استرضاء العرب ، فاستصلحهم ، وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوّج والأهواز[2] . وهذه الرواية الثانية هي ، ولا شك الجزء الأخير من حديثهم عن حملة سابور على بلاد العرب ، أخذها الطبري أو المورد الذي اعتمد عليه من مورد كان قد جزأ الكلام ، فصار الحديث الواحد حديثين اثنين . وتجد ذلك واضحاً وضوحاً تاماً في اتفاق العبارات بين الروايتين ، ثم ان الاسكان الاجباري في أرض ما ليس نوعاً من الاستصلاح والاسترضاء .

وفي حديث الأخباريين عن حملة سابور على بلاد العرب ووصوله الى مقربة من المدينة وعن تنكيله بالعرب وحرقه المدن وطمه المياه ، مبالغات كبيرة ولا شك ، أخذت من موارد فارسية بولغ فيها ، وليس في روايات المؤرخين الروم عن هذا الحادث ما يؤيد هذا الزعم .

وكان والي البحرين عند ظهور الاسلام ، المنذر بن ساوى ، وهو من بني تميم ، يحكمها باسم الفرس على حد رواية الأخباريين ، وقد أرسل اليه الرسول رسولاً عنه يدعوه وقومه من بني عبد القيس الى الاسلام . وكان رسول رسول الله هو العلاء بن الحضرمي . فلما أتاه العلاء يدعوه ومن معه بالبحرين الى الاسلام أو الجزية ، أسلم المنذر ، وأسلم جميع العرب بالبحرين[3] . وقد أوفدوا وفداً عنهم الى الرسول برئاسة المنذر بن الحارث بن النعمان بن زياد بن نصر بن عمرو ابن عوف بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن بكر ، فاتصل بالرسول ، وصارت له صحبة ومكانة منه . ووفد منهم على الرسول أيضاً الجارود بن عمرو بن حنش ، وثعلبة أخو عوف ابن جذيمة ، وفدا في بني عبد القيس سنة تسع مع المنذر بن ساوى ، وكان نصرانياً فأسلم .

وكان بين بني عبد القيس وسكان البحرين والعربية الشرقية بصورة عامة جماعة على دين

---

(١) الطبري (٢/٦٦ وما بعدها) . (٢) الطبري (٢/٧٠) .

(٣) ابن الأثير (٢/٨٦ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢ بقية الجزء الثاني ص ٢٦) ، المحبر (ص٢٦٥) .

يهود ، وجماعة أخرى على دين المجوس ، وجماعة على دين النصارى. وقد صالح من قرر البقاء في دينه العلاء بن الحضرمي والمنذر بن ساوى على الجزية [1] .

وينسب الى أبي عبيدة معمر بن المثنى كتاب في أخبار بني عبد القيس ، اسمه « كتاب خبر عبدالقيس » ، والى علاّن الشعوبي كتاب اسمه « مثالب عبدالقيس » ، كذلك ينسب الى المدائني كتاب اسمه « كتاب أشراف عبد القيس » [2] .

ومن ولد هنب بن أفصى [3] قاسط بن هنب [4] ، وهو والد وائل بن قاسط [5] ، والنمر [6] ، ومن بني النمر تيم الله وأوس مناة وعبد مناة وقاسط ، ومن بني تيم الله بن النمر عامر الضحيان ، وقد ساد ربيعة أربعين عاماً وأخذ منها المرباع وهو عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر ابن قاسط . وأبو حوط الحظائر بن جابر ، والد جابر الخير ، أخو المنذر بن ماء السماء لأمه [7] .

ومن رجال بنى النمر بن قاسط سنان بن مالك ، وكان على الأبلة ، استعمله كسرى عليها . وهو والد صهيب من أصحاب الرسول . وقد عرف « صهيب » بصهيب الرومي . وذكر ابن خلدون أنه ينسب الى الروم [8] ، فهل عنى بذلك أن أمه من الروم ، أو أن أجداده من أصل رومي ، عدّوا من النمر بن قاسط ؟ ومن أشهر ديار النمر بن قاسط رأس العين « رأس » [9] .

وقد كانت النمر بن قاسط فى جملة القبائل العدنانية الأخرى التي خضعت لحكم كندة ، ويذكر الأخباريون فى تعليل ذلك أن الحارث بن أبي شمر الغساني لما قتل عمرو بن حجر « ملك

---

(١) ابن الأثير (٢/٨٩) .

(٢) Ency . , Vol . , I , P . 46 .

(٣) تاج العروس (١/٥١٨) ، لسان العرب (٢/٢٨٧) ، نهاية الأرب (٢/٣٢٩) ، ابن خلدون (٢/٣٠١) ، كحالة (٣/١٢٢٩) .

(٤) لسان العرب (٩/٢٥٥) ، الاشتقاق (٢٠٢) .

(٥) نهاية الأرب (٢/٣٣٠) ، الاشتقاق (٢٠٢) ، لسان العرب (١٤/٢٤٥) ، القاموس (٤/٦٣) ، كحالة (٣/١٢٤٤) ، ابن خلدون (٢/٣٠١) .

(٦) جهرة (٢٨٣) ، القاموس (٢/١٤٩) ، لسان العرب (٧/٩٥) ، تاج العروس (٣/٥٨٦) ، صبح الأعشى (١/٣٣٨) ، كحالة (٣/١١٩٣) .

(٧) جهرة (ص ٢٨٣ وما بعدها) .

(٨) ابن خلدون (٢/٣٠١)

(٩) ابن خلدون (٢/٣٠١) .

بعده ابنه الحارث بن عمرو ، وأمه بنت عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان . ونزل الحيرة . فلما تفاسدت القبائل من نزار ، أتاه أشرافهم ، فقالو : إنا فى دينك ، ونحن نخاف أن نتفانى فيما يحدث بيننا ، فوجه معنا بنيك ، ينزلون فينا ، فيكفّون بعضنا عن بعض . ففرق ولده فى قبائل العرب ، فملك ابنه حُجراً على بني أسد وغطفان ، وملك ابنه شرحبيل قتيل يوم الكلاب على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم والرباب ، وملك ابنه معد يكرب ، وهو غلفاء ، على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بنى دارم ابن مالك بن حنظلة والصنائع ، وهم بنو رُقَيّة قوم كانوا يكونون مع الملوك من شذّاد العرب ، وملك ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملك ابنه سلمة على قيس »[1] . فكانت هذه القبيلة اذن فى جملة القبائل العدنانية التي جمع شتاتها تاج كندة . وليس فى رواية الأخباريين هذه غرابة ، فقد رأينا أمرأ القيس يحكم قبله قبائل عديدة ، ويفرض تاجه عليها ، ثم يوزع أبناءه على تلك القبائل . ولكن هذا التوحيد لا يدوم فى العادة أمداً طويلاً ، إنما يتوقف على حكمة الحكام ، وعلى حسن تصرفهم ، وعلى قوتهم وقدرتهم ، وسلطة ذات يدهم . فإذا ظهر ضعف على الحاكم أو الحكام ، أو حدث حادث ، يتبين منه للقبائل الخاضعة أن من خضعت له لم يعد قوياً متمكناً ، ثارت عليه ، ثم لا يلبث ذلك البناء أن ينهار .

أما نسل وائل بن قاسط ، فهم بكر ودثار ، وهو تغلب ، وعبد الله وهو عنز ، والشُّخيص ، وقد دخل نسله فى بنى تغلب ، والحارث وقد دخل فى بنى عائش بن مالك بن تيم الله بنى ثعلبة ابن بكر بن وائل . أمهم كلهم هند بنت مُرّ بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر[2] .

وولد تغلب بن وائل غنماً ، والأوس ، وعمران . ومن ولد غنم عمرو ووائل ومن ولد وائل شيبان ولوذان ، ومن ولد عمرو بن غنم بن تغلب حبيب ومعاوية وزيد ، ومن نسل حبيب بكر وجشم ومالك ، ومن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب كان الشاعر عمرو بن كلثوم ، وبنوه : عبد الله والأسود ، وهما شاعران كذلك ، وعبّاد ، وهو قاتل بشر بن عمرو بن

(١) الأغاني (٩/٨١ وما بعدها) .
(٢) الجمهرة (٢٨٥) .

عدس . وكان من بنى جشم مرّة بن كلثوم ، وهو فارس من فرسان الجاهلية ، وكان أخا لعمرو ابن كلثوم ، وأبو حنش عاصم بن النعمان بن مالك بن عتاب وهو ابن عم عمرو بن كلثوم ، وعاصم هذا هو قاتل شرحبيل بن الحارث الملك آكل المرار يوم الكلاب [1] .

ومن بنى الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ، كليب ، ومهلهل ، وعديّ ، وسلمة بنو ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم ، ومن نسل مهلهل ليلى وهى أم عمرو بن كلثوم ، ومن نسل كليب هجرس بن كليب [2] .

وتَغْلِبْ [3] من القبائل العربية الكبيرة التي ورد اسمها كثيراً فى مؤلفات الأخباريين والمؤرخين ، ولها أيام مع القبائل الأخرى ، وهى مثل سائر القبائل العدنانية الأخرى مهاجرة على عرف النسابين ، تركت ديارها وارتحلت الى الشمال ، فسكنت فى العراق وفى بادية الشأم ، واتصلت بحكم منازلها بالغساسنة والمناذرة وبالروم والفرس . وكانت غالبيتها على النصرانية عند ظهور الإسلام [4] .

ومن مواضعها التي كانت تتبرك بها قبر القديس مارسرجيوس « مارسرجس » بالرصافة [5] .

وكانت تغلب أيضاً فى جملة القبائل العدنانية التي خضعت لآل كندة ، حكم منهم عليها معد يكرب المعروف بغلفاء [6] ، وخضعت أيضاً لحكم ملوك الحيرة الذين حاولوا اصلاح ذات البين بين تغلب وبين بكر بن وائل ، فأخذوا رهائن من الطرفين ، ليمنعوهم بذلك من القتال [7] . وقد وقعت بين الحيين حروب طويلة ترد أخبارها فى الأيام ، كما وقعت بينها وبين بنى يربوع وقبائل

---

(١) الجمهرة (ص ٢٨٧) ، المبرد (١٧) . (٢) الجمهرة (ص ٢٧٨) .

(٣) « تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار » ، لسان العرب (٢/١٤٥) ، تاج العروس (١/٢٣١) ، الاشتقاق (ص ٢٠٢) ، القاموس (١/١١٣)، الصحاح (١/٨٨) ، نهاية الأرب (٢/٣١٦) .

(٤) نهاية الأرب (٢/٣١٦) .

(٥) من شعر الأخطل :

لما رأونا ، والصليب طالعا ... ومارسرجيس ، وسما ناقعا
وأبصروا راياتنا لوامعا ... خلوا لنا راذان والمزارعا

المشرق : ١٩٣٦ (ص ٢٤٧) .

(٦) الأغاني (٩/٨٢) . (٧) الأغاني (١١/٤٢ وما بعدها) .

أخرى حروب سأتحدث عنها في الفصل الخاص بأيام العرب قبل الإسلام .

وقد ثار التغلبيون مراراً على ملوك الحيرة وحاربوهم ، والواقع أن خضوع تغلب والقبائل الكبيرة الأخرى لملوك الحيرة لم يكن إلا خضوعاً اسمياً ، يتمثل في حمل الإتاوات الى الملوك ما داموا أقوياء ، ولذلك كان ملوك الحيرة كما كان الأكاسرة والقياصرة يسترضون الرؤساء بالهبات والمال ، ومن جملة هؤلاء مشايخ هذه القبيلة .

وأما بَكْر بن وائل ، فكان من نسله عليٌّ ، ويشكر ، وبدن . وقد دخل بنو بدن في بني يشكر ، ومن بني يشكر الشاعر الحارث بن حلزة ، والريّان اليشكري سيد بني بكر في حربهم مع بني تغلب . وكان من نسل عليّ بن بكر ، صعبُ بن علي ، وهو والد مالك ولجُيم وعكابة . ومن مالك ابن صعب شهلُ بن شيبان بن زمان المعروف بالفند[1] . ومن بطون يشكر ، بنو غُبر بن غنم ابن حبيب بن كعب بن يشكر ، وبنو كنانة ، وبنو حرب بن يشكر ، وبنو ذبيان بن كنانة ابن يشكر[2] .

وبكر بن وائل ، من القبائل الكبيرة التي كان لها شأن معروف عند ظهور الاسلام . وهي مثل القبائل العدنانية الأخرى من القبائل المهاجرة التي تركت ديارها القديمة على حد قول الأخباريين ، وهي تهامة ، على أثر الحروب الكثيرة الملّة التي وقعت بين العدنانيين ، فهاجرت الى اليمامة ثم الى البحرين والعراق . ويذكر أنها أخذت تغزو مع تميم وعبد القيس حدود الفرس ، حتى اضطر « سابور » الثاني المعروف بـ « سابور ذي الأكتاف » حوالي سنة « ٣٥٠ للميلاد » على مهاجمة هذه القبائل ومحاربتها ، وتخريب المنازل التي كانت تنزل بها . فلما انتهى من حروبه ، أمر بنقل كثير من الأسرى الى الأهواز وكرمان لإسكانهم هناك[3] .

وفي القرن الخامس للميلاد ، كان الحكم على بكر وأكثر قبائل معد على حد رواية الأخباريين في أيدي التبابعة ، ثم في أيدي ملوك كندة ، نصبهم التبابعة أنفسهم ملوكا على تلك القبائل .

---

(١) جمهرة (ص ٢٩١) ، « بنو زمان » ، الاشتقاق (٢٠٧) ، المعارف (٣٢) .

(٢) المبرد (١٧) . (٣) أبو الفداء (٤٨/١) ، الطبري (٦٦/٢) .

وكان أولهم حجر آكل المرار الذي انتزع من اللخميين ما كان في أيديهم من ملك بكر بن وائل ، ووسع ملكه . فلما توفي حجر ، تولى الملك ابنه عمرو المعروف بالمقصور من بعده ، وبقيت بكر تابعة له ، وكذلك لابنه الحارث مغتصب عرش الحيرة على نحو ما ذكرت . وكان الحارث قد وزع أبناءه على القبائل ، ليتولوا ادارة شؤونها . فعين ابنه شراحيل أو شرحبيل أو سلمة حاكماً على بكر . فلما أعاد أنوشروان عرش الحيرة الى أصحابه اللخميين ، وانتكس الأمر مع الحارث ، حتى اضطر الى الهرب الى ديار كلب أو غيرها ، حيث لاقى مصيره بكيفية لم يتفق على وصفها الأخباريون ، وقعت النفرة بين أولاده ، ودبّ الخلاف بين أبنائه ، فاقتتلوا ، وتحزبت القبائل واقتتلت . ثم وجد رؤساؤها أنها فرصة سانحة ، فاستقلوا عن كندة ، وعادت الى ما كانت عليه من الفرقة والاستقلال . وترأس كليب وائل تغلبَ وبكراً وقبائل معد ، وقاتل جموع اليمن ، وهزمهم ، وعظم شأنه ، وصار ملكاً زماناً من الدهر ، ثم داخله الزهو والغرور ، فبغى على أتباعه ، وحمى أكثر الأرضين ، فلم يسمح لأحد بالرعي فيها إلا بإذنه ، فقتله رجل من بكر اسمه « جسّاس » ، في قصة يرويها الأخباريون ، فثارت تغلب ، وطالب أخو كليب وهو « مهلهل » بالأخذ بالثأر من بكر . فجرت بين القبيلتين حروب طويلة استمرت على ما يذكره الأخباريون أربعين عاماً ، هلك فيها خلق كثير وانتهت بمقتل جساس ، وهلاك مهلهل في قصص منمق من هذا القصص الذي يرويه أهل الأخبار (١) .

وقد أضعفت هذه الحروب القبيلتين ولا شك ، وقد تدخل ملوك الحيرة في الأمر ، فأصلحوا بينهم : أصلح بينهم المنذر بن ماء السماء على رواية ، أو عمرو بن هند في رواية أخرى (٢) ، وقد كانوا مع المنذر الثالث في غزوته التي غزا بها الغساسنة ، كما كانوا مع النعمان بن المنذر . وقد حاربوا الفرس مع بني شيبان ، فانتصروا عليهم في معركة ذي قار . وكان يؤيد الفرس من العرب تغلب وطيء وإياد وبهراء وقضاعة والعباد والنمر بن قاسط . وقد اتفقت إياد سراً مع بكر بن

---

(١) أبو الفداء (١/٧٧ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٣٠١) .
(٢) الأغاني (١١/٢٢ ، ٤٤ وما بعدها) . Ency., I, P. 605.

وائل ، فانهزمت حين اشتباك المعركة ، فانهزمت الفرس ومن ساعد الفرس من القبائل التي اشتركت معها تأييداً لإياس بن قبيصة ، أو بغضاً لبكر كما هو شأن تغلب ، أو طمعاً في ربح من الفرس أو رغبة في التقرب اليهم . وقد كان لهذه المعركة أثر كبير في نفوس القبائل ، ومركزها مع الفرس .

ويظهر أن بكراً لم تخضع للفرس ، ولا لحكم الحيرة بعد معركة ذي قار . وفي السنة التاسعة من الهجرة دخل قسم منها في الاسلام ، فمين الرسول المنذر بن ساوى عليها وعلى بني عبد القيس . غير أنها ارتدت عنه بعد وفاة الرسول ، فهاجت مع قيس بن ثعلبة برئاسة الحطيم بن ضبيعة البحرين ، وعينت « الغرور » ملكاً على هذه الديار . عندئذ أرسل أبو بكر عليهم جيشاً بقيادة العلاء الحضرمي ومن بقي على الاسلام من بكر وشيبان ، تمكن منهم ورجعهم الى حظيرة الاسلام .

ومن لُجَيْم بن صعب ، بنو حَنِيفة ، وبنو عجل ، ابنا لجيم بن صعب بن عليّ ، وبنو حنيفة هم أهل اليمامة [1] . ومن حنيفة الدُّئل ، وتقع مواطنهم في اليمامة كذلك [2] . ومن ولد الدّئل بن حنيفة بنو مرّة وعبد الله وذهل وثعلبة . ومن بني مُرّة هوذة بن علي بن ثمامة الذي توجّه الى كسرى ، وعمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزّي ، وهو قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ [3] . ومن عدي بن حنيفة مسيلمة الكذّاب [4] .

وأما ولد عُكَابَة بن صعب [5] . فهم : ثعلبة وهو الحضن ، وقيس وقد دخل بنوه في بني

---

(١) الجمهرة (٢٩١ ، ٤٣٩) ، نهاية الأرب (٣٣١/٢) ، الاشتقاق (٢٠٧) ، « لجيم » ، سبائك الذهب (٥٦) ، الانباه (ص ٩٧) .

(٢) تاج العروس (٣٢٧/٧) ، لسان العرب (٢٤٩/١٣) ، الاشتقاق (ص ٢٠٩) ، نهاية الأرب (٣٣١/٢) ، ابن خلدون (٣٠٢/٢) .

(٣) جمهرة (ص ٢٩٢) ، التبريزي : شرح الحماسة (١٥/٤) .

(٤) المبرد (١٦ وما بعدها) .

(٥) لسان العرب (١٨/٢) ، الاشتقاق (٢١٢ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٣٣١/٢) ، ابن خلدون (٣٠٣/٢) ، كحالة (٨٠٣/٢) .

ذهل بن ثعلبة . فولد ثعلبة بن عكابة شيبان ، وذهل ، وقيساً ، والحارث . وقد دخل بنوه في بني أنمار بن دب بن مرّة بن ذهل بن شيبان . وأمهم رقاش ، وهي البرشاء بنت الحارث بن العتيك بن غنم بن تغلب . وولد ثعلبة أيضاً تيم الله بن ثعلبة ، وأمه الجدماء بنت جلّ بن عدي ابن عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، وأتيد ، وضنّة . ودخل بنو ضنة في بني عذرة . ودخل بنو أنيد في بني هند من بني شيبان[1] .

ومن ولد ثَعْلَبَة بن عكابة ، تيم الله[2]. ومن ولد تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ، شيبان[3]، ومنهم أوس بن محصن ، وهو الذي أطلق له السبي يوم أوارة ، وصعير بن كلاب بن عامر وكان من فرسان بكر[4] .

ومن بني ذُهْل بن ثعلبة بن عكابة ، بنوسدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، وتقع مواطنهم فى اليمامة ، وكانوا أرداف ملوك كندة[5] . وبنو رقاش وهم الرقاشيون أبناء مالك « ملكان » وزيد « زيد مناة » ابنى شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، من زوجه رقاش بنت ضبيعة بن قيس بن ثعلبة[6] . وكان بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة من البطون الضخمة ، ورئيسهم فى الجاهلية مرّة بن ذهل بن شيبان ، ومن نسله جسّاس قاتل كليب[7] .

ومن نسل قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ، ضبيعة ، وتيم ، وثعلبة ، وسعد . ومن نسل ضبيعة الأعشى ميمون بن قيس الشاعر المعروف ، والمرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر ، وطرفة ابن العبد ، وعمرو بن قميئة ، وشعراء آخرون . وتعد هذه القبيلة فى طليعة القبائل بكثرة من ظهر

---

(١) جمهرة (ص ٢٩٥ وما بعدها) ، سبائك الذهب (ص ٥٨) .
(٢) تاج العروس (٧/٢٠٣) ، (٨/٢١٦) ، الاشتقاق (٢١٢) ، ابن خلدون (٢/٣٠٣) .
(٣) لسان العرب (١/٤٩٥) ، صبح الأعشى (١/٣٣٨) ، نهاية الأرب (٢/٣٣٢) ، ابن خلدون (٢/٣٠٣) ، الاشتقاق (٢١٠) .
(٤) جمهرة (ص ٢٩٦) .
(٥) لسان العرب (٧/٤١٠) ، الاشتقاق (٢١١) .
(٦) جمهرة (ص ٢٩٨ وما بعدها ، ٤٣٩) ، القاموس (٢/٢٧٥) ، لسان العرب (٨/١٩٥) ، تاج العروس (٩/٨٤) ، كحالة (٢/٤٤٢) .
(٧) ابن خلدون (٢/٣٠٣) .

فيها من الشعراء [1] . وتقع منازل قيس فى اليمامة . وكانت صلاتهم وثيقة بالمناذرة . ومنهم كتيبة الصنائع إحدى كتائب النعمان بن المنذر [2] .

ومن بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، عمرو بن أبي ربيعة المعروف بالمزدلف ، وابنه حارثة ذو التاج ، وكان على بنى بكر يوم أوارة ، وهانيء بن مسعود الشيباني الذي هاج القتال بين بنى بكر وبنى تميم وضبّـة والرباب يوم ذي قار ، ومفروق واسمه النعمان بن عمرو الأصم ، وهو من فرسان بكر وساداتهم ، وأعشى بنى ربيعة ، وهو عبد الله بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو ابن أبي ربيعة الشاعر [3] .

ومن بنى مُرَّة بن ذهل بن شيبان ، همام ، وجسّاس قاتل كليب التغلبي ، والمثنى بن حارثة ابن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرّة بن ذهل الشيباني القائد الاسلامي الشهير قاتل مهران [4] .

وأما عَكّ ، فهم من القبائل العربية القديمة ، وهم « أكّيته Akkitai » عند «بطلميوس» ، ولا نعرف من أخبارها فى نصوص المسند شيئاً . ويظهر من اختلاف النسابين فى نسبها ، ومن جعلها من قحطان تارة ومن عدنان تارة أخرى ، أنها كانت على اتصال تام بالجماعتين : قبائل قحطان ، وقبائل عدنان . وقد ساكنت الجماعتين ، واختلطت بهما بالفعل ، ولهذا الاختلاط أثره فى تكوين الأنساب ، كما أن لمحالفاتها لقبائل عدنان وقحطان أثره فى النسب .

ولهذا نجد بعض النسابين يجعلون عكّاً ابناً لعدنان ، فهو على حد قولهم شقيق معد ؛ ونجد بعضاً آخر يسميه الحارث ، ويجعل عكّاً لقباً له ، ثم يصيره ابناً للديث بن عدنان فيقول : هو عك بن الديث بن عدنان ، أي أنه حفيد عدنان . ثم نجد قسماً آخر يصيره من الأزد ، أي من قحطان ، فيجعله عك بن عدثان بن عبد الله بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن

(١) جمهرة (ص ٣٠٠ وما بعدها) ، شيخو : شعراء النصرانية : القسم الثالث في شعراء بكر بن وائل من بني عدنان (ص ٢٦٤ وما بعدها) ، كحالة (٩٧١/٣) .

(٢) ابن خلدون (٣٠٣/٢) ، تاج العروس (٢٤٢/٢) ، (٢٣٣/١٠) نهاية الأرب (٣٣٢/٢) ، جمهرة (٣٠٠ وما بعدها) .

(٣) جمهرة (ص ٣٠٥) .

(٤) جمهرة (ص٣٠٥ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٣٣٣/٢) ، الإشتقاق (١٥) ، كحالة (١٠٧١/٣).

كهلان [1] . وأرى أنّ « عدثان » و « عدنان » كلمة واحدة . وقع فيهما تحريف ، فصارت الكلمة الواحدة كلمتين ، وليس من المستغرب وقوع ذلك . فالكلمتان واحدة في الحروف ، ما عدا حرفي الثاء والنون اللذين يتشابهان في الرسم أيضاً فيما عدا عدد النقط .

وقد رجح نشوان بن سعيد الحميري ، وهو من اليمن من حمير ، رأي القائلين من النسابين برجوع نسب عك في الأزد ، فقال : « عك قبيلة من العرب يقال لهم ولد عك بن عدنان أخي معد ، ويقال لهم ولد عك بن عدثان بن عبد الله بن الأزد ، وهو أصح القولين . وإنما سبب انتسابهم في معدّ أن غسّان وقت خروج الأزد من مأرب نزلوا تهامة وبها عك ، فخيرتهم عك بين شرقي تهامة وغربيها ، فاختارت غسان الشرقي ، ومكثت به زماناً ، حتى قيل لهم إنّ عكاً أثخن منكم لبناً ، وأدسم منكم سمناً ؛ لأن أموالكم إذا سرحت استقبلت الشمس ، واذا راحت استقبلت الشمس ، فأحرّت الشمس رووسها ، وأموال عك تستدبر الشمس عند الطلوع والغروب ، فاستقالت غسّان عكّاً ، فلم تقلها ، فاقتتلوا ، فقتلت غسان عكّاً قتلا ذريعاً وأجلتها عن كثير من أوطانها ، فمن ثم انتفت عك من اليمن ، وانتسبت الى معد » [2] .

وقد ذكر نشوان شعراً جاء فيه :

ألم تر عكّاً هامة الأزد أصبحت	مذبذبة الأنساب بين القبائل
وعقّت أباها الأزد واستبدلت به	أباً لم يلدها في القرون الأوائل ؟

ومن ولد عك علقمة ، ومن ولد علقمة الشاهد ، ومن ولد الشاهد غافق ، ومن نسل هؤلاء تفرعت سائر عك [3] . ونجد بعض النسابين يغفلون علقمة ، ويجعلون الشاهد ولداً من أولاد عدنان ، ومنهم من جعل لعك ولدين ، هما : الشاهد ، وعبد الله ، وجعل للشاهد ولدين كذلك ،

---

(١) جمهرة (ص ٣٠٩) ، ابن خلدون (٢/٢٩٩) ، طرفة الأصحاب (ص ٦٥ وما بعدها) ، تاج العروس (٧/١٦٣) ، لسان العرب (١٢/٣٥٧) ، الصحاح (٢/١٤١) ، الصفة (٥٤) .

(٢) منتخبات (ص ٧٤) .

(٣) سبائك الذهب (ص ٦٣) ، جمهرة (ص ٣٠٩) ، ابن خلدون (٢/٢٩٩) ، نهاية الأرب (٢/٣١٢) ، تاج العروس (٧/٣٧) ، ابو الفداء (١/١٠٧) ، كحالة (٣/٨٧٥) .
Wustenfeld, Genea., Taf. Zweite abteil., Die Ismailitischen Stamme, Taf. A,

هما : غافق ، وساعدة ، ولعبد الله بطنين كذلك ، هما : عبس وبولان . ومن بطون غافق : القيانة ، والمقاصرة ، ودهنة . ومن بطون ســـاعدة : لام ، وصخر ، ودعج ، ونعج ، وزغل ، وقين ، وقاضية ، وعلاقة ، وهامل ، ووالبة ، وقحر . ومن بطون عبس : زهير ، ومالك ، وطريف ، وزيد ، والعسالق ، والحجبية ، وغنم ، وناج ، ومنسك . ومن بطون بولان : الهليلي ، والحربي[1]. ويلاحظ أن معظم قبائل عك وبطونها ، هي في اليمن ، بينما هي قبائل عدنانية على رأي أكثرية النسابين . وقد علل بعض النسابين ذلك بقوله : « وإنما كثرت قبائل عك بن عدنان باليمن ؛ لأن عكاً تزوّج بنت أشعر ، فأولد فيهم ، فكانت الدار واحدة لذلك السبب »[2] .

وسمى النسابون الناس بن مضر عيلاناً كذلك[3] ، وقال بعضهم « إن عيلاناً لم يكن بأب لقيس ولا ابنٍ لمضر ، وانما هو قيس بن مضر . وعيلان اسم فرس لقيس مشهور فى خيل العرب مفضل ، وكان قيس بن مضر يسابق عليه . وكان رجل من بجيلة يقال له قيس كبة لفرس له مشهورة أيضاً ، وكانا متجاورين فى دار واحدة قبل أن تلحق بجيلة بأرض اليمن . وهذا على مذهب من جعل بجيلة ابن أنمار بن نزار . وكان فرساهما مشهورين مذكورين ، فكان الرجل اذا سأل عن قيس ، أو ذكر قيساً ، قيل له : أقيس عيلان تريد ، أم قيس كبّة ؟ فصار قيس لا يعرف إلاّ بقيس عيلان ، وهو قيس بن مضر بن نزار .... وقد قيل إن قيساً سمي عيلان بغلام كان له ، وقيل سمى عيلان بكاب كان له يقال له عيلان »[4] الى غير ذلك من تفاسير وتعليلات تشير الى اضطراب النسابين والأخباريين في الناس وفى قيس عيلان[5] .

وقد عرف المنتسبون الى قيس عَيْلان بـ « قيس » و « بقيس عيلان » و بـ « عيلان »

---

(١) طرفة الأصحاب (ص ٦٤ وما بعدها) . (٢) طرفة الأصحاب (ص ٦٦) .

(٣) سبائك الذهب (ص ٢١) ، الصحاح للجوهري (٤٧٢/١) ، لسان العرب (٧١/٨) ، تاج العروس (٤٠/٨) ، القاموس (٢٤٤/٢) ، الاشتقاق (١٦٢) ، ابن خلدون (٣٠٥/٢) ، أبو الفداء (١١١/١) ، نهاية الأرب (٣٣٤/٢ وما بعدها) . كحالة (٩٧٢/٣ وما بعدها) .

(٤) الانباه (ص ٨١ وما بعدها) .

(٥) راجع التفاسير الأخرى لمنى عيلان في : الإشتقاق (ص ١٦٢ وما بعدها) .

وبـ « القيسيين » وبـ « القيسية » كذلك [١] ، وهي من الكتل القبائلية الضخمة . ومع ذلك لا نعرف من تاريخها قبل القرن السادس للميلاد شيئاً يذكر . ولم يرد اسمها في كتب « الكلاسيكيين » . وقد ذكر لها الأخباريون أياماً عديدة ، تشمل حروباً وقعت بين القبائل القيسية نفسها ، وحروباً وقعت بين قيس وقبائل أخرى من غير قيس . وقد خضعت قبائل قيس مثل أكثر القبائل العدنانية الأخرى لحكم مملكة كندة القصير [٢] .

وقد ولد الناس أوعيلان قيساً ودُهمان . وقد جعل بعض النسابين . قيساً ابناً لمضر ، وقالوا : إنه عيلان ، وان عيلان عبد حضنه ، فنسب قيس اليه [٣] . وقد ولد قيس عدة أولاد ، هم : خَصَفَة [٤] ، وسعد ، وعمرو [٥] . ومن ولد عمرو فهم ، والحارث وهو عدوان [٦] ، وأمهما جديلة بنت مر بن أد ، فنسبوا اليها . وقيل : هي جديلة بنت مدركة بن الياس [٧] .

وكان لفهم عدة أولاد ، منهم : قين ، وسعد ، وعامر ، وعائذ . ومن بني سعد تأبط شراً الشاعر [٨] . وكانت الطائف من مواطن فهم ، وعدوان ، ثم غلبتهم عليها ثقيف ، فخرجوا الى تهامة ونجد . ومن بني طرود ، وهم بطن من فهم ، كان بأرض نجد ، الأعشى [٩] .

أما أبناء عَدْوان بن عمرو ، فهم زيد ، ويشكر ، ودوس . ويقال إنهم دوس التي في الأزد ، وكانت ديارهم بالطائف ، ثم تركوها بعد نزول ثقيف فيها وارتحلوا الى تهامة [١٠] . ومن ولد زيد

---

(١) Ency., II, P. 652. (٢) Ency., II, P. 654.

(٣) جمهرة (ص ٢٣٢) ، الاشتقاق (ص ١٦٢) .

(٤) ابن خلدون (٣٠٧/٢) ، لسان العرب (٤٢١/١٠) الصحاح (٢٠/٢) ، كحالة (٣٤٥/١) .

(٥) جمهرة (ص ٢٣٢) ، سبائك الذهب (ص ٣٣) ، الاشتقاق (ص ١٦٢) ، المبرد (ص ١٠) ، Wustenfeld, Genea, Taf., I

(٦) طرفة الأصحاب (ص ٦١) .

(٧) جمهرة (ص ٢٣٢) ، لسان العرب (١١٢/١٣) ، الانباه (٨٣) ، كحالة (١٧٣/١) .

(٨) جمهرة (ص ٢٣٢) ، الاشتقاق (ص ١٦٢ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٣٤٣/٢) ، ابن خلدون (٣٠٥/٢) ، تاج العروس (١٦/٩) .

(٩) الأغاني (٧٥/٤) ، ابن خلدون (٣٠٥/٢) .

(١٠) ابن خلدون (٣٠٥/٢) ، نهاية الأرب (٣٤٣/٢) ، صبح الأعشى (٣٤٦/١) أبو الفداء (١١٢/١) ، لسان العرب (٢٧٠/١٩) القاموس (٣٦٠/٤) ، كحالة (٧٦٢/٢ وما بعدها) .

ابن عدوان ، أبو سيّارة الذي كان يدفع بالناس في المواسم . ومن بني يشكر بن عدوان ، عامر ابن الظرب بن عمرو بن عيّاذ بن يشكر بن عدوان ، وقد عرف عامر بن الظرب هذا بـ « حاكم العرب » في الجاهليـة . وهو شقيق سعد ، وعمر ، وصعصعة ، وثعلبة . ومن بني ثعلبة بن الظرب ، ذو الإصبع العدواني من الشعراء المعروفين [1] . ومن بطون عدوان الأخرى ، بنو خارجة ، وبنو وابش ، وبنو رهم بن ناج [2] .

ومن نسل سـعد بن قيس عيلان ، غَطَفان ومنبه وهو أعصر [3] . أما غطفان ، فقبيلة كبيرة معروفة ، وهناك قبيلة أخرى تسمى بـ « غطفان » كذلك ، وهي يمانية ، تنسب الى غطفان ابن سعد بن مالك بن حرام بن جذام [4] . أما هذه ، فعدنانية في عرف النسابين ، وتقع منازل هذه القبيلة شرقي خيبر وحدود الحجاز الى جبلَيْ طيء [5] .

وقد وقعت بين غَطَفان وبني عامر بن صعصعة عدة أيام ، منها : يوم الرقم ، ويوم القرنتين ، ويوم طوالة ، ويوم قرن [6] . وقد كانوا مع الأحزاب في محاربة الرسول . وكانوا يعبدون العزّى . شجرة بنخلة عندها وثن تعبدها غطفان ، سـدنتها من بني صرمة بن مرّة ، وكانت قريش تعظمها ، وكانت غنى وباهلة تعبدها معهم . هدمها خالد بن الوليد ، وهدم البيت وكسر الوثن . وكانوا يطوفون حول البيت، بيت بساء تشبهاً بطواف القبائل الأخرى حول الكعبة بمكة ، ولهم صنم آخر موضعه في مشارف الشأم يسمى الأقيصر [7] .

ومن رؤساء غطفان الذين سادوا فيها ، زهير بن جذيمة العبسي ، وقد قاد غَطَفان كلها ، وعمرو بن جؤيَّة بن لوذان الفزاري ، وقد قاد غطفان كلها الى يوم الخنان الى بكر بن وائل ، وبدر بن عمرو ، وقد قاد غطفان لبني أسد ، وعيينة بن حصن بن حذيفة ، قاد غطفان الى بني تغلب

---

(١) جمهرة (ص ٢٣٢ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ١٦٤) .
(٢) الاشتقاق (ص ١٦٣) .
(٣) جمهرة (ص ٢٣٣) ، الاشتقاق (ص ١٦٤) ، المبرد (ص ١٠) .
(٤) ابن خلدون (٢/٢٥٦) ، نهاية الأرب (٢/٣٠٨) ، كحالة (٣/٨٨٩) .
(٥) Ency. , vol. II , p. 144.
(٦) كحالة (٣/٨٨٨) .
(٧) المحبر (ص ٣١٥) ، كحالة (٣/٨٨٩) .

يوم الساجسي[١].

ويبدأ تأريخ غَطَفان باستقلال قبائل معد، وخروجها من حكم اليمن على ما يرويه الأخباريون. وكان رئيس قبائل غطفان في هذا العهد زهير بن جذيمة العبسي سيد عبس، وعبس من غطفان. وقد تلقب بلقب ملك وجبى الإتاوة من هوازن، ثم قتله خالد بن جعفر بن كلاب، فترأس عبس ابنه قيس، وترأس ذُبيانَ ـ وهي من قبائل غَطَفان كذلك ـ حذيفة ابن بدر الفَزاري. وتمكن الحارث بن ظالم أحد الفتاك في الجاهلية من قتل خالد بن جعفر، وهو في جوار ملك الحيرة، وقد أدت هذه الحوادث الى تشتيت قبائل غطفان، والى نشوب حروب بينها خاصة بين عبس وذبيان[٢].

وقد كانت قبائل غَطَفان في جملة القبائل التي قاومت الإسلام، واشتركت مع القبائل الأُخرى في محاربة الرسول ومهاجمة المدينة، ثم أسلمت في السنة الثامنة للهجرة. وبعد وفاة الرسول عادت أكثرية غَطَفان، فارتدت عن الاسلام، وهاجمت المدينة. ولكن أبا بكر تمكن من صدها، ثم عادت كما عاد غيرها الى حظيرة الإسلام.

وولد غَطَفان ثلاثة أولاد، هم: رَيْث، وبَغيض وأشجع على رواية[٣]، وولد ريثا وعبد العزّي على رواية أخرى. وقد بدل رسول الله اسم عبد العزّي فجعله عبد الله، فعرف نسله بالاسم الجديد[٤]. وقد ولد ريث من الولد أهونَ، ومازناً وأشجعَ وبغيضاً[٥]، وذلك على رواية من جعل لغَطَفان ولدين، هما: ريث وعبد العزي.

ومن بطون أشْجع[٦] بكر وسبيع، ومن سبيع حلاوة[٧] « خلاوة »[٨]، وهفّان

---

(١) المحبر (ص ١٩٢، ٢٤٨ وما بعدها).

(٢) المحبر (ص ١٩٢ وما بعدها)، Ency.., II, P. 144 - 145.

(٣) الاشتقاق (ص ١٦٧)، تاج العروس (٦٢٦/١). (٤) جمهرة (ص ٢٣٧).

(٥) جمهرة (٢٣٨)، ابن خلدون (٣٠٥/٢)، نهاية الأرب (٣٢٣/٢)، تاج العروس (٦٢٦/١)، Wustenfeld, Genea., Taf., H.

(٦) « أشجع »، ابن خلدون (٣٠٥/٢)، تاج العروس (٩٢/٣، ٣٩٣/٥)، البكرى (٣٢٩/١ وما بعدها)، لسان العرب (٤٠/١٠)، نهاية الأرب (٣٢٣/٢)، صبح الأعشى (٣٤٤/١).

(٧) « حلاوة » جمهرة (ص ٢٣٨)، « هكذا ضبط الاسم ليفي بروفنسال ».

(٨) سبائك الذهب (ص ٥٠)، تاج العروس (١١٩/١٠)، ابن خلدون (٣٠٥/٢)، Wustenfeld, Genea Taf., H.

وفتيان ، وقنفذ ، وذبيان [١] .

وتقع مواطن أشجع في الحجاز بضواحي يثرب ، وكانوا حلفاء للخزرج من الأزد . وقد ساعدوهم في يوم بعاث [٢] . وقد كان بينهم وبين سُلَيْم بن منصور يوم كان في موضع الجر [٣] .

ومن ولد بغيض [٤] : عَبْس ، وذُبْيان ويضاف اليهما أنمار في بعض الروايات . ومن نسل عبس قطيعة ، وورده ، والحارث ، وورقة [٥] . ومن نسل قطيعة [٦] زهير بن جذيمة سيد بني عَبْس ، وجميع غَطَفان ، وقيس بن زهير بن جذيمة صاحب حرب داحس والغبراء ، والربيع ابن زياد وزير النعمان ، والحارث بن زهير قتلته كليب يوم عُراعر ، وشأس بن زهير قتلته فَزارة [٧] ، ومن عبس عنترة بن شدّاد البطل الجاهلي الشهير [٨] .

وهناك جملة قبائل وبطون عرفت بعبس ، ففي أسد وحنيفة وهوازن وعمرو بن قيس عيلان وعك بطون عرفت بعبس ، وهي تسمية معروفة وردت في الكتابات الصفوية والتدمرية والنبطية [٩] ، فهي من الأسماء القديمة المعروفة عند العرب الشماليين .

وتعد عبس جمرة من جمرات العرب ، وجمرات العرب هي : ضبّة بن أد ، وعبس بن بَغِيض ، والحارث بن كعب ، ويربوع بن حنظلة ، وبنو نمير بن عامر أو أقل من ذلك على حسب تعدد الروايات [١٠] . ويقصدون بالجمرة القبيلة التي لا تنضم الى أحد ، ولا تحالف غيرها ، وتصبر في

---

(١) سبائك الذهب (ص ٣٥) ، « تجد أخطاءاً عديدة في الطبع » ، تاج العروس (٢٧٦/١٠) ، Wustenfeld , Genea . , H .

(٢) الأغاني (١٥٢/١٥) . (٣) كحالة (٢٩/١) .

(٤) نهاية الأرب (٣٢٣/٢) ، لسان العرب (٣٩٠/٨) ، كحالة (٨٦/١ وما بعدها) .

(٥) جمهرة (ص ٢٣٩) ، أما ابن دريد فاكتفى بذكر ولدين لعبس ، هما : قطيعة وورقة . الاشتقاق (ص ١٦٩) نهاية الأرب (٣٢٣/٢) ، Wustenfeld . Taf . , H .

(٦) « قطيعة بن عبس » ، نهاية الأرب (٣٢٣/٢) .

(٧) جمهرة (ص ٢٣٩ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٦٩) ، نهاية الأرب (٣٢٣/٢) ، ابن خلدون (٣٠٦/٢) .

(٨) طرفة الأصحاب (ص ٦٢) . (٩) Ency . , I, P. 73.

(١٠) المحبر (ص ٢٣٤) .

قتال من يقاتلها من القبائل ، أو القبيلة التي يكون فيها ثلاث مئة فارس أو ألف فارس [1] . وهو تعريف لا يمكن أن ينطبق على قبيلةٍ ما من القبائل ، حتى على هذه القبائل التي قالوا عنها إنها الجمرات ، فلا بد في القتال بين القبائل من حلف ، ومن طلب مساعدة القبائل الأخرى . ولذلك نجد الإخباريين يذكرون أن بعض هذه القبائل طفئت لأنها حالفت القبيلة الفلانية . فذكروا أن ضبة طفئت لأنها حالفت الرباب ، وأن الحارث طفئت لأنها حالفت مذحجاً ، وأن عَبْساً طفئت أيضاً لانتقالها الى بني عامر بن صعصعة يوم جبلة [2] . وهكذا اذا استقصيت كلام الأخباريين الوارد في مناسبات أخرى عن هذه القبائل ، تجد أنه يصادم ما قالوه من عدم تحالف القبائل المذكورة وانضمامها الى القبائل الأخرى . وظنّي أن شهرة عبس في الشجاعة خاصة من دون القبائل الأخرى إنّما وردت اليها من هذا القصص المروى عن عنترة بن شدّاد .

ومن ولد ذبيان [3] فزارةُ وسعد [4] ، وفي روايات أخرى أن والد سعد هو ثعلبة بن ذبيان [5] . وولد سعد عوفاً ، وهو والد مرّة وثعلبة [6] ، ومن بني مرّة بن عوف خزيمة ، وغَطَفان ، وسنان . ومن بني سنان هَرِمُ بنُ سِنان ، وبنو يربوع بن غيظ بن مرّة بن عوف ، ومنهم النابغة الذبياني ، والحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ من الفتاك ، ومن بني مرّة بنو سهم بن مرّة [7] ، ومن بني ثعلبة بن سعد ، بنو بجالة بن ثعلبة بن سعد ، وبنو عجب بن ثعلبة ابن سعد ، وبنو رزام بن ثعلبة بن سعد [8] .

---

(١) تاج العروس (٣/١٠٧) ، لسان العرب (٥/٢١٥) ، القاموس (١/٣٩٣) .

(٢) من شعر ينسب لأبي حية النميري :

لنا جمرات ليس في الأرض مثلها ... كرام وقد جربن كل التجارب
نمير وعبس يتقى بفنائها ... وضبة قوم بأسهم غير كاذب

تاج العروس (٣/١٠٧) ، لسان العرب (٥/٢١٥) ، منتخبات (ص ٢٢) .

(٣) ابن خلدون (٢/٣٠٦) ، تاج العروس (٦/٢٨٧ ، ١٠/١٢٥) ، الصحاح (٢/٤٧٧) ، لسان العرب (١٨/٣٠٩) ، الاشتقاق (١٧١) .

(٤) الاشتقاق (ص ١٧١) ، جمهرة (ص ٢٤٠) .

(٥) الاشتقاق (ص ١٧٤) ، كحالة (٢/٥١٤) .

(٦) جمهرة (ص ٢٤٠) ، نهاية الأرب (٢/٣٢٤) . Wustenfeld, Genea., Taf., H.

(٧) جمهرة (ص ٢٤١ وما بعدها) المحبر (ص ١٩٢) .

(٨) نهاية الأرب (٢/٣٢٤) .

وقد وقعت بني عبس وذبيان حروب عديدة، سأتحدث عنها في الأيام، والظاهر أنه كانت بين القبيلتين منافسة شديدة.

أما فَزارَة (١)، فولد عدياً، وظالماً، ومازناً، وشمخاً (٢) «سمخا» (٣) «شمجا» (٤)، ومرّة. ومن بني عديّ: بغيضُ بن مالك بن سعد الذي اجتمعت عليه قيس في الجاهلية، وبنو بدر بن عمرو بن حويّة بن لوذان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة، وهم بيت فزارة وعددهم، وبنوه حذيفة الذي يقال له ربّ معد، وحمل، المقتولان يوم الهباءة، ومالك، وعوف، المقتولان في حرب داحس والغبراء، والحارث، وربيعة، وقد سادوا كلهم (٥). ومن بني ظالم، نعامةُ الذي يتمثل به في إدراك الثأر، وكان فيه هوج، ورويت له أمثال كثيرة (٦). ومن بني شمخ، ظويلم المعروف بمانع الحريم؛ «سمي بذلك لأنه خرج في الجاهلية يريد الحج، فنزل على المغيرة بن عبد الله المخزومي، فأراد المغيرة أن يأخذ منه ما كانت قريش تأخذ ممن نزل عليها في الجاهلية، ولذلك سمي الحريم. وكانوا يأخذون بعض ثيابه أو بعض بدنته التي ينحر، فامتنع عليه ظويلم، وقال:

يارب، هل عندك من غفيره ... إن منى مانعه المغيره

ومانع بعد منى ثبيره ... ومانعي ربّي أن أزوره

وظويلم الذي منع عمرو بن صرمة الإتاوة التي كان يأخذها من غَطَفان» (٧).

---

(١) «فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر»، نهاية الأرب (٢/٣٢٤)، لسان العرب (٦/٣٦١)، القاموس (٢/٨٤، ١١٠، ١٤٩)، تاج العروس، (٣/٤٧٠) (٩/١١٧)، المبرد (١١)، أبو الفداء (١/١١٢).

(٢) الاشتقاق (ص ١٧١)، القاموس (١/٢٦٢)، لسان العرب (٣/١٣٣)، ابن خلدون، (٢/٣٠٦)، تاج العروس (٢/٦٥)، المقريزي: البيان (ص ٥٣).

(٣) «سمخ» هكذا ضبطه «ليفي بروفنسال»، جمهرة (ص ٢٤٣).

(٤) «شمج» «شمخ»، كحالة (٢/٦٠٨). «وبنو شمج بن فزارة من ذبيان. قال ابن بري: قال الجوهري: بنو شمج من ذبيان بالجيم. قال: والمعروف عند أهل النسب: بنو شمخ بن فزارة بالخاء المعجمة ساكنة الميم»، لسان العرب (٣/١٣٣).

(٥) جمهرة (ص ٢٤٣ وما بعدها). (٦) الاشتقاق (ص ١٧١).

(٧) الاشتقاق (ص ١٧٢).

وتقع مواطن فَزارة بنجد وبوادي القرى (١) ، وانتشروا بعد ذلك ـ وخاصة في الفتوحات الاسلامية ـ في مواطن أخرى ، وذهبت بطون منهم الى شمال إفريقية . وكان لحذيفة بن بدر رئيس فزارة أثر خطير في حرب داحس التي وقعت بين عبس وذبيان ، ولهم حروب وأيام مع القبائل الأخرى مثل حربها مع بني عمرو بن تميم ومع التيم ومع هوازن ومع بني جشم بن بكر ومع بني عامر . يذكرها أهل الأخبار في حديثهم عن الأيام . وقد قاد حذيفة بن بدر فزارة ، ومرّة يوم النسار ، ويوم الجفار ، وفي حرب داحس حتى قتل فيها يوم الهباءة(٢). وقد عرف « حذيفة » هذا بـ « رب معد » (٣) . وكان ابنه « حصن » من سادات فزارة .

ومن بني مازن بن فزارة : بنو العشراء (٤) ، « وبنو سيّار بن عمرو الذي رهن قوسه بألف بعير ، وضمنها للملك من ملوك اليمن ، وذلك أن بني الحارث بن مرة ، قتلوا أبناً لعمرو بن هند ، فرهن سيّار قوسه »(٥) . ومن ولد سيّار ، زبّان ، وقطبة . ومن ولد قطبة هرم بن قطبة ، وهو من حكماء العرب ، واليه تحاكم عامر بن طفيل وعلقمة بن علاثة ، وكان ممن ادركوا الاسلام(٦) .

وأما ولد أعصر بن سعد بن قيس عيلان(٧) ، فهم مالك ، ومن نسله باهلة ، وعمرو وهو غنيّ ، وأمها من همدان ، وثعلبة وعامر ومعاوية ، وأمهم الطفاوة بنت جرم بن « زبان »(٨) .

---

(١) الهمداني : الصفة (١٧٤ ، ١٧٧ وما بعدها) ، البكري (١/٦٣ ، ١٦٠ ، ٢٣٣ ، ٢٥٦ ومواضع أخرى) ، لسان العرب (٦/٣٦١) . Ency., II, P. 93.

(٢) المحبر (ص ٢٤٩) . Ency., II, P. 93 (٣) المحبر (ص ٤٦١) .

(٤) « بنو العشراء ، وهو عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال » ، الاشتقاق (ص ١٧٢) ، القاموس (٢/٩٠) ، لسان العرب (٦/٢٥١) ، المحبر (ص ١٣٥) .

(٥) الاشتقاق (ص ١٧٢) ، « سيار ذو القوس الذي رهن قوسه على الف بعير في قتل الحارث بن ظالم ، من النعمان الأكبر » ، المحبر (ص ٤٦١) .

(٦) الإشتقاق (ص ١٧٢) ، المحبر (ص ١٣٥) .

(٧) تاج العروس (٣/٤٠٦) ، الصحاح (١/٣٦٦) ، لسان العرب (٦/١٤٦) ، كحالة (١/٣٥) .

(٨) لسان العرب (١٩/٢٣٤) ، نهاية الأرب (٢/٣٢٤) ، جمهرة (ص ٢٣٣) ، الاشتقاق (ص ١٦٤) ، المبرد (ص ١٠) . « الطفاوة » ، البلخي (٤/١٢٣) .

ومن ولد مالك، سعد مناة، وأمه باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة من مذحج، وبها عرف سعد مناة ونسله. ومعن بن مالك وهو الذي خلف أباه على باهلة، ومن نسله عمارة بن عبدالعزّي، قاتل عبد الدار بن قصي[1]. ومن بطون باهلة بنو قتيبة، ومنهم بنو سهم، وبنو اسمع، ووائل بن معن[2]. وتقع منازل هذه القبيلة في اليمامة في الأصل[3]، ويظن بعض المستشرقين أنها قبيلة « Bahilitae »، « Pachylitae » التي ذكرها « بلينيوس »[4]. وقبيلة « Bliulaei » الوارد اسمها في جغرافية « بطلميوس »[5].

وأما غَنيّ، فقبيلة كانت ديارها بنجد في جوار طيء وعند حمى ضَرِيّة[6]. ومنها رياح ابن الأشل، وابن أخيه ثعلبة قاتل شأس بن زهيرة بن جذيمة العبسي. وقيل: إن رياحاً هو قاتل شأس. وكانت لهم ظاعنة ضخمة بالشأم[7]. ومن بطون غنيّ عُبَيْد، وزبّان، وصريم، وضبينة[8]، وبنو عتريف[9]. وكانت لهم حروب مع عبس ومع زيد الخيل. ومن أصنامهم التي عبدوها: اللات، ومناة، والعُزّى[10]. ومن شعرائهم طفيل بن عمرو الغَنَوي[11]،

---

(١) جمهرة (ص ٢٣٣ وما بعدها)، تاج العروس (٣/٤٠٦)، وقد نسبت « باهلة » الى همدان كذلك، الصحاح (٢/١٥٩)، لسان العرب (١٣/٧٦)، ابن خلدون (٢/٣٠٥)، أبو الفداء (١/١١١).

(٢) المبرد (١٠)، الاشتقاق (١٦٤ وما بعدها)، منتخبات (ص ١٠).

(٣) « ديار باهلة »، « أرض باهلة »، مراصد (١/٣٠، ٤٩٦، ٢/٢٦)، Ency., I, P. 576, Blau, in ZDMG, 1869 (XX 111), S 584.

(٤) تأريخ العرب قبل الاسلام (٣/٢٢١)، Pliny, 6, 32, Glaser, Skizze II, P. 145.

(٥) تأريخ العرب قبل الاسلام (٣/٤١٦)، Blau, in ZDMG., (1898) (22) S., 670, 1869 (23) S., 584.

(٦) نهاية الأرب (٢/٣٢٤)، البكري (٣/٨٦٦) « تحقيق السقا »، الصفة (ص ١٥٣، ١٧٠، ١٧٤)، الأغاني (٧/١٤٧، ١٠/٩ وما بعدها)، كحالة (٣/٨٩٦)، Ency., II, P. 140.

(٧) جمهرة (ص ٢٣٦).

(٨) وفيهم يقول لبيد:

ابنى كلاب كيف تنفي جعفر ... وبنو ضبينة حاضروا الأجباب

الاشتقاق (١٦٥)، المبرد (١٠)، Wustenfeld, Genea., 2 Abt., Taf. D, Register, S. 170.

(٩) المبرد (١٠). (١٠) Ency., II, P. 140. (١١) Ency., II, P. 140.

وكعب بن سعد الغَنَوي [1] .

ومن ولد خصفة بن قيس عيلان : عكرمة ، وأمه أخت كلب بن وبرة لأبيه[2]، ومحارب[3] .
ومن محارب : عامر بن وهب بن مجاشع المعروف بذي الرحين ، وكان سيد قومه ، وقد غزا باهلة وأوقع فيها ، وأسر منها ؛ وسبع الوارث ، وهو مالك بن عمرو بن حارثة بن عبد بن سلول الكيدبان ، واسمه عبد الله . القائل لرسول الله : « جملي أحب إليّ من ربك » [4] ، والعقب من محارب لصلبه في فخذين : طريف ، وجسر [5] .

والفرع الثاني من فرعى خصفة ، فرع ضخم كبير بالقياس الى فرع محارب ، فهو يشتمل على ولد منصور بن عكرمة ، وهم : مازن ، وهوازن ، وسليم ، وسلامان ، وأبو مالك [6] . ومن بني هوازن : بكر بن هوازن ، ومن ولد بكر : معاوية ، ومنبّه ، وسعد ، ويزيد . وقد قتل معاوية ، فجعل عامر بن الظرب العدواني ديته مئة من الأبل . ويقول الأخباريون إن هذه أول دية قضى فيها بذلك ، وإن لقمان كان قد جعلها قبل ذلك مئة جدي [7] . وفي بني سعد بن بكر بن هوازن استرضع الرسول . ومن بطون بكر الأخرى : جشم بن معاوية بن بكر ، ومنهم بنو جُداعة ، رهط دريد بن الصمة ، وبنو سلول وهم بنو مُرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر ، وعامر بن صعصعة [8] .

وهَوازِن من القبائل العربية الضخمة ، وقد تفرعت منها قبائل كبيرة معروفة . كانت لها شهرة بين القبائل . سكنت في مواضع متعددة من نجد على حدود اليمن وفي الحجاز [9] . ويظهر

---

(١) شيخو : شعراء النصرانية (القسم الخامس في شعراء نجد والحجاز والعراق) (ص ٧٤٦) .
(٢) لسان العرب (١٥/٣١٠) ، القاموس (٤/١٥٣) ، جمهرة (٢٤٧ وما بعدها) ، كحالة (٢/٨٠٤) .
(٣) جمهرة (٢٤٧) ، نهاية الأرب (٢/٣٢٣) ، المبرد (١٢) ، Wustenfeld , Genea .. F.
(٤) جمهرة (ص ٢٤٨) . (٥) نهاية الأرب (٢/٣٢٣) .
(٦) جمهرة (ص ٢٤٨) ، طرفة الأصحاب (ص ٦١) نهاية الأرب (٢/٣٢٣) .
(٧) جمهرة (ص ٢٥٢) .
(٨) المبرد (١٣) ، الاشتقاق (ص ١٧٧) ، طرفة الأصحاب (ص ٦١) .
(٩) Ency . , II , P . 293 Blau , in ZDMG . , 1869 . (23) S . 586 .

من انتساب هذه القبائل المعروفة الكبيرة اليها ، ثم من اقتصار اسم هوازن على قبيلة واحدة فيما بعد ، واختصاصها به ، أنها كانت في الأصل حلفاً ضم جملة قبائل ، ثم انفصل لعوامل سياسية واقتصادية مختلفة ، فلم يبق من ذلك الحلف الا الرابطة التأريخية التي بقيت في ذاكرة نسابي القبائل ، وهي رابطة النسب . وقد وقعت بين القبائل التي ترجع نسبها الى هوازن وبين قبيلة هوازن حروب عديدة .

وقد كانت هوازن في جملة القبائل الخاضعة للتبابعة ، فلما استقلت قبائل معد عن اليمن ، كانت هوازن في جملة من استقل من تلك القبائل . ولكنها أخذت تدفع الإتاوة لزهير بن جذيمة سيّد عَبْس من غَطَفان . فلما قتل زهير ، استقلت من غطفان ، ولم تدفع الإتاوة اليها . ولما انتهت حرب عبس وذبيان ، وعقد الصلح بين القبيلتين المتنافستين ، وقعت حروب وأيام بين بطون غَطَفان وهَوازن ، منها : يوم الرقم ، ويوم النباع ، ويوم اللوى ، دارت الدائرة فيها على هوازن ، كما وقعت بينها وبين قبائل كنانة وقريش وثقيف أيام عديدة [١] .

وكانت هوازن في جملة القبائل التي قاومت الإسلام . وقد غزاها الرسول ، بعد فتح مكة ، فتمكن منها ، ودخلت في الاسلام ثم ارتدت بعد وفاته ، ثم عادت مع التوّابين بعد أن غلبهم الخليفة أبو بكر الصديق .

وكان لهوازن صنم يعظمونه في عكاظ اسمه جِهارْ ، سدنته من آل عوف النصريين ، تشاركهم في عبادته محارب ، وكان في سفح أطْحَل [٢] .

ومن ولد مُنبِّه بن بكر بن هَوازن بن منصور ، قَسِّي وهو ثقيف [٣] . وولد قسيّ جُشَماً وعَوْفاً ودارِساً [٤] . وقد دخل ولده في الأزد . ومن بني عوف بن ثقيف ، الحجاج بن يوسف

---

(١) Ency . , II . P . 293 .

(٢) المحبر (ص ٣١٥) ، « أطحل » ، البكري (١/١٦٧) « طبعة السقا » ، البلدان (١/٢٨٢ وما بعدها) ، Ency . . II . . 293 .

(٣) ابن خلدون (٢/٣٠٩) ، الأغاني (١٢/٤٤) ، القاموس (٣/١٢١) ، لسان العرب (١٠/٣٦٣) ، الصحاح (٢/١١) ، الاشتقاق (١٨٣) .

(٤) « جشم بن ثقيف » ، لسان العرب (١٤/٣٦٧) ، تاج العروس (٨/٢٣٩) ، الصحاح (٢/٢٧١) ، « جهم بن ثقيف » ، ابن خلدون (٢/٣٠٩) ، كحالة (١/١٤٨) .

الثقفي . ومن بني غِيَرَة بن عَوْف بن ثقيف ، الشاعر أمية بن أبي الصلت . والأخنس بن شريق ، والحارث بن كلدة وأبو عبيد بن مسعود ، والد المختار[1] . ومن بطون ثقيف الأخرى بنو عُقْدَة بن غيرة ، وبنو مُعَتِّب ، وبنو حبيب ، وبنو اليسار بن مالك بن حطيط[2] .
ومن بني معتب ، غَيْلان بن مسلمة بن معتب ، وكانت له وفادة على كسرى[3] .

ولثقيف حروب يظهر أنها كانت في الغالب حروب دفاع عن النفس ، إذْ نجد ثقيفاً تهاجم فيها في الطائف ، فتضطر عندئذ الى الدفاع عنها . وقد كان من أصنامها اللاتُ ، وله بيت بالطائف على صخرة يضاهون به الكعبة بمكة . وكانوا يهدون اليه الثياب لستره به ، ويطوفون حوله . وسدنته من آل أبي العاصي بن أبي يسار بن مالك من ثقيف[4] .

وولد سُلَيْم بن مَنْصُور ، بُهْثَة[5] « بُهْثَة » . ومن ولد بهثة الحارث ، وثعلبة ، وامرؤ القيس ، وعوف ومعاوية . ومن بطون امرىء القيس ، بنو عصيّة . ومن بنى عصيّة ، مالك ذو التاج ، وكرز ، وعمرو ، وهند ، وبنو خالد بن صخر بن الشريد . وقد توجت بنو سليم مالكاً ملكا عليها ، وقتل مالكا وكرزاً عبد الله بن جذل الطعان الكناني . وقد اشتهرت بلاد بني سليم بالمَعْدِنِ الّذي فيها ، ولذلك قيل لها معدن بني سليم[6] . ومن بنى الحارث بن بهثة بنو ذَكْوان[7] . ومن بني عبس بن رفاعة بن الحارث ، العباس بن مرداس[8] ، وهم من

---

(١) الجمهرة (ص ٢٥٦ وما بعدها) ، « غيرة بن عوف بن ثقيف » ، ابن خلدون (٣٠٩/٢) ، تاج العروس (٤٥٩/٣) ، الاشتقاق (١٨٥) ، كحالة (٩٠٢/٣) .

(٢) المبرد (ص ١٣) ، الاشتقاق (ص ١٨٥ وما بعدها) .

(٣) ابن خلدون (٣٠٩/٢) . (٤) المحبر (ص ٣١٥) ،

(٥) « بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر » ، لسان العرب (٤٢٤/٢) ، الاشتقاق (١٩٢) ، الحماسة للتبريزي (٢٣١/١) صبح الأعشى (٣٤٥/١) .

(٦) جمهرة (ص ٢٤٩ ، ٢٥١/) ، الصفة (١٥٤) .

(٧) « ذكوان بن رفاعة بن الحارث بن رجا بن الحارث بن بهثة بن سليم » ، الاشتقاق (١٨٧) ، لسان العرب (٣٠٧/١٣) ، تاج العروس (١٣٧/١٠) ، ابن خلدون(٣٠٧/٢) .

(٨) « بنو عبس بن رفاعة بن الحارث بن رجا بن الحارث بن بهثة بن سليم » ، ابن خلدون(٣٠٧/٢) ، الأغاني (١٣٨/١١) ، الاشتقاق (١٨٨) .

القبائل التي لعنها الرسول ، لقتلها أهل بئر معونة . وقد لعن الرسـول بني عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة كذلك للسبب نفسه [١] . ومن بنى ثعلبة بن بهثة بن سليم حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص ، وكان بمكة في الجاهلية محتسباً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر [٢] .

وتعد قبيلة بني سليم من القبائل المهمة الساكنة في الحجاز في أرض اشتهرت بمعادنها وبخصبها ، وبها حرار منها : حرة بني سليم ، وحرة ليلى ، وبها مياه استفادت منهـا القبيلة في الزرع . وتجاورها من القبائل غطفان وهوازن وهلال . وكانوا على صلات حسنة باليهود ، كما كانوا على صلات وثيقة بقريش . وقد تحالف معهم أشراف مكة وكبارها لما لهم من علاقات اقتصادية بهذه القبيلة [٣] .

ويروى أن النعمان بن المنذر كان قد نقم على بني سُلَيْم لأمر أحدثوه ، فأرسل عليهم جيشاً ، ولكنه لم يتمكن منهم ، وهزم الجيش [٤] . ولبنى سليم كـكل القبائل الأخرى أيام ، منها : يوم ذات الرَّمْرَمْ وهو لبنى مازن على بني سليم ، ويوم تثليث وهو بين مراد وبني سليم [٥] .

وكان لهم صنم يقـال له « ضماد » كان عند مرداس والد العباس بن مرداس . فلما توفي مرداس ، وضعه العبّـاس في بيت يتعبد له . فلما ظهر الاسلام ، أسلم ، وأحرق ذلك الصنم [٦] .

وولد معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور أولاداً ، هم : نصر ، وجُشَم ، وصعصعة ،

---

(١) جمهرة (ص ٢٥١) ، الاشتقاق (ص ١٨٧ وما بعدها) ، ابن خلدون (٣٠٨/٢) ، نهاية الأرب (٣٢٣/٢) ، لسان العرب (٢٩٨/١٩) ، كحالة (٧٨٦/٢) .

(٢) جمهرة (ص ٢٥١) .

(٣) صبح الأعشى (٣٤٥/١ وما بعدها) . Ency., IV, P, 518.

(٤) كحالة (٥٤٤/٢) . بعث النعمان بن المنذر جيشاً « الى بني سليم لشيء كان وجد عليهم من أجله . وكان مقدم الجيش عمرو بن فرتنا ، فر الجيش على غطفان ، فأستجاشوهم على بني سليم ، فهزمت بنو سليم جيش النعمان ، وأسروا عمرو بن فرتنا ، فأرسلت غطفان الى بني سليم . وقالوا ننشدكم بالرحم التي بيننا إلا ما اطلقتم عمرو بن فرتنا . فقال أبو عامر هذه الأبيات . أي لا نسب بيننا وبينكم ولا خلة . أي ولا صداقة بعدما أعنتم جيش النعمان ، ولم تراعوا حرمة النسب بيننا وبينكم » ، لسان العرب (٤٢٨/٦) .

(٥) كحالة (٥٤٤/٢) . (٦) الأغاني (٩٢/١٣) .

وعوف . ويسمون بنيه الوقعة[1] . وقد دخلوا في بني عمرو بن كلاب بن الحارث[2] . ومن بني نَصْر بن معاوية ربيعةُ بن عثمان ، وهو أول عربي قتل عجمياً في يوم القادسية . ومن بني جشم بن معاوية ، دُرَيْدُ بنُ الصِّمّة من الفُرسان المعروفين . ولهم حروب مع أسد وغطفان وعبس ، وكانت مواطنهم بالسروات[3] .

أما ولد صعصعة بن معاوية ، فهم : عامر ، ومرّة ويعرف أبناؤه ببني سَلُول ، نسبوا الى أمهم[4] ، وغالب وأمه تماضر ، وقد نسب ولده الى أمهم . وربيعة وأمه عويصرة ، واليها نسب . وعبد الله ، والحارث : وأمها عادية[5] ، واليها نسبا ، وكبير ، وعمرو ، وزبير وأمهم وائلة ، واليها نسبوا . وقيس ، وعوف ، ومساور ، وسيّار ، ومشجور أمهم عدبة ، فنسبوا اليها[6] . ويلاحظ أن النسابين قد جعلوا لصعصعة عدة نساء ، ونسبوا الى هؤلاء النسوة أولادهنّ ، فعلوا ذلك للتمييز بين هؤلاء الأولاد ولا شك .

وذهب بعض المستشرقين الى احتمال كون بني عامر هم : «Hamirei» ، «Hamirou» ، « Hamirinoei » المذكورين في تأريخ « بلينيوس »[7] . وتقع منازلهم بين منازل قبائل هوازن وسليم وثقيف ، ولهم مع القبائل الأخرى مثل بني حنيفة وعبس وذبيان وفزارة وتميم وبني نهد وسعد والرباب حروب عديدة ، ترد أخبارها في الأيام .

ومن نسل عامر بن صعصعة ربيعة ، وهلال ، ونمير ، وسواءة . ومن بني ربيعة بن عامر

---

(١) « بنو عوف بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور » ، الاشتقاق (١٧٧) ، لسان العرب (١٠/٢٩٠) ، القاموس (٣/٩٦) ، كحالة (٣/١٢٥١) .

(٢) جمهرة (ص ٢٥٧) ، الصفة (١٢١) ، ابن خلدون (٢/٣١٠) ، تاج العروس (٢/٣٠٠ ، ٣/١٠٥ ، ٥٧٠ ، ٤/٣٣) الاشتقاق (١٧٨) ، كحالة (٣/١١٨١) .

(٣) جمهرة (ص ٢٥٨) ، ابن خلدون (٢/٣١٠) ، الاشتقاق (١٧٧) ، أبو الفداء (١/١١١) ، لسان العرب (١٤/٣٦٨ ، ١٥/٢٨٧) ، تاج العروس (٤/٥٢) ، ٨/٢٢٩ ، ٩/١٤٦) ، القاموس (٢/٣٢٧ ، ٤/٤٤) ، الصحاح (٢/٢٧١) ، صبح الأعشى (١/٣٤٣) ، المحبر (٢١١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩) .

(٤) «وهي ابنة ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل » تاج العروس ، (٧/٣٧٨) ، لسان العرب (١٣/٣٦٥) ، الصحاح (٢/١٩٩) ، ابن خلدون (٢/٣١٠) ، القاموس (٣/٣٩٧) ، جمهرة (ص٢٥٩) .

(٥) تاج العروس (١٠/٢٣٨) ، كحالة (٢/٧٠١) . (٦) جمهرة (ص ٢٥٩) .

(٧) Ency., I, P. 329.

ابن صعصعة كلاب ، وكعب ، وعامر ، وكليب [1] . ومن بني عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، معاوية ذو السهمين ، لأنه كان يأخذ سهمه من غزوات بني عامر ، أقام أوغزا [2] . وبنو عمرو بن عامر المعروف بـ « فارس الضحياء » [3] . ومن بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة آل جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة [4] . وهم خالد الأصبغ وربيعة الأحوص ، ومالك الطيّان ، أمهم بنت رياح بن الأشل الغَنَوِيّ . وعتبة ، وعوف ، أمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب . فولد الأحوص عوفاً ، وعَمْراً ، وشُرَيْحاً ، قاتل لقيط بن زرارة يوم جبلة ، وقد سادوا جميعاً . ومن عوف بن الأحوص علقمة ابن علاثة الذي نافر عامر بن الطفيل [5] .

ومن نسل خالد بن جعفر بن كلاب أرْبَدُ بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر ، وهو الذي أراد مع عامر بن الطفيل قتل رسول الله [6] . ومن نسل مالك بن جعفر بن كلاب ، عامر ، وهو أبو براء ربيعة ملاعب الأسنة ، والطفيل ، وهو والد عامر بن الطفيل ، ولبيد الشاعر [7] . ومن نسل عتبة بن جعفر بن كلاب عروة الرّحال بن عتبة بن جعفر الذي أجار لطيمة الحيرة ، فقتله البرّاض الكناني ، ومن أجله كانت حرب الفجار . وابنته كبشة هي أم عامر بن الطفيل ، ولدته يوم جبلة [8] .

ومن نسل عمرو بن كلاب الصّعق ، وهو عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب . وكان سيداً يطعم بعكاظ ، ومن ولده الشاعر يزيد بن عمرو الصعق [9] . ومن بني الضِّباب بن

---

(١) جمهرة (ص ٢٦٣ وما بعدها) ، صبح الأعشى (١/٣٤٠ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٧٨) ، ابن خلدون (٢/٣١٠) ، تاج العروس (٧/٢٥٠) ، القاموس (٢/١٤١) ، لسان العرب (٣/٢٧٢ ، ٦/٢٨٦) ، كحالة (٢/٧٠٨ وما بعدها) .

(٢) جمهرة (ص ٢٦٤ وما بعدها) . (٣) جمهرة (ص ٢٦٤) ، المحبر (ص ٤٥٨) .

(٤) الأغاني (١١/١٣٣ ، ١٥/٥٢ وما بعدها) ، المحبر (ص ٢٥٣) ، جمهرة (٢٦٤ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٨٠) ، كحالة (١/١٩٥) .

(٥) جمهرة (٢٦٧ ، وما بعدها) .

(٦) الأغاني (١٥/١٣٧ وما بعدها) ، جمهرة (ص ٢٦٨) .

(٧) الأغاني (١٤/٩٣) ، جمهرة (ص ٢٦٨) ، المحبر (٢٥٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣) .

(٨) جمهرة (ص ٢٦٨ وما بعدها) .

(٩) جمهرة (ص ٢٦٩) ، الاشتقاق (ص ١٨٠ وما بعدها) .

كلاب بن ربيعة شَمِر بن ذي الجوشن قاتل الحسين بن علي [1] . ومن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة جَعْدَة ، والحَرِيش ، وعُقيل ، وقشير ، وعبد الله ، وحبيب . ومن ولد عبد الله نهم والعَجْلان [2] ، وهم قبيلة . ومن جعدة الشاعر النابغة الجعدي [3] . ومن بنى قشير مالك ذو الرقيبة بن سلمة الخير الذي أسر حاجب بن زُرارة يوم جبلة . ومن عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، المنتفقُ بن عامر بن عقيل ، وهم بطن ، وربيعة بن عامر ، ومنهم الحارث الأبرص قاتل زيد بن عمرو بن عدس يوم جبلة ، وبنو خفاجة بن عمرو بن عُقيل .

وتقع منازل الضباب فى أرض كلاب ، ومن بطونهم ضبّ وضبيب وحسل وحسيل ، وقد وقعت بينهم وبين جعفر بن كلاب يوم عرف بيوم حرابيب [4] ، ويوم آخر عرف بيوم هراميت [5] .

وأما منازل جعدة ، فهي فى الفلج من اليمامة [6] . وأما الحَرِيش ، فكانت منازلهم باليمامة ، واشتركت فى يوم الرحرحان [7] . وكانت مساكن عقيل بالبحرين ، وهاجروا الى العراق ، وكان لهم أثر ملحوظ فى تأريخ العراق فى الإسلام .

والفرع الثانى من فروع مضر ، هو من نسل الياس [8] ، ويتكون هذا الفرع من ثلاث كتل : طابخة ، وقمعة ، ومدركة . ولكل كتلة من هذه الكتل قبائل وبطون .

---

(1) جهرة (٢٧٠) ، الميداني (٢/٢٦٩) ، العمدة لابن رشيق (٢/١٥٧ ، ١٦٧) ، كحالة (٢/٦٦٠) ، الاشتقاق (ص ١٨٠) .

(2) جهرة (ص ٢٦٩ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٨١) .

(3) جهرة (ص ٢٧٣) ، الاشتقاق (ص ١٨١) ، صبح الأعشى (١/٣٤١ وما بعدها) ، الأنساب للمقدسي (ص ١١٠) ، نهاية الأرب (٢/٣٢٢) ، كحالة (٢/٨٠١) .

(4) كحالة (٢/٦٦٠) ، نهاية الأرب (٢/٣٢١) .

(5) « هراميت بالفتح وكسر الميم ثم ياء وتاء مثناة . » ، « يوم الهراميت » البلدان (٨/٤٥٠) ، البكري (٤/١٣٥٠) وبهذا الموضع آبار . ينسبون حفرها الى لقمان بن عاد ، مما يدل على انها من الآبار القديمة .

(6) Ency.. I .P. 991. (7) الاشتقاق (ص ١٨٣) ، كحالة (١/٢٦٧) .

(8) صبح الأعشى (١/٣٤٦) ، سبائك الذهب (ص ٢١) ، جمهرة النسب (ورقة ٤) .

أما طابخة ، واسمه عمرو « عامر » [١] ، فهو والد ولد يسميه النسابون أُداً ، وأد والد عدة أولاد ، هم : مرّ ، وضبّة ، وعمرو وهو مزينة ، وعبد مناة ، وحميس « خميس » . وذكروا أن بني حميس ، شهدوا يوم الفيل مع الحبشة ، فقتلوا ، فقل نسلهم [٢] .

أما ضبّة بن أُدّ ، فولد سعد بن ضبّة ، وسعيد ولا عقب له ، قتله الحارث بن كعب ، ثم قتل ضبّةُ الحارث بن كعب ، وفي ذلك سارت الأمثال الثلاثة : « أسعد أم سعيد » و « الحديث ذو شجون » و « سبق السيفُ العذل » قالها كلها ضبّة [٣] ، وباسل بن ضبّة . ويذكر الأخباريون أن الديلم من نسله ، وولد سعد بن ضبة بكر بن سعد ، وثعلبة ، وصريم . ومن بكر بن سعد ضرار بن عمرو بن مالك ، سيد بني ضبّة وقد شهد يوم القرنتين ، والمفضل بن محمد بن يَعلى صاحب المفضليات ، وحبيش بن دلف بن العون ، وكان ينازع ضرار بن عمرو الرياسة وحضر يوم القرنتين ، وبني تَيْم بن ذهل [٤] .

وتعد ضبة جمرة من جمرات العرب التي أشرت اليها ، وتقع منازلها في اليمامة ، وفي خلال الحرب التي وقعت بين عبس وذبيان دخلت عبس أرض ضبة ، ولكنها اضطرت الى مغادرتها بعد النزاع الذي حدث بين عبس وضبة . وجاورت بني عامر بن صعصعة . وفى يوم « جَبَلَة » ، وهو من الأيام المشهورة التي وقعت بعد يوم رحرحان بعام ، ويصادف ذلك عام مولد النبي على رواية [٥] أوقبل مولده بسبع عشرة سنة على رواية أخرى [٦] . كانت ضبّة مع ذبيان وتميم وأسد والرباب وفزارة فى مهاجمة بني عامر بن صعصعة [٧] . وبالرغم من كثرة هذه القبائل ، تمكنت

---

(١) « عامر » جمهرة النسب (ورقة ٤) ، ابن خلدون (٢/٣١٥) ، صبح الأعشى ١١/٣٤٧) ، جمهرة (١٨٧ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٢/٣٢٥) .

(٢) « حميس » ، جمهرة (ص ١٨٧) ، ويختلف النسابون فيما بينهم في عدد ولد طابخة ، سبائك الذهب (ص ٢٥) ، نسب قريش (ص ٨) ، المبرد (ص ٦) ، ابن خلدون (٢/٣١٥) ، « بنو خميس » ، نهاية الأرب (٢/٣٢٥) . Wustenfeld , Taf . . J .

(٣) الميداني : مجمع الأمثال (١/٣٥٠ ، ٥٩٩ ، ٦٠١) .

(٤) جمهرة (ص ١٩٢ وما بعدها) .

(٥) البكري (٢/٣٦٥) « طبعة السقا » « مادة جبلة » ، نهاية الأرب (١٥/٣٥٠ وما بعدها) .

(٦) البلدان (٣/٥٢) . (٧) Ency . , I , P . 884 .

بنو عامر من الظفر به ومن الحاق الهزيمة بتميم وبمن ضامها . والى مشورة قيس بن زهير العبسي يعود الفضل في انتصار بني عامر . وفي رواية أن لقيطاً استنجد أيضاً بالنعمان بن المنذر ، فأنجده بأخيه لأمه حسّان بن وبرة الكلبي ، وبصاحب هجر وهو الجون الكندي ، فأنجده بابنيه معاوية وعمرو ، وغزا بني عامر(١) . وقد أصيبت تميم ومن كان معها من القبائل بخسائر ، وبوقوع عدد من الزعماء أسرى فى أيدي بني عامر ، فقتل فى هذا اليوم لقيط بن زرارة ، وأسر حاجب بن زرارة ، أسره ذو الرُّقَيْبَة ، وأسر سنان بن أبي حارثة المُرّيّ وجزت ناصيته ، وأطلق إمعاناً فى امتهانه ، وأسر عمرو بن عدس وجزت ناصيته كذلك ثم أخلى سبيله . وقتل معاوية بن الجون ، ومنقذ بن طريف الأسدي ، ومالك بن ربعي بن جندل(٢) . ويعد جز الناصية بعد الأسر خاصة من أشد درجات الامتهان ، ولا سيما جز نواصي الشيوخ والرؤساء .

وفى يوم النِّسار ، لحقت ضبّة وعديّ بأسد وطيء وغَطَفان في غزوهم لبني عامر ، وقد ألحقوا خسائر فادحة ببني عامر ، وهذا مما غاظ تميماً ، فحملها تلحق طيئاً وغَطَفان وحلفاءهم من ضبّة وعديّ يوم الفجار ، حتى قتلت من طيء أكثر مما قتلت طيء يوم النسار(٣) .

ومن ذرّية عبد مناة بن أُد : تَيْم(٤) ، وعدي ، وعوف ، وثور ، وأشيب . وهؤلاء هم الرِّبابْ ، لأنهم تحالفوا مع بني عمهم ضبّة على بني عمّهم تميم بن مرّ ؛ فغمسوا أيديهم في رُبّ(٥) . ومن بني عوف بن عبد مناة بنو عُكْل . ومن بني عمرو بن أُدّ : مُزَيْنَة ،

---

(١) البكري (٢/٣٦٦) . (٢) نهاية الأرب (١٥/٣٥٠ وما بعدها) .

(٣) « يوم الفجار » نهاية الأرب (١٥/٤٢١) ، « يوم الجفار » ، البكري (٤/١٣٠٦) « تحقيق السقا » ، مادة « النسار » ، « النسار .... جبال صغار كانت عندها وقعة بين الرباب وبين هوازن وسعد بن عمرو بن تميم ، فهزمت هوازن ، فلما رأوا الغلبة ، سألوا ضبة أن تشاطرهم أموالهم وسلاحهم ويخلوا عنهم » ، البلدان (٨/٢٨٤) .

(٤) المبرد (ص ٦) ، الاشتقاق (ص ١١٤) ، تاج العروس (٨/٢١٦) ، كحالة (١/١٣٨) .

(٥) جمهرة (ص ١٨٧) ، « فالرباب ، تيم ، وعدي ، وعكل ، ومزينة ، وضبة ، وإنما سموا الرباب لأنهم تحالفوا ، فقالوا اجتمعوا كاجتماع الربابة . وهي خرقة تجمع فيها القداح . وقال قوم : بل غمسوا أيديهم في رب وتحالفوا . والقول الأول أحسن » ، الاشتقاق (ص ١١١) ، المبرد (ص ٦) ، ابن خلدون (٢/٣١٨) ، لسان العرب (١/٣٨٨) « والرباب : ولد تيم بن عبد مناة وعدي بن عبد مناة وعوف بن عبد مناة : سموا الرباب لأنهم غمسوا أيديهم في رب ، اذ تحالفوا على بني تميم .
قال : ومن النسابين من يجعل الرباب بني تيم وعدي وثور وعكل وهم بنو عبد مناة وضبة بن أد » ، نهاية الأرب (٢/٣٢٩) .

نسبوا الى أمهم مُزَيْنة بنت كاب بن وبرة [١] . وتقع ديار الرِّبابْ بالدهناء في جوار بني تميم [٢] .

ومن ولد أُدْ بن طابخة مُرُّ بن أدّ [٣] فولد مرّ تميماً وثعلبة ، وهو ظاعنة ، وبكر بن مرّ ، وهو الشعيراء ، ومحارب بن مرّ ، والغوث بن مرّ ، وهو صوفة . ومن النساء برّة أم النضر ، وملك وملكان بني كنانة . وهي أيضاً أم أسد بن خزيمة ، وهنـــد ابنة مرّ وقد ولدت بكراً وتغلب وعنز بني وائل بن قاسط ، وتُكْمَة بنت مُرّ وقد ولدت غطفان بن سعد ، وسليماً وسلامان بن منصور ، وجديلة بنت مرّ . وقد ولدت فهماً وعَدْوان ، واليها ينسبون ، وعاتكة بنت مرّ . وهي والدة عذرة بن سعد وإخوته [٤] .

وأما صوفة ، فانهم كانوا يجيزون بالحاج . وقد انقرضوا عن آخرهم في الجاهلية ، فورث ذلك آل صفوان بن شجنة « سجنة » « شحمة » ، من بني سعد بن زيد مناة بن تميم [٥] . ومن هؤلاء على رواية كان عامر بن احيمر الســــعديّ الذي حصل على بُرديّ محرّق من النعمان بن المنذر في مجلس مفاخرة حضرته وفود العرب عقد بحضرة النعمان بن المنذر في الحيرة . وقد بزّ عامر هذا الحاضرين في الفخر وفي الانتساب على الطريقة المألوفة . ولما سأله النعمان : بم أنت أعز العرب ؟ قال : العِزّ والعددُ من العرب في معّد ، ثم في نزار ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في عوف ، ثم في بهدلة ، فمن أنكر هذا من العرب فلينافرني ؟ فلما لم ينافره

---

(١) جمهرة (ص ١٩٠) ، صبح الأعشى (١/٣٤٨) ، ابن خلدون (٢/٣١٨) ، الاشتقاق (١١١) ، أبو الفداء (١/١١٢) ، تاج العروس (٩/٣٤٥) ، لســان العرب (١٧/٢٩٤) ، القاموس (١/٣٦٦) ، كحالة (٣/١٠٨٣ وما بعدها) .

(٢) ابن خلدون (٢/٣١٨) ، كحالة (٢/٤١٥) .

(٣) المبرد (ص ٦) ، الصحاح (١/٣٩٨) ، نهاية الأرب (٢/٣٢٥) ، ابن خلدون (٢/٣١٥) .

(٤) جمهرة (١٩٥ وما بعدها) ، « طابخة ، مر ، أد » ، سبائك الذهب (ص ٢٥) .

(٥) جمهرة (ص ١٩٦) ، الصحاح (٢/٣٩) ، لسان العرب (١١/١٠٢) ، القاموس (٣/١٦٤) ، « وبنو صوفة ، وهم ولد الغوث ، وهو الربيط بن مر » ، نهاية الأرب (٢/٣٢٥) ، « شحمة » ، ابن خلدون (٢/٣١٩) ، « سجنة » ، كحالة (٢/٦٥٥) .

أحد ، ذهب بالبردين [1] .

وتميم من القبائل العربية الكبيرة المعروفة ، وقد نعتهم ابن حزم بقوله : « وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب » [2] . وتعد في مقابل قيس وربيعة ، وهي الممثلة لمجموعة مضر في بعض الأحيان . وهي أقرب جغرافياً وتأريخياً الى قيس وربيعة منها الى كنانة [3] . ومعارفنا عن تأريخها مستمدة مثل معارفنا عن القبائل الأخرى المماثلة من الروايات المدونة في كتب الأخباريين [4] .

ويزعم الأخباريون أن جد هذه القبيلة مدفون في موضع « مرّان » [5] ، وهم يروون قصصاً عنه وعن ميلاد أولاده من هذا النوع الذي ألفنا وروده عن الأخباريين [6] .

ولا نستطيع في الوقت الحاضر أن نرتقي بتأريخ تميم عن القرن السادس الميلاد ، فليست لدينا مواد تأريخية يعتمد عليها ترفع تأريخ هذه القبيلة الى ما قبل ذلك ، ولا يعني هذا أننا ننكر أن يكون لها تأريخ قديم ، إذ يجوز أن يكون لها عهد أقدم من هذا العهد الذي نتحدث عنه . ولكننا لا نملك الآن نصوصاً جاهلية أو موارد إسلامية يُطْمَأنّ اليها ، ترجع تأريخ تميم الى ما قبل هذا القرن .

أما في القرن السادس ، فقد كانت تميم قبيلة بارزة ظاهرة ، بطونها منتشرة في العربية الشرقية ، وفي نجد وفي العراق ، وفي أنحاء مختلفة من جزيرة العرب . مجاورة لقبائل معروفة مثل أسد و غَطَفان

---

(١) وفيه يقول الفرزدق :

فما تم في سعد ولا آل مالك ... غلام اذا ما قيل لم يتبهدل
لهم وهب النعمان بردي محرق ... بمجد معد والعديد المحصل

وفي أهل هذا البيت من سعد بن زيد مناة ، يقول أوس بن مغراء السعدي :

ولا يريمون في التعريف موقفهم ... حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

العقد الفريد (٢/٦٥) ، « تحقيق محمد سعيد العريان » .

(٢) جمهرة (ص ١٩٦) . (٣) Ency. , vol. , IV , p. 643.

(٤) ابن قتيبة : المعارف (٣٧ وما بعدها) « طبعة وستنفلد » ، جمهرة النسب (ورقة ٦٢ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ١٢٣ وما بعدها) ، الأغاني (٤/٧ وما بعدها ، ١٢/٣٦ ، ١٥/٦٩ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٣١٥) ، أبو الفداء (١/١١٢) .

(٥) البلدان (٨/٧) . (٦) Ency. , IV, P. 644.

وبني عبد القيس وتغلب ، متصلة بها. ومن بنى دارم من تميم كان المنذر بن ساوى حاكم البحرين والذي أسلم فى أيام الرسول (١) .

وكانت لتميم صلات متينة بملوك الحيرة ، وكان من عادتهم جعل الردافة فى بطن من بطونهم ، وهو بطن بني يربوع . وقد ثار هذا البطن وهاج ، لما حولت الردافة الى بطن آخر من بطون تميم ، هو بطن بني دارِم ، ولم يقبلوا إلا برجوعها اليهم ، لِما كان للردافة من مكانة ومنزلة فى ذلك الوقت (٢) .

ونجد في كتب الأخباريين أسماء أيام عديدة وقعت بين تميم وغيرها من القبائل ، خاصة قبائل بكر بن وائل ، كما نجد إشارات الى حروب وقعت بينهم وبين بعض ملوك الحيرة . وقد أشرت الى القصص الذي يرويه أهل الأخبار عن غزو « سابور ذي الأكتاف » لجزيرة العرب والى ما زعموه من تنكيله بالقبائل وانتزاعه اكتافهم ، ومن هذه القبائل قبيلة تميم (٣) . ويذكر الأخباريون أيضاً أن « كسرى بروِيز » « كسرى أبرويز **Khusrawparwez** » ، كتب الى عامله على هَجَر ، وهو « المكعبر » ، أن ينتقم من تميم ، لتعرضها لقافلة كانت محملة بالتجارات وبالهدايا مرسلة اليه ، فقتل المكعبر بالمُشَقَّر عدداً كبيراً منهم (٤) .

ويظهر من بعض روايات الأخباريين أن تميماً وبقية القبائل المنتسبة الى « أُدّ » كانت تتعبد لـ « شمس » . وكان لشمس بيت « تعبده بنو أُد كلها : ضَبّة ، وتَميم ، وعَدِي ، وعُكْل ، وثَوْر . وكان سدنته من بني أَوْس بن مخاشن بن معاوية بن شُريف بن جروة ابن أسيد بن عمرو بن تميم ، فكسره هند بن أبي هالة وصفوان بن أسيد بن الحلاحل بن أوس ابن مخاشن » (٥) . وعبدت طائفة من تميم « الدَّبَران » من النجوم ، ولهم قصة عن هذه النجوم (٦) .

وكان بعض تميم على النصرانية ، ومنهم عديّ بن زيد العباديّ ، كما كان بعض منهم من

---

(١) Ency., IV, P. 644. (٢) Ency., IV, P. 945.

(٣) Noldeke, Geschichte der Perser und Araber S. 56. (٤) Ency., IV, P. 645.

(٥) المحبر (ص ٣١٦) . (٦) بلوغ الأرب (٢/٢٣٩) .

دان بالمجوسية ، ومن هؤلاء زُرارة بن عدس التميمي وأبنه حاجب بن زُرارة ، والأقرع بن حابس (١) .

وفى شواهد كتب النحو والصرف أمثلة عديدة من لهجة تميم (٢) ، وهي تشير الى وجود فوارق ومميزات فى تلك اللهجة تميزها عن اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم . وقد أخرجت هذه القبيلة عدداً من الشعراء فى الجاهلية والإسلام . وللاستشهاد بلهجة تميم ، ولوجود عدد من الشعراء الذين يعدون من كبار الشعراء عند علماء الشعر ، أهمية كبيرة ولا شك فى دراسة اللهجات العربية ، وعلاقاتها بلهجة القرآن الكريم (٣) .

وقد أدى تعدد بطون تميم وانتشارها الى نشوب حروب بينها ، والى تكتلها كتلا وتكوين أحلاف بينها ، كالحلف الذي كان بين بنى يربوع وبنى نهشل . وقد نسب لأبي اليقظان النسابة كتاب فى أحلاف تميم اسمه : « كتاب حلف تميم بعضها بعضاً » (٤) .

وبطون تميم عديدة ، تفرعت على رأي النسابين من الحارث ، وعمرو ، وزيد مناة أولاد تميم (٥) . ومن ولد عمرو : العنبر ، والهجيم ، وأسيد ، ومالك ، والحارث ، وقليب (٦) . والحرماز ، وكعب على رواية أخرى (٧) . ومن بطون بنى كعب بنو فهد . وقد عرف نسل الحارث بالحبطات (٨) . ومن بطون بنى مالك بن عمرو بن تميم : مازن ، والحرماز ، وغيلان ،

---

(١) بلوغ الأرب (٢/٢٣٣ وما بعدها) .
(٢) ابن فارس : الصاحبي (٢٤) . المزهر (١/٢١١) ، السيوطي : الاتقان (ص ١٠٩) .
(٣) Voller, Volkssprache und Schriftsprache in alten Arabien , S. 8 . ff. , Ency . , IV , P. 645.
(٤) الفهرست (ص ٩٤) ، Ency., IV, P. 644
(٥) جمهرة (ص ١٩٦) ، « وبنو أسد بن عمرو بن تميم » ، هكذا في الصفحة (٤٣٥) ، من الجمهرة ، « والحارث أبا شقرة ، وإنما سمى أبا شقرة لبيت قاله :

وقد أخضب الرمح الأصم كعوبه ... به من دماء القوم كالشقرات

المبرد (ص ٦) ، الانباه (٧٦) الاشتقاق (ص ١٢١) .
(٦) جمهرة (ص ١٩٧) ، المبرد (ص ٧) ، الاشتقاق (١٢٦) ، المعارف (٢٦) .
(٧) الاشتقاق (ص ١٢٣ وما بعدها) ، المبرد (ص ٧) .
(٨) المبرد (ص ٧) ، الاشتقاق (ص ١٢٤) ، العقد (٢/٢٢٢) .

وغسّان [1] . ومن بني أسيد بن عمرو بن تميم بنو كاهل ، ومنهم أوس بن حجر الشاعر الجاهلي المعروف . وكان شاعر مضر حتى أسقطه زهير [2] ، وبنو شريف ومنهم أكثم بن صيفي من حكماء العرب في الجاهلية ، وحنظلة بن ربيعة ابن أخي أكثم . وقد كتب للنبي الوحي [3] .

ومن بني مالك بن زيد مناة بن تميم البراجُم ، وبنو دارم [4] ، ومن بني حنظلة بنو يربوع ، ومن بني يربوع بنو ثعلبة [5] ، ومن بني الحارث بن يربوع بنو سليط ، ومن نسل مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم : بنو فُقَيْم ، وبنو نهشل ، وبنو مُجاشع [6] ، وفي بني رياح بن يربوع كانت الردافة قبل الاسلام [7] ، ومن بني العَنْبَر بن يَرْبوع كانت سَجاح [8] .

أما بنو قمعة بن الياس ، فهم من نسل عامر بن قمعة ، واسم قمعة عمير [9] . وقد ولد عامر أفصى وربيعة وهو لحيّ ، فولد لحيّ عامر بن لحيّ ، وولد عامر بن لحيّ عَمْراً وهو عمرو بن لحيّ ، نسب الى جدّه ، فعرف بعمرو بن لحيّ . وهو على قول الأخباريين أول من غيّر دين إسماعيل ، ودعا العرب الى عبادة الأوثان [10] .

---

(١) الاشتقاق (ص ١٢٤) ، جمهرة (ص ٢٠٠) .

(٢) الاشتقاق (ص ١٢٧) .

(٣) الاشتقاق (ص ١٢٧) ، جمهرة (ص ٢٠٠) .

(٤) الإنباه (ص ٧٦ وما بعدها) ، جمهرة (ص ٢١٢) ؛ المبرد (ص ٧) ، طرفة الأصحاب (ص٦٠) .

(٥) جمهرة (٢١٣) ، الاشتقاق (ص ١٢٥) ، المبرد (ص ٧) .

(٦) جمهرة (ص ٢١٧ وما بعدها) ، المبرد (ص ٧) ، « وأما تميم بن مر ، فهي قبيلة كبيرة ، ترجع الى طابخة بن الياس بن مضر ، فبطونها : دارم ومجاشع » ، طرفة الأصحاب (ص ٦٠) ، الأغاني (١٢/٤٨)، نهاية الأرب (٢/٣٢٦ وما بعدها) .

(٧) المبرد (٨) ، الاشتقاق (١٣٥) ، العمدة لابن رشيق (٢/١٦٥) ، تاج العروس (٥/٣٠٨) ، لسان العرب (٣/٢٩٥) ، كحالة (٢/٤٥٧) .

(٨) المبرد (ص ٨) ، جمهرة (٢١٥) ، صبح الأعشى (١/٣٤٨) ، ابن خلدون (٢/٣١٧) ، كحالة (٢/٨٤٥) .

(٩) نسب قريش (ص ٨) .

(١٠) الجمهرة (ص ٢٢٣) ، « ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : اول من سيب السائبة ، وبحر البحيرة ، وحمى الحامي ، عمرو بن لحي بن قمعة . رأيته في النار يجر قصبه . واشبه ولده به أكثم بن أبي الجون . فقال أكثم : أيضرني ذلك يارسول الله ؟ قال : أنت مؤمن ، وهو كافر » ، نسب قريش (ص ٨) .

وأشهر بطون قمعة أسلم ، وخزاعة في رأي بعض النسابين[1] . ولم يشر الى عقب يذكر لقممة بعض خر من علماء الأنساب[2] . أما أسلم ، فهم بنو أفصى بن عامر بن قمعة ، وأما خزاعة ، فهم بنو عمرو بن عامر بن لحيّ وهو ربيعة . وقد كانت مواطن خزاعة فى أنحاء مكة في مرّ الظهران وما يليه . وكانوا حلفاء لقريش . ودخلوا فى عام الحديبية فى عهد رسول الله . وقد ذهب بعض النسابين كما أشرت سابقاً الى ذلك الى أن خزاعة من غسان ، وأنها من نسل حارثة بن عمرو « عامر » مزيقياء ، وأنها أقامت بمر الظهران حين سارت غسان الى الشأم ، وتخزعوا عنهم، فسموا خزاعة . والى نسبة خزاعة الى غسان ذهب نَسّابوا خزاعة[3] .

ومن صلب عمرو بن لحيّ ، أي خزاعة بنو سَلُول بن كعب بن عمرو بن عامر بن لحيّ ، ومنهم قمير « قمر » ، ومطرود ومازن وسعد وحليل ، وحُبْشِيّة وهم بَطن ، وهو حاجب الكعبة[4] . ووالد حُبّي التي تزوجها قُصَيّ بن كلاب ومن نسل حليل أبو غَبْشان ، واسمه المحترش ، باع الكعبة بزق خمر من قُصَي بن كلاب . ومن ولد حُبْشِيَّة بن كعب بن عمرو ابن عامر بن لحيّ : حرام ، وغاضرة[5] . ومن نسل بني عوف بن عمرو بن عامر بن لحُيّ : جفنة « بنو جهينة » ، وهم عباد بالحيرة . ومن نسل سعد بن عمرو بن لحيّ بنو المصطلق . ومن بني أفصى بن عامر بن قمعة : بنو أسلم ، وسلامان ، وهوازن ، وبنو ملكان بن أفصى بن عامر بن قمعة وبنو مالك بن أفصى[6] .

وقد تحدثت سابقاً عن رأي نسابي اليمن فى خزاعة ، وعدّها من جماعة قحطان . ونظراً لعدّ بعض النسابين اياها من عدنان تحدثت عنها فى هذا الباب .

أما فرع مُدْرِكَة ، فيتكون من أصلين : خُزَيْمة ، وهُذَيْل . وأمها سلمى بنت أسد

---

(١) ابن خلدون (٢/٣١٥) ، جمهرة (ص ٤٣٧) .

(٢) صبح الأعشى (١/٣٤٨) . (٣) نسب قريش (ص ٨) .

(٤) نهاية الأرب (٢/٣٠١) ، الاشتقاق (ص ٢٧٦) ، جمهرة (٢٢٣) .

(٥) نهاية الأرب (٢/٣٠١) ، جمهرة (٢٢٣) ، الاشتقاق (٢٧٨) ، كحالة (٢/٨٧٤) .

(٦) نهاية الأرب (٢/٣٠١) ، جمهرة (٢٢٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٣١٥) .

ابن ربيعة بن نزار [١] . وأضاف بعض النسابين ولداً آخر اليها اسمه غالب بن مدركة ، دخل نسله في بني الهُون بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة [٢] .

أما ولد خزيمة ، فهم كِنانة وأمه عوانة بنت قيس بن عيلان ، وأسد ، وأسدة ، والهون ، وأمهم برّة بنت مُرّ بن أد بن طابخة . أخت تميم بن مرّ [٣] . ويرى بعض النسابين أن جُذاماً ولَخْماً وعاملةَ هم نسل أسدة ، ولكنهم انتسبوا في اليمن ، فقالوا جذام بن عدي بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن مالك بن زيد بن كهلان ، وان هذا الانتساب كان لعوامل سياسية ، كما حدث لقبائل أخرى خاصة في أيام الأمويين [٤] .

وكانت منازل كنانة عند ظهور الاسلام في أطراف مكة بين هذيل وأسد بن خزيمة ، وكان لها أثر مهم في تأريخ مكة على ما يفهم من روايات الأخباريين . وقد ساعدت قريشاً ، وقريش من كنانة ، في نزاعها على رئاسة مكة مع خزاعة ، ولها مع خزاعة جملة وقائع ، كما كان لها أثر خطير في حروب الفجار [٥] .

وتتألف كنانة من بطون عديدة ، هي : النضر ، والنضير ، ومالك ، وملكان ، وعامر ، وعمرو ، والحارث ، وعروان « عزوان » ، وسعد ، وعوف ، وغنم ، ومخرمة ، وجرول . وفي رواية لابن الكلبي أن جميع هؤلاء الأبناء هم من أم واحدة هي برّة بنت مرّ أخت تميم بن

---

(١) ابن خلدون (٣١٩/٢) ، جمهرة (٩) ، نسب قريش (ص ٨) ، سبائك الذهب (ص ٢٢ وما بعدها) ، « مدركة ..... وله فرع واحد على حاشية عمود النسب ، وهو هذيل . » ، صبح الأعشى (٣٤٨/١) .

(٢) جمهرة (ص ٩) .

(٣) نسب قريش (ص ٨) ، الجمهرة (ص ٩) ، « فولد خزيمة بن مدركة كنانة وأسد والهون » ، طرفة الأصحاب (ص ٥٩) .

(٤) نسب قريش (ص ٩) .

(٥) نسب قريش (ص ١٠) ، الصفة (٥٤) ، القاموس (٦٦/٢ ، ١٠/٣) ، تاج العروس (٢٤٠/٨ ، ١٧٨/١٠) ، لسان العرب (١٥٤/١٢ ، ٢٤٣/١٧) ، ابن خلدون (٣٢٠/٢) ، صبح الأعشى (٣٥٠/١) ، الانباه (٧٢) ، زيدان : العرب قبل الاسلام (٢٤١) ، كحالة (٩٩٦/٣) ، Ency., II, p. 1017. f.

مر(١)، وهي أم أسد وأسدة والهون أبناء خزيمة في رواية أخرى. أما أم عبد مناة بن كنانة، وذلك في رواية من جعله ابناً لـكنانة، فهي الذفراء بنت هنيء بن بَليٍّ من قضاعة. ولهذا السبب نسبت الى قضاعة عند بعض النسابين(٢).

ومن بطون عَبْد مناة بن كنانة: بكرٌ، وعامر، ومرّة، وغِفارْ. وهي بطون. ومن بكر: لَيْث، والدئل وأمها أم خارجة البجلية، وضَمْرة، وعُريْج. ومن ليث بن بكر: عامر، وجُنْدع، وسعد. ومن الدُّؤلُ أبو الأسود الدُّؤليُّ. ومن بني مرّة بن عبد مناة: بنو مُدْلِجْ، وقد اشتهروا بالقيافة(٣). ومن بطون مالك بن كنانة: ربيعة بن مكدمّ، فارس بني كنانة، وبنو فراس بن غنم، وبنو فُقَيْم، وهم الذين كانوا ينسأون الشهور فى الجاهلية، ثم أبطل ذلك في الاسلام(٤).

ومن نسل الهون: عَضَل(٥)، وديش(٦)، والقارة(٧). وبنو يبتع «يبثع»(٨) «يثيع»(٩) بن

---

(١) جمهرة النسب (ورقة ٤)، الاشتقاق (١٠٥ وما بعدها)، Wustenfeld, Genea. Taf. N.

(٢) Ency.. II, P. 1018.

(٣) جمهرة (ص ١٧٠ وما بعدها)، «الدئل» الاشتقاق (ص ١٠٥ وما بعدها)، المعارف (٢٢، ١٥٠)، المبرد (ص ٤)، طرفة الأصحاب (ص ٥٩)، صبح الأعشى (١/٣٥٠ وما بعدها)، الأغاني (١٩/٧٧)، تاج العروس (٩/٣٢٣)، ابو الفداء (١/١١٢)، ابن خلدون (٢/٣٢٠)؛ كحالة (٢/٧٣٥)، (٣/١٠٦١).

(٤) صبح الأعشى (١/٣٥١)، الانباه (٧٤)، المعارف (٢٢)، المبرد (٥)، الأغاني (١٢/٤٨)، «فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة»، كحالة (٣/٩٢٦)، نهاية الأرب (٢/٣٥١).

(٥) لسان العرب (١٣/٤٨٠)، الصحاح (٢/٢١٥)، ابو الفداء (١/١١٢)، صبح الأعشى (١/٣٤٩)، كحالة (٢/٧٨٧).

(٦) تاج العروس (٧/٣١٦)، أبو الفداء (٢/١١٢)، صبح الأعشى (١/٣٤٩).

(٧) طرفة الأصحاب (ص ٦٠)، الاشتقاق (ص ١١٠)، ويطلق بعض النسابين القارة على عضل والديش مجتمعين، تاج العروس (٣/٥١٠)، لسان العرب (٦/٤٣٦)، الصحاح (١/٣٩١)، الانباه (ص ٧٣)، كحالة (٣/٩٣٥)، «عضل والديش ابني بليغ بن الهون وهم القارة، سموا قارة لأن يعمر بن عوف بن الشداخ احد بني ليث لما أراد أن يفرقهم، في بطون كنانة قال رجل منهم:

دعونا قارة لا تنفرونا فنجفل مثل إجفال الظليم

فسموا قارة. وهم رماة العرب»، نهاية الأرب (٢/٣٣١).

(٨) نسب قريش (ص ٩)، Wustenfeld, Genea.. Taf. N. (٩) «يثيع» جمهرة (ص١٧٩).

مليح بن الهون . وهم ، وبطنان من خزاعة هما : الحيا والمصطلق ، حلفاء لبني الحارث بن عبد مناة ابن كنانة . ويقال لهم جميعاً الأحابيش ، أحابيش قريش ؛ لأن قريشاً حالفت بني الحارث بن عبد مناة على بكر بن عبد مناة ، فهم وأحلافهم حلفاء قريش[1].

أما نسل أسد بن خزيمة ، فهم : دُودان[2] ، وكاهِل[3] ، وعمرو ، وصعب ، وحلمة[4] . ويقال لبني عمرو بنو نعامة[5] . وجعل بعض النسابين بني النعامة من نسل عبد الله بن صعب ابن أسد ، وهم : بنو جمدة ، وبنو البحير بن عبد الله بن مرة بن عبدالله بن صعب بن أسد[6]. وحصر بعض النسابين بطون أسد بن خزيمة في كاهل ، وفَقْعس ، والقُعَيْن ، ودودان[7] .

ومن نسل عمرو بن أسد بن خزيمة : القليب ، ومعرض واسمه سعد ، والهالك[8] . ومن نسل كاهل بن أسد بن خزيمة مازنُ بن كاهل ، ومنهم علباء بن حارثة بن هلال الشاعر قاتل حجر ابن عمرو الكندي والد الشاعر امرىء القيس[9] .

وولد دُودان بن أسد : ثعلبة ، وغنماً[10]. فولد غنم بن دودان كبيراً ، وعامراً ، ومالكاً . ومن بني غنم بنو جحش[11] .ومن بني ثعلبة[12] بن دودان الشاعر عبيد بن الأبرص ، والكميت

---

(١) نسب قريش (ص ٩) ، جمهرة (ص ١٧٩) .

(٢) لسان العرب (٤/١٤٧) ، صبح الأعشى (١/٣٤٩) ، تاج العروس (٢/٣٤٧) ، أبو الفداء (١/١١٢) ، نهاية الأرب (٢/٣٣١) .

(٣) لسان العرب (١٤/١٢٤) ، الصحاح (٢/٢٣٧) ، ابو الفداء (١/١١٢) ، ابن خلدون (٢/٣٢٠) ، نهاية الأرب (٢/٣٣١) ، صبح الأعشى (١/٣٥٠) ، كحالة (٣/٩٧٦) .

(٤) جمهرة (ص ١٧٩) ، Wustenfeld. , Genea , Taf. M.

(٥) الاشتقاق (ص ١١٠) ، المبرد (ص ٦) .   (٦) جمهرة (ص ١٨٠) .

(٧) طرفة الأصحاب (٥٩) .   (٨) جمهرة (ص ١٨٠) .

(٩) جمهرة (ص ١٨٠) ، وفيه يقول امرؤ القيس :

وأفلتهن علباء جريضا   ولو أدركته صفر الوطاب

المبرد (ص ٦) .

(١٠) تاج العروس (٩/٨) ، ابن خلدون (٢/٣٢٠) ، كحالة (٣/٨٩٤) .

(١١) جمهرة (ص ١٨٠ وما بعدها) .

(١٢) ابن خلدون (٢/٣٢٠) ، تاج العروس (١/١٦٥) ، لسان العرب (١/٢٣١) ، كحالة (١/١٤٤) .

الشاعر . ومن بني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان عمرو بن مسعود الذي يقال إن النعمان بنى عليه الغَرِيَّ . ومن بني الحارث بن ثعلبة بن دودان : قُعَيْن ، ووالبة ، وسعد . ومن بني قُعَيْن عامر بن عبد الله بن طريف بن مالك بن نصر بن قُعَيْن ، صاحب لواء بني أسد في الجاهلية . ومن بني عمرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دودان ، طليحةُ بن خويلد بن نوفل الذي ادعى النبوة (١) . وأشهر بطون بني ثعلبة : بنو غاضرة ، وبنو مالك ، وبنو والبة ، وبنو نصر ابن قعين ، وبنو الصيداء ، وبنو فقعس ، وبنو دبير (٢) .

أما ولد هُذَيل بن مدركة ، فهم : سعد ، ولحيان . وولد لحيان طابخةَ ودابغة . ومن طابخة أبو قلابة الحارث بن صعصعة الشاعر . ومن سعد بن هذيل : الشاعر أبو كبير الهذلي ، وحوية . وقيل إن الحُطَيْئَةَ منهم . ومنهم خناعة وهم بطن ، ورُهم ، وتميم ، والحارث ، ومعاوية ، وعوف . ومن سعد هذيل : عبد الله بن مسعود ، والمؤرخ المسعودي . وقد اشتهرت هُذَيْل بكثرة من نبغ فيها من الشعراء ، حيث بلغ عددهم نيفاً وسبعين شاعراً (٣) . ومن بطون هذيل الأخرى : بنو دهمان ، وبنو عادية ، وبنو صاهلة ، وبنو ظاعنة (٤) ، وبنو مخزوم ، وبنو قُريم ، وبنو قرد ابن معاوية (٥) .

وتعد هذيل من القبائل العربية الكبيرة التي كانت في القرن السادس للميلاد ، أما منازلهم فى هذا الوقت ، ففي سراة هذيل بين مكة والمدينة وفي جوار بنى سُليم وكنانة (٦) وهي مثل أكثر القبائل الأخرى لا نعرف من تأريخها قبل الإسلام شيئاً يذكر . ويذكر الأخباريون أنها كانت فى جملة القبائل التي أرادت الدفاع عن مكة حينما عزم أبرهة على احتلالها . وكانت تتعبد للصنم سواع بنعمان ، وسدنته بنو صاهلة من هذيل ، وتعبدت له بنو كنانة وبنو مزينة وبنو

(١) جمهرة (ص ١٨٠ — ١٨٥) ، وهو من بنى فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان ، المبرد (ص ٥) الإصابة (٤٢٩٠) .
(٢) جمهرة (ص ٤٣٥) ، المبرد (ص ٥) . (٣) جمهرة (ص ١٨٥ وما بعدها) .
(٤) طرفة الأصحاب (ص ٦٠) . (٥) جمهرة (ص ٤٣٥) ، المبرد (ص ٦) .
(٦) الصفة (ص ١٧٣) ، ابن خلدون (٢/٣١٩) ، صبح الأعشى (١/٣٤٨) ، نهاية الأرب (٢/٣٣٠) ، كحالة (٣/١٢١٣ وما بعدها) .

عمرو بن قيس عيلان كذلك [١] . وله معبد آخر بموضع « رُهـاط » [٢] ، كما تعبـدت للصنم « مناة » ومعبده بقديد [٣] .

ما ذكرته فى هذين الفصلين ، هو خلاصة آراء علماء الأنساب فى أنساب القبائل . وهي آراء لا نستطيع أن نذهب مذهبهم فى أنها جاهلية قديمة ، وأنها على هذه الصيغة كانت معروفة قبل الاسلام ، وإنْ قالوا إنّهم توارثوها عن الجاهليين ، ونقلوها عن المشتغلين بالنسب فى الاسلام والجاهلية كابراً عن كابر ، ولا نستطيع أيضاً أن نزعم أنها تمثل أنساب القبائل على نحو ما دونت وصنّـفت فى الديوان بأمر الخليفة عمر بن الخطاب . فلم نجد فى أقدم ما انتهى الينا من كتب النسب إشارة تفيد أن ما قصوه علينا وما ذكروه فى النسب ، منتزع من سجلات ديوان الخليفة . ثم اننا رأينا أمثلة عديدة ، لتنقل نسب القبائل فى أيام الأمويين بين قحطان وعدنان لأسباب سياسية وعوامل ترجع الى هـذا التعصب المزري الذي انتشر فى ذلك العصر ، حتى جزّأ العرب الى قيس ويمن .

وهذه الخصومة السياسية المنيفة التي جزأت العرب ويا للأسف الى جزءين ، وأسـالت الدماء بين الفريقين ، صارت سبباً لتثبيت أنساب القبائل وضمها فى مجموعتين : إما الى قحطان ، وإما الى عدنان ، ولا وسط بين الـكتلتين . وقد صادف هذا التحزب عصر بدء التدوين ، فكان النسب (لأهميته عنـــد القبائل والناس وفى الحياة السياسية فى ذلك العهد) فى طليعة الأمور التي شملتها حركة التدوين ، فبدلاً من أن يعتمد النسابون على الذاكرة والرواية سطّروا تلك الروايات فى الأوراق ، وضبطوا أنساب القبائل التي عاشت قبيل الاسلام وفى صدر الاسلام بهذا التدوين .

وقد أحدث عدم ضبط قواعد الخط فى صدر الاسلام ، وعدم استعمال النقط فى أول العهد بالتدوين بعض المشكلات للمتأخرين فى ضبط الاعلام . فاختلاف النقط يحدث كما هو معروف

(١) المحبر (ص ٣١٦) .
(٢) البكري (٢/٦٧٩) « طبعة السقا » « مادة رهاط » ، Ency . , II . P. 329.
(٣) Ency . , II . P. 329.

اختلافاً فى ضبط الأسماء ، وهذا ما حدث فعلا . وانك لتجد فى كتب الأنساب المطبوعة والمخطوطة أمثلة عديدة من هذا القبيل . كذلك أدى إهمال بعض النسابين ذكر الآباء أو الأجداد الى حدوث شيء من الارتباك فى ضبط الأنساب . يضاف الى هذا تشابه أسماء بعض القبائل والبطون فى قحطان وعدنان .

وقد أشار الهَمْدانى الى العصبية التي كان لها أثر خطير فى وضع الأنساب فى عهد معاوية وغيره فى الشأم وفى العراق ، ثم الى تقصير نسابى العراق والشأم فى عدة آباء كهلان وحمير ، ليضاهوا بذلك على حد تعبير الهَمْدانى عدة الآباء من ولد اسماعيل ، وذكر أنه كانت عند أهل أهل اليمن مثل حمير وهمدان والمرانيين وغيرهم زبر مدونة فيها أنسابهم ، يتناقلها الناس ، وهي تختلف عن الأنساب التى يتداولها أهل النسب فى العراق والحجاز والشأم بعض الاختلاف ، وأن بعضاً من أنساب عرب الحجاز دخل فى أنساب الناس من أهل اليمن ، وذلك على رأيه لأسباب ، منها : فتك « بخت نصر » بأقيال اليمن فى عهد أسعد تُبَّع ، وفى أيام حسّان بن أسعد وتخريبه حصونهم ، وقتل حسان لجديس التى أفنت طَسماً (1) . وفى هذا الحديث على علاته ما فيه من اعتراف صريح باضطراب النسابين فى ضبط الأنساب .

ولا يخلو بعض هذه الأنساب من تحامل العصبية والأحقاد التى كانت فى نفوس القبائل والبطون ، إذ خلقت هذه مثالب لصقتها بآباء القبائل المتباغضة وأجدادها حفظت على مرور الأيام ، ولازمت من قيلت فيهم ، ليس من الصعب الوقوف عليها ومعرفتها كما هو الحال فى نسب ثقيف مثلاً . وقد أوجدت قسوة الحجاج بن يوسف ، وهو من ثقيف ، ذلك القصص الذي قيل فى جد ثقيف ولا شك .

وقد أشرت فيما سبق الى أثر التوراة وأثر نفر من أهل الكتاب ممن ادعوا العلم بكتب الأولين فى النسابين والأخباريين ووضعهم أسس النسب ، وارجاعها الى قحطان وعدنان ، وبناء نسب القبائل على هذين الأساسين . وقد وجدنا « يقطان » فى التوراة أبا لشبا وحضرموت

---

(1) الإكليل (٨/١٠٠ وما بعدها) « طبعة نبيه أمين فارس » ، (١٠/٣٠ وما بعدها) .

وبقية إخوتها ، وهم من العرب الساكنين فى اليمن وفى بقية العربية الجنوبية . ويقطان هو قحطان . ثم وجدنا الإشماعيليين فى التوراة كذلك ، والاشماعيليون هم الاسماعيليون ابناء اسماعيل جد العرب العدنانيين . ووجدنا نابت وقدار فى التوراة كذلك وعند النسابين أيضاً ، ونابت هو « نبابوت » .

أما الذي يتجلى لنا من استعراض كل هذه الأنساب ودراستها ، سواء أكانت قحطانية أم عدنانية ، فهو أن الحياة السياسية للقبائل كانت حياة كتل ، وهي حياة اقتضتها ضرورات الحياة للدفاع عن النفس والمصالح ، كما هو شأن الدول فى كل زمان ، حيث تعقد بينها المحالفات . فالحلف بين القبائل ، هو كالحلف بين الدول بكل ما للحلف من معنى . وقد رأينا نماذج من تلك الكتل الضخمة أشرت اليها فى أثناء كلامي على القبائل . ويخيل اليّ أن فكرة رجوع العرب الى قحطان وعدنان ، فكرة تثبتت فى الاسلام ، ساعد فى ترسيخها وتثبيتها تلك العصبية التي أشرت اليها ، وتلك النظرية التى انتزعها ابن الكلبي واضرابه من التوراة ومن أهل الكتاب بخصوص يقطان وقيدار .

وفى الذي يذهب اليه أهل الأخبار والأنساب من ادعاء وجود خلاف بين القحطانيين والعدنانيين ، شيء من الصحة ، لا سبيل الى نكرانه ، غير أنه ليس على النحو الذي ذهبوا اليه . والكتابات الجاهلية التى تحدثت عنها سابقاً ، وأسماء الأشخاص والأصنام ، شواهد على وجود هذا الاختلاف . ولكنه ليس اختلافاً بالمعنى الذي ذهب اليه الأخباريون . فبين العرب الذين يطلق الأخباريون عليهم « القحطانيين » اختلاف فى اللهجة وفي الأسماء لا يقل عن الاختلاف بين القحطانيين والعدنانيين . كذلك نجد مثل هذا الاختلاف بين العدنانيين أنفسهم . وقد وجدنا نص النمارة لامرئ القيس ، وهو من أصل قحطانى على حد تعبير الأخباريين وأهل الأنساب ، بلهجة قريبة من لهجة القرآن الكريم بعيدة عن لهجات أهل اليمن . بلهجة نستطيع أن نقول إنها من الأم التى ولدت عربية القرآن الكريم . كذلك نجد النصوص الأخرى قريبة من هذه العربية ، مع أنها لأناس يجب عدّهم من قحطان إنْ سرنا

مع النسابين في مذهبهم في تقسيم العرب الى قحطانيين وعدنانيين . ثم إن الأخباريين لم يشيروا الى وجود فروق في اللسان بين القحطانيين والعدنانيين ، وإنما جعلوهم يتكلمون بعربية واحدة هي عربية القرآن الكريم ، ونسبوا اليهم أصناماً مشتركة . وشعراء الجاهلية هم في عرفهم من الفريقين من قحطان وعدنان . ولهذا قالوا عن اللهجات العربية الجنوبية التي ظلت حية في اليمن وفي حضرموت إنها غير فصيحة وإنها ليست بعربية ، وإن لسان حمير ليس بلساننا ، الى غير ذلك مما أشرت اليه في أجزاء الكتاب السابقة مأخوذة من أقوال العلماء .

وقد ذكرت في أثناء كلامي على النبط ما كان من وجود أداة التعريف « ال » المستعملة في عربية القرآن الكريم ، في كتاباتهم ، واشرت الى استعمالهم أسماءً استعملتها قريش وغيرهم من العرب العدنانيين [1] ، وهي أسماء لم نعثر عليها في الكتابات العربية الجنوبية حتى الآن ، كما أشرت الى مشاركتهم العرب الشماليين في أسماء الآلهة التي تعبّدوا لها ، وأوردت آراء بعض المستشرقين في أصلهم ، وفي أنهم عرب مثل العرب الآخرين .

ولهذه الملاحظات أهمية كبيرة في الحديث عن العرب الشماليين ، وفي النواحي التي يختلفون فيها عن العرب القحطانيين . كما أن لنص النمارة ولتأريخ « بروكوبيوس » أهميةً خطيرة كذلك في هذا الموضوع لاشارتها لأول مرة الى « معد » . فقد وردت كلمة « معدو » أي معدّ في السطر الثالث من النص ، ووردت كلمة « نزرو » أي « نِزار » في السطر الثاني منه . يضاف الى ذلك ورود أسماء قبائل أخرى هي « الأسدين » ، أي قبيلة أسد ومذحج .

أما تأريخ « بروكوبيوس » ، فقد وضع « Maddeni » أي معدّاً في الأقسام الشمالية من الحجاز . وقد ذكر هذا المؤرخ أن القيصر « يوسطنيان » طلب من « السميفع أشوع » « Esimiphaenes » أن يوافق على تعيين شيخ اسمه « قيس Kaisus » « Caisus » رئيساً على « معد » [2] . وقد ذكرت أن هذا يدل ضمناً على خضوع معد لحمير ، ولو كان خضوعاً

---

(١) (٣/ ١٣) .

(٢) تأريخ العرب قبل الإسلام (٣/ ٢٠٥ وما بعدها) .

بالاسم . ولوجود معد فى هذا الزمن ، أي فى القرن السادس الميلاد ، فى أرض كانت مأهولة بالنبط أهمية كبيرة ولا شك .

كما أشرت الى ورود كلمة « مضر » فى نص يماني ، والى اشتراكها فى حرب خاضتها سبأ وحمير ورحبة وكدت ومضر وثعلبة [1] . وهي حرب يظهر أنها كانت واسعة من الحروب التي وقعت قبيل الاسلام . ومضر فى هذا النص اسم قبيلة من هذه القبائل التي اشتركت فى الحرب ، وليس اسماً عاماً لقبائل كثيرة ، أي على نحو ما يذهب اليه الأخباريون .

فيتبين من هذه النصوص أن معدّاً ونزاراً ومُضَرَ كانت قبائل تقيم فى الأقسام الشمالية من جزيرة العرب وفى العربية الغربية . وقد لاحظنا أن نص النمارة قد فرق بين معدّ ونزار ، ولم يشر الى وجود رابطة بين القبيلتين ، بمعنى أن كلاً من نزار ومعد كان قبيلة مستقلة فى حين يضعُ النّسابون نسباً بينهما ويربطوا بين القبيلتين . والظاهر أن هذا الارتباط الذي ذهب اليه الأخباريون وأهل الأنساب إنما حدث فى صدر الإسلام ، بعد تثبيت القبائل فى الديوان .

وفى أثناء كلام الأخباريين على تأريخ الحيرة ، ذكروا أن معدّاً كانت خاضعة لها ، وأن ملوكها كانوا يحكمون معدّاً . ذكروهم فى جملة من كان قد خضع لحكم أولئك الملوك . والذي يستنتج من كلامهم أن معداً كانوا بادين ، أي أعراباً ، وأنهم كانوا يقطنون مناطق كانت فى نفوذ ملوك الحيرة . فهل قصد الأخباريون معداً الذين كانوا يسكنون فى أعالي الحجاز كما ذكر ذلك « بروكوبيوس » ، أم قصدوا جماعات منهم هاجرت الى بادية الشأم ، وخضعوا لحكم أهل الحيرة ؟ ويلاحظ أن الأخباريين يتوسعون أحياناً فى ملك ملوك الحيرة فيبلغون به البحرين والحجاز .

أما كيف تطورت هذه الأنساب ، وكيف توزعت ، وكيف حصرت في جدين ومن قام بذلك ، وأمثال هذا ؟ فليس من السهل ايجاد جواب لأمثال هذه الأسئلة ، ما دمنا لا نملك الأسباب التى تهيئ لنا العلم الكافى للاجابة عنها .

---

(١) تأريخ العرب قبل الإسلام (٣/١٦٦) .

الفصل السابع

أيام العرب

عرفت الحروب والمناوشات التي وقعت بين القبائل بعضها مع بعض ، أو بين ملوك اليمن والقبائل أو بين الفرس والعرب أو بين الملوك العرب والقبائل بـ « الأيام » وبـ « أيام العرب »[1].

وهذه الأيام تؤلف ـ في الواقع ـ القسط الأكبر من علم الأخباريين بتأريخ الجاهلية ، ومادتها القصص الذي تناقله الناس عمن شهدوها ، وحفظوه فى صدورهم ، الى أن كان التدوين فدوّن . وهو مادة محبوبة تناولها الناس فى الجاهلية والإسلام بلذة وشوق ، فكانت هي والشعر من أهم أحاديث المجالس . « قيل لبعض أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم فى مجالسكم ؟ قال : كنّا نتناشد الشعر ، ونتحدث بأخبار جاهليتنا »[2] ، وأهم أخبار الجاهلية هي هذه الأيام .

ومادة هذه الأيام عربية خالصة ، يتخللها شعر قيل بالمناسبة فى تلك الأيام ، فى الفخر والحماسة وفى هجاء الخصم والانتقاص منه . والفضل هو لهذا الشعر فى حفظ أخبار تلك الأيام ، وصيانتها من النسيان ، لاضطرار الراوي والسامع الى الاطلاع على المناسبة التي قيلت فيها تلك الأشعار .

وعلى هـذه المادة العربية اعتمادُ المؤرخ فى تدوين تأريخ العرب فى الجاهلية ، وتتبع التطورات السياسية التي حدثت قبيل الاسلام ، على العكس من علاقة العرب بغيرهم من روم وفرس

---

(١) اللسان (١٦/١٢٩) . Ency., I. P. 218. (٢) العقد الفريد (٣/٦ وما بعدها) .

وحبش ، حيث الاعتماد يكون فيها على موارد أجنبية أعجمية لا تخلو من عاطفة ومن تحزب .

ولكن هذه الأيام غير منسقة ويا للأسف ، ولا مبوّبة على حسب ترتيب الوقوع ، وتسلسل الزمن . ثم إن من الصعب استخراج مستند منها يمكن الاعتماد عليه فى تصنيف هذه الأيام ، وتنظيمها على أساس تأريخي ، مع أنها مادة المؤرخ الذي يريد كتابة تأريخ جزيرة العرب قبل الاسلام ودراسة التطور السياسي فيها . وقد حاول المستشرقون تنسيقها وترتيبها على أساس تواريخ الوقوع ، فلم يفلحوا الى الآن فى الوصول الى نتيجة مرضية . ولو كانت لدينا معارف عن أحوال من أسهم فيها وأجج نارها ومن قال شعراً فيها ، تنير لنا السبيل لتثبيت التأريخ وضبط السنين ، لصار فى امكاننا ضبطها وتعيين تواريخها استناداً الى هذا المروي عن أولئك . ولكن ما نعرفه عن هؤلاء الرجال ، وهم أبطالها وأصحابها ، لا يقل غموضاً وابهاماً من حيث التواريخ والسنين عن غموض تواريخ تلك الأيام وإبهامها ، ولذلك فكل ما يقال عن تواريخ الأيام وترتيبها والسنين التي وقعت فيها ، هو حدس وتخمين . وسيبقى الحال على ذلك ، حتى تتهيأ مادة جديدة كنصوص جاهلية مدونة أو موارد أخرى قد تتعرض لتلك الأيام بتأريخها أو بتأريخ من اشتركوا فيها على وجه مضبوط صحيح . وعندئذ يكون فى الإمكان تدوينها على نحو علمي يشرح لنا تطور الحوادث عند العرب قبل الاسلام .

وموضوع كموضوع الأيام ، لا بد أن يقبل العلماء عليه إقبالا كبيراً ، وهذا ما وقع ، فألف فيه جماعة[1] ، منهم أبو عبيدة « المتوفى سنة ٢١٠ هـ »[2] ، وأدخله قوم آخرون فى مؤلفاتهم ، فأفردوا له باباً أو أبواباً ، ولكننا لا نملك حتى اليوم كتاباً قائماً بذاته فى الأيام . وكل ما نملكه هو هذه الأبواب الداخلة فى بطون كتب الأدب فى الغالب وفى بعض كتب التأريخ . والجغرافيا ، سأشير اليها فى أثناء حديثي عن الشهير من هذه الأيام .

ولوجود مجال واسع للعب العاطفة فى أخبار الأيام ، تجب دراسة الروايات على حذر . والتفتيش ــ على قدر الامكان ــ عن روايات متعددة عن اليوم الواحد ، للمقارنة والمقابلة والغربلة .

---

(١) W. Caskel, Aiyam al - 'Arab, Islca., III, 1-99, Brockemann, Suppl., I, S. 203

(٢) Ency.. I. P. 218.

وليس هـــذا بأمر ميسور ؛ لأن الروايات والأخبار محدودة ، وهي ترجع بأَخَرَةٍ الى نفر نستطيع حصرهم . فهذه الأبواب ، وان كانت متعددة منثورة بين مؤلفات ، دونها مؤلفون مختلفون ، إلا أنها أخذت من ذلك النفر ، فهي لم تأت لهذا السبب فى ثناياها بشيء جديد .

وهذه الأيام ليست حروباً بالمعنى المفهوم من الحرب ، فإن منهـا ما كان مجرد مناوشات أو مهاترات وغزوات لم يسقط فيها إلا بضعة أشخاص ، ومنها أيام وقعت فى عدة سنين كانت تثار فيها الحرب حينما تتجدد المناسبات ، وتنتهي بتســـوية يتفق فيها على دفع ديات القتلى وإنهاء المشكلات التي كانت السبب فى اثارة تلك الحرب ، فاذا ما انتهت ، بقيت القبيلة المنتصرة تفتخر بيومها وبأيامها ، وبأسماء أبطالها الذين رفعوا اسمها فيها . وطالما جرّ هذا التباهي والتفاخر القبائل الى حرب جديدة ، بسبب جواب قد يصدر من سفيه عابث لا يرضيه سماع ذلك الفخر ، أو من قبيلة مغلوبة لم يكن من السهل عليها أو على أفرادها سماع هذا الـكلام .

والعادة أن يُعَـنْـوِنَ اليوم باسم الموضع الذي حدثت فيه المعركة ، أو بالشيء البارز فى تلك الحرب ، أو باسم القبائل التي اشتركت فيه . ومن هذه الأيام ما وقع بين قبائل قحطانية ، ومنها ما وقع بين قبائل عدنانية ، ومنها ما كان بين القحطانية والعدنانية . والغالب على الأيام التي وقعت بين القحطانية والعدنانية طابع التخلص من سيطرة اليمن ومن نفوذها على قبائل عدنان . وتكاد روايات الأخباريين تجمع على أن الحـكم على العرب كان للتبابعة ، سواء أكان رأساً أم بالواسطة ، أي بتدخلهم باختيار الرؤساء والمشايخ وتعيينهم على تلك القبائل . ويكاد يـكون فى حكم العادة أيضاً ارجاع أنساب الملوك وكبار المشايخ الى اليمن . وقد يكون ذلك كما فعل كثير من السلاطين فى أيام الدولة العباسية من ارجاع أنسابهم وأصولهم الى الأكاسرة ، ليـكمل لهم بذلك الجاه ، وليبينوا أنهم ورثوا الملك من الآباء والأجداد . فليس هو بالنسبة لهم أمراً جديداً .

وأكثر أســـباب هذه الأيام ، هو عسف حكام القبائل القوية فى القبائل الضعيفة التابعة لأولئك الحـكام ، بسبب الإتاوة التي كانوا يلحون فى جمعها وفى الحصول عليها غير مفكرين في الظروف والأوقات ، أو بسبب نزاع على ماء ومرعى ، أو أخذ لثـأر ، أو محاولة للتخلص من

حكم القبائل على القبيلة بظهور شخصية قوية فيها ، وأمثال هذا من أسباب .

وسأقتصر فى هذا الفصل على الأيام المهمة التي كان لها فى شؤون السياسة القبيلية شأن وخطر . أما الأيام الصغيرة التي لم يكن لها شأن يذكر ، فمحلها فى الموارد التي يرد ذكرها فى حواشي هذا الكتاب .

ومن هذه الأيام التي وقعت بين قبائل قحطانية وقبائل عدنانية ، يوم يسمى بـ « يوم البيضاء ». وكان سببه مجيء مَذْحج ، وهي قبيلة قحطانية من اليمن ، قاصدة مُتَّسماً من الأرض وموطناً جديداً صالحاً ، فاصطدمت بقبائل مَعَدٍّ النازلة بتهامة ، وتهامة هي موطن معد القديم فى عرف أهل الأخبار ، فبرزت لها قبيلة عَدْوان ، ورئيسها يومئذ عامر بن الظَّرِب العَدْواني . جمع عامر هذا من كان فى تهامة من قبائل معدّ ، وهاجم مَذْحِجاً فغلبها فى موضع « البيضاء » . ويقول الأخباريون إن هذا اليوم هو أول يوم اجتمعت فيه معد تحت راية واحدة ، هي راية عامر بن الظارب . وقد اجتمعت بعدها مرتين تحت راية واحدة : مرة تحت راية ربيعة بن الحارث فى قضاعة ، ومرة أخرى تحت راية كليب بن ربيعة [1] . فهذه المعركة هي من المعارك القديمة التي وقعت بين العدنانيين والقحطانيين على رأي الأخباريين .

وعامر بن الظرب هذا ، رجل يعده الأخباريون من قدماء حكام العرب وأئمتهم الذين تحاكم اليهم الناس ، وصارت أحكامهم سنّة يتّبعونها . وقد ذكر بعض الأخباريين أن تميماً ورثت هذه الدرجة من بعده ، فكانت الحاكمة بعُكاظ [2]. ومن أحكامه حكمه فى الخنثى ، وقد أقر هذا الحكمَ الإسلامُ [3] . ويذكرون أيضاً أنه ممن كان قد حرم الخمر قبل الإسلام [4] ، وقد نسبوا له حكماً وأقوالاً وعمراً طويلاً ، وعدوه من الفصحاء البلغاء ، وجعلوا أقواله مضرباً للأمثال [5].

وأخذ رؤساء معدّ على عاتقهم الخروجَ على طاعة حكام اليمن ، أو من عيّنه هؤلاء الحكام

---

(١) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام (٢٢٤) .

(٢) المحبر (ص ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٨١) . (٣) المحبر (ص ٢٣٦) .

(٤) المحبر (ص ٢٣٧ وما بعدها) .

(٥) بلوغ الأرب (٣١٦/١ وما بعدها) ، (٢٧٥/٢) .

عليهم . وكان من أشهر من ساعدته اليمن ووافقت على تعيينه على قبائل معد هو زُهَيْرُ بْنُ جَناب ، زعيم كلب ، وكلب من قضاعة . فلما اشتط وبنى وقسا فى جمع الإتاوة ، هاجمه « زيابة » من بني تيم الله ، وطعنه طعنة ظن أنه قد قضى بها عليه . ولكن زهيراً نجا منها ، فجمع عندئذ قومه ومن كان معهم من قبائل قحطان وغزا بكراً وتَغْلِبَ ، فانهزمت بكرٌ ثم تَغْلِبُ ، وأسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة ، وجماعة من أشراف تغلب . فتأثرت قبائل ربيعة من هذه الهزيمة ، وعينت « ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير التغلبي » [1] رئيساً عليها ، فحمل ربيعة ومن انقاد اليه على زهير ، واسترجع الأسرى ، ولكن زهيراً لم يلبث أن عاد الى ما كان عليه من جمع الإتاوة من معدّ .

واذ أخذنا برأي الأخباريين القائلين إن تعيين زهير بن جناب على بكر وتغلب ابني وائل كان بأمر أبرهة الذي غزا نجداً ، وتوسع فيها ، فجاءه زهير ليتقرب اليه ، وليعينه على بعض القبائل [2] ، يكون حكم زهير على هذا القول فى النصف الأول من القرن السادس للميلاد .

وفى عهد رئاسة كليب بن ربيعة ، جددت قبائل ربيعة محاولاتها للتخلص من حكم اليمن ، وكان كليب شخصية قوية ، فاختارته قبائل معدّ رئيساً عليها ، واجتمعت تحت لوائه ، والتقت باليمن في « يوم خزاز » [3] ، فانتصرت معد فيه ، وعدّ من أيامها الكبرى قبل الاسلام .

ويظهر أن الباعث على هذا اليوم هو الجباية التي كان يجبيها ملوك حمير من معدّ ، وكان جباة حمير أو من يوكل اليهم ـ كما يزعم أهل الأخبار ـ يأتون ومعهم الكتّاب ، فيأخذون من أموال نِزارٍ ما يشاؤون . وكان هذا اليومُ أولَ يوم امتنعت فيه معدّ عن الملوكِ ملوكِ حمير [4] .

ويظهر أن هذا اليوم من الأيام القديمة ، ولذلك اختلف الأخباريون في اسم قائد قبائل معدّ فيه ، وفى اسم ملك اليمن الذي في عهده وقع ، فقالوا : إن رئيس معدّ فيه هو « كليب بن ربيعة » ،

---

(١) المحبر (ص ٢٤٩) . (٢) ابن الأثير (١/٢٠٥) .

(٣) « خزاز » وورد أيضاً « خزازى » ، العقد الفريد (٦/٩٧) ، « تحقيق العريان » ، ابن رشيق : العمدة (٢/٢٠١) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد » تحت « باب ذكر الوقائع والأيام » .

(٤) العقد الفريد (٦/٩٧ وما بعدها) ، « طبعة العريان » ، نهاية الأرب (١٥/٤٢٠ وما بعدها) .

وقالوا : بل هو زُرارة بن عدس ، وقالوا : لا وإنما هو ربيعة بن الأحوص . ويذكر بعضهم أنه وقع بعقب يوم السلاّن ، وأنه كان لجموع ربيعة على مَذْحِج وغيرهم من اليمن (١) . ومهما يكن من شيء ، فلسنا نستطيع أن نرتقي بعهد هذا اليوم الى أكثر من النصف الأول من القرن السادس للميلاد .

وفي رواية من هذه الروايات عن يوم خزاز أن سبب هذا اليوم هو احتباس ملك من ملوك اليمن أسرى من مضر وربيعة ، وامتناعه عن فك أسرهم ، وذلك في عهد « كليب » . وكان على مقدمة معدّ في موضع خزاز السفاح التغلبي ، وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن تغلب ، والذين اقتتلوا مع معـــدّ في هذا الموضع ، هم مَذْحج ، وقد انهزمت شرّ هزيمة فيه (٢) .

وإذا أخذنا برأي القائلين إن يوم خزاز كان عقب يوم السلّان ، يكون هذا اليوم قد وقع في أيام النعمان بن المنذر ، أي في أواخر أيام المناذرة وفي النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ؛ إذ يذكر الأخباريون أن سبب وقوع يوم السلّان هو أن بني عامر بن صعصعة كانوا قوماً حُمساً ، أي متشددين في دينهم ، لَقاحاً أي لايدينون للملوك . وكان من عادة النعمان بن المنذر أن يجهز كل عام لطيمة لتباع بـعُكاظ ، فتعرض لها بنو عامر ، فغضب النعمان ، وبعث عليهم وبرة الكلبي أخاه لأمه ومعه الصنائع والوضائع وجماعة من بني ضَبّة بن أدّ والرِّباب وتميم ، وانضم اليهم ضرار بن عمرو وأولاده ، وهم فرسان شجعان ، وحبيش بن دلف ؛ وطلب منهم أن يذهبوا الى عكاظ فإذا فرغوا من البيع ، وانسلخت الأشهر الحرم ، قصدوا بني عامر بنواحي السلّان .

فلما فرغوا من عكاظ ، علمت بخطّتهم قريش ، وأرسل عبد الله بن جُدْعان قاصداً أخبر بني عامر بغرض القوم ، فحذروا وتهيؤوا للحرب ، وتحرزوا ووضعوا العيون ، وسلموا قيادتهم لفارس شهير معروف هو عامر بن مالك المعروف بمُلاعِبِ الأسِنّة . فلما التقوا ، تغلبوا على قوة

---

(١) العمدة (٢/٢٠٢) . (٢) ابن الأثير (١/٢٤٣) .

النعمان ، وهزموها ، وأخذوا وبرة أسيراً . ولم يفكوه من أسره إلا بألف بعير وفرس (١) .

والأيام التي ذكرها الأخباريون عن حروب العدنانيين مع ملوك اليمن للحصول على استقلالهم ، قليلة . ولا يعني حكم اليمن للعدنانيين أن ملوك اليمن كانوا يحكمون تلك القبائل حكماً مباشراً ، وإنما هو في الواقع وكما يظهر من غربلة هذه الروايات حكم كان يتّسع ويتقلص تبعاً لقدرة الحكام وشخصياتهم ، ولاتفاقاتهم مع رؤساء تلك القبائل ، ولأن القبائل العدنانية هي قبائل بدوية في الغالب لا تستقر على حال ، ومن طبع البداوة التنازع والتخاصم . ثم إن الرؤساء كانوا كما هو شأنهم في كل وقت متنافسين متخاصمين ، لذلك وجد ملوك اليمن ، وهم ملوك شعب أكثريته مستقرة ، من السهل عليهم التدخل في شؤون تلك القبائل بتأييد هذا الشيخ على منافسه ، وبتعيين شيخ من مشايخ القبائل الكبيرة على قبيلة أو جملة قبائل أخرى ضعيفة أو متخاصمة ، لتهيئة الحال واقرار الأمن . فصار من العادة بين القبائل التي يعدها النسابون من العدنانيين ، بل بين القبائل القحطانية كذلك ، أو بين كبار المشايخ ، أن يلجأوا الى ملوك اليمن ، للتدخل في الخصومات ولإقرار الأمن بالحكم بين المتخاصمين ، أو بتعيين رجل محترم كبير من اليمن أو من غير اليمن عليهم . ونجد بين روايات الأخباريين روايات تؤيد هذا الرأي .

ويدخل الأخباريون في أيام العدنانيين مع القحطانيين الأيام التي وقعت بين القبائل العدنانية وبين ملوك الحيرة لاعتدادهم من قحطان . ومن هذه الأيام يوم طِخْفَة الذي وقع في أيام المنذر ابن ماء السماء بينه وبين بني يربوع بسبب عزمه على تحويل الردافة منهم الى بني مجاشع ، وهم من تميم كذلك . فلما أبت بنو يربوع على الملك تغيير الردافة ، أرسل الملك قوة عليهم لإخضاعهم ، التقت بهم في طخفة ، فانهزمت ، وأسر بنو يربوع قابوس وحسان ، واضطُرّ الملك الى اعادة الردافة اليهم ، وفداء قابوس وحسان (٢) .

---

(١) البلدان (٥/١٠٤) « مادة السلان » ، ابن الأثير (١/٢٦٨) ، أيام العرب في الجاهلية (ص ١٠٧) .

(٢) النقائض (٦٦ وما بعدها) ، ابن الأثير (١/٢٧٢ وما بعدها) ، الأغاني (٣/١٧٦) ، البلدان (٦/٣٢) « مادة طخفة » ، العقد الفريد (٣/٣٥٩) ، الميداني : الأمثال (٢/٣٩٩) .

وقد تحدثت ـ في أثناء كلامي على الحيرة ـ عن معركة أخرى من هذه المعارك التي وقعت بين ملوك الحيرة وبين القبائل ، هي : معركة يوم أُوارة الأول . وقد نعت بيوم أُوارة الأول تمييزاً له عن يوم آخر وقع بعده يسمى بيوم أُوارة الثاني .

وقع يوم أُوارة الأول بين المنذر بن ماء السماء وبين بكر بن وائل ، وذلك بسبب سلمة بن الحارث الذي كان قد التجأ الى بكر بعد أن أخرجته تغلب منها . فلما صار سلمة الى بكر ، أذعنت له ، وملكته عليها . فبعث المنذر يدعوهم الى طاعته ، فأبوا ، فسار اليهم بجموعه ، والتقى بهم في موضع أُوارة ومعه تغلبُ والنَّمِرُ بنُ قاسط ، وفتك ببكر [1] .

أما يوم أوارة الثاني ، فكان بسبب مقتل ابن لعمرو بن هند ، كان مسترضَعاً عند زرارة بن عدس من بني دارم ، أي من بني تميم ، فقتله رجل من بني دارم اسمه سويد . قتله لأنه عبث بناقة كانت له . فلما علم سويد بهوية القتيل ، فرّ خوفاً من العقاب الذي سيحل به . فسار عمرو على بني دارم ، وفتك بهم في قصص يرويه الأخباريون ويوردون أمثلة من الكلام الذي جرى فيه [2] ، يظهر من غربلته أن للعداء الذي كان بين طيء وتميم في ذلك العهد دخلاً في إثارة عمرو بن هند على طيء ، ثم في اثارته على تميم انتقاماً منها لتحريض زرارة له على غزو طيء قبل وقوع حادث القتل .

وقد ذكرت سابقاً رواية أخرى عن الرجل القتيل أنه مالك ، وهو أسعد في الرواية السابقة . ومالك أصغر أبناء المنذر بن ماء السماء ، وهو شقيق عمرو بن هند . ثم هي تتفق مع الرواية الأخرى في أن الذي أخذ بثأر القتيل هو عمرو بن هند [3] .

كذلك يدخل أهل الأخبار في أيام القحطانية مع غيرهم الأيامَ التي وقعت بين ملوك بني سليح والغساسنة من بعدهم وبين القبائل العدنانية ، والأيام التي وقعت بين كندة وبين القبائل

---

(١) ابن الأثير (١/٢٢٨) ، العمدة (٢/٢٠٥) .

(٢) ابن الأثير (١/٢٢٨ وما بعدها) ، البلدان (١/٣٦٤) ، النقائض (٦٥٢ ، ١٠٨١) ، الميداني (١/٢٦٦) ، العمدة (٢/٢٠٥) ، سبائك الذهب (ص ١١٤) ، البكري (١/٢٠٧) « طبعة السقا » ، مادة « أوارة » .

(٣) أيام العرب في الجاهلية (ص ١٠٢ وما بعدها) .

العدنانية . ومن أيام الغساسنة مع العدنانية حرب الحارث بن أبي شمر الغساني مع تغلب لسبب بسيط هو عدم اهتمام أفاريق من تغلب به حين مرّ بهم . وقد غاضه ذلك ، فغزاهم ، بالرغم من إشارة عمرو بن هند عليه ألّا يُقْدِمَ على ذلك ، لعدم استحقاق عمل تغلب هذا الغزو ، فمُنِيَ الحارث بهزيمة فى حربه معهم ، وقُتِل فيها أخٌ له . وكانت تغلب قد تركت العراق الى الشأم فى عهد المنذر بن ماء السماء بعد ما كانت فى جانبه ، وبعد ما غزت مع ابنه عمرو بن هند بني آكل المرار (١) .

وتتمثل فى يوم ظهر الدهناء الفروسية التي تبرز فى كثير من هذه الحروب . كان أوس بن حارثة بن لأم سيداً فى قومه طيّء ، مطاعاً فيهم ، جواداً معروفاً . حباه النعمان بن المنذر حُلّةً على العادة المتبعة عند ملوك الحيرة فى تكريم الرؤساء الذين يفدون عليهم ، ومعنى ذلك تشريفه على سائر من حضر مجلسه من الأشراف ، فاغتاظ حساده من ذلك وأوعزوا الى بعض الشعراء بهجائه ، فهجاه بشر بن أبي خازم وهو من بني أسد ، فاغتاظ أوس من ذلك ، وجمع قومه من طيءٍ ، وأوقع ببني أسد بظهر الدهناء ، وقتل منهم قتلاً ذريعاً ، فانهزمت منه ، وهرب بشر ، فجعل لا يأتي حيّاً يطلب جوارهم إلا امتنع من اجارته على أوس الى أن التجأ الى أم أوس ، فأجارته ، وأجاره أوس عندئذ ، وعفا عنه ، وأعطاه وحباه ، فانقلب مادحاً له (٢) .

أما أشهر أيام القحطانيين فيما بينهم ، فالأيام التي وقعت بين المناذرة والغساسنة وقد تحدثت عنها سابقاً ، والأيام التي وقعت فيما بين هؤلاء الملوك وملوك كندة وأمرائها ، ثم الأيام التي وقعت بين القبائل المنتسبة الى اليمن ، ومن أشهر هذه الأيام يوم البَرَدان ، وهو بين زياد بن الهبولة وحجر بن عمرو بن معاوية الكندي ، وقد اشترك فيه من القبائل كندة وبنو شيبان وبكر وتغلب ، وانتهى بهزيمة جماعة زياد ثم بأسره وبمقتله (٣) .

---

(١) ابن الأثير (١/٢٢٢) .
(٢) ابن الأثير (١/٢٦٢) ، بلوغ الأرب (١/٨٤) . أيام العرب (ص ١٣٧) .
(٣) الأغاني (١٥/٨٢) ، ابن الأثير (١/٢٠٧) ، أيام العرب (٤٢ وما بعدها) .

ويوم الكلاب الأول ، من هذه الأيام التي يعدها الأخباريون من أيام القحطانيين فيما بينهم ، لقد وقع بين أبناء الحارث سلمة وشرحبيل ، في عهد المنذر بن ماء السماء ، بسبب اختلافهم وتحاسدهم ودس المنذر بن ماء السماء للإفساد بين الأخوة ، وانتهى ذلك اليوم بمقتل شرحبيل . وقد اشتركت في هذا اليوم بكر بن وائل وبنو أسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب وضبّة وبنو يربوع ، وكانت تغلب والنمر وبهراء مع سلمة وبني مالك بن حنظلة ، وعرف هذا اليوم بيوم الشعيبة أيضاً (١) .

ويُعَدّ يوم أباغ ويوم حليمة من هذه الأيام أيضاً ، اذ وقع بين رئيسين قحطانيين ، وان كان معظم المساهمين فيه من قبائل معدّ (٢) . كذلك نستطيع عدّ سائر الأيام التي وقعت بين الغساسنة والمناذرة في هذه الأيام .

وفي أيام القحطانيين تدخل الأيام التي وقعت بين الأوس والخزرج ، مثل حرب سمير ، وهي حرب وقعت بسبب رجل كان نازلاً في جوار مالك بن عجلان الخزرجي ، فخر وتباهى ، فأدى به ذلك الى مقتله ، وقد ساهمت فيها يهود يثرب من بني قريظة والنضير . وحرب أخرى وقعت بسبب مقتل رجل من الخزرج ، يُدْعَى كعب بن عمرو ، قتله رجل من بني جحجبى من الأوس . وحرب عرفت بحرب حاطب ، وقعت بسبب اهانة رجل ذبياني كان قد نزل على حاطب ابن قيس الأوسي من سادات الأوس ، أهانه يهودي بتحريض رجل من الخزرج ، فثارت من أجل ذلك الحرب ، ثم يوم السرارة ، ويوم فارع ، ويوم الربيع ، ويوم البقيع ، ويوم الفجار الأول للأنصار ، ويوم معبس ومضرس ، ويوم الفجار الثاني للأنصار ، ويوم بعاث ، وحروب

---

(١) العقد الفريد (٣/٢٥٣) ، « طبعة الجمالية » ، البكري (٤/١١٣٢) « طبعة السقا » ، « مادة الكلاب » ، البلدان (٥/٣٦٨) ، « مادة الكلاب » ، نهاية الأرب (١٥/٤٠٦) « طبعة دار الكتب » ، ابن الأثير (١/٢٢٦) ، الأغاني (١١/٦٠) ، شرح ديوان المتنبي (١٨٩) ، بلوغ الأرب (٢/٧٢) ، أيام العرب (ص ٤٦) . العمدة (٢/١٩٥ وما بعدها) .

(٢) ابن الأثير (١/٢٢٢ ، ٢٢٣) ، العقد الفريد (٣/٣٧٤) ، البلدان (١/٦٨) مادة « أباغ » ، نهاية الأرب (١٥/٤٣٠) ، البلدان (٣/٣٣٠) ، خزانة الأدب (٣/٣٠٣) ، مجمع الأمثال (٢/٢٠٢) ، المفضليات (١٨٧) ، أيام العرب (٥١ وما بعدها ، ٥٤ وما بعدها) .

أخرى عديدة يذكرها الأخباريون (١) .

وأكثر حروب الأوس والخزرج هي - في الواقع - مناوشات ومنازعات ، وقعت بسبب مسائل تافهة لا تستحق أن تثار بسببها حرب ، أو تقام خصومة ، استعمل في بعضها الحجارة والعصي والكلام . على كلّ ، كانت أمثال هذه الأمور التافهة مصدراً من مصادر الفوضى وعدم الاستقرار .

ومن أيام القحطانيين يوم اليَحاميم ، ويقال له أيضاً قارات حوق . وقد كان بين قبائل طيء . وكانت قبائل طيء شأن القبائل الأخرى متنازعة بسبب تنافس المشايخ والرؤساء فيما بينهم . وقد حاول الحارث بن جبلة الغساني إصلاح ذات بينها ، فتمكن من ذلك . فلما هلك ، عادت طيء الى ما كانت عليه من الخصومة . واصطدمت جديلة بالغوث ، فوقع قتال بينهما أسفر عن هزيمة جديلة وسقوط عدد كبير من القتلى فيها في هذا اليوم : يوم اليحاميم ، واضطرت الى دخول بلاد كلب ، ومحالفتها والإقامة معها (٢) .

وتؤلف الأيام التي وقعت بين القبائل العدنانية الجزء الأكبر من أيام العرب ، وهي أهمها وأغناها بالشعر والأمثال والقصص . وكان لتميم وبكر بن وائل وتغلب أثر خطير فيها . وأشهر هذه الحروب ، الحرب المسماة بحرب البسوس ، وقعت بين بكر وتغلب ودامت أربعين عاماً على ما يذكر الأخباريون .

وليست حرب البسوس في الواقع حرباً واحدة ، إنما هي حروب عدّة ، وقعت في تلك المدة المذكورة وفي أوقات متقطعة الى أن انقطعت بوساطة المنذر بن ماء السماء وتدخله بين الفريقين . والذي أثار نيران هذه الحرب هو جسّاس بن مرّة بن ذهل بن شيبان أخو جليلة زوج كليب ابن ربيعة سيد قبيلة تغلب ، وذلك بقتله كليباً ، لأنه أدمى ضرع ناقة للبسوس خالة جسّاس ، إذ كانت ترعى في أرض حماها كليب ومنع الرعي فيها إلا لإبله . وقد أثار عمل كليب هذا غضب

---

(١) ابن الأثير (١/٢٧٥ وما بعدها) ، الأغاني (٢/١٦٢) . البلدان (٣/٥٧٣) ، ابن هشام (١١٧) وما بعدها .

(٢) ابن الأثير (١/٢٦٦) ، أيام العرب (ص ٦٠) .

جساس ، فقتله ، وثارت بذلك الحرب بين تغلب وبكر قوم جساس .

وقد تولد من هذه الحرب قصص وشعر ، نسب الى أبطال الأيام التي وقعت فيها ، وأمثلة ذُكر أنها قيلت في المناسبات ، صارت على العادة أمثلة شائعة بين الناس [1] .

وكليب بن ربيعة ، كما يظهر من روايات الأخباريين ، رجل صلب قويّ ، ارتفع نجمه بعد يوم خزار « خزازى » الذي أظهر قوة معدّ لمّا اجتمعت ، فانتخب رئيساً مطاعاً على هذه القبائل ، وأعطى الملك والتاج ، وبقي على ذلك دهراً ، حتى دخله زهو شديد فأخذ يبغي على القبائل ويشتط في أخذ الإتاوة منها وفي اتخاذ خيرة الأرضين المخصبة مناطق حمى لايجوز لإبل غيره الرعيُ فيها ، وفي الاستيلاء على مواضع الماء ، حتى ضجرت الناس منه ، فكانت نتيجته ما تقدم . وتعد حرب البسوس هذه من الحروب التي وقعت بين قبائل ربيعة .

وكما كان كليب سيد تغلب ، كذلك كان زهير بن جذيمة العَبْسيّ سيد قيس عيلان . وقيس عيلان قبائل كبرى عديدة ، كان لها شأن بين القبائل وخطر ، ترأس غَطَفانَ ، وقادها كلها وساد على عَبْس وذُبْيان [2] ، ولمكانته هذه ولسؤدده تزوج اليه النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة ، فتوسع بذلك نفوذه وعظمت منزلته عند القبائل ، ولا سيما القبائل المتصلة به والقبائل الخاضعة لملوك الحيرة .

واُتفق أن أحد أولاد زهير — واسمه شأس — كان عائداً من زيارته للنعمان ومعه هدايا ثمينة وألطاف فاخرة حباه بها النعمان ، فطمع به رجل من غنيّ اسمه رياح بن الأسك الغنوي ، وقتله بموضع منعج . فلما علم بذلك أبوه ، أخذ يقتل كل من وقعت عليه يده من غنيّ . وغزت بنو عبس غنيّاً ومعها الحصين بن زهير أخو شأس ، فطلبت غنيّ من رياح ترك أرضها والارتحال عنها ، وصار هذا القتل سبباً لإثارة البغضاء بين عَبْس وغَنِيّ لِما أوقعه زهير بغنيّ من القتل .

---

(١) الأغاني (٤/١٤٠ وما بعدها) ، أبو تمام : الحماسة (٤٢٠ وما بعدها) ، مجمع الأمثال (١/٣٤٢) ، النقائض (٧٧٣) ، شيخو : شعراء النصرانية (١٥١ ، ١٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢٧٠) ، نهاية الأرب (١٥/٣٩٦ وما بعدها) ، ابن الأثير (١/٢١٤ وما بعدها) ، زيدان : العرب قبل الإسلام (ص ٢٣٣ وما بعدها) ، سبائك الذهب (١٠٦ وما بعدها) .

Ency . . I . P. 674 . Caussin de Perceval Essai . II . 279.

(٢) المحبر (١٩٢ وما بعدها ، ٢٤٨ وما بعدها ، ٢٥٣) .

وكان زهير يأخذ الإتاوة من هوازن كرهاً ، تدفعها اليه كل عام بسوق عكاظ وهي مكرهة . فلما كان الدفع وذهب زهير على عادته لأخذ الإتاوة ، انتهز خالد بن جعفر بن كلاب هذه الفرصة ، فذهب الى هوازن وحرضها على زهير . فلما بلغ زهير أطراف بلاد هوازن ، باغته خالد بن جعفر ومعه جمع من هوازن فقُتِلَ زهير ، ورجع به ابناؤه الى بلادهم ليدفنوه . وقد عرف اليوم الذي قتل فيه زهير بيوم النفرات (١) .

وعزمت غَطَفان على الأخذ بثأر زهير من خالد ، فخاف خالد على نفسه منها ، وفر الى الحيرة ليستجير بالنعمان في رواية ، أو بالأسود بن المنذر في رواية أخرى . عندئذ تعهد الحارث بن ظالم المريّ ، وهو فاتك معروف ، لبني زهير بقتل خالد اذا كفت غطفان عن هوازن . وقد برّ بوعده ، إذ أغتاله وهو فى قبّة كان النعمان قد أمر بنصبها له . فلما علم بذلك النعمان ، أمر بطلبه ليقتله بجاره ، وأخذت هوازن تطالب به لتقتله بسيدها خالد . ففرّ الحارث الى بني دارم من تميم ، واستجار بضمرة بن ضمرة بن جابر ابن قطن ، فأجاره ضمرة على النعمان وهوازن ، فكان ذلك سبباً لتجهيز النعمان جيشاً على بني دارم انتقاماً منها لتجاسرها على إيواء من يطلب قتله .

وأمر النعمان جيشه بالتوجه الى بني دارم ، وانضم اليه الأحوص بن جعفر أخو خالد ، ومعه جمع بني عامر ، للانتقام من الحارث قاتل خالد . فعلمت بنو دارم بمجيء الجيش ، واستعدوا للقتال ، فلما التقى الجمعان ، قتلت بنو مالك بن حنظلة ابن الخمس التغلبي رئيس جيش النعمان ، وصبرت بنو دارم ، وأقبل قيس بن زهير فيمن معه ، فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان ، وعادوا الى ديارهم . وكان رئيس بني دارم زُرارة بن عدس سيد بني تميم . وهناك روايات أخرى عن هذا الحادث وعن الحارث (٢) ذكرتها فى الفصول السابقة .

وصارت الرئاسة الى قيس بعد مقتل والده زهير بن جذيمة العبسي ، ويصفه الأخباريون بجودة الرأي وبحسن التجارب ، ويقولون إنه لذلك عرف بـ « قيس الرأي » ، ويذكرون له في ذلك أقوالاً وحكماً ونصائح ، ويروون طائفة من ذلك ، ولا سيما مما قاله فى مناسبات حرب داحس والغبراء .

(١) العقد الفريد (٦/٥ وما بعدها) .
(٢) ابن الأثير (١/٢٢٩ وما بعدها) ، الأغاني (٨/١٠) ، مجمع الأمثال (٢/٢٦٨) . العقد الفريد (٦/٧ وما بعدها) .

وقد اقترن اسم قيس بهذه الحرب الشهيرة التي يتناقل الناس قصصها الطريفة حتى اليوم ، وهي حرب ثارت بين عَبْس وذُبيان بسبب اختلافٍ على سباق خيل كان قد تراهن عليه حذيفة ابن بدر بن فَزارة سيّد ذبيان وقيس بن زُهَيْر ، اشتركت فيه خيار خيل قيس وحذيفة وفى مقدمتها داحس والغبراء والحطّار والحنفاء . وقد ادعى كل واحد من المتنافسين أن فرسه كان السابق ، وأنه هو الكاسب للرهان في قصص طويل يتخلله شعر وكلام وجواب . وانتهى النزاع الى ما ينتهي اليه كل نزاع من هذا القبيل ، وهي الحرب .

وهي حرب استمرت سنين ، قتل فيها حذيفة بن بدر وعدة رؤساء ، واشتركت فيها شيبان وضبة وأسد وغطفان وقبائل أخرى ، كما ساهم فيها ملك حِجر ، وامتدت الى أن اتصلت بالاسلام . وللشاعر زهير بن أبي سُلْمَى ذكرٌ فيها . ولم تنته إلا بتوسط الرؤساء حيث سويت بدفع الدِّيات ، وبإنهاء تلك الحرب التي شَغَلَتْ تلك القبائلَ وأقلقت الأمن لذلك السبب التافه إن صح قول الرواة (١) .

ولامتداد هذه الحرب سنين عديدة ، وانتشارها خارج نطاق حدود قبيلتي عَبْس وذُبيان ، شملت أرضين واسعة ، وتخللتها جملة أيام لها أسماؤها . وهي بالطبع كلها من أيام هذه الحرب حرب داحس والغبراء .

واذا قرأت قصة داحس والغبراء ، قرأت قصص شجاعة بطل مغوار أظهر شجاعة فائقة فى هذه الحرب ، وكان له فيها شعر ، هو عنترة بن شداد العَبْسِي . وقصص شجاعة عنترة معروفة حتى اليوم ، مشهورة ، يسمعها الناس بشوق ورغبة ، وهي عندهم أشهر من قصص حرب داحس والغبراء : هذه الحرب التي خلد اسمها هذا الشعر وأمثاله .

وفى يوم الرقم ، غزت بنو عامر غَطَفانَ وعليهم عامر بن الطفيل شاباً لم يرأس بعد ،

---

(١) النقائض (٨٣ وما بعدها) ، ديوان عنترة بن شداد (ص ١٥١) ، التبريزي شرح ديوان الحماسة (٢٩٧/١) ، المعلقات السبع للزوزني (٨٩) ، الأمثال (٥١/٢) ، العقد الفريد (٣١٣/٣) ، ابن هشام (١٨٢/١) ، ابن الأثير (٢٣٤/١ وما بعدها) ، زيدان : العرب قبل الاسلام (ص ٢٣٨ وما بعدها) ، أيام العرب (٢٤٦ وما بعدها) ، شيخو : شعراء النصرانية (٩١٧ وما بعدها) .

فخرجت اليهم بنو مرّة بن عوف ، وأشجع ، وناس من فزارة ، وكلهم من غطـفان ، فقاتلوا بني عامر ، وتغلبوا عليهم . وفرّ عامر بن الطفيـل ، وشنق الحكم بن الطفيل نفسه ، ليتخلص بذلك من الأسر . ويروى الأخبـاريون لعروة بن الورد وللنابغة الذبياني ولعامر بن الطفيل شعراً ذكروا أنهم قالوه فى هذا اليوم (١) .

ويعد عامر بن الطفيل من فرسان العرب الشاهير (٢) . وهو من المعاصرين للرسول ، وقد تعرض لنفر من أصحاب رسول الله كان الرسول قد أرسلهم الى أبي بَراء عامر بن مالك بن جعفر لتفقيههم الدين ، فقتلهم يومَ بئرِ مَعُونة (٣) .

وقد مُنِـيَت بنو عامر بهزيمة أخرى يوم النتاءة ، وكانت قد خرجت الى غَـطَفان تريد الأخذ بثأرها من هزيمة يوم الرقم ، فأغارت على نَعَم بني عَـبْس وذُبيان وأشجع فأخذوها ، فتعقبتها عبس وأشجع وفَزارة حينما عادوا بالغنائم ، والتحموا بها ، وأوقعوا بها هزيمة كبيرة ، وقتلت كثيراً منهم ، ونجا عامر بن الطفيل بفرسه المشهور المسمّى الورد (٤) .

وقد منيت بنو عامر بهزيمة أخرى يوم شـواحط الذي وقع بين بني عامر وبني محـارب بن خصفة ، وذلك حينما أغارت جماعة من بني عامر على بلاد غسان (٥) .

ووقعت بين سُـلَيمْ وغَـطَفان حرب بسبب مقتل معـاوية بن عمرو بن الشريد السُّـلَمي . يوم حوزة الأول . وكان سـبب هذا اليوم تأثر معاوية من كلام امرأة من بني مرّة كانت جميلة وسيمة دعاها لنفسـه ، وقد رآها بعكاظ ، فامتنعت ، فغزا لذلك بني مرّة . فلمـا علمت بنو مرّة بقدومـه عليهم ، تجهزوا له ، وقتلوه (٦) . فقرر صخر بن عمرو الشريد السُّـلَمي الانتقام من قتلة

(١) خزانة الأدب (٣/٧٠) ، المفضليات (ص ٣٠) . العقد الفريد (٦/٢٥) « يوم الرقم » ، سبائك الذهب (ص ١١٧) .

(٢) الاشتقاق (ص ١٨٠) ، المحبر (ص ٢٣٤) . (٣) المحبر (ص ٤٧٢) .

(٤) العقـد الفريد (٦/٢٦) ، ابن الأثير (١/٣٩٥) ، الأغاني (١٠/٣١٣) ، أيام العرب (ص ٢٨١) .

(٥) العقد الفريد (٦/٢٧) .

(٦) العقد الفريد (٦/٢٨) ، الأغاني (٢/٣٢٩ ، ١٠/٢٨ ، ١٣/١٣٤) ، شرح الحماسـة للتبريزي (٣/١١٠) ، أيام العرب (ص ٢٨٣) .

أخيـه ، فأغار على بنى مرّة فى يوم حوزة الثاني ، وقتل دُرَيْـدَ بن حرملة أخا هاشم بن حرملة رئيس بني مرّة . ثم قتل رجل من بني جشم هو عمرو بن قيس الجشمي هاشـم بن حرملة ، فاستراحت بذلك بنو سليم ، وسرّت الخنساء بمقتل هاشم ، ولها شعر كثير في رثاء أخويها معاوية وصخر (١) .

وقد توفي صخر أخو معاوية والخنساء على أثر اصابته بجرح ظل يفتك به مدة طويلة ، أصيب به فى غزوة غزا بها بني أسد بن خزيمة . فتعقبته بنو أسد لتخلّص إبلهـا منه ، وكان قد اكتسحها منهم فى هذا الغزو ، فلما كان فى موضع ذات الأثل ، لحقت به وجرحته فقضى هذا الجرح عليه (٢) .

ومن أيام هوازن وغَطَفان يوم اللّـوى ، وقد قتل فيه عبد الله بن الصِّـمّة أخو دُرَيْـد بن الصِّـمّة . وكان عبد الله قد غزا مع بني جُشَـم وبني نصر أبناء معاوية بن بـكر بن هوازن غَطَفان ، فظفر بهم ، وساق أموالهم . وبينما كان عائداً بغنائمه ، فاجأته عَبْس وفَزارة وأشجعُ فى موضع اللّـوى ، فقتلوه ، واستعادوا ما كان قد غنمه منهم ، وجرح دُرَيْـد أخوه . فلما شفي دُرَيْـد من جرحه ، أغار على غَطَفان لينتقم منها لمقتل أخيه ، وقتل رجالاً منهم ، واستاق جملة أسرى . وقد عرف هذا اليوم بيوم الغدير (٣) .

ودُرَيْـد بن الصِّـمّة من الفرسان المعروفين كذلك (٤)، وقد ترأس قومه فى عدة غزوات . ويعده الأخباريون فى جملة البُرْص الأشراف . وهو ممن أدرك الإسلام (٥).

وتميم من القبائل التي يرد اسمها فى الأيام . ومن هذه الأيام عدّة أيام وقعت بينها وبين قبائل

---

(١) العقد الفريد (٦/٢٩ وما بعدها) ، الأغاني (١٣/١٤٠) ، المبرد (٢/٢٨١) ، أيام العرب (ص ٢٨٩) .

(٢) العقد الفريد (٦/٣١) .

(٣) العقد الفريد (٦/٣٢ وما بعـدها) ، الأغاني (١٠/٦) ، شـرح التبريزي على الحماسـة (ص ٣٠٥) ، جمهرة أشعار العرب (ص ٢٢٦) ، أيام العرب (ص ٢٩٣ وما بعدها) .

(٤) الاشتقاق (ص ١٧٧ وما بعدها) . (٥) المحبر (٢٩٨ وما بعدها) .

ربيعة وأيام أخرى وقعت بينها وبين قيس . ومن أيامها مع قبائل ربيعـة : يوم الوقيط ، ويوم ثَيْـتَلْ ، ويوم جَدُود ، ويوم زرود ، ويوم ذي طُـلوح ، ويوم الإياد ، ويوم الغَـبيط ، ويوم قشـاوة ، ويوم زُبالة ، ويوم مُبايض ، ويوم الزورين ، ويوم عاقل .

أما يوم الوَقِـيط ، فكان بين اللهـازم من بـكر من ربيعة وبين تميم[1] . وأما يوم ثيتل[2] « نبتل »[3] ، فيذكر مع يوم النباج أيضاً ، وهما يومان متقاربان وقعا في موضعين متقـاربين . وقد وقعا بسبب خروج قيس بن عاصم المنقري رئيس مقاعس بجماعته ومعه سلامة بن ظرب رئيس الأجارب لغزو بكر بن وائل . فلما وصلا الى النباج وثيتل ، وجدا اللهازم وبني ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم وعنزة بن أسد بهذين الموضعين ، فأغار قيس على أهل النباج ، واقتتل معهم ، فانهزمت بكر . فعاد قيس بغنائم عديدة ، فوجد سلامة ، وهو في موضعه لم يغر بعد على من بثيتل من ناس ، فأغار قيس عليهم ، وسلّم ما غنمه الى سلامة[4] .

ووقع يوم جدود بسبب عزم الحارث بن شريك على غزو بني سليط بن يربوع . جمع الحارث بني شَيبان وذُهلاً واللهازم ثم سار بهم الى أرض بني يربوع راجياً مباغتتهم . ولـكنه ما كاد يصل الى بلادهم حتى شعروا به ، وهاجوا عليه . فلم يتمكن من غزوهم ، فتركهم ، وذهب نحو بني ربيع بن الحارث بجدود ، فأغار عليهم ، وأصاب سَبْـياً ونَعَـماً . فبعث بنو ربيع صريخاً الى بني كليب بن يربوع يطلب العون ، فلم يجيبوهم ، فذهب الصريخ الى بني منقر بن عبيـد ، فركبوا في الطلب ، ولحقوا بـكر بن وائل واصطدموا بهم وانتصروا عليهم ، فرجعوا بأموال وغنائم وبما كانت بـكر بن وائل سلبته من بني ربيع بن الحارث . وكان رئيس بني يربوع في

---

(١) العقد الفريد (٦/٤٤) ، النقـائض (ص ٣٠٥) ، نهايـة الأرب (٣/١٥٤) ، ابن الأثير (١/٣٨٥) ، الأمالي (١/٦) ، أيام العرب (ص ١٧٠) .

(٢) البلدان (٣/٣٠) « مادة ثيتل » .

(٣) « نبتل » هـكذا في طبعة « العريان » للعقـد الفريد (٦/٤٧) ، وصوابه « ثيتل » . وأما « نبتل » ، فموضع آخر لا علاقة له بهذا المـكان .

(٤) النقائض (١٠٢٣) ، العقد الفريد (٦/٤٧) ، ابن الأثير (١/٣٩٧) ، البلدان (٣/٣٠) ، (٨/٢٤٣) ، البكري (٤/١٢٩١) « تحقيق السقا » مادة « النباج » و « ثيتل » .

هذا اليوم قيس بن عاصم المنقري [1].

ويعد الحارث بن شريك من الجرارين في ربيعة ، ويعرف بالحَوْفَزان [2] . وفي يوم ذي طلوح وقع أسيراً في ايدي بني يربوع . فلما غزا مع قومه بني يربوع في هذا اليوم ، كانت بنو يربوع يقظة عارفة بعزم بكر . فأخذوا بكراً على غِرّة ، وسقط الحَوْفَزان أسيراً ، فجزّت ناصيته ، ودفع مئتين من الإبل حتى فدى نفسه من الأسر [3].

وأما قيس بن عاصم المنقري ، فهو من سادات منقر من تميم ، ويعد من سادات أهل الوبر ، ومن حلماء بني تميم ، وممن حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية [4] .

ولما أغار حزيمة بن طارق التَّغْلَبي على بني يربوع ، وهم بزرُود ، واستاق إبلهم ، كانت نتيجة غزوته هذه أن تعقب بنو يربوع أثره وأسروه ، واستنقذوا ما كان قد أخذ ، ثم أسروه ولم يَنْجُ إلا بعد جَزِّ ناصيته ودفع مئة من الابل [5] .

وانتصرت بنو يربوع على بكر في يوم الإياد كذلك ، وكانت بكر قد أقبلت من عند عامل عين التمر قاصدةً بني يربوع ، ومعها من الرؤساء بسطام بن قيس فارس بكر وهانئ بن قَبِيصة ومفروق بن عمرو ، فأحسّت بنو يربوع بمجيء بكر ، وقاتلتهم في موضع الإياد ، وقتلت جماعة من فرسان بكر ، وأسرت قوماً ، منهم : هانئ بن قبيصة الذي فدى نفسه ، فنجا [6] .

وقد كان بسطام بن قيس مع الحارث بن شريك ـ الحوفزان ـ ومفروق بن عمرو في يوم الغبيط ، وفيه غزت بنو شيبان بلاد بني تميم ، غزوا بني ثعلبة بن يربوع ، وثعلبة بن سعد بن

---

(١) النقائض (١٢٤ ، ٣٣٦) ، ابن الأثير (٣٧٢/١) ، العقد (٥٨/٦) ، البلدان (٦٧/٣) ، سبائك الذهب (ص ١١٥) ، أيام العرب (١٧٨) .

(٢) المحبر (٢٥٠ ، ٣٠٤) .

(٣) النقائض (٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١) ، العقد الفريد (٥٠/٦) ، ابن الأثير (٣٨٩/١) ، البكري (٨٩٣/٣) « مادة ذي طلوح » .

(٤) الاشتقاق (١٥٤) .

(٥) المفضليات (٣) العقد الفريد (٤٩/٦) ، خزانة الأدب (٣٠٤/١) .

(٦) النقائض (٥٨٠) ، شيخو : شعراء النصرانية (٢٥٩ وما بعدها) .

ضبّة ، وثعلبة بن عُدِيّ بن فَزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذُبيان ، وكانوا متجاورين بصحراء فَلْج ، فاقتتلوا ؛ فهزمت الثعالب ، وأصابوا فيهم ، واستاقوا إبلاً من نعمهم . ثم ساروا في أرض بني مالك بن زيد مَناة بن تميم ، فاكتسحوا إبلهم ، فركبت عليهم بنو مالك ، وعليهم عتيبة بن الحارث اليربوعي ، والأحيمر بن عبد الله ، وأسيد بن حباءة ، وأبو مرحب ، وجزء ابن سعد الرياحي ، وربيع والُحليس وعُمارة بنوعتيبة بن الحارث ، ومالك بن نُوَيْرَةَ ، وغيرهم ، فادركوهم بغبيط المَدَرة ، فقاتلوهم حتى هزموهم ، وأخذوا ما كانوا استاقوا من آبالهم ، وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ثعلبة بن الحارث وأخ عتيبة بن الحارث ، وأسيد بن حَباءة ، والأحيمر ابن عبد الله على بسطام بن قيس حتى وقع بسطام في أسر عتيبة . وقد وافق بسطام على دفع دية هي ثلاث مئة بعير وأن تجز ناصيته وعلى أن يعاهد بعدم غزو بني شيبان ، فأفرج عنه [1] .

وغزا بسطام بن قيس رئيس بني شيبان بني يربوع في يوم قُشاوة ، « يوم نعف قشاوة » وقد انتصر فيه على جماعة من بني يربوع ، وعاد مع بعض الغنائم [2] . ويعد هذا اليوم من وقعات بسطام المعدودة . « قال ابن الأنباري : كان لبسطام أربع وقعات : أسر يوم الصحراء ، وظفر يوم قشاوة ، وانهزم يوم العُظالى ، وقتل يوم النقا » [3] .

وقد اصطدمت بنو شيبان ببعض بطون تميم في يوم زُبالة كذلك . وقد حضر هذا اليوم الأقرع بن حابس ، وأخوه فراس ، وهما من تميم ، وكانت تميم هي البادئة بغزو بكر بن وائل . اصطدمت بهم في موضع زبالة ، فنزلت الهزيمة بتميم ، وأسر الأقرع وفراس أخو الأقرع ، أسرهما بنو تيم الله وهم من بكر. ثم لقي بنو تيم الله بني شيبان وهم من بكر أيضاً ومعهم بنو رباب ، فانتزع بسطام بن قيس رئيس بني شيبان الأقرع وأخاه منهم ، وصارا أسيرين لبسطام . ثم

---

(١) النقائض (٧٥ ، ١١٣٢) ، ويقال لهذا اليوم : يوم الغبيط ، ويوم الثعالب . ـ والثعالب أسماء قبائل اجتمعت فيه ـ ويقال له : يوم صحراء فلج » ، العقد الفريد (٦/٥٥) ، ابن الأثير (١/٣٦٥) ، سبائك الذهب (ص ١١٤) ، أيام العرب (ص ١٩٧) .

(٢) النقائض (ص ١٩) ، ابن الأثير (١/٣٦٤) ، البكري (٣/١٠٧٥ « طبعة السقا » ، مادة « قشاوة » ، البلدان (٧/٩٢) ، « مادة قشاوة » ، أيام العرب (٢٠١ وما بعدها) ،العمدة (٢/١٩١).

(٣) البكري (٣/١٠٧٥) .

افتدى الأقرع وأخوه أنفسهما من بسطام ، وعاهداه على إرسال الفداء ، فأطلقهما ، ولكنهما لم يرسلا الفداء له [1] .

والأقرع بن حابس ، فارس مشهور من فرسان تميم [2] . ويعد من حكام العرب . وقد اتصل حكمه فى عكاظ الى الإسلام [3] . ويعد أيضاً من السادة الجرارين [4] ، ومن المؤلفة قلوبهم من تميم [5] . وقد ظهر فى تميم جملة من الحكام .

وكان يوم مبايض من الأيام المهمة التي وقعت بين بني شيبان من بكر ، وبين بني تميم . وقد دارت الدائرة فيه على تميم ، وألحقت بها خسائر فادحة . وسبب هذا اليوم أن فارساً من فرسان تميم يدعى طريف بن تَميم العنبري كان قد وافى عكاظَ فى الشهر الحرام ، وكان قد قتل رجلا من بني شيبان ، فتعقبه ابن ذلك الرجل ، ليأخذ بثأر أبيه منه . وصادف أن وقع نزاع بين بني مرّة بن ذُهْل بن شيبان وبين بني ربيعة بن ذُهْل بن شيبان كاد يؤدى بينهما الى حرب ، فقرر هانىء بن مسعود رئيس بني ربيعة ـ حقناً للدماء ـ الارتحالَ بقومه ، والنزول على ماء مبايض . فلما سمع طريف بنزول ربيعة على هذا الماء ، نادى قومه للإغارة على ربيعة ، ما دامت منفردة ، وليس لها فى هذا الموضع نصير ، لإضعاف بكر بن وائل وللانتقام منها . فعلمت ربيعة بذلك ، فاستعدت للقتال . فلما هاجمت تميم ربيعة ، كان بنو شيبان على استعداد ، فألحقوا بتميم خسارة لم تصب بمثلها ، فلم يفلت منهم الا القليل . وانهزم طريف فتعقبه ابن الشيباني الذي قتله طريف ، فقتله . فكان هذا اليوم من أهم الأيام التي وقعت بين بني شيبان وتميم [6] .

وكان يوم الزُّورين من أيام بكر على تميم كذلك [7] . وكانت بكر تنتجع أرض تميم ، ترعى

---

(١) النقائض (٦٨٠) ، ابن الأثير (٣٦٦/١) ، شيخو : شعراء النصرانية (٢٩٨) ، أيام العرب (٢٠٦) .

(٢) الاشتقاق (١٤٦) .

(٣) المحبر (١٣٤ ، ١٨٢ وما بعدها) .

(٤) المحبر (٢٤٧) .

(٥) المصدر نفسه (ص ٢٧٤) .

(٦) ابن الأثير (٣٦٨/١) ، العقد الفريد (٦٥/٦) ، معاهد التنصيص (٧١/١) ، أيام العرب (٢٠٨ وما بعدها) .

(٧) « الزورات : مثنى الزور ، وهو كل شيء يتخذ رباً ، ويعبد من دونه تعالى » ، أيام العرب (حاشية ١ صفحة ٢١٣) . بعيران وضعهما تميم بين الصفين معقولين . وقالوا : لا نولى حتى يولى هذان البعيران . وأظن أن هذه عادة جاهلية لها علاقة بعادات أهل ذلك الزمن ، تتخذ للثبات في الحرب . سبائك الذهب (ص ١١٤) .

بها اذا أجدبوا . فإذا أرادوا الرجوع ، أخذوا كل ما وجدوه أمامهم واستاقوه معهم . فلما كثر اعتداء بكر على تميم ، تفاقم الشر بينهما وعظم حتى صار لا يلقى بكري تميمياً إلاّ قتله ، ولا يلقى تميمي بكرياً إلّا قتله .

ثم عزمت تميم على التخلص من أذى بكر ومنعها من الرعي فى أرضها ، فحشدت واستعدت لقتال بكر ، واستعدت بكر لقتال تميم . فلما اصطدم الجمعان ، تغلبت بكر على تميم ، وقتلت منهم مقتلة عظيمة [1] .

وفى يوم الجفار التقت بكر بتميم على رواية [2] ، والتقى الأحاليف فى ضبة وإخوتها الرباب وأسد وطيء على بني عمرو بن تميم فى رواية أخرى ، واستحر القتل يومئذ في بني عمرو بن تميم على هذه الرواية . فكان النصر فيه للأحاليف [3] .

وفي يوم السِتار ، وهو يوم كان بين بكر بن وائل وبني تميم ، قتل قيس بن عاصم وقتادة ابن سلمة « مسلمة » الحنفي فارس بكر [4] ، وكان قتادة من الجرارين فى ربيعة [5] .

وأما أشهر الأيام التي وقعت بين قيس وتميم ، فيوم الرحرحان ، ويوم شعب جبلة ، ويوم ذي نجب ، ويوم الصرائم ، ويوم الرغام ، ويوم جزع ظلال ، ويوم المروت .

أما يوم رحرحان ، فقد أشرت اليه سابقاً ، وهو يوم وقع فى أعقاب حادث قتل الحارثِ بن ظالم المريّ خالدَ بْنَ جعفرٍ الكلابيّ . وكان سببه أن قوم الحارث بن ظالم أنكروا عليه فعله ، ولاموه على عمله ، فتجنبهم وهرب منهم ، ولحق بتميم فأجاروه ، فاستاءت بنو عامر من ذلك ، وطلبت من بنى تميم تسليم الحارث اليهم . فلما أبوا ، جاءت بنو عامر تريد مباغتة تميم ، وكانت تميم قد علمت بمسيرها اليهم ، فأرسلوا بما عندهم من أثقال وأهل الى بلاد بنى بغيض . ولما كانوا فى موضع رحرحان ، التقوا ببنى عامر ، فدارت الدائرة على بنى تميم ، وأسر منهم معبد بن زرارة :

---

(١) العقد الفريد (٦/٦٥ وما بعدها) ، ابن الأثير (١/٣٦٨) ، أيام العرب (٢١٢ وما بعدها) .

(٢) الميداني (٣٩٦) . (٣) العمدة (٢/٢٠٨) .

(٤) الميداني (٢/٣٩٦) . (٥) المحبر (٢٥٠) .

أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب [1].

وأخذ لقيط بن زرارة يستمد ويجمع العدة ، لينتقم من بني عامر ، وليأخذ منهم بثأر أخيه معبد الذي أسر في يوم رحرحان ، ثم هلك لمنع بني عامر الماء عنه . فذهب الى النعمان بن المنذر ، وأطمعه في الغنائم ، فأجابه . ثم ذهب الى الجون الكلبي ملك هجر ، فأجابه أيضاً . ثم توجه الى كل من عرف بعدائه لبني عامر وعبس ، فأوغر صدره عليهم ، ومنّاه بالغنيمة والنصر ، فانضمت اليه بنو ذبيان لعدائها لعَبْس بسبب حرب داحس والغبراء ، وبنو أسد للحلف الذي كان بينهم وبين بني ذبيان . فلما مضى الحول على يوم رحرحان ، انهالت الجيوش على لقيط ، فوصل جيش الجون الكلبي وعليه عمرو ومعاوية ابناه ، ووصل جيش النعمان وعليه أخوه لأمه حسّان بن وبرة الكلبي ، وأقبل الحليفان أسد وذبيان وعليهم حصن بن حذيفة ، وأقبل شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المرار في جمع من بني كندة .

وسار رؤساء تميم : حاجب بن زرارة ، ولقيط بن زرارة ، وعمرو بن عمرو ، والحارث بن شهاب ، ومعهم أحلافهم ومن انضم اليهم ، يقصدون بني عامر ، فنتج عن ذلك جمع لم يكن في الجاهلية أكثر منه .

وعرفت بنو عامر بمجيء الجمع ، فاستعدت له ، وتحصنت في شعب جبلة . أخبرها بذلك كرب بن صفوان السعدي ـ وكان شريفاً من أشراف قومه لم يخرج مع الجمع ، فخافوا من تخلفه عنهم ، وعرفوا أنه دبّر في ذلك أمراً ، وأنه يقصد إخبار بني عامر . فأخذوا عليه العهد بألا يفشي سرّ مسيرهم هذا لبني عامر . وقد سار كرب الى بني عامر ، وأظهر لهم علائم هجوم بني تميم عليهم ، دون أن يقول لهم شيئاً عنه لئلا يخلف وعدَه . فعرفوا به ، واستعدوا له . وبينما كان القوم على وشك الوصول الى ديار بني عامر ، عادت بنو أسد فغيرت رأيها من الاشتراك في هذا الهجوم ، ورجعت عنهم ، ولم يسر مع لقيط منهم إلا نفر يسير .

---

(١) العقد الفريد (٦/٨ وما بعدها) ، النقائض (١/٢١٤) ، الأغاني (١٠/٣٠) ، ابن الأثير (١/٣٤١) ، الميداني ، (٢/٣٩٨) ، « الباب التاسع والعشرون : في أسماء أيام العرب » ، العمدة (٢/١٩٨ وما بعدها) ، سبائك الذهب (ص ١١١ وما بعدها) .

ولما وصل بنو تميم وأحلافهم إلى شعب جبلة ، كان بنو عامر على أتم استعداد للقاء . وقد احتموا فى مواضع منيعة حصينة من الشعب . ولما دخلوه يريدون الفتك ببنى عامر وعبس ، باغتهم هؤلاء بهجوم مفاجيء أفسد عليهم خطط قتالهم ، فارتدوا مذعورين ، تتعقبهم سيوف بنى عامر . فكانت هزيمة فادحة نزلت بتميم وبمن كان معهم من الأحلاف ، كلفت لقيطاً حياته ، وأوقعت حاجباً فى الأسر ، وأوقعت غيره فى الأسر كذلك (١) .

وقد وقع هذا اليوم فى عام مولد النبي على بعض الروايات ، وبعد عام من يوم رحرحان (٢) .

وقد أشار بعض الرواة الى اشتراك عمرو بن الجون ومعاوية بن الجون فى هذا اليوم ، والى عقد معاوية بن الجون الألوية ، فكان بنو أسد وبنو فَزارة بلواء مع معاوية بن الجون ، وكان بنو عمرو بن تميم مع لواء حاجب بن زرارة ، وكان لواء الرباب مع حسان بن همام ، وعقد لجماعة من بطون تميم مع لقيط بن زرارة ، وكان عمرو بن الجون أول من قتل فى هذا اليوم ، وأسر أخوه معاوية بن الجون ، كما أسر عمرو بن عمرو بن عدس وحاجب بن زرارة . وقد حمل عنترة على لقيط ، فضربه بسيفه . ثم فدى حاجب بن زرارة بخمس مئة من الإبل ، وفدى عمرو بن عمرو بمئتين (٣) .

وقد وقع يوم جبلة فى عام واحد مع يوم رحرحان على رواية ، ويقصدون بهذا اليوم يوم رحرحان الثانى تمييزاً له عن يوم رحرحان الأول الذي غزا فيه يثربى بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عامر بن صعصعة . وفى يوم رحرحان الثانى على هذه الرواية ، كان أسر معبد ابن زرارة ، وقد نقل الى الطائف خوفاً من بنى تميم أن يستنقذوه (٤) .

وبعد مرور عام على يوم جَبَلة طمعت بنو عامر فى غزو بنى تميم والايقاع بها ، فذهبت الى

---

(١) الأغاني (١٠/٣٣) ، العقد الفريد (٦/٩ وما بعدها) ، ابن الأثير (١/٣٥٥) ، النقائض (٢/١١٥) ، الميداني (٢/٣٩٨) « الباب التاسع والعشرون : في أسماء أيام العرب » ، البكري (٢/٣٦٥) « جبلة » ، سبائك الذهب (١١٠ وما بعدها) ، أيام العرب (٣٤٩ وما بعدها) .

(٢) البكري (٢/٣٦٥ وما بعدها) ، مادة « جبلة » ، العقد الفريد (٦/٩ وما بعدها) .

(٣) ابن الأثير (١/٢٤٣) ، ولابن اسحاق رواية أخرى عن هذا اليوم .

(٤) العمدة (٢/١٩٨ وما بعدها) .

حسّان بن كبشة الكندي ، وعلى رأسها ملاعب الأسنة عامر بن مالك بن جعفر وطفيل بن مالك بن جعفر وعمرو بن الأحوص بن جعفر ويزيد بن الصعق وقدامة بن سلمة بن قشير وعامر ابن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، تطمعه في الغنيمة وفي الأموال الوافرة والسبي إن أنضم اليها وساعدها في الغزو ، فغلبه طمعه ووافق على السير معهم الى بني حنظلة بن مالك من بني تميم .

وبلغ الخبر بني حنظلة ، فتركوا ديارهم برأي عمرو بن عمرو بن عُدُس ، وكانت في أعلى وادي ذو نجب . وأما في أسفله ، فكان بنو يربوع ، وهم من تميم كذلك . فلما بلغ حسان ومن معه من الجيش الموضع ، اقتتلوا مع بني يربوع ، فشد على حسان وضرب بالسيف على رأسه فقتل ، وانهزم أصحابه ، وأسر يزيد بن الصعق ، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة ، فكان النصر فيه لبني تميم [1] .

وفي رواية أن بني عامر استنجدت بمعاوية بن الجون الكندي ، فأنجدهم بابنيه عمرو وحسان وبجيشه ، فقتل في ذلك اليوم عمرو بن معاوية الكندي ، وأسر حسان بن معاوية الكندي ؛ وقتل عامة الكنديين [2] .

ويتبين من هذه الروايات أن معاوية الكندي وابنه حسان كانا يحملان لقب ملك ولهم جيش .

وفي رواية أخرى أن حسان بن معاوية بن آكل المرار ، هو الذي اشترك في هذا اليوم ، وقد قتل فيه : قتله حشيش بن نمران من بني رياح بن يربوع . وفي رواية أخرى أنه كان في جملة من وقع في الأسر ، وأن المقتول رجل آخر هو عمرو بن معاوية . وقد قتل في هذا اليوم عمرو ابن الأحوص رئيس بني عامر يومئذ [3] .

وفي يوم الصرائم ، وهو يوم يسمى أيضاً بيوم بني جذيمة وبيوم ذات الجرف ، أغارت فيه بنو عَبْس على ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فأتى « الصريخ » بني يربوع ، فركبوا في طلب بني

---

(١) ابن الأثير (١/٣٦٣) ، النقائض (٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩) ، البكري (٤/١٢٩٧) ، مادة « ذو نجب » ، العمدة (٢/٢٠١) .

(٢) البكري (٤/١٢٩٧) ، مادة « ذو نجب » .

(٣) العمدة (٢/٢٠١) .



كتابات بالمسند عثر عليها فى كهف بنجران

من كتاب « النجاد العربية » لفلبى ، الصورة (١٩)

عَـبس ، فأدركوهم بذات الجرف ، فقتلوا منهم جملة قتلى ، وأسروا بعض الرؤساء [1] .

وكان لبنى تميم يوم آخر على بنى عَـبْس وعامر ، هو يوم رِمأزَق ، ويسمى أيضاً بيوم السوبان . وذلك بعد أن قاتلت تميم جميع من أتى بلادها من القبائل ، وهم إياد وَبَلْـحارث بن كعب ، وكلب ، وطيء ، وبكر ، وتغلب ، وأسد ، وآخر من أتاهم بنو عبس وبنو عامر [2] . ويظهر أن تميماً حاربت هذه القبائل للتخلص منها ، وكانت تنزل فى ديارهـــا للانتجاع فى أرضها ، وهي أرَضُـون خصبة واسعة ، فكلفها ذلك عدة حروب .

وانتصرت بنو يربوع على بنى كلاب من قيس فى يوم الرَّغام [3] . وأمـا يوم جزع ظلال « طلال » ، فكان النصر فيـــه لفَـزارة ، وهم من قيس كذلك على بنى تميم . وكان عُيَيْـنة بن حِصن بن حُـذَيفة بن بدر الفَـزاري قد أغار بقومه فَزارة ، ومعه مالك بن حمار الشمخي من بنى شمخ بن فَزارة ، على القيم وعديّ وثور أطحل من بنى عبد منـاة ، فأصاب غنـائم كثيرة ، ورجع بأسرى عديدين أطلقهم فيما بعد . فلما مضت مدة ، بلغه أن النعمان بن جســاس التيمي وعوف بن عطيّـة وسبيع بن الخطيم وهم سادة تيم ، وابن المخيط وهو ســـيّد بنى عدي تيم ، انطلقوا الى بنى سعد بن زيد مناة وضبّـة يستمدونهم ويسألونهم النصر ، فركب عيينة بن حصن مع قومه ، وأغار على التيم ، فقتلوا منهم . وأخذوا سبياً كثيراً [4] .

وقد انتصرت تميم على عامر فى يوم المَـرُّوت . وكان ســببه نزاع بسيط وقع بين قعنب بن الحارث بن عمرو بن همام اليربوعي وبين بجير بن عبد الله العامري بسبب نسب فرس ، أدى الى غزو بجير لبنى العنبر من تميم ، ثم الى ملاحقـة بنى يربوع لبجير وجماعتـه من بنى عامر ، والى سقوط عدد من القتلى من بني عامر واسترداد ما كان بنو عامر قد غنموه [5] .

---

(١) النقائض (٢٤٨ ، ٣٣٦) ، العمدة (٢/٢٠٠) ، أيام العرب (٣٦٨ وما بعدها) .

(٢) العمدة (٢/٢٠٢) .

(٣) النقائض (٤١٠) ، العمدة (٢/٢٠٤) . أيام العرب (٣٧٠ وما بعدها) .

(٤) النقائض (٣٠٢ ، ١٠٦٧) ، « جزع طلال » ، العمدة (٢/٢٠٤) ، أيام العرب (٣٧٣) .

(٥) النقائض (٧٠) ، ابن الأثير (١/٣٨٦) ، العمدة (٢/١٩٢) ، سبائك الذهب (ص ١١٢) ، أيام العرب (٣٧٥) .

ومن أيام ضبة مع غيرها ، يوم النسّار . وهو يوم كان لضبة وتميم على بني عامر . وكانت أرض مضر قد أجْدَبَتْ ، وأخصبت بلاد بني سعد والرّباب ، فأقبلت عامر بن صعصعة ومن معها من هوازن إلى بني سعد ، تريد الرعي في بلاد بني سعد والرّباب ، فسمحوا لهم بذلك . ومنعاً من وقوع حوادث بينها ، قرروا أن يكون من كل جماعة منهم من يضمن قومه ، ويكون مسؤولاً عما يقوم به أفراد قومه من تعدٍّ ونهب وقتل . فكان الأهتم ، وهو سنان بن سمى بن خالد الضامن لما كان في سعد والرّباب ، وكان قرّة بن هبيرة بن عامر بن صعصعة الضامن لما كان في هوازن ، وبقوا على وئام واتفاق أمداً إلى أن وقع الشر بينهما بسبب قتل وقع أبت بنو عامر أن تقبل دية القتيل ، وأبت ضبّة دفع القاتل الى بني عامر ، فاستعانت بنو عامر ببني سعد وبجماعة من بني أسد ، والتقوا بضبّة بموضع النسّار ، وقد ثبتت فيه ضبّة ، وصبرت بنو عامر فولت بنو سعد ، واستحر القتل في بني عامر ، فهربوا ، وقتل رأسهم شريح بن مالك القشيري . وانجلت المعركة عن انتصار ضبّة في هذا اليوم (١) .

وقد وقع يوم النسّار قبل يوم جبلة في روايات بني ضبّة . أما أبو عبيدة ، فيرى أنه وقع بعد ذلك اليوم (٢) .

ولضبّة نصر آخر ، كان في يوم الشقيقة على بني شيبان . وقد قتل فيه بسطام بن قيس سيد بني شيبان . وكان ذلك بسبب قيام بسطام بغارة على بني ضبّة وطمعه في ابل مالك بن المنتفق الضبّي . فلما رأت ضبة بسطاماً ، وهو يغير على الإبل ، هاجمته ، فوقع قتيلاً ، فولت بنو شيبان مهزومة تاركة ما استولت عليه وعدداً من رجالها بين قتيل وأسير (٣) . ويعرف هذا اليوم باسم آخر هو « نقا الحسن » (٤) .

---

(١) النقائض (٢٣٨ ، ٧٩٠ ، ١٠٦٤) ، العقد الفريد (٦/٩٩) ، ابن الأثير (١/٣٧٦) ، الميداني (٢/٣٩٦) ، العمدة (٢/١٩٩) ، أيام العرب (ص ٣٧٨ وما بعدها) .

(٢) العمدة (٢/٢٠٠) .

(٣) النقائض (١٩٠ ، ٢٣٣) ، ابن الأثير (١/٣٧٦) ، التبريزي : شرح ديوان الحماسة (٣/٥٢) ، سبائك الذهب (ص ١١٢) . أيام العرب (ص ٣٨٢) .

(٤) العمدة (٢/١٩٨) .

وانتصرت ضبة على إياد في يوم يسمى بيوم بُزاخة . وقد كان بسبب إغارة مُحرّق الغساني وأخيه في إياد وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بني ضبة بـبُزاخة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حمل فيه زيد الفوارس على محرق فأسره ، وأسرت بنو ضبّة أخاه حُبَيْش بن دلف السيّدي ، فقتلتهما ، وهزم من كان معهما ، وأصيب ناس منهم فيه [1] .

وفي بعض الروايات أن يوم بزاخة هو يوم إصنم . وهو يوم كان لبني عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث بن مزيقيا الملك الغساني ، وهو عمرو بن عامر ، وفيه قتل ابن مزيقيا ، فانهزم أصحابه هزيمة منكرة . وفي رواية أخرى أن هذا اليوم كان مع عبد الحارث من ولد مزيقيا [2] .

وأما يوم دارة مأسل ، فكان لضبة على بني عامر ، اشترك فيه شتير بن خالد الكلابي ، فقتل ، واشترك فيه زيد الفوارس كذلك [3] . وانتصرت ضبة على بني عَبْس في يوم النقيعة . وقد كان بنو عبس قد أغاروا فيه برئاسة عُمارة بن زياد العبسي على إبل لبني ضبة ، ومعه جيش من بني عبس ، فسقط عمارة قتيلاً ، واستنقذت إبل ضبة منه [4] .

وفي يوم أعيار ، ويسمى أيضاً بيوم النقيعة ، انتصرت ضبّة على بني عبس . وفيه قتل عمارة الوهاب ، قتله شرحاف بن المثلم بابن عمّ له اسمه مفضال كان عمارة قد قتله وانطوى خبره ، وقد استنقذت بنو ضبة فيه إبلها من بني عبْس [5] .

والعادة في الجاهلية ألاّ قتالَ في الأشهر الحرم لقدسيتها ومكانتها ، فهي أشهر هدنة يستريح فيها الأفراد والقبائل من القتال ، ويكون الانسان فيها آمناً على نفسه وماله ، فيظهر فيها الفرسان المعروفون بسفكهم الدماء دون خوف وإن كانوا يتقنعون بقناع حين حضورهم الأسواق مثل عكاظ خوفاً من وقوف طلاب الثأر على حقيقتهم ، فيتعقبون خطاهم ، فيفتكون بهم بعد انتهاء الأشهر الحرم . ويذهب في هذه الأشهر الناس إلى الأسواق للامتيار ، وإلى الكعبات للحج

(١) العمدة (٢/١٩٧) ، النقائض (١٩٥) ، أيام العرب (٣٨٨) ،
(٢) العمدة (٢/١٩٨) . (٣) العقد الفريد (٦/٤٣) .
(٤) النقائض (١٩٣) ، ابن الأثير (١/٣٩٤) . (٥) العمدة (٢/١٩٨) .

إلى الأصنام ، ثم يعودون الى منازلهم مع انتهاء الأيام الحرم خشية حلول الاشهر الأخرى فيتعرضون لطمع الطامعين وغزو الغازين .

ومع ما لهذه الأشهر من الحرمة ، فقد وقعت فيها حروب عرفت بحروب الفجار وبأيام الفجار[1] ؛ لأن من أشترك فيها كان قد فجر فيها بانتهاكه قدسية هذه الأشهر الحرم . ولكنها على ما يظهر من وصف الأخباريين لها ، لم تكن حروباً كبيرة واسعة ، إنما كانت مناوشات ومهاترات ، وقعت لأسباب تافهة بسيطة . ففي الفجار الأول ، لم يرق فيه دم ، وإنما كانت محاورات وخصومة كلامية بين كنانة وهوازن ، بسبب حادث بسيط لا يستوجب فى الواقع خصومة ولا اشتباكاً . فلما تبينت للطرفين تفاهة الحادث ، تراجعا دون أن يلتحما فى قتال[2] .

وفى الفجار الثاني حدث قتال ، ولكن لم يهرق فيه إلا دماء يسيرة . وكان سببه عبث شباب من قريش وكنانة بامرأة من بني عامر كانت وضيئة حُسَّانةً رأوها بسوق عُكاظ ، فأرادوا منها أن تكشف لهم عن برقعها ، فثارت ونادت « يا آل عامر » ، ونادى الشباب قومهم ، فالتحموا فى قتال لم يكن هذا الحادث ليوجبه ، ثم انتهى بتوسط حرب بن أمية ، باحتماله دماء القوم .

أما الفجار الثالث ، فكان بسبب دَيْن كان لرجل من بني جُشَم بن بكر بن هَوازن على رجل من كنانة ، فلّواه به ، ولم يعطه شيئاً منه . فلما أعياه ، وافاه فى سوق عكاظ بقرد ، وجعل ينادي : « مَنْ مثل هذا الرّبّاح بما لي على فلان بن فلان الكناني ؟ » . فلما أكثر من ندائه ، مرّ به رجل من بني كنانة ، فقتل القرد ، فهتف الجشمي : « يا آل هوازن » ، وهتف الكناني : « يا آل كنانة » ، وتجمع الحيّان حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهما قتلى ، ثم كفّوا وقالوا : « أفي ربّاح تريقون دماءكم وتقتلون أنفسكم ؟ » وأصلح عبد الله بن جُدْعانَ بينهما[3] .

---

(١) العقد الفريد (٦/١٠١ وما بعدها) .

(٢) العقد الفريد (٦/١٠١) ، الأغاني (٣/٣٦٨) ، ابن الأثير (١/٣٥٩) ، العمدة (٢/٢٠٧) ، أيام العرب (٣٢٢) .

(٣) العمدة (٢/٢٠٧) تجد عن هذه الأيام ، مختلف الروايات .

ووقع الفجار الآخر بسبب رجل خليع سكير فاسق ، أتعب قومه فخلعوه وتبرؤوا منه ، فخرج منهم ، وصار يتنقل من قبيلة الى قبيلة ومن سيد الى سيد يطلب الحماية والجوار . فلما لفظه الجميع ، وتعبوا منه ، ذهب إلى مكة مستجيراً بحرب بن أمية ، فحالفه ، وأحسن جواره . ثم شرب بمكة ، وعاد إلى سيرته الأولى ، فهمّ حرب بخلعه ، فخرج من مكة ، وذهب عنه الى الحيرة . فلما كان هناك ، عرض على النعمان بن المنذر أن يتولى له حماية لطيمته ، ويجيزها له على أهل الحجاز . وسمع بذلك عروة الرحّال ، وهو يومئذ رجل هوازن ، فاحتقر أمر هذا الخليع البرّاض بن قيس الكناني ، فقال للملك : أكاب خليع يجيزها لك ؟ أَبَيْت اللَّعْنَ ، أنا أجيزها لك على أهل الشّيح والقَيْصُوم في أهل نجد وتهامة . فدفعها النعمان اليه ، وخرج عروة بها ، والبراض بن قيس يتعقبه . فلما كان بأوارة غافله البرّاض ، فقتله ، واستاق اللطيمة الى خيبر . ولما بلغ خبر مقتل عروة كنانة وهوازن ، هاج الطرفان ، واشتبكا في قتال وقع بموضع نخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجنّ عليهم الليل فكفوا .

وجرّ عمل هذا الخليع إلى وقوع جملة أيام أخرى ، أدت الى اضطراب الأمن في مواسم أمن ما كان يحدث فيها قتال . فبعد عام من يوم نخلة ، تجمعت قريش وكنانة بأسرها والأحابيش ومن لحق بهم من بني أسد بن خزيمة ، لملاقاة سليم وهوازن ، ووزع عبد الله بن جُدْعان السلاح على الشجعان الفرسان المعروفين بالشجاعة والصبر ، واجتمعوا بموضع شمطة من عكاظ في الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول .

وترأس المتقاتلين المتواعدين سادات ذلك الوقت المعروفين . وعلى كنانة كلها حرب بن أميّة ، ومعه عبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة وهما على الميمنة والميسرة ، وعلى هوازن وسليم كلها مسعود بن معتب الثقفي . وفي بني عامر ملاعب الأسنة أبو برّاء ، وفي بني نصر وسعد وثقيف سبيع بن ربيع وفي بني جشم الصِّمَّة والد دُرَيْد وفي غَطَفان عوف بن أبي حارثة ، وفي بني سليم عباس بن زغل ، وفي فهم وعدوان كدام بن عمرو .

وكانت الدائرة في أول نهار المعركة لكنانة على هوازن ، حتى إذا كان آخر النهار تداعت

هوازن ، وصابرت ، وانقشعت كنانة ، فاستحر القتل فيهم ، فقتل منهم تحت رايتهم مئة رجل ، ولم يقتل من قريش يومئذ أحد يذكر . فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة (١) .

وقد وقع الفجار الثاني بعد الفيل بعشرين سنة ، وبعد موت عبد المطلب باثنتي عشرة سنة على رواية . ويعد من أيام العرب المشهورة ، وهو أشهر من يوم جبلة الذي وقع قبله فى بعض الروايات (٢) .

وعادت هوازن وكنانة الى الحرب ، والتقوا على قرن الحول فى اليوم الثالث من أيام عكاظ ، واقتتلوا ، وكانت الهزيمة على كنانة . وقد عرف هذا اليوم بيوم العبلاء (٣) .

وقد تأثرت كنانة من الهزيمة التي لحقتها فى يومي شمطة والعبلاء ، وأخذت تستعد للانتقام من هوازن ، فتكتل رؤساؤها ، واشتروا الأسلحة ، وحمل عبد الله بن جدعان مثري قريش وغنيها يومئذ ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير . وتولى قيادة كل بطن رئيسه ، ثم سارت على رأس الحول من اليوم الرابع من أيام عكاظ قاصدة هوازن ، فالتقت بها ، واشتبكت معها فى قتال كاد يهرب فيه بنو كنانة ، لولا صبر بني مخزوم وبلاؤها بلاء حسناً . فلما رأت ذلك بنو عبد مناة بن كنانة ، تذامروا ، فرجعوا ، وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه حتى انهزمت ، وانتصرت بذلك كنانة وقريش على بني هوازن .

وقد التقت كنانة وقريش بقيس فى يوم آخر يسمى يوم الحُريرة ، وكان على بني بكر بن عبد مناة جثامة بن قيس أخو بلعاء بن قيس وذلك لوفاة بلعاء . أما الرؤساء الآخرون ، فبقوا كما كانوا فى اليوم الماضي . وبعد قتال اتفقوا على الصلح وتسوية الديات ، وانصرف الناس من الحرب .

هذه أيام من أيام عديدة أخرى ترد أسماؤها فى كتب الأخبار والتواريخ ، نرى أن أسبابها فقر البادية ، وحاجة الناس إلى الماء والمرعى والاعتبارات الاجتماعية ، علقت فى أذهان الرواة ،

---

(١) العقد الفريد (٦/١٠٦ وما بعدها) ، ابن الأثير (١/٢٤٦ وما بعدها) .
(٢) ابن الأثير (١/٢٤٦) . (٣) العقد الفريد (٦/١٠٧) .

لأنها وقعت فى عهد لم يكن بعيداً جداً عن الاسلام . وقد وقعت بالطبع آلاف من هذه الأيام ، ضاعت أخبارها من ذاكرة حفظة الأخبار ورواتها ، لأنها وقعت في عهد بعيد عن الإسلام ، أو فى أمكنة بعيدة لم يصل مداها إلى علم جمّاع الأخبار فى الاسلام ، فلم يضبطوها فى جملة هذا الذي ضبطوه .

والذي نجده من قراءة أسماء الأيام المذكورة ومن أخبارها ، أن معظمها مما كان قد وقع في الحجاز أو فى نجد أو العراق والبادية وبلاد الشأم والبحرين . أما الأيام التي وقعت فى العربية الجنوبية ، فقلما نجد لها ذكراً عند الأخباريين ، خاصة أيام حضرموت وعمان ، مما يدل على عدم وصول أخبار هذه الأرضين إلى علم الأخباريين . والواقع أن علم أهل الأخبار والتأريخ بهذه البلاد ضعيف جداً ، حتى فى باب علمهم عنها فى الإسلام ، وهو أمر يؤسف عليه .

وتتخلل هذه الأيام أسماء الرجال المشهورين ممن كان لهم أثر خطير فيها ، وهم قادتها ومساعير نيرانها ومكونو تأريخ الجزيرة قبل الإسلام بالطبع . وشأن هؤلاء الرجال من حيث بعدهم وقربهم عن الإسلام ، شأن أيامهم ، فأكثرهم من أهل القرن السادس للميلاد ، وممن ماتوا فى عهد لم يكن بعيداً عن الاسلام ، أي في النصف الثاني من هذا القرن . لقد صنع القصاصون ومحبو المبالغات من رواة القبائل ، على عادتهم ، هالةً من الأقاصيص والأساطير لأولئك الرجال ، حملت بعض المستشرقين على الشك فى حقيقة بعضهم . ولكن وجود القصص الخرافى لايمنع من الاعتراف بوجود شخص كان قد عاش ومات ، وكان له أثر ظاهر فى قومه واعمال أثرت فى مواطنيه ، وجعلتهم يوسعونها ويكبرونها إلى أن صنعوها بقصصهم بهذا الشكل الذي وصل إلى الأخباريين ، بنقلهم الرجل من عالم الحقيقة الى عالم الخرافة والخيال .

لقد خلدت تلك الأيام أسماء رجال أثروا تأثيراً مهماً فى الحياة السياسية البدوية . لقد أنجز بعضهم أعمالاً لم تنجزها قبائلهم ، فتمكنوا من بسط نفوذهم على كثير من القبائل ومن جمعها تحت رئاسته بفضل زعامته وشخصيته . فهذا زهير بن جناب الكلبي تجتمع عليه قضاعة وتنضوي تحت لوائه ، ويفرض الاتاوة على قبائل أخرى من غير قضاعة ، ويحارب غَطَفانَ وبكراً

وتغلب وبني القين بن جسر ، وهي من القبائل الكبيرة المعدودة ، ثم ينتصر عليها [1] .

وهذا كليب وائل وهو من معاصري زهير بن جناب ومن المنافسين له ، ومن رجال النصف الأول من القرن السادس الميلاد ، يجمع شمل قبائل ربيعة — وهي قبائل متنافرة متخاصمة — تحت رايته ، ثم يجمع شمل مَعَدّ ويضمها كلها اليه ، فتكون له الرئاسة على كل قبائلها ، وهو بذلك أحد النفر الذين اجتمعت عليهم معدّ [2] .

وكليب ، واسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم بن تغلب [3] ، رجل قويّ تمكن بمواهبه وبقدرته من السيطرة على قبائل ليست السيطرة عليها بأمر سهل يسير ، ومن إقامة نفسه ملكاً عليها ، ومن أخذ الإتاوة من القبائل ، ومن الانتصار على قبائل اليمن في يوم خزاز ، ومن حماية المراعي والأرضين المخصبة ذات المياه الغزيرة ، فلا ترعى فيها إلا إبله وإبل من يسمح لأصحابها بالرعي في مناطق حِماه . وقد كان هذا التعسف في اختيار أحسن الأرضين ومنع القبائل المحتاجة من ارتيادها ، من جملة العوامل التي أدت إلى مقتله في تلك الحرب الشهيرة حرب البَسُوس [4] .

وأما الآخران من الثلاثة الذين اجتمعت معدّ عليهم ، فهما : عامر بن الظَّرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث ـ وهو عدوان بن قيس عيلان ـ ، وربيعة بن الحارث بن مرّة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب ، وكان قائد معدّ يوم السلان بين أهل اليمامة واليمن [5] .

أما عامر بن الظرب ، فكان من حكام العرب ، وهو من حكام قيس المذكورين [6] ، ومن قضاتهم بعكاظ . وانتقلت الحكومة من بعده الى تميم في هذه السوق [7] . وهو الذي قاوم زحف

---

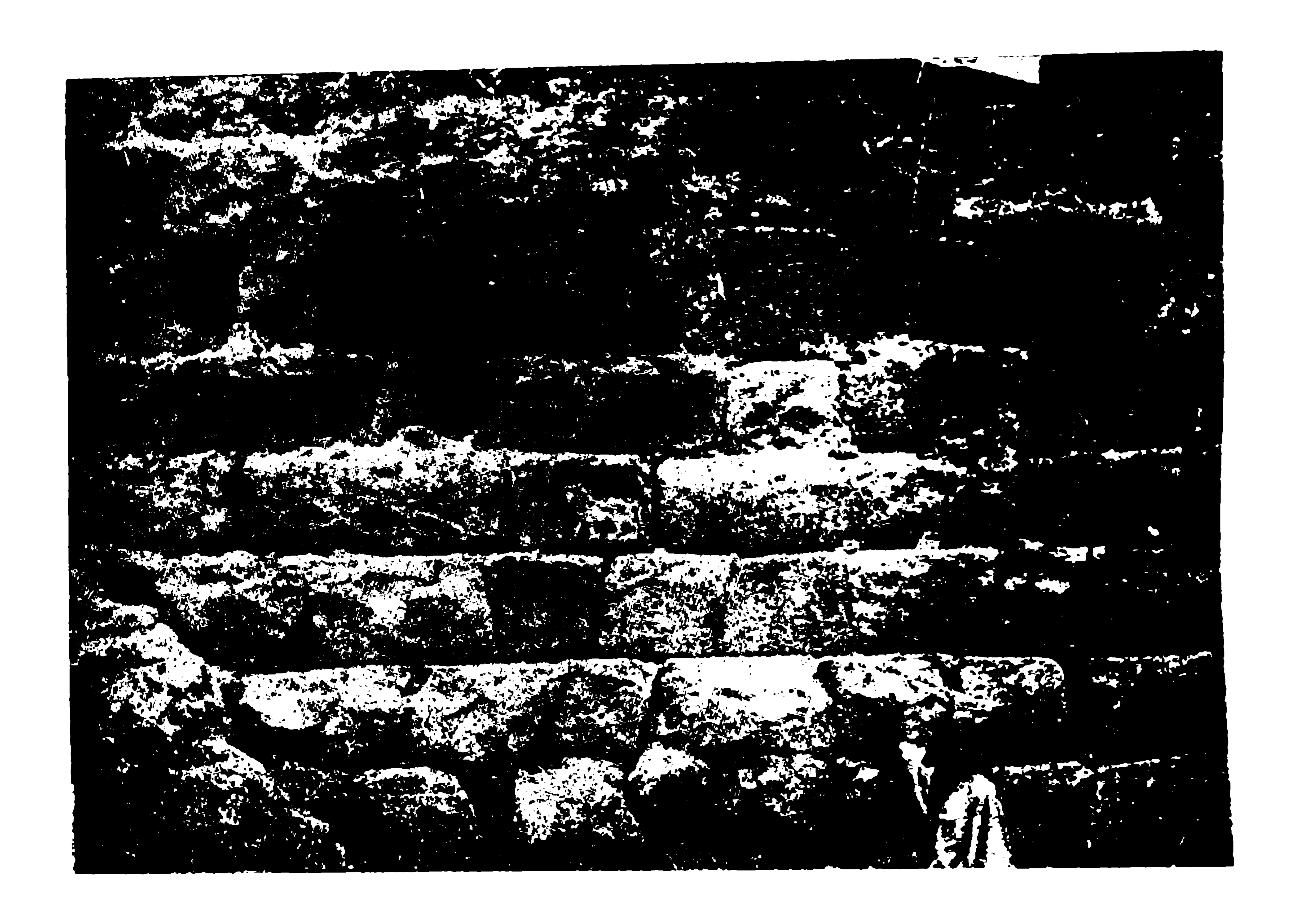
(١) ابن الأثير (٢٠٥/١ وما بعدها) ، الأغاني (٩٣/٢١ وما بعدها) ، المفضليات (١١٧) . Ency., IV, P. 1237 .

(٢) ابن الأثير (٢١٣/١) .

(٣) للأخباريين أقوال في سبب تسميته بكليب ، تراها في المصادر التي أشرت اليها وفي كتب الأدب . ابن الأثير (٢١٤/١) .

(٤) ابن الأثير (٢١٤/١ وما بعدها) ، العقد الفريد (راجع فصل أيام العرب) ، النقائض (٩٠٥ وما بعدها) ، الميداني (٢٥٤/١) خزانة الأدب (٣٠١/١ وما بعدها) ، Ency., II, P. 1112 .

(٥) ابن الأثير (٢١٤/١) . (٦) المحبر (١٣٥) . (٧) المحبر (١٨١) .



بقايا حصن الأخدود بنجران

من كتاب « الأمجاد العربية » لفلبي ، الصورة (٢٤)

مَذحِج فى يوم البيداء ، حين غادرت مواطنها فى اليمن تبتغي متسعاً من الأرض ، فجمع قبائل معد ، ومواطنها فى تهامة ، وحمل اللواء ، فكانت حرب تعد من أقدم حروب العدنانيين مع القحطانيين فى نظر الأخباريين (١).

ولمع في هذه الأيام اسم حذيفة بن بدر ، واسم حمل أخيه ، وكانا سيّدَيْ بني فَزارة . وقد عرف حُذيفة بـ « ربّ معدّ » (٢) ، وقاد قومه بني فَزارة فى عدة أيام ، هي : يوم النسار ، ويوم الجفار ، وحرب داحس حيث قتل فيها يوم الهباءة (٣).

وقد رأينا عدة رجال آخرين يتزعمون قومهم فى هذه الأيام ، مثل بسطام بن قيس رئيس بني شيبان ، وهو من مشاهير الفرسان ، وأحد الفرسان الثلاثة المعدودين ، وهم : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث ، وبسطام (٤) . وهو من الجرارين في ربيعة . والجرارون فى ربيعة هم : ربيعة ابن مرّة بن الحارث التغلبي الذي قاد مُضَرَ وربيعةَ وقُضاعةَ يوم السلاّن الى أهل اليمن ، وابنه كليب بن ربيعة وهو كليب وائل الذي قاد ربيعة ومضر وقضاعة فى يوم خزاز الى اليمن ، والهذيل بن هبيرة الثعلبي من ثعلبة بن بكر من تغلب بن قبيصة بن الحارث بن حبيب بن حُرفة ابن ثعلبة بن بكر ، والحَوْفزان وهو الحارث بن شريك بن عمرو بن قيس الشيباني ، وبسطام ابن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله ذي الجدّين ، والحارث بن وعلة الذُّهْلي ، وأبجر بن جابر العجلي ، وقيس بن حسّان بن عمرو بن مرثد أخو بني قيس بن ثعلبة ، وقتادة ابن مسلمة الحنفي ، وأثال بن حجر بن النعمان بن مسلمة الحنفي ، والهذيل بن عمران التغلبي (٥). كل هؤلاء كانوا يحكمون مالا يقل عن ألف رجل ، وكانوا سادة قومهم ، وقد وردت أسماء أكثرهم فى ثنايا أخبار الأيام .

وقد دونت الأيام أسماء جماعة من سادات تميم ، ممن ترأسوا قومهم . ولقبائل تميم كما ذكرتُ مكان فى هذه الأيام . ويظهر أنها كانت من القبائل البارزة في القرن السادس الميلاد . ومن

---

(١) ابن الأثير (١/٢١٤) ، المحبر (٢٤٦) .
(٢) العمدة (٢/١٩٣) « باب ذكر الوقائع والأيام » ، المحبر (ص ٤٦١) .
(٣) المحبر (٢٤٩) . (٤) الاشتقاق (٢١٥) . (٥) المحبر (٢٤٩ وما بعدها) .

هؤلاء : زرارة بن عدس من بني دارم . وقد قاد تميماً وغيرها في يوم شويحط الى عذرة بن سعد هذيم ، ولقيط بن زرارة وقد قاد تميماً كلها إلا بني سعد بن زيد مناة الى بني عامر بن صعصعة يوم جبلة ، والأقرع بن حابس وقد قاد حنظلة كلها يوم الكلاب الأول ، عدا أسماء آخرين تجدهم مذكورين فى أخبار الأيام .

وطبيعي أن يكون للفرسان وللفتاك وللشعراء المقام الأول بين أسماء الرجال الذين ترد أسماؤهم فى هذه الأيام . وإن لم يكونوا من بيوتات شهيرة معروفة ، لها في الرئاسة ذكر ومقام ، فأعمال المرء كافية لتخليد اسمه بين المشاهير . واذا كان للشاعر عمل التشجيع والحث على الإقدام ، وإلهاب نار الحماسة فى النفوس ، فإن للفارس والفاتك واجباً مهماً فى هذه الأيام ؛ فانهم يقررون فى الغالب مصير الحروب ، ولا سيما الفرسان الفتاك الذين يختارون كباش القوم ، فينقضون عليهم ويتمكنون بهم ، وبعملهم هذا تنتهي الحرب في الغالب بهزيمة تحل في الجبهة التى تتضعضع بسقوط الرئيس . والغالب أن يكون الفارس والفاتك شاعراً ، يقول الشعر حين يقصد غريمه ، ولا يشترط بالطبع أن يكون الفارس والفاتك من الشعراء المتفرغين للشعر وحده . واذا كان الفارس ممتطياً صهوة جواده ، محتمياً بالأسلحة التى تقيه من سلاح خصمه وبسلاح يستعمله فى الهجوم على خصمه ، فإن الفاتك لا يحتاج الى ظهر جواد ، إنما جواده رجله . وعلى سرعة رجله وقدرة فطنته وحدة ذكائه فى ايهام الفريسة وخداعها ، يتوقف نجاح الفاتك .

وإذ كان للخيل أثر فى حروب تلك الأيام ، فى الهجوم والدفاع وفى الكر والفر ، فان القبيلة التى كانت تملك فرساناً وعدداً وافراً من الخيل ، هي القبيلة المنتصرة الرابحة التى يخشى بأسها ، فلا يطمع فيها الطامعون ، ولا يهاجمها مهاجم بسهولة ، ولها يكون الفخر على القبائل بكثرة ما لديها من خيل ومن فرسان . وهي لقوتها هذه لم تكن تعتمد على غيرها فى الحروب والغزو ، إلا إذا قابلت بالطبع قوة كبيرة من القبائل لا يمكن التغلب عليها إلا بالتعاون مع القبائل الأخرى ، فعندئذ تضطر الى البحث عن حليف .

الفصل الثامن

مجمل الحالة السياسية

استعرضنا فى الفصول المتقدمة من هذا الكتاب حالة العرب السياسية قبل الإسلام ، على قدر ما أدّى اليه بحثنا ، وساعفتنا عليه الموارد . أما فى هذا الفصل وهو خاتمة فصول القسم السياسي ، فنستعرض حالة العرب السياسية فى القرن السادس للميلاد بوجه عام .

والقرن السادس للميلاد ، فترة من الفترات المهمة فى تأريخ البشرية ، فيه ظهرت أمارات الشيخوخة على الانبراطورية الساسانية التي شيّدها « أردشير الأول » على أثر الثورة التي اندلعت فى عام ٢٢٦ م ، ثم لم تلبث أن انهارت فى القرن السابع للميلاد بسرعة عجيبة ، وبأيد لم يحسب لوجودها حساب ، ومن مكان لم يكن له قبل ظهور الإسلام أثر ما فعّال فى السياسة العملية . وفى هذا القرن أيضاً برزت الأمراض العديدة التي ألمّت بالقيصرية ، والأملاك التي كانت خاضعة لها ، وهي أمراض لم تنج منها إلا ببتر بعض أطرافها فى القرن التالي له ، فخرجت من ردهة العمليات تئنّ من فاجعة الألم الذي حلّ بها ، ومن هول ما أصيبت به بذلك البتر .

وفى النصف الثاني من هذا القرن وُلِدَ الرسول ، وبميلاد الإسلام ظهر حدث تأريخي خطير للبشرية في النصف الأول من القرن السابع للميلاد ، يكفي أن أثره قائم حتى الآن ، وأنه سيقوم الى ما شاء الله ، وأنه أوجد مفاهيم خلقية جديدة للبشرية ، وأنه بشر برسالة قائمة على أن الدين لله ، وأن الناس أمامه سواء ، لافرق بين فرد وآخر وجنس وجنس ، ولا تمييز للون على آخر ، ثم لم يلبث أن انتشر بسرعة عجيبة لم ينتشر بمثلها دين من الأديان ، فقضى على إحدى

الانبراطوريتين العظيمتين فى عالم ذلك العهد ، واستأصل الأعضاء الثمينة من الإنبراطورية الأخرى ، وأوجد من أشتات سكان جزيرة العرب أمة ، ومن قبائلها المتنازعة حكومة ذات سلطان ، وفاض على سداد الجزيرة ، وسقى ما وراءها من أرضين ، ثم وحد بين أقوام عديدين وجمعهم فى صعيد دين الله .

وقد ابتلى هذا القرن والنصف الأول من القرن التالي له بأوبئة وبآفات وبمجاعات ، زادت فى مشكلاته الكثيرة التي ورثها من القرون السابقة له ، ففيه انتشرت أوبئة ابتلعت بضع مئات من البشر فى كل يوم من أيام انتشارها ، كانت كالعواصف تنتقل من مكان الى مكان مكتسحةً من تجده أمامها من مساكين ، وتعود بين الحين والحين لتبتلع ما يسد حاجتها من البشر والحيوانات . وفيه مني العالم بزلازل وبنقص كبير فى الغلات أوجد قحطاً ومجاعة وفقراً في كثير من الأقطار ، حتى اضطر كثير من الناس الى هجر الأماكن المنكوبة والارتحال عنها الى أماكن أخرى فيها النجاة والسلامة .

ولا ريب أن ظروفاً هذه حالتها ، لا بد أن تتولد منها مشكلات اجتماعية وسياسية واقتصادية للحكومات وللرعية ، فاختل الأمن خاصة فى المناطق الواقعة تحت أقدام الجيوش ، فيوماً تكتسحها جيوش الفرس فتهدم كل ما تجده أمامها من قرى ومدن ، ويوماً تغزوها جيوش الروم فتستولي على ما تجده أمامها من حاصلات زراعية ومن أموال ، وفى ظروف هذه شأنها لا بد أن يجد الخارجون على النظام والطامعون فى الربح السهل الحرام فرصاً مواتية لا يفرط فيها للكسب والظفر بما يرغبون فيه ، فتأثرت بذلك حالة سكان هذه الأرضين ، كما تعرضت التجارة للأخطار ، واضطر التجار الى سلوك طرق نائية ليكونوا بمأمن من شر قطاع الطرق وفسادهم ، وترك أكثر الناس مزارعهم وقراهم فراراً من هذا الوضع الى المدن الكبيرة البعيدة عن مواطن الغزو والأخطار ، فتحولت خيرة الأرضين الخصبة الى أرضين مجدبة ، نتيجة لهذه الهجرة ، ولتراكم الأتربة فى شبكات الري . ولكن هذا القرن لم يعدم مع ذلك حكاماً حاولوا جهد إمكانهم اصلاح الخطأ ، وأناساً كان لهم حس وشعور بما وصلت اليه الحالة ، فنادوا بالإصلاح .

ولكن صيحاتهم لم تكن ذات أثر خطير في قوم قلقين حائرين ، ليس في أيديهم زمام أمورهم ، وقد اعتراهم ذهول جعلهم لا يعرفون كيف يتصرفون . ثم إن الحمل كان ثقيلا ، والأخطاء كثيرة ، والأمراض عديدة لا يقومها طبيب واحد أو أطباء معدودون .

لقد عزم كسرى الأول ٥٣١ ـ ٥٧٩ م المعروف بكسرى أنوشروان ، على إصلاح الحال في مملكته ، فأمر بوضع دستور جديد للجباية يخفف عن كاهل الدافعين بعض الثقل ، وأمر بإصلاح الأرض وتوزيعها على شعبه بالعدل وبالانصاف بين الناس حتى عرف لذلك بالعادل ، واستعان بمستشارين حكماء كانوا يعظونه ويرشدونه بطريقة الحِكَم والأمثال والعظات الى كيفية سياسة الرعية وتدبير أمورها ، كما ولى النواحي الروحية عنايته كذلك فأعاد الزردشتية القديمة ، وقاوم الحركة المزدكية التي قام بها « مزدك » في عهد والده « قباذ الأول » ٤٨٨ ـ ٥٣١ م[1] ، وهي حركة تدعو الى إلغاء الملكية ، والى الإباحية ، والى القضاء على امتيازات النبلاء ورجال الدين على ما تقوله الموارد التأريخية العربية المستندة الى موارد « فهلوية » ، شجعها « قباذ » لما وجد فيها من مبادىء توافق سياسته الرامية الى مقاومة تلك الطبقات المتنفذة التي عارضت في انتقال العرش اليه ، والتي اجتمعت كلمتها برئاسة « موبذان موبذ » والعظماء على إنزاله من عرشه ، لِما بدا لهم من ازوراره عنهم ، وانحرافه عن الزردشتية الى تعاليم مزدك المناهضة للموابذة ولعظماء المملكة الذين كانوا يتمتعون في المملكة بنفوذ واسع حد من سلطان « شاهنشاه » .

ورسالة مزدك وتعاليمه ، غامضة ، لا نعلم من حقيقتها شيئاً ، فقد أبيدت كتبهم[2] وطمست معالم دينهم في عهد « أنوشروان » ، ولم يبق منها الا هذه النتف المدونة في الكتب العربية المترجمة عن موارد « فهلوية » دونت في أيام محنة المزدكية وبعدها . ويظهر من هذه النتف أنها حركة دينية اجتماعية سياسية تدعو الى توزيع الثروات بين الناس بالتساوي ، والى انتزاع

---

(١) Ency . IV . P . 178.

(٢) راجع مادة « Mazdak » في دائرة المعارف الاسلامية .

الأموال والأرضين من الأغنياء لاعطائها للمقلّين ، حتى من كان عنده جملة نساء تؤخذ منه لتعطى لغيره من المحتاجين ، فهي على هذا التعريف فكرة اشتراكية متطرفة عارضت النظم الاجتماعية القائمة ، وهددت الدين القائم ، وجرأت العامّة على تلك الطبقات ، كان الملك فى حاجة اليها للانتقام ممن عارضه فأيدها(١) .

وحمل عدل الملك الساساني وحلمه وتسامحه مع رعيته ومساعدته للخارجين على الكنيسة الرومية الرسمية (من الفلاسفة والمثقفين بالثقافة الإغريقية القديمة ممن كانوا هدفاً لهجمات الكنيسة « الأرثودكسية » فى الانبراطورية البيزنطية) على الهجرة الى الانبراطورية الساسانية ، طامعين فى عدل الملك وحمايته ، وفى بيأة تكون فيها الحرية الفكرية مكفولة مضمونة ، لا ضغط فيها ولا إكراه . ولكنهم ما لبثوا أن وجدوا أن الزردشتية التي نصرها وأيدها « كسرى أنوشروان » ، وهي ديانة المملكة غير ملائمة للفلسفة ، وأنها ليست أرحب صدراً من « الأرثودكسية » ، وأنهم لم يكونوا على صواب بمجيئهم الى هذه الأرض ، فرجوا من « ملك الملوك » الترفق بهم ، بالسماح لهم بالعودة الى بلادهم . فلما كانت الهدنة ، طلب « كسرى » من قيصر فى سنة ٥٤٩ م إباحة العودة الى ديارهم والتلطف بهم ، والعفو عما بدر منهم من الذهاب الى مملكته(٢) .

وكان مما فعله « كسرى أنوشروان » أن هاجم الانبراطورية البيزنطية وقيصرها فى عهده « يوسطنيان » ٥٢٧ — ٥٦٥ م ، واشتبك معها فى جملة حروب ، ووسع حدوده فى الشرق ، وساعد الأحزاب المعارضة للروم ، وأرسل حملة الى اليمن بناء على طلب الأمراء المعارضين لحكم الحبشة عليها ، ساعدتهم فى وضع خطة لإزاحة الحبش عنها(٣) . والحبش هم حلفاء البيزنطيين

---

(١) الطبري (٢/٨٧ وما بعدها) ، Noldeke , Geschichte der Perser und der Araber Zur Zeit der Sasaniden , Lyden 1879 , S. 455. ff. A. Christensen , Le Regne du roi Kawadh I et le Communisme Mazdakite , in der kgl. Danske Viedenskabernes Selskab , Hist.-filol Meddelelser , ix. 6 , Copenhagen , 1925.

(٢) H. G. Wells , The Outline of History , P. 564.

(٣) الطبري (٢/٩٣ وما بعدها) .

واخوانهم في الدين ، وهم الذين حثوا النجاشي على فتح اليمن بعد أن أيسوا من الاستيلاء عليها ومن الاستيلاء على الحجاز وبقية جزيرة العرب .

واتبع « كسرى الثاني » ٥٩٠ — ٦٢٨ م المعروف بـ « كسرى أبرويز » ، وهو ابن « هرمز بن كسرى أنوشروان » ، خطوات جدّه وأسـلافه الملوك الماضين في الحرب مع البيزنطيين ، فبلغ « خلقيدونية » ثلاث مرّات ، وخلقيدونية في الجهة الآسيوية المقابلة للقسطنطينية ، واستولى على بلاد الشأم ، ودخلت جيوشه القدس في سنة ٦١٤ م . ثم استولى على مصر في سنة ٦١٩ م ، ودوخ بفتوحاته الروم الى أن عاجله ابنه بخلعه ، فاستراح الروم منه ، ثم لم يلبثوا أن استردّوا من الفرس أكثر ما أخذوه منهم في تلك الحروب .

ولم تكن مشكلات الروم أقل خطورة أو عدداً من مشكلات الساسانيين . لقد تمكنت النصرانية ، بعد عنت واضطهاد ومقاومة ، أن تكون ديانة رسمية للحكومة والشعب . وكان المأمول أن تتوحد بذلك صفوف الأمة ، غير أن التصدع الذي أصاب هذه الديانة لم يحقق لها ذلك الأمل ، فتدخلت المذهبية في السياسة ، وتدخلت السياسة في المذهبيات . وتولدت من هذا التدخل مقاومة رسمية من الحكومة للمذاهب المعارضة ، واضطهاد لكل من يعارض مذهب القيصر . وظهرت كنيسة شرقية وكنيسة غربية ، وتجزأ النصارى الشرقيون الى شيع وفرق عُدَّ بعضها خارجاً على تعاليم الحق والإيمان ، هي في نظر « الارثودكسية » مذاهب إلحادية باطلة ، فعوملت كما عاملت وثنية روما النصرانية حين ظهورها ، فحوربت بغير هوادة واضطر الكثير من المخالفين الى التكتم أو الهرب الى مواضع ليس للبيزنطيين عليها سلطان .

وانقسام الانبراطورية الى حكومتين حكومة روما وحكومة القسطنطينية ، ثم مهاجمة الملوك والأقوام الساكنة في أوربة لهاتين الحكومتين ، من الشمال والغرب ، والحروب المتوالية التي شنها الفرس على الانبراطورية البيزنطية : كل هذه أنتجت مشكلات خطيرة للعالم الغربي عامةً ، وللروم خاصة . وقد كان إزعاج الروم واقلاقهم ، مما يفيد بالطبع منافسيهم الفرس ويسرهم ، فكانوا يشجعون الثائرين ويتحالفون معهم لأن في ذلك قوة لهم ، كما كان الروم أنفسهم

يشجعون الأحزاب المعارضة للفرس ويحرضونها على الثورة على الساسانيين والتمرد عليهم ، وعلى مهاجمة حدودهم نكاية بأعدائهم وللانتقام منهم حتى صارت الحروب بين الانبراطوريتين تقليداً موروثاً ، لا يتركها أحد الطرفين إلا اضطراراً ، ولا تعقد هدنة بينهما إلا بدفع جزية تكون مقبولة لدى الطرف الغالب تغنيه عن المكاسب التي يتأملها من وراء الحرب . يدفعها المغلوب صاغراً بسبب الأحوال الحرجة التي هو فيها ، آملاً تحسّن الموقف للانتقام من الخصم . فتأريخ الساسانيين والروم ، هو تأريخ هدن وحروب عادت على بلاد الطرفين بأفدح الأضرار .

لقد وجد « كسرى أنوشروان » فى انشغال « يوسطنيان » بالحروب فى الجهات الغربية فرصةً مواتيةً للتوسع فى المناطق الشرقية من الانبراطورية البيزنطيـــة ، فتحلل من « المدنة الأبدية » التي كانت قد عقدت بين الفرس والروم ، وهاجم الانبراطورية منتحلاً أعذاراً واهية ، واشترك فى قتال دموي مُرّ بجيوش الروم . ولم يفلح مجيء القائد « بليزاريوس Belisarius » من الجبهات الايطالية لإيقاف تقدم الفرس ، فسقطت مدن الشأم ، وبلغت الفرس سواحل البحر المتوسط ، وبعد مفاوضات ومساومات طويلة تمكن الروم من شراء هدنة من الفرس أمدهـا خمس ســنوات بشروط صعبة عسيرة ، وبدفع أموال كثيرة . ثم مددت هذه الهدنة على أثر مفاوضات شاقة مع الفرس خمسين عاماً حيث عقد الصلح فى ســنة ٥٦١ أو « ٥٦٢ » م ، تعهد الروم لـ « كسرى » بدفع إتاوة ســنوية عالية ، وتعهد الفرس فى مقابل ذلك بعدم اضطهاد النصارى ، وبالسماح للروم فى الاتجار فى مملكتهم على شرط معاملة الروم لرعايا الفرس المعاملة التي يتلقاها تجار الروم في أرض الساسانيين (١) .

و « يوسطنيان » معاصر « كسرى أنوشروان » شخصية فذة مثل شخصية معاصره ، ذو آراء فى السياسة وفى الملك ، من رأيه أن الملك يجب أن يكون دليلاً وقدوة ونبراساً للناس ، وأنه لا يكون عظيماً شهيراً لحروبه ولكثرة ما يملكه من سلاح وجند ، إنما يكون عظيماً بقوته

---

(١) A. A. Vasiliev , History of the Byzantine Empire 1952. , p.p. 138 , وسيكون رمزه : Vasiliev , K. Guterbock , Byzantz und Persien in ihren diplomatisch - Volkerrechtlichen Beziehungen in Zeitalter Justinians , S. 57 - 105 f. , Bury , Later Roman Empire , II pp. 120.

نص أبرهة

(١)

نص أبرهة

(٢)

نص أبرهة

(٣)

نص أبرهة

(٤)

وبقدرته وبالقوانين التي يسنها لشعبه للسير عليها ، تنظيماً للحياة . فالملك في نظره قائد في الحروب ومرشد في السلم ، حام للقوانين ، منتصر على أعدائه . وكان من رأيه أن الله قد جعل الأباطرة ولاته على الأرض ، وأدلة للناس ، قوامين على الشريعة . ولذلك فإن من واجب كل انبراطور أن يقوم بأداء ما فرضه الله عليه بسن القوانين وتشريع الشرائع ، ليسير الناس عليها . ولما كانت القوانين التي سارت عليها الانبراطورية الرومانية كثيرة جداً ، حتى صعب جمعها وحفظها ، تطرق اليها الخلل ، وتناقضت الأحكام . ولذلك رأى أن من واجبه جمعها وتنسيقها وتهذيبها واصدارها في هيأة دستور انبراطوري يسير عليه قضاة الانبراطورية في تنفيذ الأحكام بين الناس ، وعهد بهذا العمل الشاق الى « تريبونيان Tribonian »[1] من المشرعين المعروفين في أيامه . فجمع هذا المشرع البارع القوانين في مدونات ، ورتبها في كتب وأبواب ، وصان بتدوينه هذا بعض القوانين البيزنطية والرومانية من الضياع ، وأورث المشرعين ذخيرة ثمينة من ذخائر البشرية في التشريع .

ويعد هذا العمل من الأعمال العظيمة في تأريخ التشريع ، ولم يكن « يوسطنيان » أول من فكر في جمع القوانين السابقة في مدونة ، ولكنه كان أول من أقدم على تنسيقها وجمع ما تشتت منها وتيسيرها المشرعين ، وقد وحد بذلك قوانين الانبراطورية ، فعد صنيعه هذا إصلاحاً كبيراً يدل على شعور الملك وتقديره للعدالة في مملكته . وقد أدخل معاصره « كسرى أنو شروان » اصلاحات على قوانين الجباية ، فعُدَّ القرن السادس من القرون المهمة في تأريخ التشريع . ولكن الذي يؤسفنا أننا لا نملك موارد تفصل اصلاحات « كسرى » ، وهل هي نتيجة شعور بضرورة ملحة وحاجة ، أو هي صدى للعمل الذي قام به « يوسطنيان » ، ثم أيّ مدى بلغته تلك الاصلاحات ؟

وفكرة اخضاع الانبراطورية لقانون واحد تابعة لأصل عام كان يدين به يوسطنيان ، يتلخص في دولة واحدة وقانون واحد وكنيسة واحدة . كان يوسطنيان يرى أن الدولة المنظمة

---

(1) Vasiliev . pp. 142.

هي الدولة التي يخضع فيها كل أحد لأوامر القيصر ، وأن الكنيسة إنما هي سلاح ماض بيمين الحكومة في تحقيق أهدافها ، لذلك سعى لجعلها تحت نفوذ الحكومة وفي خدمة أغراضها ، فتقرب الى رجال الدين ، وساعد على إنشاء كنائس جديدة ، واستدعى الى عاصمته رؤساء الكنيسة « المنوفيزيته Monophysites » القائلين بالطبيعة الواحدة واليعاقبة وأتباع « آريوس Ariaus » وغيرهم من المعارضين لمباحثتهم ولعقد مناظرات بينهم وبين الكنيسة الرسمية للتقريب فيما بينهم وايجاد نوع من الاتفاق يخدم أهداف الملك المذكور . ولكن هذه المحاولة لم تنجح ، ومحاولات التوفيق لم تثمر ، ولتحقيق نظريته في الكنيسة الواحدة اضطهد أصحاب المذاهب المعارضة وكذلك اليهود . واضطر بعضهم الى ترك الانبراطورية والهجرة الى مملكة الساسانيين والى المحلات التي ليس للحكومة عليها سلطان(١) .

وكانت لدى الروم مثل هذه المشكلة التي كانت عند الفرس : مشكلة تهرب كبار الملاكين والمتنفذين من دفع الضرائب ، وزيادة نفوذهم وسلطانهم في الدولة . فعزم « يوسطنيان » على الحد من سلطانهم ، والتشديد في استيفاء الضرائب لمعالجة الوضع الحربي الناتج من قلة المال اللازم للانفاق على جيش كبير ، مما اضطر الحكومة الى تقليص عدد الجنود . فأصدر أوامر عديدة بالتشديد في جمع الضرائب ، وباجراء الاصلاحات في الادارة ، غير أن اصلاحاته هذه لم تنفذ ، إذ لم يكن في مقدور الحكومة تنفيذها لعدم وجود قوة لديها تمكنها من الحد من نفوذ المتنفذين ورجال أكفاء أقوياء يقومون بالتنفيذ .

واهتم « يوسطنيان » بأمر التجارة ، والتجارة مورد رزق للدولة كبير ، ولا سيما مع الأقطار الشرقية ، فقد كانت بضائعها مرغوباً فيها في أوربة ومطلوبة ، تجني الحكومة منها أرباحاً كثيرة ، وفي مطلع قائمة هذه البضائع النفيسة الأموال التي ترد الى الانبراطورية من الصين والهند ، فقد كانت تلاقي إقبالاً كبيراً من أثرياء الانبراطورية ومن أثرياء انبراطورية روما الغربية وبقية أنحاء أوربة .

---

(١) Vasilicv, PP. 150. knecht, Die Religions Politik Kaiser Justinians, S. 36.

وأسعار هـذه المواد عالية باهظة الى درجة كبيرة صارت مشكلة من مشكلات الدولة البيزنطية ، ولهذا كانت تتصل دائماً بالانبراطورية الساسانية لمحاولة الاتفاق على تحديد الأسعار ، وتعيين مقدار الضرائب ، ذلك بسبب ورود أكثرها من هذه الانبراطورية ؛ اذ كان التجار يأتون بالأموال من أسواق الصين تنقلها القوافل التي تجتاز أرض الدولة الساسانية لتسلمها الى حدود الانبراطورية البيزنطية ، ومنها الى العاصمة لتوزع فى الأسواق الأوربية .

هـذا طريق . وهناك طريق آخر هو طريق البحر . يحمل تجار الصين أموالهم على سفن توصلها الى جزيرة « تبروبانة Taprobane » وهي جزيرة سيلان ، ثم تفرغ هناك ، فتحمل فى سفن تنقلها الى خليج البصرة ، ثم تحمل فى سـفن أخرى تمخر فى دجلة والفرات الى حدود الروم .

ولما كانت علاقات الروم بالساسانيين غير مستقرة ، والحروب بين الانبراطوريتين متوالية ، صارت هذه التجارة معرضة للتوقف والانقطاع طوال أيام الحروب ، وهي كثيرة فترتفع أسعارها هناك ، كما أن الساسانيين كانوا يزيدون فى أسعار البيع وفى ضريبة المرور ، فتزيد هذه فى سعر التكليف ، ولهذا فكر « يوسطنيان » فى التحرر من تحكم الساسانيين فى مورد مهم من موارد رزقهم ، وذلك باستيراد بضائع الصين والهند عن طريق البحر الأحمر ، وهو بعيد عن رقابة الساسانيين[1] .

والخطة التي اختطها « يوسطنيان » لتحرير التجارة البيزنطية من سيطرة الساسانيين عليها ، هي الاتصال بالأسواق الرئيسة المصدرة ، ونقل المشتريات الى الانبراطورية بالبحر الأحمر الذي كان يسيطر الروم على أعاليه . لقد كان ميناء « أيلة Ayla » فى أيدي البيزنطيين ، وكان هذا الميناء موضعاً لتفريغ السـفن الموسقة بالبضائع المرسلة من الهند الى فلسطين وبلاد الشام ، كما كان ميناء « القلزم Clysma » فى أيديهم كذلك ، تقصده السفن التي تريد إرسال حمولتها الى

(١) Vasiliev , P. 163 , Bulletin of the School of oriental and African Studies,university of , London , Vol. , XVI , Part 3 . 1954 , P. 425 . Bulletin : وسيكون رمزها

موانىء البحر المتوسط . أما جزيرة « ايوتابة Iotabe » وهي جزيرة « تاران » « تيران » ، فقد كانت مركزاً مهماً لجباية الضرائب من السفن القادمة من الهند ، وكانت في أيدي بعض رؤساء القبائل ، فأمر « يوسطنيان » باقامة موظفي الجباية البيزنطيين بها ، ليقوموا بالجباية(١). وأما ما بعد هذه المنطقة حتى مضيق المندب والمحيط الهندي فلم يكن للبيزنطيين عليه نفوذ .

وأثمن بضاعة في قائمة البضائع الواردة من الصين مادة الحرير ، ولثمن الحرير الباهض حرص الصينيون على ألا يسمحوا لأي غريب كان أن ينقل معه البيض أو الديدان التي تتولد منه الى الخارج خشية المزاحمة والمنافسة التي تلحق بهم أفدح الأضرار . وتلي هذه المادة البضائع النفيسة الأخرى مثل العطور والقطن الوارد من الهند والتوابل وأمثالها من المواد التي كان يعجب بها أصحاب الذوق في ذلك الزمن . كل هذه يشتريها تجار الروم ، وبعد أن تأخذ الدولة البيزنطية الضرائب المفروضة ، تسمح للتجار بالتصرف فيها وبيعها على بقية الأوربيين .

وقد تدخل « يوسطنيان » مراراً لتخفيض أسعار الحرير ، اذ كان ما يدفعه الروم للفرس شيئاً كثيراً من العملة الذهب ساعدتهم في تقوية جيشهم . ولهذا فقد فرض على تجار الحرير قيوداً كثيرة ، وحدد عليهم أسعار الاستيرات ، مما سبب إلحاق خسارة كثير بهم ، ثم صار الاشراف على بيع الحرير وصنعه احتكاراً للحكومة للحصول على الربح الوافر .

ولمرور التجارة البيزنطية بحرية تامة ، ولتمكن التجار من الوصول الى الهند ، كان لا بد من وجود قوة يعتمد عليها لحماية التجار والقوافل . وقد وجد الروم أن في الحبشة بعض الأمل في تحقيق المشروع . ويظهر أن « يوسطنيان » لم ير انبراطوريته تستطيع القيام بهذا العمل بنفسها ، لصعوبة اعداد أسطول قوي يتولى أداء هذه المهمة ، فاتصل بنجاشي الحبشة ، وتودد اليه باسم الدين الذي يربط بينهما ، وأرسل اليه والى الحاكم على اليمن يومئذ رسولا اسمه « يوليانوس Julianus » تمهيداً لهذا المشروع ، وذلك بقيام الحبشة نفسها بالوساطة في شراء

---

(١) W. Heyd, Histoire du Commerce du Levant au moyen age, I, 10, 1885, (1935 2. ed), Vasiliev, P. 167.

الحرير من جزيرة « سيلان » ، وبيعه الى الرومان . وبذلك يتفادى الروم انقطاع هذه المادة فى أثناء الحروب مع الساسانيين ، وارتفاع الأسعار وذهاب أموالهم الى خزينه أعدائهم الفرس . فكان ما كان من مفاوضات مع الحبشة والحاكم على اليمن من لدن الأحباش .

وقد خاب ظن « يوسطنيان » في الحبشة ، فلم يتمكن الحبش من منافسة الفرس فى جزيرة سيلان ولا فى الموانىء الهندية التي كانت تتجر بهذه البضائع الثمينة . وبقيت تجارة الحرير احتكاراً للسفن التي تحملها الى خليج فارس ، ومنه الى الروم ، وظل الفرس يتحكمون فى الأسعار ، لعدم وجود منافس قوىّ ينافسهم فى التصدير . غير أن الحظ ساعد « يوسطنيان » من ناحية أخرى ، ساعده فى الحصول على الحرير من أصقاع انبراطوريته ، وذلك بطريقة سرية يظهر أنها كانت مدبرة محكمة التدبير دبرتها دائرة استخباراته . فقد تمكن رجل جازف بحياته ، أو رجال مجهولون لعلهم بعض الرهبان الذين كانوا يقومون بالتجسس لخدمة انبراطوريتهم وبنشر الدين لخدمة كنيستهم ، أو خائن من رعية الساسانية كان طامعاً فى المال أو ميالا الى الروم ، أو أناس آخرون ، من الحصول على المادة السرية جداً التي لا يجوز اخراجها خارج أسوار الصين فجاء بها الى الانبراطورية . واذا بالحرير يظهر فى الصين ، واذا بأشجار التوت تغذي ديدان القز ، وإذا بالمعامل تقوم لصنع الحرير . وهكذا حصل الروم فى عهد « يوسطنيان » على هذا السر الدفين : سرّ الحصول على الحرير ، وعلى الثروة والمال . وقد أصيب الفرس بظهور الحرير فى بلاد الروم بخسارة كبيرة ولا ريب .

وصارت صناعة الحرير احتكاراً للحكومة ، وقد عاد هذا الاحتكار عليها بأرباح طائلة ساعدت ميزانية « يوسطنيان » التي كانت فى وضع مالي حرج بعض المساعدة . وحملت المنسوجات الحريرية الى مختلف أنحاء أوربة ، واقتناها الأغنياء ، ووجدت لها مكانا رحباً فى قصور الملوك خاصة . وأحدثت هذه الصناعة الجديدة تغيراً فى اقتصاديات عهد « يوسطنيان » . ولما زار أحد السفراء الأتراك القيصر « يوسطين Justin II » الثاني ، وجد صناعة الحرير فى أعلى درجة من

الانتاج (١) .

وأخذ « يوسطنيان » على نفسه مهمة تحصين حدود الإنبراطورية وتقويتها ، لتتمكن من مقاومة هجمات الأعداء . وتشاهد بقايا القلاع « Castella » قائمة على الفرات وفي افريقية وعلى نهر « الدانوب » وفى جبال أرمينية حتى الآن . وهي قلاع ضخمة تنوّه بعمل بانيها ، نفعت نفعاً كبيراً فيما أنشئت له . ولم يقم هذا القيصر ببناء القلاع حسب ، بل قام بأبنية أخرى مثل بناء « ايا صوفيا » فى الآستانة وكنائس أخرى تُعَدُّ من خير ما أبدعه العقل البيزنطي فى فن البناء (٢) .

وقد أدى هذا النزاع المستمر بين الروم والفرس الى انقسام العالم فى ذلك العهد الى معسكرين : معسكر شرقي هو معسكر الساسانيين ومَنْ تبعهم من أقوام ، ومعسكر غربي هو معسكر البيزنطيين ومن انضم اليهم من ناس . وكان كل معسكر يسعى جاهداً لتقوية صفوفه ، وضم أكثر ما يمكن الحصول عليه من أقوام ، بمختلف طرق الدعاية وأساليب التأثير . وقد كانت جزيرة العرب ذات الموقع المهمّ بالطبع من أهم المواضع التي عمل المعسكران على بسط نفوذهما عليها ، فوضع كل منهما مشروعاً لعقد حلف مع أمرائها ورؤساء قبائلها وضمها اليه ، ومساعدتها فى مهاجمة المعسكر المعادي .

وقد كان الغساسنة ، بحكم اتصال أرضهم بأرض الروم ونصرانيتهم ، حلفاء للبيزنطيين ، وكذلك كان شأن القبائل العربية النازلة فى فلسطين وفي أعالي الحجاز . وسعى البيزنطيون لجر عرب الحيرة اليهم ، فمنّوهم بالهدايا وبالعطايا السنية ، وأرسلوا اليهم جملة وفود للتودد الى الملوك ، غير أنهم لم يتمكنوا من التأثير فيهم ومن استمالتهم الى جانبهم . ومن أسباب عدم نجاح الروم فى ذلك اتصال أرض ملوك الحيرة بالأرضين الخاضعة للفرس ، والمنافسة التي كانت بينهم وبين ملوك الغساسنة .

(١) Vasiliev, P. 168, Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bonn, 1829, Excerpta e Theophanis Historia, ed. Bekker, I, 484.

(٢) Vasiliev, P. 168. f.

وقد استخدم الروم كما استخدم غيرهم من الأمم قديماً وحديثاً الدين لخدمة أغراضهم السياسية ، فأرسلوا المبشرين الى القبائل العربية والى أنحاء مختلفة من جزيرة العرب لنشر النصرانية ، ونشر النصرانية يؤدي بالطبع الى تقريب هؤلاء المتنصرين من الروم . وقد كان من المبشرين عيون للقياصرة بين العرب ، يقومون بتقريب الرؤساء وأصحاب الجاه والنفوذ الى الروم ، ويعملون على ايصالهم الى العاصمة والى القادة والسياسيين في الأرضين التي تحت نفوذهم ، ليتفاهموا معهم ، كما كانوا يكتبون اليهم عن الأحوال السياسية فى المواضع التي يزورونها . وقد توسط كثير منهم فى حل المشكلات السياسية التي تقع بين العرب والبيزنطيين ، وفى إزالة حدة التوتر من بينهم . وليس بمستبعد أن تكون الكنائس التي أمر بعض القياصرة ببنائها في بعض المواضع من جزيرة العرب ، من قبيل المعاهد الثقافية التى تنشئها الدول الحديثة فى هذه الأيام . معابد بنيت باسم عبادة الله ، وتمجيد اسمه ، قصد أصحابها أن تكون معاهد سياسية ومواضع للتبشير بسياسة البيزنطيين .

وقد فكر قياصرة البيزنطيين فى احياء المشروع القديم : مشروع الاستيلاء على العربية الغربية ، بعد أن صارت اليمن فى حكم الحبشة . وهم والحبش على دين واحد ، وبينهم وبين الحبشة مودة وحلف . وحملة الحبشة نفسها على اليمن إنْ هي إلا صفحة من صفحات هذا التنافس السياسي ، الغاية منه الاستيلاء على هذه الأرض الحصينة المهمة للسيطرة على البحر الأحمر ، والاستئثار بخيراتها وما ترد اليها من تجارات ثمينة من حضرموت ومن افريقية والهند . فبعد أن عجز الروم عن فتح اليمن ، حرضوا اخوانهم فى الدين على القيام به ، متخذين من اضطهاد حاكم اليمن المتهود لأتباعه النصارى ذريعة لهذا الفتح . وقد قام هذا الحاكم باضطهاد النصارى وتعذيبهم انتقاماً من الروم الذين قسوا فى انبراطوريتهم على اليهود ، وعاملوهم معاملة قاسية ، فأراد هذا الملك المتهود بتأثير عاطفته الدينية الانتقام من معذبي اخوانه فى الدين بالانتقام من أتباعه اخوانهم في الدين ، فكان هذا التعذيب فرصة مناسبة استفاد منها الروم فى تحريض الحبش للاستيلاء على اليمن ، للانتقام من هذا الحاكم ، ولتخليص النصارى من الأذى والاضطهاد .

وفي هذا الاستيلاء كسب سياسي كبير .

وبعد أن دخلت اليمن في حكم الحبش ، وبعد أن أقصى حاكمها المتهود عنها ، سعى الروم لبسط نفوذهم على البقية الباقية من العربية الغربية التي لم تخضع لحكمهم أو لحكم حلفائهم ، وهي الأرضون التي بين فلسطين واليمن ، وأعني بها أرض الحجاز ، كما سعوا لتأليف حلف من الحبش والعرب لمهاجمة الفرس والتعرض لممتلكاتهم ولمن كان في حلفهم من قبائل العرب ، فأرسل « يوسطنيان » رسولا عنه يدعى « يوليانوس Julianus » ، الى النجاشي والى « السميفع اشوع Esimphaios » حاكم اليمن في ذلك العهد ، ليتودد اليهما ، وليطلب منهما باسم « العقيدة المشتركة » التي تجمعهم أن يكونا مع الروم جبهة واحدة في محاربة الساسانيين ، وأن يقوما مع من ينضم اليهم من قبائل العرب بمهاجمتهم ، وحمل السفير الى « السميفع أشوع » رجاء آخر ، هو موافقته على تعيين رئيس عربي اسمه « Kaisos » أي « قيس » عاملا « فيلارخ Phylarch » على قبيلة عربية تدعى « معديني Maddeni » ، أي قبيلة « معدّ » ، ليشترك معه ومع عدد كبير من أفراد هذه القبيلة بمهاجمة الساسانيين .

وقد رجع السفير فرحاً مستبشراً بنجاح مهمته ، معتمداً على الوعود التي أخذها من العاهلين . غير أنهما لم يفعلا شيئاً ، ولم ينفذا شيئاً ما مما تعهدا به للسفير . فلم يغزوا الفرس ، ولم يعين « السميفع أشوع » « قيساً » « فيلارخا » على قبيلة معدّ . وقد تحرش « ابراهيم Abramos » وهو « أبرهة » على الغالب بالفرس على ما يقوله المؤرخ « بروكوبيوس » ، غير أنه لم يستمر في تحرشه بهم . فما لبث أن كف قواته عنهم[1] . ويظهر من رواية هذا المؤرخ أن القيصر « يوسطنيان » توسط لدى « أبرهة » بأن يقوم هو بمهاجمة الساسانيين بعد أن امتنع « السميفع أشوع » من ذلك ، وأن « أبرهة » حكم بعد هذا الحاكم النصراني .

أما كيف هاجم « Abramos » الساسانيين ، ومن أين هاجمهم ، فلا علم لنا بذلك ، إذ لم يشر هذا المؤرخ الى الزمان والمكان والكيف . ولعله توهم فظن أن حملة « أبرهة »

Procopius, I, XX, 9 - 13. (١)

من نصوص المسند المتأخرة ، ويعود تأريخها الى القرن السادس للميلاد
من مجلة : « Le Museon » ، سنة ١٩٥٤

الخاسرة التي لم توفق للاستيلاء على مكة ، كانت قد وجهت الى الفرس .

أما « Kaisos » ، فكان كما وصفه المؤرخ « بروكوبيوس » شجاعاً ذا شخصية قوية مؤثرة ، من أسرة رأست « Phylarch » قبيلة « معدّ » . وقتل أحـــد ذوي قرابة « Esimaphaios » ، فتمادى بذلك مع هذا الحاكم على اليمن حتى اضطر الى ترك دياره والهرب الى مناطق صحراوية نائية [١] . فأراد القيصر الشفاعـة له لدى « Esimaphaios » ، والرجاء منه الموافقة على إقامته رئيساً « Phylarch » على قبيلته قبيلة « معدّ » .

ولا يعقل بالطبع توسط القيصر فى هذا الموضوع ، لو لم يكن الرجل من أسرة مهمة عريقة ، عند قومها مكانة ومنزلة ، وعند القيصر أهمية وحظوة . ولشخصيته ولمكانة أسرته أرسل رسوله الى حاكم اليمن لإقناعه بالموافقة على إقامته رئيساً على قومه . وبهذا يكتسب القيصر رئيســاً قوياً وحليفاً شجاعاً يفيده فى خططه السياســـية الرامية الى بسط نفوذ الروم على العرب ، ومكافحة الساسانيين .

ونحن لا نعرف من أمر « قيس » هذا فى روايات الأخباريين شيئاً ، غير أن هنالك رواية لابن اسحاق جاء فيها أن أبرهــة عين محمد بن خزاعى عاملاً له على مضر ، وأن « قيســاً » كان يرافق أخاه محمداً حين كان فى أرض كنانة . فلما قتل « محمد » ، فرّ الى « أبرهة » [٢] . وقد ورد نسب « محمد » على هذه الصورة : محمد بن خزاعى بن علقمة بن محارب بن مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمي فى بعض الروايات ، وذكر أنه كان فى جيش أبرهة مع الفيل [٣] .

فيتبين من رواية ابن إسحاق هذه أن قيساً كان على صلات حسنة بأبرهة . فهل قيس هذا هو قيس الذي ذكره « بروكوبيوس » ؟ . اتصل مع أخيه محمد بأبرهة ، وصار من المقربين لديه ؟ أو هو رجل آخر لا علاقة له بـ « قيس » صاحب هذا المؤرخ ؟

---

(١) Procopius, I, XX, 9-13.

(٢) Bulletin of the School of oriental and African Studies University of London, vol., XVI, Part: 3, 1954, pp. 434.

(٣) المحبر (١٣٠) .

وقد زار والد « نونوسوس Nonnosos » « قيساً » هذا مرتين ، وذلك قبل سنة ٥٣٠ م ، وزاره « نونوسوس » نفســه في أثناء حكمه . وأرسـل « قيس » ابنه « معاوية » الى « يوسطنيان » ، ثم أعطى أخاه ثم ابنــه الإمارة . وعينه القيصر عاملا « Phylarch » على فلسطين (١) .

وكانت للقيصر « يوسطنيان » صداقة مع رئيس آخر اسمه « ابو كرب Abochorabus » ، يقع ملـكه في أعالي الحجاز وفي المناطق الجنوبية من فلسطين . عرف هذا الرئيس بالحزم والعزم فخافه الأعداء ، واحترمه الأتباع ، واتسع لذلك ملـكه ، وتوسع سلطانه حتى شمل منـاطق واسعة ، ودخلت في تبعيته قبائل عـديدة أخرى على القانون الطبيعي في البادية الذي يحتـم دخول القبائل طوعاً وكرهاً في تبعية الرئيس القويّ .

أراد هذا الرئيس أن يتقرب الى القيصر ، وأن يبالغ في تقربه اليه وفي اكرامه له ، فنزل له عن أرض ذات نخيل كثير ، عرفت عند الروم بـ « Phoinikon » « واحة النخيل » ، أو « غابة النخيل » . وهي أرض بعيدة ، لا تُبـلَغُ إلاّ بعد مسيرة عشرة أيام في أرض قفرة . فقبل القيصر هذه الهدية الرمزية ، إذ كان يعلم ، كما يقول المؤرخ « بروكوبيوس » ، عـــدم فائدتها له ، وأضافها الى أملاكه ، وعين هذا الشيخ عاملاً « فيلارخا » على عرب فلسطين (٢) .

وقد قام بملك هذا الرئيس على ملك شيخ آخر كانت له صلات حسنة بالروم كذلك : هو « امرؤ القيس Amorkesos » ، وكان « Amorkesos » في الأصل من عرب المنـاطق الخاضعة للفرس ، ثم هجر دياره لسـبب لا نعرفه الى الأرضين الخاضعة لنفوذ الرومان ، وأخذ يغزو الأعراب ، حتى هابته القبائل ، فتوسع نفوذه ، وامتد الى العربية الصخرية ، واستولى على جزيرة « تاران Iotaba » وترك رجاله فيها يجبون له الجباية من السفن القادمة من الهند ، حتى حصل على ثروة كبيرة . وعزم في سنة ٤٧٣ م على ارسال الأسقف « بطرس » ، أسقف

---

(١) Bulletin . vol., XVI , Part ; 3 , P. 435 , Muller Fragmenta Historicorum Graecorum . IV , 179.

(٢) Procopius. I. XIX, 2 - 16, Bulletin, Vol. , XVI, 1954, P. 428, Musil. Hegaz, P. 307.

الأعراب التابعين له الى القسطنطنية ، ليتصل بالقيصر ، وليتوسط لديه هناك أن يوافق على تعيينه عاملا « Phylarch » على الأعراب المقيمين فى العربية الحجرية والخاضعين لنفوذ الروم مقابل دخوله فى حلف معهم . فاستجاب القيصر « ليون Leo » الى طلب « بطرس » ، فارسل دعوة الى « امرئ القيس » لزيارة القسطنطنية ، فذهب اليها بالرغم من وجود شرط فى معاهدة الصلح التي كانت قد عقدت بين الفرس والروم لا يسمح بموجبه لعربي ما من سكنة المناطق الخاضعة لنفوذ الانبراطورية الساسانية بالذهاب الى مناطق الروم . ولما وصل الى القسطنطنية ، رحب به البيزنطيون ترحيباً جميلاً ، واستقبلوه استقبالاً حسـنـاً . فأعلن هناك دخوله فى النصرانية . وأغدق عليه القيصر الهدايا والألطاف ، ومنحه لقب « فيلارخ Phylarch » ، وثبته على المواضع التي أرادها وعلى جزيرة « تاران Iotaba »[(١)] .

و « غابة النخيل » التي ذكرناها ، تجاور أرض قبيلة « معدّ Maddenoi » ، وكانت معدّ كما يظهر من أقوال المؤرخ « بروكوبيوس » خاضعة فى عهده لحكم الحميريين . وقد ذكرت كيف أن القيصر توسط لدى « السميفع أشوع » ليوافق على تعيين « قيس » رئيساً على معدّ . وقد تمردت هذه القبيلة على « أبرهة » ، فسيّر اليها قوة لتأديبها ، كما يظهر ذلك من كتابة أمر « أبرهة » بكتابتها لهذه المناسبة . أدبها بقوة سيّرها اليها فى شهر « ذو ثبتن » من شهور فصل الربيع ، فانهزمت معدّ ، وأنزلت القوة بها خسائر فادحة . وبعد أن تأدبت وخضعت ، اعترف « أبرهة » بحكم « عمرو بن مذر » عليها ، وتراجعت القوة عنها[(٢)] .

و « Maddenoi » هي في نظري قبيلة « مَعَدَايَة Ma addaye » التي ذكرها « يوحنا الأفسوسى John of Ephesus » مع « طياية Taiyaye » فى كتابه الذي وجهه الى أسقف « بيت أرشام Beth Arsham »[(٣)] ، ويظهر من هذا الكتاب أنها كانت مقيمة فى فلسطين .

---

(١) Malchus of Philadelphia. (Muller ed.) PP. 112 ff, Musil, Hegaz, P. 306.

(٢) Le Museon, LXVI, (1953) 3-4 , P. 277 , Ryckmans, No. 506.

(٣) Bulletin, P. 452.

وقد تحدثت سابقاً عن ورود اسم قبيلة « معد » فى نص النمارة الذي يرجع عهده الى سنة ٣٢٨ م حيث ورد أن امرىء القيس بن عمرو ملك العرب ملك على قبيلة معدّ وعلى قبائل أخرى ذكرها فى النص ، منها أسد ونِزار ومَذْحِج . ويربط الأخباريون فى العادة بين ملوك الحيرة وقبيلة معدّ ، وطالما ذكروا أن ملوك الحيرة غزوا بمعدّ ، مما يدل على وجود صلة تأريخية متينة بين الحيرة وهذه القبيلة المتبدية التي كانت تمعن فى سكنها في البادية . والظاهر أنها كانت فى حلف مع ملوك الحيرة ، وكانت تابعة لهم فى بعض الأحيان ، وذلك بحسب قوة أولئك الملوك وقدرتهم .

وورد فى هذا النص أن « أبرهة » أخضع كذلك قبيلة « بني عامر » « بن عمرم » ، وأنه عين « أبا جبر » « أب جبر » قائداً فى الحروب على « كدّت » و « وائل » ، وعين « بشر ن حصن » على « سعد » ، وأن هذه القبائل التقت بالقبائل المخالفة لأبرهة وتحاربت معها ، فتحاربت « كدت » مع « بني عامر » ، وتحاربت « مراد » و « سعد » مع « ودّ » و « مرّان » فى موضع يقع فى وادٍ يؤدي الى موضع « تربن » « تربان » « الترب » [1] ، فأنزلت بالقبائل خسائر فادحة ، وأخذ منها أسرى كثيرون فى موضع « حلبن » « الحلب » .

وقد أرخ هذا النص بسنة ٦٦٢ من التقويم الحميري الموافقة لسنة ٥٤٧ للميلاد .

و « كدت » هي قبيلة « كندة » فى رأي الباحثين فى اللهجات العربية الجنوبية . واذا صح هذا الرأي ، تكون هذه القبيلة فى جملة القبائل التي خضعت لحكم « ابرهة » يومئذٍ . وأما « بن عمرم » ، فهم « بنو عامر » ، وهذا الاسم هو من الأسماء المعروفة ، وقد عرفت به جملة قبائل .

و « مراد » هي قبيلة مراد التي منها « غطيف » ؛ وكانت تتعبد للصنم يغوث بنجران [2] . وفى أيام الرسول وفد عليه « فروة بن مسيك المرادي » مفارقاً لملوك كندة . وقد كانت بين مراد وهَمْدان قبيل الإسلام وقعة ظفرت فيها هَمْدان ، وكثر فيهما القتلى فى مراد . وقد عرفت

---

(١) السطر السادس من النص : Ryckmans, 506 (٢) المحبر (٣١٧) .

تلك الوقعة بيوم الروم . ورئيس همْدان الأجدع بن مالك والدمسروق [1].

وأما « تربن » « تربان » ، فيظهر أنه موضع « تربة » ، وهو موضع في بلاد بني عامر [2] ، ومن مخاليف مكة النجدية ، يقع على مسافة ثمانين ميلاً تقريباً الى الجنوب الشرقي من الطائف [3]. وأما « حلبان » ، فموضع يقع في اليمن . وقد وعت ذاكرة الأخباريين شيئاً من المعركة التي وقعت في هذا الموضع ، ورووا شعراً للمخبَّل السعدي يفخر بنصرتهم أبرهة بن الصباح ملك اليمن . وكانت خِنْدِف حاشيته [4] . وأبرهة بن الصباح هو صاحب هذا النص . وقد كانت سعد ، كما رأينا ، في جملة من ساعد أبرهة في هذه الحرب . وفي رواية الأخباريين تأييد كذلك لما ورد في النص .

وأما « عمرم بن مذرن » أي « عمرو بن المذر » ، فيظن أنه « عمرو بن المنذر » ملك الحيرة . ويلاحظ أن النص قد أهمل ذكر حرف النون الذي يجب أن يكتب بعد حرف الميم وقبل حرف الذال . وتهمل النصوص العربية الجنوبية ذكر حرف النون في « كدت » أي أسم قبيلة « كندة » . وقد كانت « معدّ » في حكم ملوك الحيرة . وعلى هذا تكون هذه « الغزوة » « غزوتن » التي قام بها « أبرهة » على قبيلة معدّ موجهة الى « عمرو بن المنذر » حليف الفرس . بمعنى أنه تعرض لجماعة كانت في جانب الساسانيين [5]. فهل الغَزاة التي أشار اليها المؤرخ « بروكوبيوس » هي هذه الغزاة ؟

وقد تلقب « أبرهة » في هذا النص وفي نص مأرب بلقب « ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات « اليمن » وأعرابها في النجاد وفي المنخفضات « تهامة » ، كما افتتحه بذكر الرحمن ومسيحه . وهو افتتاح دخل على النصوص اليمانية في هذا العهد ، أي العهد الذي

---

(١) ابن الأثير (٢/١٢٣) .
(٢) البكري (١/٣٠٩) « مادة تربة » .
(٣) Bulletin , XVI , Part 3 , 1954 , P. 436
(٤)
ضربوا لأبرهة الأمور محلها ... حلبان فانطلقوا مع الأقوال
ومحرق والحارثان كلاهما ... شركاؤنا في الصهر والأموال

البكري (٢/٤٦١) « مادة حلبان » .
(٥) Bulletin . P. 436 .

صارت النصرانية فيه ديانة رسمية لحكومة اليمن ، فطمست بذلك معالم الأصنام القديمة التي قاومتها اليهودية ثم النصرانية ، ثم قضى عليها الإسلام .

وقد ورد اسم « منذر » والد « عمرم » « عمرو » في نص أمر بتدوينه الملك « معد يكرب يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في النجاد وفي المنخفضات « تهامة » . وهو من النصوص التي عثر عليها في وادي مأسل . وقد دون ووضع في موضع « مأسل جمح » « بما سلم جمحن » لمناسبة ارسال الحملة العسكرية الى موضع « كتا » لمحاربة « منذر » أي « المنذر » الذي أعلن الحرب على قبائل هذه الجهات . وقد اشتركت في هذه الحرب قبائل سبأ وحمير ورحبت « رحبة » وحضرموت ويمنت « اليمن » والأعراب و « كدت » أي « كندة » و « مذحج » . واشترك مع « المنذر » « بنو ثعلبة » و « شبيع ؟ » . وقد أرخ النص بشهر « ذوقيضن » من سنة ٦٣١ من التقويم الحميري أي في صيف سنة ٥١٦ للميلاد [١] .

ويظهر من هذا النص أن « المنذر » كان قد بلغ في حروبه مناطق بعيدة من قاعدة ملكه ، وأنه هو الذي غزا القبائل القاطنة في وادي مأسل الجمح « ماسل جمحن » . ويؤيد هذا النص ، وكذلك النص السابق ، روايات الأخباريين عن اتساع ملك ملوك الحيرة وامتداده مساحات شاسعة نحو الجنوب .

ويتبين من هذا النص كذلك أن « كندة » كانت مع معدّ يكرب على ملك الحيرة وحلفائه في هذه الحرب « بني ثعلبة » . ولم يشر النص الى رؤساء بني ثعلبة الذين ساعدوا المنذر واشتركوا معه فيها ، ولم يشر كذلك الى « معدّ » ، وقد كانوا ولا شك في جانب « المنذر » ، لأنهم كانوا يخضعون لحكم ملوك الحيرة .

وقد كان لـ « كندة » أثر مهم في تأريخ العربية الجنوبية في هذا العهد ، فذكرت مع مراد ومذحج والقبائل الأخرى في الهجوم الذي قام به الملك « يوسف اسار » « يوسف أسأر » على الأحباش في مدينة « ظفار » ، وعلى المدن التي كانت تناصرهم . وقد ورد تأريخ هذا الهجوم في

---

(١) Le Museon, LXVI, 1953, P. 307 - 310, Ryckmans, 510 - 446.

نص سجله القيل « شرح إيل يقبل بن شرحب إيل يكمل » من « آل يزأن » « يزن » بالاشتراك مع « جدن » « جدنم » و « حب » « حبم » و « نسأ » « نسان » و « جبأ » « جبا » لهذه المناسبة .

ويتبين من هذا النص أن الملك « يوسف أسأر » هاجم « ظفار » مقر الاحباش، واستولى على الكنيسة « قلسن » « القليس » ، ثم سار بعد ذلك على « أشعرن » « الأشعر » ، وعين القيل على رأس جيش ، ثم سار الى « مخون » « مخا » فقتل سكانها واستولى على كنيستها ، وهدم جميع حصون « شمر » ومعاقلها والسهل . وعندئذ قام بهجوم ماحق على « أشعرن » . وقد قُتِل فى هذه المعارك عدد كبير من الناس : قُتل ثلاثة عشر ألف قتيل ، وأُخذ تسعة آلاف وخمس مئة أسير ، وأُستُولى على (٢٨٠) ألف من الإبل والبقر والمعز . وأُخذت غنائم عديدة أخرى .

وأمر الملك بعد هذه المعارك القيل « شرح ايل يقبل » بالالتحاق بالجيش الذي أرسل الى نجران . وفى صعيد هذه المدينة اجتمع رؤساء « بني ازأن » وقبائل همدان وكندة ومراد ومذحج وأعرابها . فتغلبت جيوش الملك على هذه المدينة ، وأنزلت بسكانها خسائر كبيرة فى الأموال والأرواح ، ووضعت الأغلال فى أيدي الأسرى ، وقتل من وجد هناك من الأحابيش . وكان مع الملك وفي جيشه من الرؤساء : « لحيعت يرخم » و « سميفع أشوع » و « شرحب ايل أسعد » . وقد دون هذا النص فى شهر ذوقيضن من سنة ٦٣٣ من التقويم الحميري الموافقة لسنة ٥١٨ الميلاد (١) .

فهذه الكتابة إذن هي من جملة النصوص التأريخية المهمة التي تتحدث عن عهد كثرت فيه الحروب الداخلية فى اليمن ، عهد كان الأحباش قد نزلوا فيه باليمن واستقروا خاصة بمدينة « ظفار » ، فحاربهم هذا الملك ، وحارب من كان على دينهم ، أي النصارى ، وقتل خلقاً كثيراً منهم ، واستولى على كنائسهم . وقد وجد الوثنيون واليهود فى النصرانية عوناً للحبش ، وحلفاء

(١) Ryckmans 508, Le Museon LXVI, 1953, PP. 295 ff, Bulletin, P. 458.

مساعدين لهم ، لاشتراكهم والحبش فى دين واحد ، لذلك اندفعوا ينتقمون منهم . أما دين الملك وأتباعه الذين دونوا هذا النص ، فلم يذكر صراحةً ، لعدم ورود اسم اليهودية أو أسماء الأصنام القديمة فيه . ولكننا نستطيع أن نقول استناداً الى جملة : « وا الهن ذلهو سمين وأرضن ليصون ملكن يسف[1] » أي « والإلـه الذي له ملك السماء والأرض ليصون الملك يوسف » إن هؤلاء كانوا على ديانة التوحيد ، يؤمنون بإلـه واحدٍ له ملك السماء والأرض ، وهي ديانة انتشرت فى اليمن بعد الميلاد .

لقد ظهر فى اليمن صراع بين النصرانية واليهودية والوثنية على السيادة والسلطان . صراع سياسي عنيف . وما هذه الحرب التي شنها الملك « يوسف » إلاّ صفحة واحدة من صفحات هذا الصراع ، فلم يكن من الهيّن على الملوك والأقيال تسليم سلطانهم الى الأحباش الذين دخلوا اليمن باسم حماية النصارى والمحافظة على حياتهم . ولئن انتصرت النصرانية بدخول الأحباش اليمن ، وإعلانهم هذه الديانة ديانة رسمية للحكومة ، ووضعهم الصليب قبل أول كلمة من كتاباتهم والافتتاح باسم الرحمن ومسيحه ، إنها لم تتمكن من تثبيت أقدامها مدةً طويلة فى هذه الأرض . لقد اعتدَّها الوطنيون ديانة سياسة وردت عليهم من الخارج ، ديانة غالب يريد قهر الأكثرية وإخضاعها له ، ولثقافة جديدة غريبة عنه ، فلما انحسر حكم الحبش عن اليمن ، ابتعدت النصرانية عن الحكم ، واقتصرت هذه الديانة على المتنصرين ، ولا سيما فى مدينة نجران التي جرت فيها حوادث تعذيب النصارى مما أدى الى فتح الأحباش لليمن .

وبقيت النصرانية بنجران ، فلما ظهر الإسلام ، وأرسل الرسول رسلاً عنه لدعوة الناس الى الدخول فى دينه ، كلف خالد بن الوليد أن يذهب الى بني الحارث بن كعب لحمل رسالته اليهم ، فعاد ومعه وفد منهم فيه قيس بن يزيد بن قينان ذي الغصة ويزيد بن عبد المدّان وغيرها .

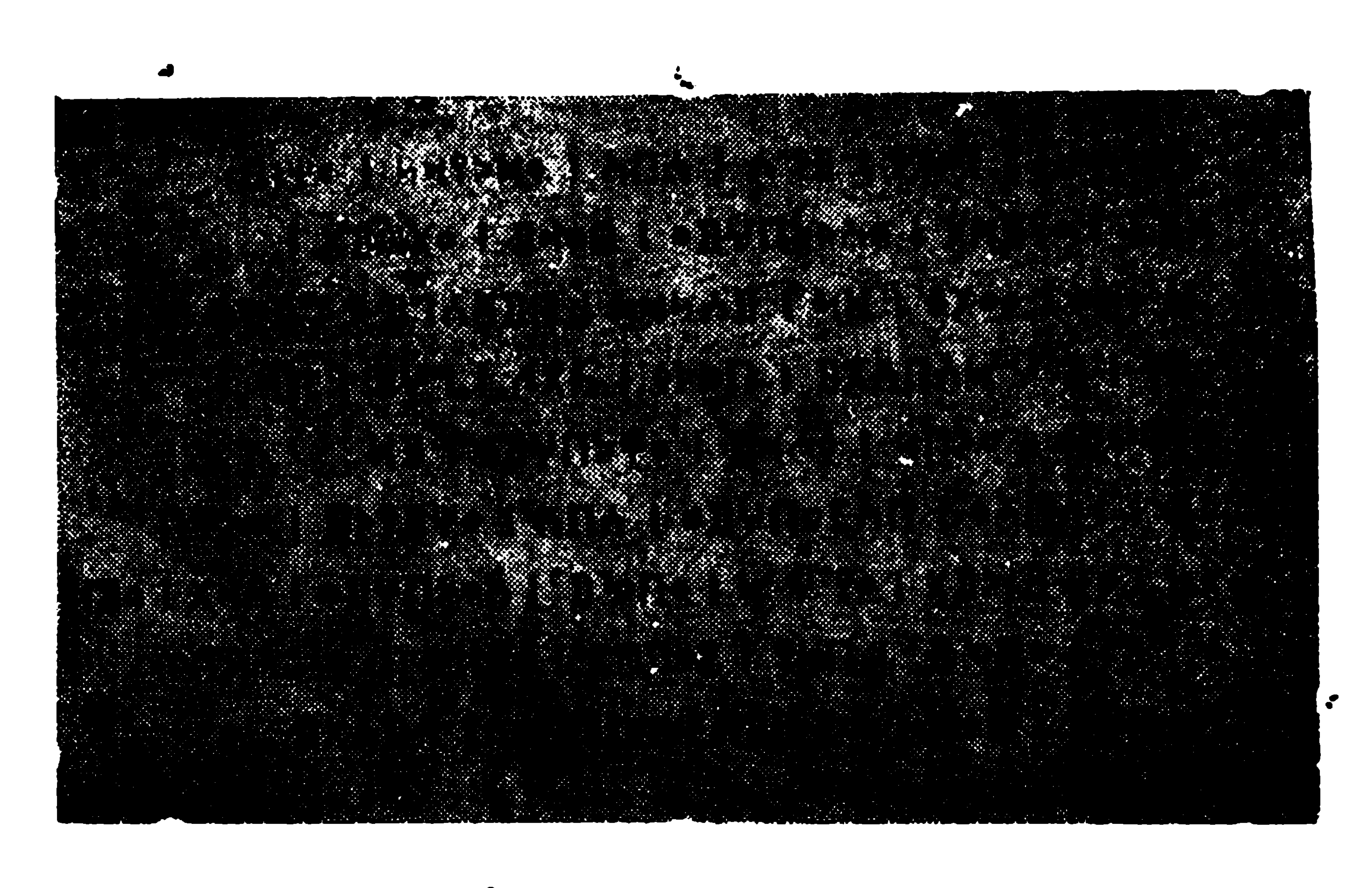
أما وفد نصارى نجران ، فكان مؤلفاً من سبعين رجلاً عليهم أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة ، وأسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل ، والسيد الأيهم « وهب »[2] . وتمتعت

(١) السطر العاشر من النص : Rhekmans , 508 .

(٢) ابن الأثير (٢/١٢٢) ، ابن خلدون (٢/٥٧) « الوفود » ، البلدان (٨/٢٦٤) .



خرائب « الأخدود » فى نجران
من كتاب « فلبى » النجاد العربية الصورة (٢٣)



كتابة تعود الى الملك معد يكرب يعفر ، ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت « اليمن » وأعرابها فى الهضاب وفى تهامة .

من مجلة : « Le Museon » سنة ١٩٥٤

نجران على ما يظهر من روايات الأخباريين بحكم ذاتي مستقل ، تخضع لرؤسائها الزمنيين والروحانيين .

إن هذا العهد على وزود شيء عنه في موارد متعددة عهد غامض غير معروف ، لأن ما ورد عنه نتف غير مرتبط بعضها ببعض ، وفيها شيء غير قليل من التحريف والخطأ ، وأملنا جلاء الموقف بعثورنا على نصوص يمانية كهذه النصوص القليلة المعدودة التي عثر عليها أخيراً ، ففيها شيء جديد عن هذا العهد لا نجده في النصوص النصرانية التي تعرضت لفتح الحبش لليمن أو النصوص الإسلامية التي نجدها في كتب المؤرخين .

وقد منيت الانبراطورية البيزنطية بانتكاسات عديدة بعد وفاة « يوسطنيان » ، فاشتد الاضطهاد المذاهب المخالفة للمذهب الأرثودوكسي ، وعادت الفوضى الى الحكومة بعد أن سعى القيصر الراحل في القضاء عليها ، وتجددت الحروب بين البيزنطيين والساسانيين ، وعاد الناس يقاسون الشدائد بعد فترة من الراحة لم تدم طويلا . وبعد حروب متتالية دخل الساسانيون بلاد الشأم . وفى سنة ٦١٤ م ، احتل أتباع ديانة زرادشت عاصمة النصرانية القدس ، فأصيبت المدينة بخسائر كبيرة فى أبنيتها التأريخية وفى ثروتها الفنية التي لا تقدر بثمن . ثم أصيبت الانبراطورية بنكبة عظيمة جداً هي استيلاء الفرس على مصر ، وبلوغ جيوش الساسانيين فى هذه الأثناء الساحل المقابل للقسطنطنية عاصمة الانبراطورية [1] .

لقد وقعت هذه الهزائم الحربية الكبيرة فى عهد القيصر « هرقل Heraclius » ٦١٠ ـ ٦٤١ م . ففي عهده ، اقتطعت بلاد الشأم وفلسطين ومصر من جسم الانبراطورية ، وهي أعضاء رئيسة فى ذلك الجسم . غير أن طالع هذا القيصر لم يلبث أن تحسّن بعد سنين من النحس ، فاستعاد تلك الأملاك فى المعارك التي نشبت بين سنة ٦٢٢ وسنة ٦٢٨ م . فى هذه الفترة نال هرقل أعظم نصر له فى ثلاث معارك كبيرة . ولكن نصره الأكبر جاءه يوم قُتل « كسرى أبرويز » صاحب هذه الفتوحات بيد ابنه « شيرويه » [2] ، فورد طائر السعد على القيصر بهذا

(١) Vasiliev . pp. 193 .

(٢) الطبري (٢/١٠٨ وما بعدها) .

الخبر المفرح ، ثم تحققت البشرى بالصلح الذي عقد بين القيصر وبين « شيرويه » . وفيه نزل الفرس عن كل ما غنموه ، ورضوا بالرجوع الى حدودهم القديمة قبل الفتح . فعادت الشأم وفلسطين ومصر الى البيزنطيين ، وأعيد الصليب المقدس الى موضعه فى القدس فى موكب حافل عظيم [١] .

ترك الساسانيون بلاد الشأم وفلسطين ومصر وتراجعوا الى مواضعهم التي كانوا فيها ، أما حلفاء الروم فى اليمن ، أي الأحباش ، فقد اضطروا الى مغادرة هذا القطر السعيد فى ظروف وأحوال غير واضحة . لقد تغلب عليهم الأقيال والوطنيون الذين أبوا الاستسلام ، وظلوا يقاومون جنود الحبش ومن انضم اليهم من أهل اليمن ، وعاونهم فى بقائهم فى هذه الديار حتى نجحوا فى اخراجهم عن ديارهم . وقد رأينا كيف أن نفراً من الأقيال ذهب الى ملك الحيرة ، ليتوسط له لدى ملوك الفرس لنجدتهم ومعاونتهم فى طرد الحبش حلفاء أعدائهم عن بلادهم على ما يقوله الأخباريون . وكيف أن الفرس أنجدوهم بعد تردد بقوة صغيرة ذهبت الى اليمن ، وتمكنت من إخراج الحبش عنها ومن القضاء على حكمهم فى العربية السعيدة ، فانتقل الحكم من أيدي الحبش الى أيدي الفرس ، وصار الحاكم على اليمن الى رجل يعينه الساسانيون .

إن روايات الأخباريين عن كيفية طرد الأحباش من اليمن ، فى حاجة شديدة الى التأمل والنقد ، إذ يصعب تصور انهيار ذلك البنيان القويّ الذي شيده أبرهة فى اليمن بمثل هذه السهولة التي تتمثل فى أخبار الرواة ، ذلك أنهم زعموا أن عماد القوة التي أرسلها كسرى الى اليمن لنجدة أهلها هي ثمان مئة رجل أطلقهم من السجون ووضعهم فى ثماني سفن ، غرق اثنان منها ، ووصلت السفن الأخرى الى ساحل حضرموت ، ولحق بابن ذي يزن بشر كثير ، فسار اليهم مسروق بمئة الف من الحبشة وحِمْيَرَ والأعراب ، فلم يلبث أن قتل فى أول معركة ، فانهزم الأحباش ، وسار الفرس يفتكون بالحبش ، ودخلوا صنعاء ، ثم استولوا على سائر المخاليف [٢] .

---

(١) Vasiliev , P. 198.

(٢) ابن الأثير (٢/١٨١) « ذكر عودة اليمن الى حمير وخروج الحبشة عنها » .

ومنذ إخراج الحبش الى دخول اليمن في الاسلام ، كان الحكم في أيدي حكام من الفرس ، وكان آخرهم « باذان » « باذام » . وقد أسلم في أيام الرسول ، وأسلم من كان معه من الأبناء والفرس [1] ، وعينه الرسول عاملاً على جميع مخاليف اليمن ، فلم يزل عاملاً عليها حتى مات . ففرق رسول الله أمراءه في اليمن ، وكان من جملة من عينهم : شهر بن باذان ، عينه على صنعاء ، وعامر بن شهر الهمداني عينه على همدان ، وكان شهر وفيروز وداذويه أول من اعترض الأسود العنسي حينما ادعى النبوة [2] . وقد كان لهؤلاء وكذلك للأبناء أثر مهم في مقاومة حركة الردة وتثبيت قدم الاسلام [3] .

لقد كان في مشروع الساسانيين الحصول على أرباح كبيرة من دخولهم اليمن ، وكان في إمكانهم الحصول على هذه الأرباح بحصر التجارة في أيديهم ، وذلك بارسال القوافل الى اليمن بطريق البر ، وقد فعلوا ذلك ونفذوه . غير أن مشروعهم هذا يقتضي سيطرة تامة على الأرضين التي بين اليمن والانبراطورية ، بتخصيص قوات عسكرية كبيرة لحفظ الأمن والنظام ، وشراء رؤساء القبائل بالمال . ولكن وضع الانبراطورية ، وبعد المسافة ، وصعوبة الأرض : كل هذه لم تسمح لهم بتحقيق ما أرادوه ، فتعرضت القوافل للنهب [4] .

وجزيرة العرب ، وإن ظلت بعيدة عن تلك الحروب المباشرة المتوالية التي وقعت بين الانبراطوريتين ، لم تتمكن أن تكون بمعزل تام عن مؤثراتها وعن بعض شررها . وقد رأينا كيف حاول الفرس والروم إقحامها في أتون الحرب والاستفادة منها باتخاذها مواضع وثوب على إحدى الإنبراطوريتين . وقد رأينا كيف نجحت هذه المحاولة في اليمن ، حتى صارت هذه الأرض السعيدة ميداناً لحروب أهلية مؤسفة ، أتت على ما تبقى من حضارتها العريقة القديمة ، وجرت

---

(١) ابن الأثير (٢/٨٨ وما بعدها) « ذكر مكاتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الملوك » ، ابن خلدون (٢/٣٧ وما بعدها) « ارسال الرسل الى الملوك » . الطبري (٣/٢١٣) « بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي » .

(٢) ابن الأثير (٢/١٣٩ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٥٩) « العمال على النواحي » .

(٣) ابن الأثير (٢/١٥٧) .

(٤) Montgomery Watt, Muhammad at Mecca, PP. 12.

أوخم النتائج على هذه البلاد ، كان منها اهمال مشروعات الإرواء لانشغال الحكومة باخماد الفتن التي ظهرت بدخول الحبش وما استتبع ذلك من اهمال السدود القديمة وتصدعها ، وانتشار الجفاف وظهور مساحات واسعة من الأرض الموات ، كما استتبع الى هجرة كثير من السكان من اليمن ، واندثار كثير من القرى والمدن القديمة التي كانت تسقى بالمياه التي تخزنها تلك السدود .

ولم تكن في نهاية القرن السادس وأوائل القرن السابع للميلاد حكومة عربية واحدة تحكم القبائل والمدن والقرى في فلسطين وفي الحجاز ، انما كانت هناك مشيخات وحكومات مدن تؤدي الجزية الى الأعراب جزاءَ تركِ أذاها وعدم التحرش بها . لقد ضعف أمر الغساسنة كما رأينا ، وضربهم الروم والفرس ضربة آلمت الأسرة الحاكمة إيلاماً شديداً ، فتجزأ ملكهم ، وتفرق الى مشيخات . وفي أيام الرسول كان الحارث بن أبي شمر الغسّاني أو جبلة بن الأيهم الغساني هو البارز من أمراء هذه الأسرة ، واليه أرسل الرسول شجاع بن وهب الأسدي ليدعوه الى الاسلام(١) .

وكانت البلقاء في أيدي قبائل من العرب مثل لَخْم وجُذام وبَلْقَيْن وبَلِيٍّ ، وهي قبائل يطلق عليها المؤرخون اسم « المستعربة » . وقد كانوا في جانب الروم في غزوة مؤتة مع « هرقل » وعليهم « مالك بن رافلة » وهو من قبيلة « بَلِيٍّ » (٢)، وكان المسلمون إذ ذاك في « معان » وهي من أعمال البلقاء يستعدون للروم(٣) . وكان صاحب هذه المدينة في أيام الرسول رجلاً من جُذام هو « فروة بن عمرو الجُذامي » ، وكان عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، ومنزله بمعان . فلما أرسل فروة رسولاً عنه الى الرسول يبلغه بإسلامه ، قبض الروم عليه وحبسوه ، ثم ضربوا عنقه وصلبوه(٤) .

وكانت « أيلة » في أيام الرسول ، في أيدي « يوحنا بن روبة » ، « يُحَنّة بن رؤبة » .

---

(١) ابن الأثير (٨٧/٢) ، المحبر (ص ٧٦) .

(٢) ابن الأثير (٩٧/٢) ، الطبري (١٠٨/٣) « غزوة مؤتة » .

(٣) البلدان (٩٣/٨) « معان » ، ابن الأثير (٩٧/٢) .

(٤) ابن الأثير (١٢٤/٢) ، البكري (١٢٤٢/٤) « معان » .

ولما سمع يوحنا بمجيء الرسول مع جيش الى « تبوك » ، جاء اليه ، وصالحه على الجزية . وأرسل الرسول خالد بن الوليد الى « أكيدر بن عبد الملك » صاحب دومة الجندل ، وكان نصرانياً من كندة ، فجيء به الى الرسول ، فصالحه على الجزية ، وكان له أخ اسمه حسان قتل في أثناء تعقب خالد له [1] .

ويظهر أنه كان على دومة رئيسان يلقبان أنفسهما ملكين عند ظهور الإسلام ، هما : أكيدر ابن عبد الملك المذكور ، والجودي بن ربيعة ، وكان بينهما تنافس وخلاف . ولما سار خالد بن الوليد الى دومة بعد فراغه من عين التمر ، استعان أهل دومة بأحزابهم من بَهْراء وكلب وغَسّانَ وتَنوخ والضَّجاعم ، فجاءتهم هذه القبائل وعليها وديعة وابن وبرة بن رومانس الكلبيين في كلب وبهراء وابن الحُدرجان في الضجاعم وابن الأيهم في طوائف من غسّان وتنوخ [2] ، وهؤلاء هم أمراء هذه القبائل وعمالها في هذه الجهات . وقد كان لقبائل بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان أثر خطير في مساعدة الروم على المسلمين ، وذلك باستغلال العاطفة الدينية ، إذْ كانت هذه القبائل على النصرانية ، وباستغلال الرؤساء باكتسابهم بالمال وبالألقاب ، وبما كان قد استقر في نفوس هؤلاء الرؤساء من قوة الروم ، وبعدم تمكن قوة ما من التغلب عليهم ، فلم يكونوا ينظرون الي هجوم المسلمين على الفرس والروم إلاّ أنه نوع من التحرش لا يلبث أن يصدّ بأفدح الخسائر على المسلمين ، وأن هؤلاء المسلمين إنما يقصدون غنائمَ وجزية سنوية من الروم ، وأنهم بهذا سيأخذون مراكز أولئك الأمراء ومناصبهم على نحو ما فعله ويفعله سائر رؤساء القبائل مع الفرس والروم .

وأما وادي القرى ، فكان يسكنه يهود يشتغلون بزراعة النخيل وبالصناعة ، ولهم مع القبائل حلف على الدفاع عنهم مقابل جُعْل سنوي . ويفهم من شعر النابغة الذبياني الذي حذر فيه « النعمان بن الحارث الغساني » من غزو وادي القرى أن سكانه كانوا من « بني حُن » في

(١) ابن الأثير (٢/١١٧) « ذكر غزوة تبوك » ، الطبري (٣/١٤٦) « ذكر الخبر عن غزوة تبوك » .
(٢) الطبري (٣/٢٣) « خبر دومة الجندل » .
(٣) الطبري (٣/٢٩) « ثم دخلت سنة ثلاثة عشرة » .

ذلك الزمان . و « حن » كما ذكرت سابقاً من قضاعة ، وهم الذين قتلوا « الجُلاّس بن وهب ابن قيس بن عبيد » من طيء ، في الحجر . وكان « الجُلاّس » ممن اجتمعت عليه جديلة طيء[1] . وقد غزا الرسول بعد فراغه من خيبر هذا الوادي ، فقاتله أهله ، ففتحه عنوة ، وترك الرسول النخل والأرض في أيدي اليهود ، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر[2] .

وكانت « فدك » حكومة مستقلة كسائر الواحات والقرى في جنوب فلسطين ، أهلها من اليهود ، وعليهم في أيام الرسول يوشع بن نون اليهودي ، واليه بعث مُحَيّصة بن مسعود لدعوته ودعوة قومه الى الاسلام[3] . وكان معظم أهل خيبر من يهود كذلك ، يتحكم فيهم رؤساء منهم ، ولهم حصون وآطام تحمي أموالهم ومساكنهم ، فتحت في أيام الرسول بسبب معادات أهلها للإسلام واتفاقهم مع المشركين[4] .

ولم يكن الحكم في اليمن حكماً مركزاً في أيدي الحاكم ، بل كانت الحكومة في الواقع حكومة حكومات في أيدي الأقيال الذين كان يلقب بعضهم بألقاب الملوك . وقد أشير الى ورود « كتب ملوك حمير » مع الحرث بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رُعَين وهَمْدان ومعافر الى الرسول في جملة الكتب والوفود التي وردت على الرسول[5] ، كما بعث زرعة بن ذي يزن رسولا عنه الى الرسول ، ومعنى هذا انقسام الحكم في اليمن بين عدد من الأمراء ، لم يتورعوا من التلقب بلقب ملك . وهذا مما يقلل في الواقع من شأن سلطة الحاكم الفارسي العام الذي لا أظن أن حكمه كان يتجاوز الموضع الذي يقيم فيه .

ولم يعثر حتى الآن على كتابات من هذا العهد ، عهد طرد الحبش عن اليمن ودخول الفرس اليها . وقد ذكرت أن الباحثين وجدوا عدة نصوص تعود الى أيام وجود الأحباش في اليمن .

---

(١) البلدان (٧/٧٤) « قرى » . (٢) البلدان (٨/٢٧٥) « وادي القرى » .
(٣) ابن الأثير (٢/٩٣) ، البلدان (٦/٣٤٣ وما بعدها) .
(٤) ابن الأثير (٢/٨٩ وما بعدها) .
(٥) ابن الأثير (٢/١٢١) ، ابن خلدون (٢/٥٢) « القسم الثاني » « الوفود » ، الطبري (٣/١٥٣ ، ١٥٦) .

لقد أفادت الحروب الداخلية التي وقعت فى اليمن ، كذلك تنازع الأقيال مع الأحباش أهلَ مكة فائدة كبيرة . وأدى هذا النزاع الى ضعف الوضع الاقتصادي والزراعي ، والى انشغال الناس بأنفسهم عن التفكير فى أمور التصدير والاستيراد . وقد أدى انشغال حكومة الحبش بإخماد الفتن وبمحاولة القضاء على الحركات القومية الى اهمال شؤون الإرواء ، وتحكيم السداد والسيطرة على مياه الأمطار والسيول للاستفادة منها فى الإسقاء ، فجفت أرضون كانت تسقى بهذه المياه وتحولت الى بَواد وقفار ، واضطر الباحثون عن العيش والأمان الى الهجرة الى الخارج .

ومصداق ذلك هذه الروايات العديدة التي يرويها الأخباريون عن هجرة قبائل اليمن الى الخارج ، وتركها وطنها على أثر تصدع سد مأرب ، وهي روايات ، وإن كان الرواة يحاولون رَجْعَ تأريخها الى أيام بعيدة جداً عن الإسلام كعادتهم فى أكثر رواياتهم ، نستطيع أن نقول إن أكثر هذه الدعاوى تخص الأيام التي ترجع الى هذا العهد .

لقد تمكن تجار مكة من الاستفادة من هذه الظروف الحرجة التي وقعت بالعربية الجنوبية ، فحصروا التجارة فى أيديهم ، وصاروا وسطاء للتصدير والاستيراد بين الأرضين الخاضعة للدولة البيزنطية وبين اليمن ، كما صاروا وسطاء للتجارة بين العراق واليمن . وظهر بمكة متمولون كبار على جانب كبير من الثروة ، اتجهت الى ثروتهم أنظار أعراب نجد واليمن ، وصار لهم نفوذ سياسي واسع على مشايخ القبائل والرؤساء والأشراف بالأموال التي كانوا يقرضونها لهم مقابل ربا فاحش ، وبالهدايا التي كانوا يقدمونها ، وبالخدمات والضيافات التي كانوا يقومون بها لزوّار البلد الحرام .

ولم تنحصر تجارة أهل مكة بالأرضين التي كان يسيطر عليها البيزنطيون ، بل كان فريق منهم يتاجر مع العراق . وكان ملوك الحيرة أنفسهم يمارسون التجارة ، فيرسلون « لطيمة » فى كل سنة الى سوق عُكاظَ لبيع سلعهم هناك ولشراء سلع جديدة تكون رائجة فى العراق . وكان وكلاؤهم الذين يتولون تصريف أموالهم ، من أهل الحجاز . ومن عرب العراق ، كما يقول الأخباريون ، تعلم أهل الحجاز الخط ، ولم يتعلموه من أهل اليمن مع قربهم منهم واختلاطهم بهم . والظاهر أن للنزاع السياسي وللاختلاف في اللهجات والثقافة والدين دخلاً فى هذا الموضوع .

وأما حضرموت وعمان ، فإن أخبارها قليلة . وما وعته ذاكرة الأخباريين عن هذين القطرين فيما قبل الاسلام ، شيء يسير . ولكن هذين القطرين ، قياساً على الماضي والحاضر ، لا يمكن أن يكونا بمعزل عن العالم الخارجي ، فقد عرف سكانهما بحب الهجرة وبالنشاط فى التجارة ، ويؤمل العثور على كتابات قد تزيل شيئاً من هذا الغموض الذي يحيط بتأريخ العربية الجنوبية .

وكانت حضرموت فى النصف الثاني من القرن السادس للميلاد وفى النصف الأول من القرن السابع مثل اليمن ، لا تجمعها حكومة واحدة ، إنما يحكمها جملة رؤساء ، استقل كل رئيس منهم فى منطقة ، وتلقب بلقب ملك . وكانت كندة هي القبيلة المتنفذة فيها . وعند ظهور الاسلام كان الأشعث بن قيس الكندي من رؤساء هذه القبيلة البارزين ، كما كان مخوس « مخوس » ومشرح وجمد وأبضعة بنو معد يكرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية من الرؤساء الملقبين بلقب ملك ؛ لأن كل واحد منهم كان قد اختص بوادٍ ملكه ، ولقب نفسه بلقب ملك[1] . وقد نزلوا المحاجر ، وهي أحماء حموها ، وقد عرف هؤلاء بالملوك الأربعة من بني عمرو بن معاوية وقد لعنهم النبي[2] .

وكان الحكم فى حضرموت الى الأقيال كذلك . وفى أيام الرسول قدم عليه « وائل بن حجر » راغباً فى الاسلام ، وكانت له مكانة كبيرة فى بلده ، وقد نعته كتاب الرسول الذي كتبه اليه بـ « قَيْل حَضْرَ مَوْتَ »[3] . وقد كان لكندة والسكاسك والسكون أثر كبير فى تأريخ حضرموت فى هذا العهد الذي نتحدث عنه .

وقد مدح الأعشى « قيس بن معد يكرب » بقوله :

وجلنداء فى عُمانَ مقيماً ثم قيساً فى حضرموت المنيف[4]

(١) البلدان (٣/٢٩٤) « مادة حضرموت » ، ابن خلدون (٢/٥٦) «القسم الثاني» « الوفود » .
(٢) ابن الأثير (٢/١٥٨ وما بعدها) .
(٣) ابن خلدون (٢/٥٦ وما بعدها) « القسم الثاني » ، « الوفود » .
(٤) ديوان الأعشى (القصيدة ٦٣ ، البيت ١٥) .

Hauteur de l'inscription, à g. : 80 cm.; du milieu : 1 m.; à dr. : 50 cm. Largeur totale : 4,90 m. Hauteur des lettres : 10 cm. Photographies, pl. II.

من كتابات أبرهة ، ويعود تأريخها الى سنة « ٦٦٢ » من التقويم الحميري .

المطابقة لسنة ٥٤٧ للميلاد .

من مجلة : « Le Museon » . .

وأما عمان ، فكان المتولي على أمرها عند ظهور الاســـلام جيفر بن جلندي بن عامر بن جلندي ، واليه أرسل الرسول عمرو بن العاص يحمل اليه رسالة الإسلام[١] . وكلمة « جلنداء » الواردة في بيت « الأعشى » تعني « الجلندى » صاحب عُمان[٢] .

وكلمة « الجلندي » على ما يظهر من روايات الأخباريين ليست اسماً لشخص ، وإنما هي لقب ، وقد تعني « ملكاً » أو « قَيْلاً » أو « كاهناً » في لهجات أهل عُمان ، بدليل ورود هذه الجملة : « وأما عمان فإنه نبغ بها ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي ، وكان يسمى « يُسامى » في الجاهلية الجلندي ، وادعى بمثل ما ادعى من تنبأ ، وغلب على عمان مرتداً ، والتجأ جيفر وعياذ الى الجبال[٣] » . وقد اغتنم لقيط هذا فرصة الحركة العنيفة التي جابهت الإسلام وهي الردّة ، فادعى النبوة ، وثار على أبي بكر ، وضغط على جيفر وعياذ في عمان ، كما فعل فعله « سخريت » و « المصيح » من بني محارب في « مهرة »[٤] ، وهي حركة كادت تُؤدِي بالاسلام لولا حزم أبي بكر .

وكان والي البحرين عند ظهور الاسلام ، « المنذر بن ســـاوى » ، واليه أرسل الرسول العلاء بن الحَضْرَمي يدعوه ومن معه بالبحرين الى الاسلام أو الجزية ، فأسلم المنذر بن ساوى ، وأسلم جميع العرب بالبحرين . فأما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس ، فإنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية على أن يبقوا في دينهم[٥] . وكان أكثر أهل البحرين من بني عبد القيس وبكر بن وائل وتميم[٦] . وقد أثرت هذه القبائل أثراً كبيراً في هذه المنطقة من جزيرة العرب .

---

(١) ابن خلدون (٢/٣٦) « ارســـال الرســـل الى الملوك » ، الطبري (٢/٢٨٩) ابن الأثير (٢/١٥٧) ، امتاع الأسماع (٤٣٣) .

(٢) ديوان الأعشى (٣١٢) « طبعة الدكتور م . محمد حسين » .

(٣) ابن الأثير (٢/١٥٦) « ذكر ردة أهل عمان ومهرة » ، تجد في عبارات ابن الأثير بعض الاختلاف عن عبارات الطبري ، مع أنه استقى منه ونقل عنه ، وأظن أن مرجع ذلك النساخ . راجع متن الطبري (٣/٢٦١) « ذكر الخبر عن ردة أهل عمان ومهرة واليمن » .

(٤) ابن الأثير (٢/١٥٦) « ذكر ردة أهل عمان ومهرة » .

(٥) ابن الأثير (٢/٨٩) ، الطبري (٢/١٦١) وما بعدها . (٦) البلدان (٢/٧٤) .

وأما « هَجَر » ، فكان عليها عند ظهور الاسلام « مرزبان » يدعى « سيبُخت » ، واليه ذهب أيضاً العلاء بن الحضرمي يدعوه الى الاسلام ، فأسلم وأسلم معه جميع العرب وبعض العجم[1] ،

وكان على « الأُبُلّة » وما والاها « قيس بن مسعود بن خالد » ، فلما علم « قيس » بما فعله كسرى بملك الحيرة ، تفاوض سراً مع بكر ، واتفق معها على مساعدتها . فلما انتهت معركة ذي قار ، لم يجرؤ كسرى أن يلحق به أذىً ما وهو في أرضه ، فعمد الى الحيلة للانتقام منه ، بأن كتب اليه يطلب منه المجيء لرؤيته . فلما ذهب اليه ، قبض عليه وحبسه في قصره بالأنبار أو بساباط[2] .

وكان على اليمامة هَوذة بن عليّ الحَنَفي ، وكان ملكا على دين النصرانية ، واليه أرسل رسول الله « سليطَ بن عمرو » يدعوه الى الاسلام . فأرسل « هوذة » وفداً الى الرسول ليقول له : « ان جعل الأمر له من بعده أسلم ، وسار اليه ونصره ، وإلا قصد حربه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا كرامة .. » ثم مات بعد قليل[3] .

وكان « هَوذَةُ » على صلات حسنة بالفرس ، وبأرضه تمرّ عِير كسرى في طريقها الى اليمن ، لتسلم الى عماله هناك . فكان كسرى يرسل عِيره الى الحيرة لتدفع الى النعمان بن المنذر ، فيقوم النعمان بإرسالها مع خُفَراء من بني ربيعة الى هوذةَ بن علي ، ثم يقوم هوذةُ بإرسالها الى بني تميم مقابل جعالة ، ليوصلها هؤلاء الى اليمن . وطمع « هوذة » مرّة في جعالة بني تميم ، وتعهد بأن يقوم هو نفسه بإيصالها الى اليمن . فلما بلغ بني تميم ما صنعه هوذة ، كمنوا له في موضع بنطاع ، وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه ، وقتلوا عامة الأساورة الذين كانوا مع العير وسلبوهم ، وأسروا هوذة ، فاشترى هوذة نفسه منهم بثلاث مئة بعير ، فساروا معه الى هجر ، وأخذوا منه فداءه . وعاد هوذة ليخبر كسرى بما حل بعيره وبالأساورة الذين كانوا معه . فلما نزل عنده ،

---

(١) البلدان (٢/٧٤) . (٢) ديوان الأعشى (القصيدة ٢٦) «ص ١٢٨ » « طبعة Geyer » .
(٣) ابن الأثير (٢/٨٩) .

اتفق معه على الانتقام من بني تميم ، وقد تم ذلك بعد سنة جدب حبس فيها كسرى الميرة عن تميم ، ثم أمر فأقيمت لهم سوق بالمُشَقَّر ، وكان قد تواطأ مع هوذة وأرسل معه ألفاً من الأساورة بقيادة المكعبر عامله على البحرين ، واسمه « آزاد فروز بن جشنس » ، للفتك بتميم. فلما توافدوا للامتيار ، فتك بعدد كبير من تميم ، وكانت تميم قد فتكت قبلاً بوالد هوذة ، فشفى غليله منهم بهذا التدبير[1] .

يظهر من روايات الأخباريين ، وهي المورد الوحيد الذي بين أيدينا حتى الآن عن أكثر تاريخ الجاهلية المتصلة بالاسلام الى أيام انتشار الإسلام في الجزيرة ، أن نفوذ الساسانيين كان واسعاً فيها بالرغم من الهزائم التي مُنُوا بها على يد هرقل في مصر وفلسطين وبلاد الشام . وهي توصل نفوذهم الى حدود الحجاز ، وتذكر أن ولاة العربيه الشرقية كانوا يعينون بأوامر تصدر من الأكاسرة وبموافقتهم ، وأنه لحماية الأمن وضبط القبائل كان الفرس قد عينوا في « مواضع متفرقة من أرض العرب ستة عشر مرزبانا ، وهم : سخت تملك على أرض كندة وحضرموت وما صاقبها دهراً ... ثم تملك سنداد على عمل سخت[2] » ، وعلى البحرين وهجر وغيرها من المواضع .

وأما الحيرة ، فقد قلت إن الفرس نصبوا إياس بن قبيصة ملكا عليها بعد النعمان ، ثم عادوا فعينوا عليها حاكما فارسياً ، فتشتت بذلك ملك ملوك الحيرة في العراق ، كما تشتت ملك الغساسنة في الشأم . وقد كان القضاء على الأسرتين المالكتين في العراق والشام عملا سياسياً متعمداً ولا شك . رأى الروم ما حلّ في بلاد الشام بعد احتلال الفرس لها من اضطراب ، وما آل اليه الوضع السياسي من انحلال . وخافوا من ازدياد نفوذ آل غسان أو غيرهم في بلاد الشام ومن احتمال تكتل القبائل العربية فيها ، فرأوا أن يغيروا سياستهم القديمة ويسلكوا سياسة جديدة في بلاد الشأم عامة . فأعادوا النظر في النظام الاداري والسياسي والعسكري العام ، وكان في جملة

---

(١) ويسمى هذا اليوم يوم الصفقة ويوم المشقر ، الأغاني (١٦/٧٥) ، ابن الأثير (١/٢٧٥) ، البلدان (٨/٦٥) « مادة المشقر » .

(٢) البلدان (٥/١٠٠) « مادة سنداد » .

هذا التغيير وضع سياسة جديدة بالنسبة الى عرب هذه الديار ، خلاصتها : الاقلاع عن السياسة القديمة التي كانت تضع أمور العرب وادارتهم على يد أمير عربي واحد يكون مسؤولاً تجاههم عن عربه ، واتباع سياسة جديدة بالنسبة اليهم تقوم على أساس الاعتماد على جملة رؤساء ، حتى اذا ما حاول أحدهم الثورة على الروم أو الطمع فيهم ، أثير عليه الآخرون .

وقد رأى الساسانيون بعد معركة « ذي قار » على ما يظهر أن من الصعب الاعتماد على أفراد من آل النعمان أو من سائر أفراد أسرة الحيرة الحاكمة أو على الرؤساء الآخرين ، فقرروا إيداع أمر الحيرة وعرب العراق الى حكام منهم ، يقومون بما كان يقوم به ملوك الحيرة من واجبات وأعمال .

والصحيح أن من الصعب الاعتماد على روايات الأخباريين فى هذا الباب ، فإن هذه الروايات - كما قلت سابقاً - مستمدة من منابع فارسية مدونة ومروية مشافهة ، وهي لا تخلو من العاطفة والمبالغات ، وقد عربت ودونت فى زمن كان للنزعات القومية فيه أثر خطير في العقول ، لذلك تجب ملاحظة هذه الناحية عند سماعنا هذه الروايات .

ولو فرضنا أن ما ذكره الأخباريون عن ملك الساسانيين فى جزيرة العرب صحيح ، فلن نستطيع أن نتصور ذلك إلا فى مواضع معينة غير بعيدة عن الطرق والسواحل ، والروايات التي يرويها أهل الأخبار عن كيفية انتشار الاسلام فى اليمن وفى العربية الجنوبية والعربية الشرقية ، وهي روايات أخذت عن شهود عيان ، تناقض روايات الأخباريين عن مدى تغلغل ملك الساسانيين فى بلاد العرب . ولو كان للانبراطورية الساسانية نفوذ حقيقي في جزيرة العرب وكانت لديهم قوات وقواد فيها ، لما كان فى وسع سكان هذه المناطق الاستجابة الى دعوة رسل رسول الله التي حملت اليهم ، والخضوع للأمراء الذين عينهم الرسول وخليفته من بعده عليهم والاندماج فى الادارة الاسلامية الجديدة دون مقاومة تذكر من القادة الساسانيين ومن قواتهم فى هذه الأرضين ، وهل يعقل سكوت الحكومة الساسانية على هذه التطورات ، ورضاؤها بانسلاخ هذه الأملاك الواسعة منها ، لو كانت لها فيها قواد وقوات ونفوذ فعلي ؟

الواقع أن الحكم في هذه الأرضين المذكورة لم يكن في هذا العهد في يد حكومة ، وإنما كان في أيدي حكومات هي حكومات القبائل ، والرأي والحكم طبعاً هما لدى الرؤساء . ومدى هذا الحكم ، هو مدى نفوذ القبيلة ، ومدى نفوذ وقدرة الرئيس . ورؤساء هذه القبائل هم الذين صرّفوا السياسة ووجهوها في جزيرة العرب ، لا الفرس ولا الروم . ورؤساء هذه القبائل هم الذين كانوا يقلصون أو يوسعون نفوذ الروم أو الفرس في جزيرة العرب ، وذلك باتفاقهم وتحالفهم معهم أو باختلافهم وبتباعدهم عنهم ، وعلى هذا التباعد والتقارب قام نفوذ الفرس والروم في جزيرة العرب في تلك الأيام .

واذا كان جزء كبير من ثروة الملوك ، من الجباية التي يأخذونها من القبائل الخاضعة لهم ومن ضريبة حق المرور التي كانوا يتقاضونها من التجار والقوافل مقابل السماح لهم ولها بالمرور في أرضهم وبحمايتها من اعتداء المعتدين ، فإن جزءاً آخر من ثروتهم كان يأتيهم من التجارة . فقد كان أكثرهم تجاراً يرسلون تجارتهم الى الأسواق التي تقام في مواسم معينة معروفة تقصدها القبائل للامتيار ، فيباع فيها ما يرسله أولئك الملوك من تجارات ، ولا سيما ملوك الحيرة ، ثم يعود الوكلاء بسلع جديدة لبيعها في أسواق أخرى . وقد كانت سوق عكاظ مثلا من الأسواق التي تباع فيها أموال ملوك الحيرة وتجار مكة الأغنياء .

ولم تكن هذه الأسواق محصورة في موضع معين ، إنما كانت تعقد في مواضع مختلفة متعددة من جزيرة العرب . وقد خصصت في الغالب بامتيار الأعراب وبشراء ما عندهم من سلع فائضة عليهم . ولا يستبعد بالطبع ورود التجار الأجانب اليها من غير العرب ، فقد كان الروم مثلاً يتوغلون الى مسافات بعيدة في هذه الأرضين الشاسعة للبيع والشراء .

وبحكم ورود أناس الى هذه الأسواق لا يسهل الاجتماع والاتصال بهم في الأوقات الأخرى : فقد قصدها أناس من أماكن بعيدة بحثاً عن طلب أو ترويجاً لرأي ، فقصدها المبشرون للاتصال بالقبائل وللتأثير في بعض أفرادها لإدخالهم في دين الله . وفي كتب السير : أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه كان يخرج في المواسم ، لعرض نفسه على القبائل ، ولهدايتهم الى الإسلام .

ومن هذه الأسواق دومة الجندل ، كانت تقصدها قبائل الشأم والحجاز والأقسام الشمالية والغربية من أعالي نجد ، وتقيم بالقرب منها كلب وجديلة طيء ، والمشرف على هذه السوق هو رئيس دومة الجندل ، ويلقب بلقب ملك . وكانت كلب وغسان تنازع السكون على الملكية في عهد أكيدر العبادي ثم السكوني . وخصم الأكيدر هو قنافة الكلبي . فكانت الملكية تتناوب بين الملكين ، فمرة تكون لأكيدر ، ومرة تكون لقنافة « وكانت غلبتهم أن الملكين كانا يتحاجيان ، فأيما ملك غلب صاحبه بإخراج ما يلقى عليه ، تركه والسوق يصنع فيها ما يشاء . ولم يبع بها أحد شيئاً إلا بإذنه حتى يبيع الملك كل ما أراد بيعه ، مع ما يصل اليه من عشور » [1] .

ويقصد سوقَ « المُشَقَّر » الأعراب الساكنون في العربية الشرقية والأعراب القريبون الى هذا الموضع ، ويرد الى هذه السوق تجار فارس ببياعاتهم يقطعون البحر ، فيتاجرون مع من يقصد هذه السوق من القبائل والحضر . وكانت بنو تميم وعبد القيس جيرانها . أما المشرف عليها فرؤساء تميم من بني عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوى ، وكانوا يتلقبون بألقاب الملك . مثل بني المستكبر على عُمانَ وآل نصر على الحيرة ، ويسيرون في معاملتهم في هذه السوق سيرة الملوك بدومة الجندل ، ويأخذون العشر . وكان من يؤمها من التجار يتخفرون بقريش .

وكان الجلندي بن المستكبر ، هو الذي يعشر تجار سوق « صُحار » بعُمان ، وكذلك تجار سوق « دَبا » . وكان يقصد سوق « دبا » تجار السند والهند والصين ومواضع أخرى ، فهي سوق عظيمة كبيرة ، ذات تجارة وسعة مع العالم الخارجي .

أما تجار سوق الشِّحْر ، فلم يكونوا يدفعون العشر لأحد ، إذ لم تكن بها عشور ؛ لأنها ليست أرض مملكة . وكانت التجار تتخفر فيها ببني محارب بن حرب من مهرة [2] .

أما سوق عدن ، فكانت الأبناء هي التي تعشر التجار بها ، والأبناء هم أبناء الفرس الذين فتحوا اليمن مع وهرز وقتلوا الحبشة . وكان التجار لا يتخفرون فيها بأحد ، لأنها أرض مملكة ،

---

(١) المحبر (ص ٢٦٣ وما بعدها) . (٢) المحبر (ص ٢٦٥ وما بعدها) .

وأمرها محكم (١) وكان الأبناء يعشرون كذلك من يقصد سوق صنعاء من التجار (٢) . وأما سوق الرابية بحضرموت ، فلم يكن يصل اليها أحد إلا بخفارة ؛ لأنها لم تكن أرض مملكة . فكانت قريش تتخفر فيها ببني آكل المرار ، وسائر الناس يتخفرون بآل مسروق بن وائل من كندة .

ومن الأسواق الأخرى سوق ذي المَجاز ، وهي قريبة من عُكاظَ ، وسوق نطاة بخيبر ، وسوق حجر باليمامة (٣) .

فللملوك اذن التحكم فى البيع والشراء فى هذه الأسواق ، ولهم التعشير أي أخذ العشر عما يباع . وفى مقابل ذلك يقوم الملوك بحماية القاصدين لهذه الأسواق وحفظ حياتهم . أما الأسواق التي تعقد فى أرض غير مملكة ، فقد كان القاصدون اليها يتخفرون بالقبائل القوية التي تتحكم فى الأرضين التي تقام فيها السوق ، مقابل جعالة بالطبع ، أو اتفاق بين القبائل ، وذلك لحمايتهم من أذى الطامعين . فاذا وقع اعتداء ما تقوم القبيلة المتعهدة بالدفاع عمن وقع عليه الظلم وبأخذ حقه من المغتصبين . وتنتقل الخفارة بحسب تبعية الأرض واتفاقات القبائل بعضها مع بعض ، حتى الملوك كانوا يجعلون قوافلهم التي يرسلونها الى الأسواق فى خفارة الرجال من الجريئين المعروفين بالشجاعة وباقتحام المخاطر ، إذ لم يكن فى مقدور الملك نفسه إيصال أمواله الى المواضع التي يريد ارسالها اليها ما لم يجعل قوافله في خفارة هؤلاء الرجال . وقد رأينا كيف أن قوافل ملوك الحيرة وقافلة كسرى تعرضت للسلب والنهب ؛ لأنهم لم يسترضوا القبائل التي تمرّ بها القوافل ، ولم يَكِلُوا حمايتَها الى الرجال الأكفاء .

لقد ساعدت الظروف السياسية التي وليت سقوط حكومتي المناذرة والغساسنة ، والضعف الذي ألمّ بالانبراطوريّة الطموحين من رؤساء القبائل على الاستقلال وعلى التلقب باللقب المحبب الى نفوسهم ، لقب ملك ، فحكم فى جزيرة العرب فى هذا العهد رجال عدة لقبوا بهذا اللقب ، غير أن أحداً منهم لم يستطع اثبات جدارته للتمبه ؛ فلم يتعد حدود ملك احد منهم منطقة

(١) المحبر (ص ٢٦٦) . (٢) المحبر (ص ٢٦٧) . (٣) المحبر (ص ٢٦٧ وما بعدها) .

قبيلته التي هو منها ، ولم نسمع بملك من هؤلاء حاول توسيع ملكه وتكوين مملكة كبيرة تسمو على الفكرة القبلية . فكان الحكم في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد وأوائل القرن السابع ، حكم قبائل ، النفوذ السياسي بيد هذه القبائل ، وهي التي تتحكم بمقدرات هذا الجزء من العالم . وحكم هذا شـــأنه وهذه طبيعته ، لا يمكن أن يكون فيه أمن واستقرار ، وراحة واطمئنان ، وتفكير فى مستقبل واستغلال أرض .

على هـــذا النحو كان الوضع السياسي فى جزيرة العرب عند ظهور الاسلام : قرى مستقلة تخشى القبائل المحيطة بها فتؤدي لها جباية سنوية ، وأذواء وأقيال فى اليمن وحضرموت ورؤساء قبائل بألقاب الملوك أو بغيرها يتحكمون فى مناطق نفوذ قبائلهم ، ويعيشون على ما يأخذونه من أتباعهم من حق الرئيس على المرؤس في السلم وفى الحرب ، وهم فيما بينهم فى خصام وتنافس ، لم تتركهم الخصومة من الانصراف الى شؤون رعيتهم ، وهم أنفسهم لم يفكروا فى الانصراف الى ذلك . فتدهورت الأحوال ، وصارت حالة الأعراب صعبة ، ولا سيما فى سني الجدب وانحباس الأمطار ، وضيقت القبائل على القرى والمزارعين ، وأثقلتها وأثقلتهم بالطلبات . ونظر النـاس الى اصلاح الحال ، والى علاج ينقذهم مما هم عليه ، فكان ... لقد جاءهم هذا العلاج من الحجاز ؟



فهرس الجزء الرابع